

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

MINISTRE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE

•ЧИΞΗΙ:Θ:ИC:V:IIΞΧΧ:Ι.VΞ:ΘΙ.Ι

Χ.ΘV.ΠΞΧΙИC:И:V.ΧCΗ:CC:QIXΞЖΞ:ЖЖ:

Χ.Ж:ΛΛ.ϚΧΙ+Θ:ВИΞΠΞIVX:ΧИ.ϚΞI

UNIVERSITE MOULOU D MAMMERI DE TIZI-OUZOU

FACULTE DES LETTRES ET DES LANGUES

Département de Langue et Littérature Arabes



جامعة مولود معمري، تيزي-وزو

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

أطروحة لنيل شهادة دكتوراه ل. م. د

التخصص: لغة وأدب عربي

الفرع: الدرس اللغوي القديم وتداوليات الخطاب

إعداد الطالبة: ليندة حمودي

الموضوع:

قراءة تداولية في الرواية السياسية الجزائرية المعاصرة

لجنة المناقشة:

- أ.د. سامية داودي؛ أستاذة التعليم العالي، جامعة مولود معمري-تيزي وزو-.....رئيسا
- أ.د. ذهبية حمو الحاج؛ أستاذة التعليم العالي، جامعة مولود معمري-تيزي وزو-... مشرفة ومقررة
- أ.د. مصطفى درواش؛ أستاذ التعليم العالي، جامعة مولود معمري-تيزي وزو-.....عضوا ممتحنا
- د. كاهنة دحمون؛ أستاذة محاضرة أ، جامعة أكلي محند أولحاج-البويرة-.....عضوة ممتحنة
- د. عزيز نعمان؛ أستاذ محاضر أ، جامعة مولود معمري-تيزي وزو-.....عضوا ممتحنا

تاريخ المناقشة: 2021/ 04/06

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى أهلي وأصدقائي جميعا وإلى كل من قدم لي يد العون...

شكر وتقدير

أَتَقَدِّمُ بِجَزِيلِ الشُّكْرِ وَالتَّقْدِيرِ وَالعِرْفَانِ إِلَى الأَساتذة "ذهبية حمو الحاج" على قبولها الإشراف على هذا العمل ومتابعته وتصويبه من خلال كل ما قدمته لي من نصائح وتوجيهات في مختلف جوانب الدراسة كما أقدم شكري وامتناني إلى كل الأساتذة والزملاء على ما قدموه لي من مساعدة وتوجيه، ولا أنسى أصحاب القلوب الطيبة الذين دعموني بالتشجيع والدعاء.

مقدمة

تمثل الرواية بشكل عام صورة من صور التواصل؛ إذ تعدّ واقعة لغوية تواصلية بين الكاتب والقارئ من خلال عملية الكتابة، والتي يحاول الكاتب من خلالها التعبير عن مقاصده المرتبطة بمواقفه وتجاربه الخاصة إزاء الواقع والمجتمع، وهذا استنادا لمكونات سردية تخيلية محددة؛ فهي بذلك تشكّل وجها من أوجه استعمال اللغة، وعلى هذا فهي تحتاج إلى البحث عن طبيعتها التواصلية، والبحث في العلاقة بين اللغة ومستخدميها، وأوجهها التداولية للوصول إلى مقاصدها وتأويلها. فالرواية تجاوزت حدود النظر في مكوناتها وبنياتها اللغوية المغلقة إلى اعتبارها حدثا خطابيا تأثيريا، فهي بشكل عام تمثل مواقف خاصة لرؤية العالم والواقع وقراءة النصّ الروائي هو محاولة لفهم وتأويل هذه المواقف والتصورات، ومنه إعادة إنتاج النصّ وذلك من خلال محاولة تحديد أبعادها ومقاصدها.

وقد شكّلت الرواية العربية اليوم باعتبارها فناً أدبيا معاصرا أهم الخطابات انتشارا وتفاعلا وبهذا تميّزت عن أنواع الخطابات الأدبية الأخرى؛ حيث أصبحت أهم الفنون الثقافية اتّساعا وتزاحما على امتداد الوطن العربي كلّه، ومن هذا الفنّ نجد الرواية السياسية التي اتخذت محورا هاما من محاورها؛ إذ أصبحت قضايا الفكر والأيدولوجيا المحور الأساس عند أغلب كتّاب الرواية العربية المعاصرة باعتبارها لا تتفصل عن حياة الإنسان وصراعات المجتمع، وعلى هذا الأساس فإنّ الرواية السياسية تعدّ فتحا تواصليا هاما ونشاطا اجتماعيا مميّزا؛ إذ لم يعد ينظر إليها على أنّها مجرد منظومة فنية جمالية للاستمتاع وتشكيل إبداعات فنية فحسب، بل أصبحت من أهمّ الوسائل البارزة في طرح قضايا فكرية وأيدولوجية وتمرير رسائل ومقاصد معينة مرتبطة بالواقع السياسي والاجتماعي.

وأما الرواية الجزائرية بشكل خاص، فقد وجدت في السياسة نصيبها؛ إذ ارتبطت الرواية بالسياسة ارتباطا وثيقا ولعبت دورا هاما في طرح قضايا المجتمع وواقعه السياسي، واستطاع المؤلّف الجزائري أن يتفاعل مع هذه الملابسات، فالاهتمام بقضايا الوطن والمجتمع نجده حاضرا عند أغلب كتّاب الرواية الجزائرية الذين حاولوا تشكيل قوالب أدبية سردية خاصة ومميّزة، كون الرواية السياسية تمثل فنّ سرد الأحداث والقصصية الخيالية، تحمل تصورات وأفكار وأيدولوجيات خاصة، والتي يحاول كاتب الرواية السياسية تمريرها للقارئ انطلاقا من كتابة قصة سردية فنية.

وتميّزت بذلك الرواية السياسية بازدواجية الأدوار، فهي وسيلة للإمتاع والتسلية من خلال طابعها الأدبي الفني، وأداة للوعي والفكر من خلالها طرحها السياسي الأيديولوجي، ولا شك أنّ كاتب الرواية السياسية حين يحاول أن يجمع السرد والتخييل من جهة، والسياسة والواقع من جهة أخرى فإنّه يعمد إلى إنشاء بناء روائي مميّز في إطار مكونات سردية مترتبة عن مقاصد وأبعاد مختلفة من ذلك، رصد الأحداث في إطار سياق محدّد، وتعيين الشخصيات... كما يخلق آليات واستراتيجيات خاصة في ظل القضية السياسية التي تحملها الرواية، وذلك لتحقيق أغراض وأهداف تواصلية ينشدها إلى التأثير على أفراد المجتمع.

نحاول من خلال هذه الدراسة الاقتراب من هذا الخطاب- الخطاب السردى الروائي- كنمط خطابي مغاير ومختلف عن غيره من أنواع الخطابات من منظور لساني معاصر في الدراسات اللغوية العربية وهو المنظور التداولي الذي يهتم بالكشف عن جملة من القضايا المرتبطة باللغة في بعدها الاستعمالي التخاطبي؛ ونعني بهذا محاولة استغلال وتطبيق الأداة التداولية على هذا النمط الخطابي ومنه معرفة مدى استجابته للطرح التداولي في ظل خصوصياته السردية التي يميّز بها، ولقد وقع اختيارنا بالتحديد على الرواية السياسية كأكثر الفنون الأدبية اتساعاً وأعماقاً تعبيراً وتأثيراً، في محاولة الكشف عن خصوصياتها من حيث بناءها وأبعادها ومقاصدها باستغلال مفاهيم المنظور التداولي وآلياته وهو الموضوع الذي يتضمّنه عنوان هذا البحث: «قراءة تداولية في الرواية السياسية الجزائرية المعاصرة».

وقد انتقينا لدراسة هذا الموضوع مدوّنة تحتوي على ثلاثة نماذج من الروايات لروائيين جزائريين تناولت مواضيع سياسية مرتبطة بقضايا العصر التي شغلت اهتمام الكتاب، وهي قضايا تتعلّق بالسلطة والحكم في عمومها. حيث تناولت الرواية الأولى قضية الاستبداد والديكتاتورية والذي يعاني منها أكثر من بلد في وقتنا الراهن، وقد تجسد ذلك من خلال شخصية العسكري "نياب الزغبى" الذي كان رمزا للطغيان والخيانة، والذي انفرد بالسلطة والحكم... أمّا الرواية الثانية فليست بعيدة عن الأولى، إذ تناولت قضية الاستبداد والظلم والفساد من خلال كتابة سيرة طاغية ديكتاتور متعجرف عابث، حيث جعل المال واللهو أهمّ ركائز حكمه، أمّا الثالثة فقد كشفت لنا كذلك عن الطموح في الحكم والسلطة من جهة أخرى مغايرة، وهي جهة مدّعي التدين من خلال فتاويهم

الفاصلة والمهلكة للإنسانية، فلقد حاول الكاتب معالجة قضية الفتاوى، وذلك بالعودة إلى الأزمة السياسية التي عرفت الجزائر فيما عرف "بالعشرية السوداء" من خلال قصة الهادي وأصدقائه. وهذا تقديم مختصر لما جاء في مضامين الروايات المعنونة على التوالي: "حضرة الجنرال" للكاتب "كمال قرور"، "زعيم الأقلية الساحقة" للكاتب عزيز غرمول، "حرب الفتوى" لحامد العربي.

ونسعى من خلال دراستنا لهذه النماذج إلى البحث عن كيفية تجلي الخطاب الروائي السياسي من وجهة نظر المقاربة التداولية، في محاولة لتجديد النظرة للخطاب الروائي والانفتاح عليه من جانبه التواصلية. وهو ما يقتضي البحث عن طبيعته التواصلية التخاطبية، وأغراضه التداولية في ظل خصوصياته السردية، والسياسية، وإن محاولة تطبيق الآليات والمفاهيم التداولية على الخطاب الروائي السياسي هو محاولة البحث عن أوجهه التداولية من حيث بناؤه وآلياته ومقاصده، وهي الإشكالية التي بني عليها هذا البحث وتتطوي على التساؤلات الآتية:

- ما طبيعة التواصل السردية الروائي؟ وكيف تتجسد بنيته التداولية المرتبطة بإطاره السياقي وموقفه السردية؟
- إلى أي مدى تستجيب الرواية السياسية الجزائرية لآليات وإجراءات المنهج التداولية؟ وإلى أي مدى يمكن أن يكون المنظور التداولية فعّالا في دراسة الخطاب الروائي التخيلي؟
- ما هي أهم الأهداف والمقاصد الخطابية التي يحاول كاتب الرواية السياسية إيصالها للجمهور القارئ من خلال عملية السرد؟
- كيف تتجلى الأفعال الكلامية في هذا النوع من الخطاب في ظل خصوصياته السردية والتخيلية، وفي ظل وحدته النصية المتكاملة؟
- ما مدى مساهمة الأفعال الكلامية الإنجازية في تحقيق مقاصد الخطاب الروائي؟
- فيم تتمثل أهم الاستراتيجيات الخطابية المعتمدة في الخطاب الروائي السياسي في تفاعلها مع مكوناته السردية المتداولة في ظل الطرح السياسي؟ وكيف يحقق الكاتب التفاعل والتأثير من خلال الكتابة؟
- كيف تجسدت عملية التلقظ في الرواية السياسية؟ وإلى أي مدى أسهمت في توجيه مقاصد الخطاب؟

وللإجابة على هذه التساؤلات ارتأينا الاعتماد على إجراءات وآليات المنظور التداولي وهو ما تقرضه طبيعة هذا الموضوع، فالمفاهيم مثل: التخاطب والتواصل، القصديّة، السياق، آليات التأثير الفعل الكلامي... التي نتساءل عنها تتدرج ضمن اهتمامات التداولية التي تنطلق من مبدأ دراسة اللغة في وضعية استعمال، والتي تهتم بالتواصل والتخاطب بشكل عام.

وبخصوص خطة البحث جاءت موزّعة على ثلاثة فصول؛ وهذا حسبما تقتضيه إشكالية هذا البحث، إضافة إلى مدخل، ومقدّمة البحث، وخاتمة.

تضمّن مدخل البحث مجموعة من النقاط الأساسية والتي حاولنا فيها البحث في العلاقة بين التداولية والخطاب الروائي، وذلك من أجل دراسة تداولية سردية، وتجاوز مفارقة الواقع والتخييل والسرد بشكل عام، كما حاولنا كذلك توضيح أهداف استثمار هذا المنهج لدراسة الخطاب الروائي، والذي ترتبط بفهمه واستكشافه رؤى تواصلية تفاعلية، وهو ما يرتبط بطبيعة المنهج التداولي، والذي يمكن اعتباره منهجا شاملا ومتكاملا، كونه يدرس اللغة من وجهة تواصلية وظيفية عامة.

وتعرضنا في الفصل الأول الموسوم بـ: "التواصل السردى الروائي ومقاصد الخطاب" للتعريف بطبيعة التواصل الروائي وخصائصه السردية وإطاره السياقي، وذلك بهدف استكشاف الموقف التواصلى السردى بشكل عام، وفهم علاقاته الخطابية وصولا لمقاصد الخطاب، وقد جاءت دراسة هذا الفصل في مبحثين، حيث حاولنا في المبحث الأول تحديد الإطار السياقي لنماذج الروايات وبنيتها التداولية، بما يتضمنه من عناصر سياقية، من أقطاب العملية التواصلية وزمانها ومكانها والعلاقات التخاطبية بين الذات المتلفّظة، كما حاولنا ربط الروايات السياسية وتقريبها بمقام التأليف، وكذا مقام القراءة، وأخيرا حاولنا الوقوف عند قضية الزمن السردى، والمرتبطة بالأحداث الروائية ومسيرتها، وكلّ هذه العناصر تعتبر مؤشرات سياقية، والتي من شأنها أن تثير جوانب مهمة في القراءة التداولية- سواء ما تعلّق بالإجراء السردى الداخلى أو الخارجى- من أجل فهم الرواية وفهم مقاصدها الخطابية. أما في المبحث الثاني فتناولنا فيه دراسة المقاصد الخطابية للروايات السياسية، وذلك محاولة البدء بدراسة عناوين الروايات، باعتبار العنوان القوة التأثيرية الأولى التي تؤثر على القارئ، كما يعكس مضمون الرواية السياسية، كذلك حاولنا ربط الروايات

السياسية بالواقع، وهذا من شأنه أن يفتح لنا أبواب التأويل، وأخيرا تطرقنا لأهم المقاصد الخطابية التي تضمنتها الروايات السياسية.

أمّا الفصل الثاني فقد جاء معنونا بـ: "تداولية الخطاب الروائي السياسي واستراتيجيات الخطاب"، وقد تمّ تناوله كذلك في بحثين، تطرقنا في المبحث الأول للحديث عن أفعال الكلام في الخطاب الروائي، ومحاولة الوقوف عند خصائصها ومميزاتها السردية والمرتبطة بإشكاليته التخيل والتظاهر، كما حاولنا كذلك دراسة أنواع الأفعال الكلامية وتجلياتها في الخطاب الروائي السياسي وما حققته من قوى إنجازية في الخطاب، كما حاولنا دراسة الحدث الكلامي النصي الذي يتأسس على الفعل الكلامي الأساس، وذلك بالنظر إلى الأفعال الكلامية نصيا داخل الخطاب الروائي السياسي، من خلال بنيته التلفظية الشاملة. وتناولنا في هذا الفصل مبحثا آخر، تمثل في دراسة الاستراتيجيات الخطابية بغرض الكشف عن أهم آلياتها المتبعة في الخطاب السياسي، وذلك من أجل بنائه، وإنجازه، وبالتالي التأثير به.

أمّا في الفصل الثالث والذي يحمل عنوان "التلفظ في الرواية السياسية وأناوية الخطاب"، فقد تطرقنا فيه إلى عملية التلفظ في الخطاب الروائي، والنظر في حدودها ودراسة أبعادها، وذلك من خلال دراسة الموقف التلفظي ومرجعيات الخطاب الروائي، وكذا محاولة تتبع ذاتية المتلفظ، وتحديد مكانتها وتموقعها في الخطاب. وقد جاء كلّ هذا موزعا كذلك على بحثين، تطرقنا في المبحث الأول إلى الإشارات المقامية بشكل عام، لما لها من دور أساس في بناء فاعلية تواصلية في الموقف التواصل السرد بين المتلفظين، ولما لها من أبعاد تداولية داخل الخطاب، أمّا المبحث الثاني فقد خصصته للحديث عن "الأنا" في الخطاب، والذي أكسب الخطاب السياسي بعدا ذاتيا خاصا لا يمكننا تجاوزه، وذلك من خلال تمثيل الذات في الخطاب، وإعطاء صورة لها، لتعكس ذلك صورة الآخر في المقابل، ومن ثمة بناء وتحديد مسافات خطابية تلفظية بين الذات السردية لفهم العلاقات الخطابية.

وقد خصصت لهذا البحث خاتمة أجملنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها، وقد مكنتنا من أخذ صورة عن طبيعة التواصل السرد الروائي بشكل عام، والكشف عن المظاهر التداولية للرواية السياسية في ظل مكوناتها السردية التخيلية بشكل خاص.

لقد اعتمدت في دراسة هذا الموضوع مجموعة من الكتب والمراجع منها ما يتعلق بالمجال (المدونة) ومنها ما يتعلق بالمنهج، فأما ما يتعلق بالمجال فقد استعنت ببعض الكتب المرتبطة بالرواية السياسية والتي من شأنها أن تساعد في فهم مجال الدراسة والاطلاع على مختلف مميزاتة، نذكر منها: كتاب "الرواية السياسية للدكتور طه الوادي" وكذلك كتاب "الرواية السياسية لأحمد محمد عطية"، أما ما يتعلق بالمنهج اعتمدت على مجموعة الدراسات أسهمت في توسيع مجال النظرية التداولية لتنتقل من حقل اللسانيات إلى حقل الأدب ومن بين أهم هذه الأبحاث والدراسات نذكر: "المقاربة التداولية للأدب لإلفي بولان" و"تداولية الخطاب السردى لمحموط طلحة"، كذلك "التداولية والسرد لجون ك. آدمز"، و"كتاب التداولية السردية في خطاب الأقصوصة النسائية لمحمد بن عبد الله المشهوري"... وقد فتحت لي هذه الكتب باب البحث من خلال ما طرحته من دراسات منهجية تجديدية للخطاب الأدبي عامة المرتبط بالمنظور التداولي، وأما بخصوص هذا البحث فقد حاولت فيه توسيع مجال البحث من خلال دراسة مدونة أوسع والمتمثلة في الرواية السياسية، والتركيز على الجانب التطبيقي في دراسة مختلف مظاهرها التداولية للكشف عن مختلف خصوصياتها وأبعادها التداولية.

أما الصعوبات التي واجهتها في هذا البحث فقد كان في البداية مع صعوبة انتقاء المدونة والاستقرار على روايات سياسية مناسبة للتحليل، وكذلك وجدت من الصعوبات أيضا؛ نقص الدراسات والتطبيقات التداولية على النصوص الروائية، والتي من شأنها أن تساعد في توضيح وتحديد طبيعة التواصل الروائي التخيلي وآلياته التداولية بشكل عام؛ إذ لا يزال هذا المجال يواجه إشكاليات وصعوبات بخصوص حقيقة تطبيق وتبني هوية تداولية خاصة بالخطابات السردية التخيلية، كما واجهت صعوبات على مستوى تطبيق الظواهر التداولية التي أحيانا تضع الباحث في ارتباك وتشويش باعتبار طبيعة الخطاب السردى التخيلي و عوالمه.

وأرجو أن يكون هذا البحث قد حقق ولو جزءا بسيطا لقراءة جديدة للمنجز الأدبي الروائي. وفي الأخير أتقدم بخالص الشكر والامتنان للأستاذة "ذهبية حمو الحاج" على قبولها الإشراف على هذا العمل ومتابعته وتصويبه وتركيبته، وأسأل الله تعالى التوفيق وأن يكتب لهذا العمل

الاستجابة والقبول وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين.

تمهيد

- 1-التداولية والخطاب السردى(الرواية).
- 2-إشكال تطبيق التداولية على الخطاب الأدبى التخيلى.
- 3-نحو بناء تداولية أدبية.
- 4-المقاربة التداولية السردية: الأهداف والأبعاد

تعددت الدراسات والأبحاث اللسانية والنقدية في التعامل مع النصوص الأدبية وذلك بتعدد المناهج النقدية الحديثة واختلاف النظريات والتوجهات في العمل الأدبي. ومن بين هذه المناهج النقدية نجد المنهج النفسي والتاريخي والاجتماعي والبنوي... ومختلف المناهج التي اهتمت بالأشكال والبنى اللغوية... ولكل هذه المناهج زوايا وركائز خاصة في تعاملها مع النص الأدبي ووجهات محددة تنطلق منها في تحليلاتها "فلقد اختلفت المناهج النقدية الحديثة باختلاف الرؤية إلى العمل الأدبي، وباختلاف المنابع والنظريات، فمنها من تهتم بالمبدع، ومنها من تهتم بالنص... انطلاقاً من فكرة البنية... ومنها من تجعل القارئ هو الأساس في العمل الأدبي..."¹ وقد كانت لكل هذه المناهج اتجاهاتها الخاصة التي تنطلق منها للبحث والكشف عن دلالات النصوص.

وفي خضم هذه الدراسات النقدية يبرز المنهج التداولي والذي كان آخر ما جاء به النقد الحديث والذي أصبح له الصدى الواسع في ساحة الدراسات اللغوية، والذي امتدت نظرياته وتطبيقاته إلى حقول أخرى، فقد "حظيت التداولية في العقود الأخيرة باهتمام متزايد من لدن النقاد ودارسي اللغة والأدب في أماكن مختلفة من العالم وامتدت نظريتها أو نظرياتها وتطبيقاتها من حقل اللسانيات إلى حقل الأدب شعراً وسرداً، فضلاً عن حقول معرفية أخرى"²؛ إذ أصبحت تصوراً ونظرية لا يمكن الاستغناء عنها في فهم مقاصد الخطاب، والمرتبطة بنظرته الجديدة والشاملة للغة، "فالتداولية تحكم عملية التخاطب والتواصل وتدخل الجوانب الاجتماعية والثقافية والنفسية ومراعاة كل النظم التي تجري فيها التواصل"³ فهي تهتم بالتواصل من مختلف الجوانب، وتتنظر إلى اشتغال العلامة اللغوية في واقع الاستعمال والذي تحدده سياقات معلومة ومقامات محددة.

كما نجد في أهم الدراسات اللغوية التي اهتمت بالنص الأدبي التخيلي، ظهور بعض الدراسات التداولية التي حاولت توسيع مجال البحث التداولي ليشمل النصوص الأدبية بكل أطيافها (قصيدة شعرية، قصة، رواية....) وهذا ما أثار جدلاً بين الباحثين، وأدى إلى البحث عن علاقة التداولية

¹ - عبد الحكيم سحالية، تداولية أفعال الكلام في الخطاب الزوائي لأحلام مستغانمي، دراسة في عابر سرير ونسيان كوم ط1، عمان: 2017، دار الأيام للتوزيع والنشر، ص09.

² - جون-ك. آدمز، التداولية والسرد، تر: خالد سهر، ط1، العراق: 2009، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ص05

³ - عبد الحكيم سحالية، تداولية أفعال الكلام في الخطاب الزوائي، ص11.

بالخطاب الأدبي التخيلي، وكيفية تجاوز مفارقة الواقع والتخيل، كأهم مقارنة بين التداولية والرواية أو الخطاب الأدبي التخيلي بشكل عام.

1- التداولية والخطاب السردى (الرواية):

لقد أثارت مسألة البحث في العلاقة بين التداولية والخطاب الأدبي جملة من التساؤلات المتعلقة في عمومها بإشكالية تطبيق التداولية على الخطاب الأدبي في عمومها، وإمكانية توظيفها كمقاربة للتحليل النقدي النصي في ظل الاختلافات والمفارقات بينها وبين الخطاب الأدبي والتي هي في الحقيقة اختلافات بين منهج الدراسة مجال البحث. وقبل البحث في مسألة العلاقة بين التداولية والفعل الإبداعي (الرواية) - باعتبارها مجال دراستنا - سنحاول الوقوف عند بعض العناصر التي تشكل نقاطا أساسية من أجل توضيح هذه المقاربة للرواية والخطاب التخيلي بشكل عام بواسطة التداولية.

1/1. حول مفهوم التداولية:

شكلت التداولية منعطفا معرفيا لغويا بارزا في ساحة الدراسات والأبحاث اللسانية المعاصرة وذلك من خلال نظرتها الجديدة للغة، والتي انفتحت على التواصل الإنساني، فقد اهتمت التداولية بشكل عام باللغة أثناء استعمالها في إطار ظروف سياقية واقعية محددة، "فالتداولية تهتم بدراسة علاقة العلامة اللغوية بمستعملها¹، وقد فتحت التداولية بابا جديدا ومغايرا عن باقي الدراسات اللغوية الأخرى؛ إذ تجاوزت إشكالات الدلالة والبنية لتتجه بدراسة استعمال اللغة وتداولها بين مستعملها مع اعتبار اللغة فتحا تواصليا مرتبطا بعناصر سياقية مقامية؛ فالتداولية تهتم بالكيفية التي تستعمل بها اللغة أثناء التفاعل، فهي "تسعى إلى كيفية فهم الناس بعضهم البعض وإنتاج لفعل تواصلية أو فعل كلامي في إطار موقف كلامي ملموس ومحدد²، وهذا يوضح أنّ التداولية علم جديد للتواصل الإنساني مرتبط بالمواقف الاجتماعية الفعلية التواصلية التي تساهم في تحديد

¹- Françoise Armengand, la pragmatique, Paris : 1985, Presses Universitaires de France, saint germain. , p05

²- قدور عمران، البعد التداولي في الخطاب القرآني الموجّه إلى بني إسرائيل، [أطروحة أعدت لنيل شهادة الدكتوراه] سنة 2009/2008 جامعة الجزائر، ص13.

مقاصد المتكلم، فهي تدرس اللغة في مجال الاستعمال والتخاطب مع اعتبارها نشاطا يمارس ضمن سياق متعدد الأبعاد¹.

وقد نظرت التداولية إلى اللغة في ارتباطها بحركة وسيرورة التواصل وبمقامه الذي يكشف عن مقاصد المتكلم؛ أي أنّ "التداولية تتجاوز المعاني والدلالات العادية إلى تأويلات أخرى تكتسب من السياق، وتهدف إلى التأثير في المتلقيين"²؛ إذ حاولت التداولية الكشف عن مقاصد الخطاب والبحث في أغوار معاني الكلام وتجاوز دلالة المعنى، فقد "تجاوزت التداولية محددات الدلالة إلى دراسة إمكانية الكشف عن قصدية المتكلم، من خلال إحالة المنطوق إلى السياق لمعرفة مدى التطابق بينه وبين ظروف السياق، للكشف عن القوانين العامة التي تتحكم في تحديد دلالاته"³ فالتداولية تهتم بالبحث عن المعاني الضمنية التي يكتشفها المتلقي من خلال مسارات سياقية محددة وفي هذا يقول أحد المفكرين: "التداولية تراهن على مقارنة المعنى أو الدلالة، ولكن ليس المعنى الحرفي المباشر الذي تؤسسه الجملة من خلال العلاقات التركيبية أو الدلالة التي تقدمها الألفاظ، بل تراهن على المعنى الضمني أو الرسالة المتضمنة التي يتضمنها الملفوظ دون أن يشير إليها مباشرة، وهي رسالة يؤسسها المتكلم عبر مجموعة من المؤشرات يستقبلها المتلقي في إطار نسق تفاعلي يحكمه ميثاق تواصلية يضمن مد الجسور بين المرسل والمتلقي"⁴؛ وعلى هذا الأساس نظرت التداولية إلى اللغة أو الخطاب على أنه حدث تواصلية غير منفصل عن مقامه الذي أنتج فيه لأنّ "التصور التداولي للغة مرتبط بوضع الخطاب في قلب العملية التواصلية التي تفترض منتجا ومنتقيا ومقاما تواصليا معينا"⁵

¹ - ينظر: عمر بلخير، "تصنيف أفعال الكلام في الخطاب الصحافي الجزائري المكتوب باللغة العربية"، مقالات في التداولية والخطاب، تيزي وزو: 2013، دار الأمل، ص126.

² - عبد الحكيم سحالية، تداولية أفعال الكلام في الخطاب الروائي لأحلام مستغانمي، دراسة في عابر سرير ونسيان كوم ص05.

³ - كاهنة دحمون، تداولية الخطاب السردي بين القديم والحديث [أطروحة مقدّمة لنيل دكتوراه العلوم في الأدب]، تيزي وزو 2014، جامعة مولود معمري، ص08.

⁴ - إلفي بولان، المقاربة التداولية للأدب، تر: محمد تنفو، ط1، القاهرة: 2018، دار رؤية للنشر والتوزيع، ص08.

⁵ - محمود طلحة، تداولية الخطاب السردية، ص15

وبخصوص موضوع الدراسة التداولية ومجالها هناك من الباحثين من حاول تلخيص مجال الدرس التداولي حيث ذهب (جورج يول) إلى حصره في أربع مجالات دون غيرها، وتتمثل في: المجال الذي يهتم بدراسة **المعنى الذي يقصده المتكلم**؛ أي دراسة المعنى كما يقصده المتكلم وكما يفسره المستمع، والمجال الذي يهتم بدراسة **المعنى السياقي**؛ أي المرتبط بمعطيات السياق وكيفية تأثير السياق في ما يقال، والمجال الذي يهتم بدراسة **كيفية إيصال أكثر مما يقال**؛ وهو المرتبط بالمعنى "غير المرئي *Invisible meaning*"، وأخيرا المجال الذي يهتم بدراسة **التباعد النسبي** والذي يرتبط بمفهوم التباعد *distance* ويلخص هذا المجال في مجمل العلاقات والمعارف المشتركة بين أطراف الخطاب¹. والحقيقة أنّ كل هذه المجالات التي حصرها (جورج يول) ترتبط ببعضها البعض وتتشرك في المهام العامة للدرس التداولي المتمثل في البحث عن مقاصد الخطاب وكشف أغوار معاني الكلام؛ وتتجلى مهمة التداولية بشكل عام في دراسة اللغة في إطار سياق ومقام محدد، الذي يكشف عن الدلالات الحقيقية للخطاب، فمهمة التداولية الرئيسية: "تناول اللغة واستعمالاتها في سياقات معلومة ومقامات محددة، فهي لا تخضع للمعنى المعجمي الذي تجمّد في صورة معادلة واحدة هي: (الكلمة = المعنى)، فالمفهوم التداولي قد تكون عنده (الكلمة ≠ المعنى)؛ لبناء معادلة جديدة، لها ظروفها الخاصة بها، والبعيدة عن أجواء المعجم المتجرّد من المتحدثين، وبهذا الفرق نجد التداولية مرتبطة بدراسة اللغة مستعملة وجارية بين المتخاطبين في مقابل دراسة الأنظمة اللسانية التي هي من مشمولات علم اللسان"²؛ حيث نظرت التداولية إلى اللغة من نظرة ووجهة مغايرة، كما استندت بمجموعة من المفاهيم، والتي يمكن اعتبارها ركائز أساسية يقوم عليها تصوّر التداولي، ويمكننا ذكر أهم هذه المفاهيم باختصار كالآتي:

1/1/1. السياق: للسياق دور مهم وبارز في التصور التداولي، فهو أساس الخطاب وركيزته ويتحدد في جملة من العناصر غير اللغوية التي تنتمي للموقف التواصلية، والتي تساهم في نقل المعنى من المستوى اللغوي والدلالي إلى مستوى التأويلي التداولي كون "السياق يتضمن كل ما هو خارج لساني، والذي يمكنه أن يشكل جزءا من الوضعية التلفظية. فهو يضم عناصر الإطار

¹ جورج يول، التداولية، ترجمة: قصي العتابي، ط1، بيروت لبنان: 2010، الدار العربية للعلوم، ص 19

² محمد بن عبد الله المشهور، التداولية السردية في خطاب الأقصوة النسائية، ط1، عمان: 2018، دار كنوز للنشر والتوزيع، ص23

الزمكاني للتلفظ، وطبيعة المتحاورين وجنسهم، إلى جانب لحظة التلفظ. هذه المكونات الخارجية، هي الكفيلة بأن تنقل المتخاطبين من التعامل مع المستوى اللغوي إلى التأويل التداولي¹؛ فالسياق يساهم في الكشف عن مقاصد الخطاب، ويتغيره بتغير دلالات ومقاصد الخطاب، والتي ترتبط بمواقف تواصلية محددة إذ أنّ "السياق هو مجموع شروط إنتاج القول، وهي الشروط الخارجية عن القول ذاته، والقول هو وليد قصد معيّن، يستمد وجوده من شخصية المتكلم ومستمعه أو مستمعيه، ويحصل ذلك في الوسط(المكان)، واللحظة (الزمان)"²

2/1/1. المقصدية: هي من أهم المفاهيم التي اعتنى بها المنظور التداولي، وأولها اهتماما فائقا وبارزا، ويرتبط مفهوم المقصدية بهدف الخطاب ومضمونه، ودلالته، وحقيقته والذي يلعب فيها السياق الدور الحاسم، والذي يتحقق من خلاله دلالات الخطاب ومكوناته. ولقد حدّد الباحثون هذا المفهوم من خلال تمييزهم بين مقصدين: المقصد الإخباري والمقصد التواصلية؛ حيث "ارتبط مفهوم المقصدية من خلال الدلالة غير الطبيعية التي أشار إليها (غرايس)، فهي دالة على مقصدية مزدوجة: مقصدية إخبارية وهي ما يقصد إليه المتكلم من حمل مخاطبه على معرفة معلومة معينة، ومقصدية تواصلية، وتتعلق بحمل المخاطب على معرفة مقصده الإخباري"³ ومعنى الدلالة غير الطبيعية هنا والتي اعتمدها (غرايس) هو تلك الدلالة غير المباشرة المتضمنة في القول والتي تقوم على التأويل والاستدلال.

3/1/1. أفعال الكلام: تعد أفعال الكلام النواة الأساسية للتصوّر التداولي، فلقد ارتبطت الأفعال الكلامية بالمفهوم والتصوّر الجديد للغة والذي ذهب إلى أبعد ما تحمله دلالة الملفوظات وقد ارتبط هذا التصوّر بمفهوم الإنجاز، وهو مفهوم حظي بأهمية بارزة في الدراسات الجديدة للغة فمفهوم "فعل الكلام بوصفه فعلا للتلفظ يحظى بأهمية خاصة: اللغة لا تصلح فقط للإخبار أو تمثيل للأشياء أو العالم، بل تصلح أيضا لإنجاز أفعال، فالتكلم يعني الإنجاز"⁴، ولعلّ أهمّ ما

¹ - إلفي بولان، المقاربة التداولية للأدب، ص10

² - عبد الحكيم سحالية، تداولية أفعال الكلام في الخطاب الرّوائي لأحلام مستغانمي، دراسة في عابر سرير ونسيان كوم ص18.

³ - إلفي بولان، المقاربة التداولية للأدب، ص11

⁴ - المرجع نفسه، ص42

جاء به هذا المبحث هو اعتبار أن اللغة لم يعد ينظر إليها على أساس أنها مضامين أو دلالات خبرية أو وصفية، بل أصبحت اللغة مرتبطة بتحقيق أفعال إنجازية لتجسيد أغراض تواصلية.

2/1. التّصوّر التداولي والخطاب:

كان ولا يزال مفهوم الخطاب محلّ اهتمام الباحثين والدارسين اللسانيين، حيث اكتسب هذا المصطلح مفاهيم عديدة تنمّ عن مختلف التوجهات والحقول المعرفية التي نظرت إلى الخطاب من زوايا مختلفة، فهناك من انطلق من وجهة تركيبية والذي ينظر إلى الخطاب على اعتبار المكونات التركيبية (الخطاب وحدة تساوي أو تفوق الجملة، وهي تتكون من سلسلة تشكل رسالة لها بداية ونهاية)؛ أو (الخطاب وحدة لسانية ذات بعد يفوق الجملة (فوق جملي)، وكذلك هناك من انطلق من وجهة دلالية، والذي يقوم على دلالة الخطاب، (الخطاب وحدة دالة، والتي يجب أن تحلل دلاليا)¹ أما التصور التداولي فقد أعطى لمصطلح الخطاب مفهوما مغايرا، إذ تجاوز النظر إلى الخطاب على أساس التتابع الجملي أو التماسك الدلالي فقط، بل نظر إلى الخطاب على أنه حدث تواصلية، ووحدة تواصلية؛ فالتصوّر التداولي لا ينظر إلى الخطاب على أنه تتابع جملٍ تؤدي دلالة في تماسك فقط، وإنما ينظر إلى الخطاب على أنه "سيرورة تواصلية دلالية لا تنفك عن المقام التواصلية الذي أنتج فيه؛ أي وضع مفهوم الخطاب في قلب العملية التواصلية التي تفترض منتجا ومتلقيا ومقاما تواصليا معينا"²، ويمكننا ذكر أهم المفاهيم التي أرساها التصوّر التداولي للخطاب كالاتي:

- تجاوز المفهوم التقليدي للخطاب والذي يركز على الحجم الشكلي باعتباره سلسلة من الجمل أو مقابلا للنص، إلى محاولة اعتباره سيرورة تواصلية، تدخل في تكوينها أجزاء أخرى مثل: المقام التواصلية والتلفظ، والمشاركون في عملية التلفظ...³
- اعتبار الخطاب كل إنتاج لعبارات لغوية، يكوّن في مجموعته وحدة تواصلية، ونقصد بالوحدة التواصلية أن يكون للعبارات اللغوية المنتجة في مقام معيّن موضوع معيّن وغرض تواصلية معيّن، ومن الواضح أن ما يؤسس تعريف كهذا، ليس نوع العبارات اللغوية ولا

¹- ينظر: محمود طلحة، تداولية الخطاب السردية، ص14

²- ينظر: المرجع نفسه، ص14

³- محمود طلحة، تداولية الخطاب السردية، ص26

حجمها، ولا عددها، وإنما هي وحدة التواصل التي تكمن في وحدة المقام والموضوع والغرض¹

- النظر إلى الخطاب على أنه "شكلا من أشكال الفعل"²؛ فالخطاب لا يمثل الواقع أو يصفه وإنما يرتبط بإنجاز أفعال في الواقع.

- الانتقال من دراسة البنية التركيبية واللسانية للخطاب إلى دراسة كفاءته التداولية، وهي الكفاءة التي تتعلق بصلة الخطاب بالمقام التواصلية الذي أنتج فيه، مع الاهتمام بآثار المقام والتلفظ في الخطاب، والنظر إليه في ضوء قوانين الخطاب التداولية³.

عموما نستنتج من خلال هذه النقاط أن التصور التداولي منح للخطاب مفهوما مغايرا ويتحدد في اعتباره فعلا تواصليا تحكمه معطيات سياقية محددة.

3/1. الرواية والعالم الافتراضي:

شكّلت الرواية جنسا فنيا أدبيا جديدا، وقد ارتبطت في بشكلها العام بسرد حكاية قصصية بطريقة فنية، ينتجها الكاتب من خلال فعل سردي، ولقد تنوعت تعاريف الرواية، وهذا نظرا لاتساع أفقها وامتلاكها الحرية في تجسيد عوالمها ولكن تعرّف بالشكل العام على أنّها: "جنس أدبي من الأجناس النثرية وهي سرد للأحداث بطريقة فنية وبلغة مميّزة وبأسلوب مشوق"⁴، فالرواية تتضمن مجموعة من الأحداث ضمن عالم قصصي إبداعي ينتجه المؤلف لينقله للقارئ، كما توصف كذلك بأنّها "سرد قصصي نثري طويل يصوّر شخصيات فردية من خلال سلسلة من الأحداث والأفعال والمشاهد..."⁵؛ فالرواية شكل أدبي جديد، يصوّر عالم وفضاء تخييلي مرتبط بأحداث وشخصيات بيدعه الكاتب ويتأمله القارئ.

¹- ينظر: كاهنة دحمون، تداولية الخطاب السردية بين القديم والحديث، ص20

²- محمود طلحة، تداولية الخطاب السردية، ص16

³- المرجع نفسه، ص27

⁴- عبد الحكيم سحالية، تداولية أفعال الكلام في الخطاب الروائي لأحلام مستغانمي، دراسة في عابر سرير ونسيان كوم ص42.

⁵-فتحي إبراهيم، معجم المصطلحات الأدبية، ط1، الجمهورية التونسية:1986، المؤسسة العربية للناشرين المتحددين ص176.

تدرج الرواية ضمن الخطاب السردى والمكوّن من لحظات سردية ووصفية وحوارية¹، فأهم النقاط والعناصر التي يتركز عليها العمل الإبداعي، هي السرد وهو المحكي والذي تقوم به الذات (السارد) والوصف والذي يرتبط بوصف أحداث ووقائع محددة وشخصيات معينة ضمن العالم الافتراضي للرواية، وعنصر الحوار الذي يرتبط بالشخصيات القصصية داخل الإجراء السردى ضمن إطار سياقي تحكمه ظروف محددة يخلقها الكاتب.

إنّ أهم عنصر يمكننا الحديث عنه من خلال الرواية وعالمها القصصي هو عنصر الخيال الذي يكون حاضرا في الرواية بشكل بارز، فالرواية توصف بأنها جنس من التخيل، وهي قصة تروي عالما افتراضيا²؛ وقد شكل هذا التخيل الذي توصف به الرواية أساس إشكالية الأدب والواقع، أو علاقة عالم الرواية التخيلي بالعالم الحقيقي، ومنه إشكالية علاقة الأدب بالتداولية، لأنّ "التخيل يعمل بوصفه مبدعا لعوالم يقوض فيها ويكسر الاستعمال اليومي (غير الأدبي للغة)، في حين أنّه في الاستعمال العادي تنتج ملفوظات من الواقع تظهر فيها ثنائية بين مادة الملفوظ وفاعل التّلفظ، والأدب يشكل عوالم متخيّلة تتمتع باستقلال ذاتي"³، فالمؤلف يعتمد في روايته على بناء تشكيلي تخيلي يتمتع فيه بكامل الحرية في رسم معالمه، كما أنه لا ينقل كلام أشخاص أو يصف وقائع معينة بصورة واقعية وإنّما يوهمنا بذلك من خلال سرده لقصة خيالية في إطار الحكى.

4/1. المقاربة التداولية الأدبية السردية:

تستدعي المقاربة التداولية بشكل عام تناول الظاهرة اللغوية الخطابية من منظور تداولي بالتركيز على الجانب الاستعمالي للخطاب في إطار الظروف السياقية والمقامية له، والتي تساهم في الكشف عن الدلالات الحقيقية للملفوظات والوصول للمقاصد التواصلية لها. وتحدد المقاربة التداولية على أنها: "المنهجية التي تدرس الجانب الوظيفي والتداولي والسياقي للخطاب أو النص وتدرس مجمل العلاقات الموجودة بين المتكلم والمخاطب، مع التركيز على البعد الحجاجي

¹ينظر: كاهنة دحمون، تداولية الخطاب السردى بين القديم والحديث، ص22

²ينظر: عبد الغنى بن الشيخ، التخيل وخدع التمويه السردى، مجلة الآداب، م1، ع10 قسنطينة: 2009، كلية الآداب واللغات، ص149.

³كاهنة دحمون، تداولية الخطاب السردى بين القديم والحديث، ص28

والإقناعي وأفعال الكلام داخل النص¹؛ فالمقاربة التداولية تدرس الخطاب بالتركيز على جانبه السياقي التواصلية؛ إذ "ترتكز المقاربة التداولية على الجانب التواصلية في اللغة الطبيعية... وتهتم بالإشارات والمقصدية وأفعال الكلام والسياق والحجاج..."² وهذه أهم أدوات المقاربة التداولية حيث "وضعت الدراسات التداولية في اعتبارها المنهجي مجموعة من المفاهيم اعتبرتها مركزية في مقاربة الملفوظ أهمها: السياق، أفعال الكلام، الاستلزام الحواري، الاستدلال الموجهات، الاقتضاء المقصدية... وهي كلها في نظر التداوليين مكونات أساسية تساهم في وصف بناء الملفوظ الذي يحاول أن يؤسس علاقة مع العالم المحيط به، من خلال التعبير عن قضايا أو أحاسيس اتجاه العالم الخارجي"³.

وبالعودة للخطاب الأدبي الروائي، فإنّ المقاربة التداولية لهذا الأخير تعني محاولة تحليله تحيلا تداوليا باستغلال أهم المفاهيم والآليات التداولية، سعيا لاستكشاف أهم مقاصده ومعالمه وأبعاده ونقصد بالمقاربة التداولية الأدبية بشكل عام "تلك النظرية اللغوية النقدية التي تحاول دراسة الظواهر الأدبية والجمالية في ضوء ما ذكرناه من مبادئ وآليات المنظور التداولية؛ وتعبير آخر "تركز المقاربة التداولية على عنصر المقصدية والوظيفة في النصوص والخطابات"⁴؛ أي دراسة الخطاب في ارتباطه بموقفه السياقي من أجل الوصول إلى مقاصده التبليغية التواصلية. وفي إطار الحديث عن المقاربة التداولية، والخطاب الروائي أو الأدبي عامة، فإنّ هذه المقاربة واجهت صعوبات وتحديات، كما أثارت جدلا كبيرا بين الباحثين، وهذا في إطار التمييز بين أنواع الخطاب وكذلك في إطار خصوصيات المنظور التداولية، والخطاب الأدبي، والذي يفترض سياقاً تخيالياً خاصاً في بعض الأحيان يختلف عن سياق الخطاب اليومي الواقعي.

2. إشكال تطبيق التداولية على الخطاب الأدبي التخيلي:

إنّ مسألة البحث عن العلاقة بين التداولية والرواية كفن سردي تخيلي هو مسألة البحث عن إمكانية توظيف المقاربة التداولية واستثمار آلياتها للتقريب من الخطاب الروائي، والبحث عن

¹-ينظر: جميل حمداوي، التداوليات وتحليل الخطاب، ط1، 2015، مكتبة المتقن، ص08

²-المرجع نفسه، ص09

³-إلفي بولان، المقاربة التداولية للأدب، تر: محمد تنفو، ط1، القاهرة، 2018: دار رؤية للنشر والتوزيع، ص07

⁴-جميل حمداوي، التداوليات وتحليل الخطاب، ص04

خصائصها التداولية في ظل المفارقات والخصائص التي تميّز كل اتجاه، ويمكننا ذكر أهم هذه الاختلافات والمفارقات التي أثارت هذا الإشكال كالاتي:

- إن أهم مفارقة يمكننا الحديث عنها هو ارتباط التداولية بدراسة اللغة والخطابات العادية "التداولية لصيقة بالأداء الفعلي في الواقع، لأنها ترصد خصائص التداول المختلفة، وما يرتبط بالمخاطبين أثناء التواصل وبالتالي فهي تعنى باستعمال اللغة في الواقع الاجتماعي، وترتبط بالأداء لا بالنص المكتوب (النص الروائي) والذي له خصوصيته وخصائصه السردية والأسلوبية"¹؛ فالتداولية تعنى بالاستعمال العادي للغة؛ إذ تهتم بالفعل الإنجازي المرتبط بالواقع...والرواية كأدب سردي ترتبط بالتخييل "فالرواية خطاب تخييلي بامتياز وعليه فخاصيته التخيلية تجعله من طبيعة مغايرة لخطاب الحياة اليومية"² كما أنّ الرواية تتعلّق بالإبداع أمّا "التداولية لا تحتفي بالإبداع بصفة عامة، وبما أنّ الرواية إبداع فمن البديهي أن لا تدخل في دائرة اهتماماتها"³.

-الأدب كخطاب تخييلي يتخلّص من معياري الحقيقة والصدق اللذين يعتبران شرطاً أساسياً للتصور التداولي وللكفاية التواصلية، فالخاصية الأساسية للسرد هي بالضبط انسلاخه من السياقية المرتبطة بالواقع⁴.

- المشكل الذي يطرحه هذا الموضوع في الرواية والخطاب الأدبي عموماً هو "البعد اللاتناظري له، بين الكاتب ومجموع القراء"⁵، فالتواصل في الرواية غير مباشر؛ إذ إن المتلقي غائباً في العملية التواصلية؛ أي عدم اشتراكه المباشر في العملية التواصلية التفاعلية، وهو ما يجرنا للحديث

¹ - عبد الحكيم سحالية، تداولية أفعال الكلام في الخطاب الروائي لأحلام مستغانمي، دراسة في عابر سرير ونسيان كوم ص11

² - إلفي بولان، المقاربة التداولية للأدب، تر: محمد تنفو، ط1، القاهرة: 2018، دار رؤية للنشر والتوزيع، ص 11

³ - عبد الحكيم سحالية، تداولية أفعال الكلام في الخطاب الروائي لأحلام مستغانمي، دراسة في عابر سرير ونسيان كوم ص11

⁴ - إلفي بولان، المقاربة التداولية للأدب، ص 11

⁵ - ينظر: عمر بلخير، "التداولية والشعر"، مقالات في التداولية والخطاب، التداولية والشعر، تيزي وزو: 2013، دار الأمل، ص226.

عن مقام التلّفظ بين الكاتب أو المؤلّف وبين المتلقي أو القارئ، "فمقام التلّفظ حاويا لمتلفظ معيّن يوجّه كلامه لمتلق معيّن أو متلفظ مشارك، لكن هذا الإدراك يصبح صعباً بالنسبة للنصوص الأدبية؛ إذ يغيب مفهوم المقام الذي يجمع بين مؤلف النصّ من جهة اعتباره متلفظ وبين المتلقي من جهة أخرى باعتباره قارئاً للنص"¹؛ خاصة إذا كان النصّ قد مر عليه زمن بعيد؛ ومن هنا نستشف خصوصية الخطاب الأدبي عموماً في أنّ "المتلفظ أو صاحب الخطاب والمتلقي لا يشتركان في نفس المقام التّواصلي أي بمحدديه الزّمان والمكان"²؛ وهذا بخلاف الخطاب العادي والتّحاورات اليومية، "فالأدب يؤسس عوالمه الخاصة الداخلية التي لا تحيل إلّا عليه، وتضمن له التّواصل مع مخاطب /مخاطبين في علاقة لا تبادلية، حيث تنعدم وحدة الفضاء والزمن بين طرفي الفعل التّواصلي"³.

- وإذا كان المتخاطبان في التّبادل اليومي يعرف كلّ منهما الآخر، حيث يسلكان سبلا متعارفاً عليها تتحكّم فيها مقتضيات الأحوال، فإنّ الأديب/ الكاتب لا يعرف في معظم الأحوال شيئاً عن متلقيه المفترض أو إنّ ما يعرف عنهم ضئيل نسبياً، كما أنّه يجهل كلّ الجهل المقام الذي سيتلقون فيه خطابه⁴. كما أنّ العلاقة بين طرفي الخطاب تعد من أبرز العناصر السياقية في العملية التّواصلية "المعرفة المشتركة هي الأرضية التي يعتمد عليها طرفا الخطاب في انجاز التّواصل"⁵ لأنّ المعرفة المشتركة ينطلق منها المتكلّم ليتمكّن من التأثير على المتلقي، كما ينطلق منها المتلقي كذلك من أجل تأويل الخطاب، وكل هذا غائب في الخطاب الرّوائي.

لقد شكلت هذه النقاط جملة الاختلافات التي يختلف ويتعارض فيها المنهج التداولي والمجال الإبداعية (الرّواية) وهو مجال الذي يختلف عن المجال الذي اعتادت التداولية على دراسته والذي يتمثل في المجال الواقعي الاجتماعي (الحياة اليومية) الذي تجسده اللغة العادية.

¹ - محمود طلحة، تداولية الخطاب السردي، دراسة تحليلية في وحي القلم لرافعي، ص41.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص41.

³ - إلفي بولان، المقاربة التداولية للأدب، تر: محمد تنفو، ط1، القاهرة: 2018، دار رؤية للنشر والتّوزيع، ص12

⁴ - ينظر: كاهنة دحمون، تداولية الخطاب السّردية بين القديم والحديث، ص12.

⁵ - يوسف تغزاوي، الوظائف التداولية واستراتيجيات التّواصل اللغوي، في نظرية النحو الوظيفي، ط1، عالم الكتب الحديث الأردن، 2014، ص179.

وبالرغم من هذه الاختلافات بين التداولية والخطاب الروائي أو الأدبي عامة، حاول مجموعة من الباحثين تجاوز هذه المفارقات بين التداولية والتخييل بشكل عام في محاولة لتأسيس مفاهيم وتصورات جديدة من أجل مقارنة تداولية أدبية، واستثمار هذا المنهج من أجل فهم الخطاب الأدبي وفهم علاقته بمستعمله داخل إطاره السياقي التواصلي.

3. نحو بناء تداولية أدبية:

لقد حاول بعض الباحثين في إطار البحث في العلاقة بين التداولية والخطاب الإبداعي، إيجاد مفاهيم وتصورات جديدة في محاولة تقريب الأدب من المنظور التداولي ومحاولة تجاوز التعارض بينهما وبالتالي التأسيس لتداولية إبداعية ويمكننا توضيح مختلف هذه المفاهيم، والتي هي بمثابة تصورات تحمل مواطن التشابه والتّماس بين التداولية والخطاب الإبداعي في عمومها، وأهمّ هذه النقاط هي:

1/3- الجامع المشترك الأساس: استعمال اللغة وسيلة للتواصل والتفاعل:

تلتقي التداولية مع الفعل الإبداعي في محور مهم، وهو ارتباطهما باللغة كوسيلة تواصلية اجتماعية تفاعلية، ويمثّل هذا أول نقطة يمكننا الحديث عنها، "فبالرغم من الاختلاف الجلي بين التداولية والأدب يوجد جامع مشترك وأساس بينهما: إنّه استعمال العلامة واللغة بوصفهما وسيطا للتواصل والتفاعل"¹؛ إذ تهتمّ التداولية بدراسة ظاهرة التّواصل الإنساني وفهم الظاهرة التواصلية من كلّ أبعادها السياقية والمقامية وهذا التواصل لا يتأتى دون استعمال اللغة، ولهذا كان تعريف أغلب الباحثين للتداولية هو دراسة استعمال اللغة، وهذا لغرض البحث عن مقاصد المتكلمين، والخطاب الأدبي لا يخرج أبدا عن هذا المجال الذي تدرسه التداولية، فبالرغم من تفاوت درجات وكيفيات التواصل من مجال إلى آخر من المجالات العديدة للنشاط الإنساني، إلا أنّه لا يخرج ضمن دائرة التّواصل اللغوي، بل يستمر في هذه الدائرة على مرّ العصور والأزمنة، وهذا ما يأخذنا للحديث عن الأعمال الأدبية الخالدة، فضلا عن ذلك الجانب التّأثيري الذي يحدثه الخطاب الأدبي في القارئ أكثر من تأثره بالخطابات الأخرى، ويعتبر هذا الجانب النقطة الأساس الذي يهتمّ به المبحث التّداولي، فأكثر ما تهتمّ به التّداولية هو الجانب التّأثيري والإنجازي للعلامة اللغوية؛ ولهذا يقوم

¹ - إلفي بولان، المقاربة التداولية للأدب، ص20

المذهب التداولي على أنّ اللغة فعل تواصلية بما يحدثه هذا الفعل من أثر في المخاطب، وليس الخطاب الأدبي بعيدا عن هذا¹؛ إذ يستعمل الكاتب أو الروائي اللغة ليتواصل بها مع القراء للتعبير عن مقاصده وأفكاره ومعتقداته وآرائه لأنّ "العملية السردية، لا يمكن أن تتم بمعزل عن المتلقي، فهي النقطة التي يلتقي فيها النصّ والقارئ بواسطة القراءة، والتي يحدث عبرها التفاعل الأساسي لكل عملية إبداعية أو أدبية بين مرسل ومرسل إليه"²؛ فالقارئ هو الذي يعطي للعمل الإبداعي معنىً وهويّةً، ويخرجه للوجود، فلا يقوم أيّ خطاب دون أن يوجّه إلى متلق ما، قصيدة كانت أو قصة أو رواية... وهذا بالرغم من خصوصية هذه الأنواع الأدبية والتي تميّزها عن غيرها "فالخطاب الأدبي: الروائي أو القصصي (السردية)، أو الشعري هو خطاب متعدد الأبعاد، وصادرا من شخص يتفاعل مع أشخاص آخرين ضمن مجموعة من المعطيات السياقية والمقامية"³. ويتّضح من كلّ هذا أنّ كل من التداولية والخطاب الأدبي يستعملان اللغة في ظروف مشتركة لأجل تحقيق غايات متقاربة.

2/3- حقل التداولية الإبداعية:

نجد من الباحثين من حاول معالجة إشكالية العلاقة بين التداولية والرواية وتعارضهما من خلال محاولة تمييز بين ثلاث أنواع من التداولية هي:

أولاً: تداولية حقيقية: تتناول دراسة الكلام في التواصل الحي وتكون نتائجها مباشرة لارتباطها بالأداء الفعلي.

ثانياً: تداولية افتراضية: تتناول دراسة نص محكي، كأن تتصوّر واقعا حيا لأدائه وتفترضه لترصد الخصائص المطلوبة بعد ذلك.

ثالثاً: تداولية إبداعية: تعكف على دراسة النصوص الأدبية منها الرواية التي تحمل خاصية التأثير في المخاطب والميزة التواصلية الاجتماعية، وهدفها الإبلاغ ببيانها، فالتداولية تتطرق إلى

¹- ينظر: شيتير رحيمة، تداولية النصّ الشعري، جمهرة أشعار العرب نموذجاً، [أطروحة مقدّمة لنيل دكتوراه العلوم في الأدب] باتنة: 2009/2008، جامعة الحاج لخضر، 07.

²- كاهنة دحمون، تداولية الخطاب السردية بين القديم والحديث، ص24.

³- عمر بلخير، "التداولية والشعر"، مقالات في التداولية والخطاب، ص222.

اللغة بعدّها ظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية، وعليه يمكن تطبيق التداولية على النصّ الأدبي وعلى الرواية بالخصوص، لأنها نص هدفه التواصل والتأثير في المتلقي¹.

3/3- نحو تجاوز إشكالية التخييل وصدق المؤلف:

ترتبط الخاصية الأساسية للتصور التداولي بمعيار الصدق، والذي يعتبر شرطاً أساسياً للكفاية التواصلية، لكن هذا المعيار غائب في الرواية، فلا يحتاج المؤلف إلى أن يؤكد صدق أقواله "لا يراعي المؤلف في تلك التلفّظات القاعدة التي ترغمه على الاستجابة لحقيقة القضية، إنّّه يتظاهر بالتلفّظ بالإثباتات، أي إنّّه لا يحترم قاعدة الصدق، لكن هذا لا يعني أن علينا أن ننسب إليه مقصدية خداع المتلقي، في الواقع لا يفترق الكاتب إلى الصدق، لأنّه لا هو ولا القارئ يعتقدان للحظة واحدة أن مثل هذه الشخصية موجودة، وقد قالت وفعلت شيئاً ما في يوم ما، في ساعة ما وهما معا لا يغفلان الشروط السياقية للتواصل التخيلي، ويملكان وعياً بتعاقدات الثقافة التي تنظم الكتابة الروائية، ويفترض سيرل في هذا الإطار أن المؤلف يخلق دون أن تكون له قصدية تضليل المستمع أو القارئ"² وعلى هذا فالمؤلف لا يقصد الكذب وخداع القارئ، "فالعالم التخيلي المصنوع في السرد، لا يدل على الحقيقة أو الكذب، كما أنّ ذلك لا يعني أن المؤلف يكذب، إنّما يكون جملاً غير جادة، لا هي حقيقة، ولا هي كاذبة"³ وعلى هذا الأساس يمكن القول إنّ "أفعال الروائي الإنجازية هي على قدم المساواة مع الأفعال الإنجازية المتداولة أمثال طرح الأسئلة، وفعل الطلب والوعد والتفسير والوصف... لكن ليست مقصدية الروائي هي انجاز الإثباتات، وإنّما هي حكي حكاية، يقول ج. سيرل/J. searle: "ينتمي الأدب التخيلي إلى فئة أخرى من فئات الأفعال الإنجازية. سيكون في موقف المتكلم نوع من التشويق المتعلق بالقيمة الإنجازية، وهذا يطابق الموقف النوعي الذي يتبناه القارئ أمام المؤلفات التخيلية"⁴؛ وهذا يعني أنّ الخطاب الروائي يتضمن مجموعة من الأفعال الكلامية الإنجازية شأنها شأن الأفعال الكلامية الموجودة في الواقع

¹ عبد الحكيم سحالية، تداولية أفعال الكلام في الخطاب الروائي لأحلام مستغانمي، دراسة في عابر سيرير ونسيان كوم ص، ص 12

² إلفي بولان، المقاربة التداولية للأدب، ص 89

³ كاهنة دحمون، تداولية الخطاب السردية بين القديم والحديث، ص 29

⁴ إلفي بولان، المقاربة التداولية للأدب، ص 89

لكنها تختلف عنها باعتبارها ترتبط بالعالم القصصي التخيلي الذي يتأثر به القارئ وينغمس فيه متناسيا أنه في العالم اللاواقعي وهذا من أجل متعة القراءة، "ويسمي النقد الأدبي "الأنجلوسكسوني" هذا الموقف بإرجاع الشك suspension of disbelief مما يعني أنّ القارئ يؤجل مؤقتا شكوكه حول الواقع المسرود لأنه يعلم بشكل مؤكد أن عالم التخيل هو عالم اللاواقعي لكنّه يكبح مؤقتا هذه المعرفة من أجل مضاعفة لذّته في القراءة"¹

إنّ الحديث عن السرد والأدب عامة، كفن تخيلي، يجزّنا للحديث عن جوانبها التأثيرية التي تحدثها لدى المتلقي أو القارئ، فلا يمكننا أبدا إغفال انفعال النفس ولذتها إزاء المعاني والمقاصد التي تحملها هذه الملفوظات والأقوال التخيلية، فالرواية مثلا تدعو القارئ للتفاعل ليعبر عن ردود أفعاله النفسية إزاءها، وآرائه واقتراحاته، وهي في كثير من الحالات تُعرض القارئ على أن ينفعل ويؤول ويقترح، ويغيّر، فهي تحمل في طياتها مقاصد ضمنية ترتبط بالإقناع والتعبير عن المواقف والتذكير، والدعوة والعبرة والتحذير، كما أنّ التخيل ما هو إلا تمثّل للواقع عبر مواقف افتراضية فالخطاب التخيلي هو "طريقة خاصة في نقل الواقع ومحاكاته، تساعد القارئ على تمثّله في كلمات وعبارات تستعمل ضمن مواقف يفترضها"² والتخيل في الحقيقة ليس من باب الكذب بل هو عقد بين الكاتب والقارئ تحكمه المنظومة الثقافية للتواصل الأدبي. وبالعودة للتداولية فإنها التداولية تبحث عن معاني الكلمات وما تحققه في الاستعمال. "وهذا ما قدّمة "ج، ل أوستين" في كتابه " كيف تنجز الأشياء بالكلمات" أو ما يسمى "نظرية أفعال الكلام"، فلقد استبدل السؤالين: "ماذا يوجد؟"، وما الحقيقي؟ بالأسئلة: "كيف تكون الأقوال ذات معنى؟ وماذا نحقق باستخدامها؟ والتخيل من وجهة النظر هذه، ليس زائفا تماما ولا غير موجود، أو فارغا³ بل يحقق شيئا، والتخيل في الخطاب الروائي والأدبي عامة، ليس معناه الكذب، و إنّما هو عقد بين الكاتب والقارئ، لأنّه "يتعلّق بعمل خيالي لا تخفى صفته عن الوعي الإنساني والأدب لا يجد سبيله للظهور إلاّ بتلك المفارقة البارعة التي تقوم على التخيل والتمثيل اللغوي في آن واحد، وهو مشروع يصوغه الكاتب

¹ - إلفي بولان، المقاربة التداولية للأدب، ص90

² - كاهنة دحمون، تداولية الخطاب السردى بين القديم والحديث، ص29

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص29

في خطة حجاجية وخطابية كليّة من أجل التأثير وإنجاح التّواصل¹. ومن هنا يمكن تجاوز إشكالية الواقع والتخييل ومفارقة الصدق والكذب بين التداولية والخطاب الرّوائي التخييلي.

4/3-الخطاب الرّوائي كغيره من أنواع الخطاب:

يعتبر الخطاب الرّوائي كباقي الخطابات التّواصلية التي اعتادت التّداولية على دراستها، بالرّغم من تميّزه بعنصر المجاز والخيال وهذا على غرار ما يحدث في الخطاب الأدبي الشعري، وفي هذا الصدد يقول الأستاذ الدكتور "عمر بلخير": "إنّ لغة الشعر لا تختلف تماما عن الخطابات الإنسانيّة الأخرى الصادرة عن الإنسان، رغم تميّزه نسبيا عنها"²، أي أنّ الخطاب الأدبي مهما كان نوعه هو خطاب مثله مثل الخطابات الأخرى. وهذا الخطاب مرتبط كغيره بالتّداولية ويتقاطع معها في مجموعة من النقاط أساسية وجوهرية تقوم عليها التّداولية، وهذا ما سمح لهذا المنهج التداولي دراسة قضايا أدبية سردية واستثماره في دراسة مختلف القضايا المتعلقة بالاستراتيجيات وآليات التّأويل... وتتمثل أهمّ هذه النقاط التي تتماس فيها التّداولية مع الخطاب الأدبي* في كون:

1/4/3-الرّواية خطاب وحدث لساني موجّه:

يعرّف "بنفنست" الخطاب بأنّه: "ملفوظ منظور إليه من جهة اشتغاله في التّواصل"³ ونلاحظ من خلال هذا المفهوم إشارة ضمنية للسياق والإطار التّواصلية بشكل عام، ففي هذا المفهوم إحالة إلى السياق والمقام الذي يجري فيه الوصل، إذ لا يمكن للخطاب أن يكون خطابا بمعزل عن سياقه التلفظي، فالخطاب يتضمن سياق تلفظي محدد كما يشتمل حتما على متكلّم/ مرسل ومستمع/ مستقبل، أي أنّ "الخطاب وحدة تواصلية إبلاغيّة، ناتجة عن مخاطب معين وموجّه إلى مخاطب معين في سياق ومقام معينين"⁴ والرّواية كنص كذلك ليست بعيدا عن هذا فهي كذلك تتجسد في سياق محدد وفي إطار تواصلية معين فكل "نص قصصي، يتجسّد في سياق قصصي يتضمّن

1- كاهنة دحمون، تداولية الخطاب السردية بين القديم والحديث، ص27.

2- عمر بلخير، "التّداولية والشعر"، مقالات في التّداولية والخطاب، ص218.

*- للاطلاع أكثر، ينظر: جميل حمداوي، التّداوليات وتحليل الخطاب، ط1، 2015: مكتبة المتقف.

3- محمد بن عبد الله المشهور، التّداولية السردية في خطاب الأصوصة النسائية، ط1، عمان: 2018، دار كنوز للنشر

والتوزيع، ص26

4- كاهنة دحمون، تداولية الخطاب السردية بين القديم والحديث، ص18

متكلماً ومستمعاً قصصيين"¹، إضافة إلى الإجراء السردي الخارجي الذي يجمع بين الكاتب والقارئ والذي تحكمه شروط سياقية محددة، فالخطاب هو: "كل إنتاج لـعبارات لغوية، يكون في مجموعته وحدة تواصلية ونقصد بالوحدة التواصلية أن يكون للعبارة اللغوية المنتجة في مقام معين موضوع معين وغرض تواصلية معين، ومن الواضح أن ما يؤسس تعريف كهذا، ليس نوع العبارات اللغوية ولا حجمها، ولا عددها، وإنما هي وحدة التواصل التي تكمن في وحدة المقام والموضوع والغرض وبهذا يمكن أن نقول أن الرواية خطاب موجّه من مرسل إلى مرسل إليه لإقامة علاقة تواصلية"² وإذا حاولنا ربط الرواية كخطاب ببعدها التداولي، في ظل محاولة تقريب العلاقة بين الرواية كنص سردي من المنظور التداولي، فإننا سنقف على ما تتبّه إليه د. محمد الخبو في إشارته للعلاقة القائمة بين الخطاب السردية والتداولية في قوله: "ما من خطاب ينجز إلا وهو موجّه إلى طرف بقصد التأثير فيه حسب مقاصده ورغباته. وعندئذ يصبح التعامل مع الخطاب على أنه مجال يحقق المتكلم فيه أعمالاً مختلفة الوجوه، وبهذا يتكسّى هذا الخطاب بعدا تداوليا، ويتسع نطاقه ليشمل جوانب النصوص"³، باعتبارها ضمن مجال الخطاب حيث يحقق فيها الكاتب أهدافا معينة.

2/4/3-التواصل والفاعلية التأثيرية للخطاب الروائي:

اهتمّت التداولية بدراسة الخطاب وتفسير آلياته وقوانينه خاصة من حيث الاستراتيجيات وآليات التأثير ولعلّ هذا أهمّ المفاهيم التي اهتمت بها التداولية، فهي تسعى إلى الكشف عن أهمّ الاستراتيجيات التي يعتمدها المتكلم في خطابه للتأثير في المتلقي والوصول إلى مقاصده وأهدافه التواصلية، فإذا كانت التداولية تهتمّ بدراسة الخطاب من جانبه الإنجازي والتأثيري، فإنّ الخطاب الأدبي السردية يعدّ كذلك ضمن هذا الجانب، بل أكثر ارتباطا به فالخطاب السردية "اتخذ ديمقراطية التعبير كسمة بارزة في الأداء والتأثير وتلعب العلاقات المنطقية والحجاجية دورا موجّها"⁴، وإذا كان الخطاب العادي اليومي خطابا تأثيريا يسعى إلى التأثير في المتلقي، فإنّه ليس بالدرجة نفسها التي يكون في الخطاب الأدبي، ففي هذا الأخير يكون التأثير أكثر وأعماق، فالرواية

¹-محمد بن عبد الله المشهوري، التداولية السردية في خطاب الأقصوة النسائية، ص26

²- كاهنة دحمون، تداولية الخطاب السردية بين القديم والحديث، ص20

³- محمد بن عبد الله المشهوري، التداولية السردية في خطاب الأقصوة النسائية، ص25

⁴- حميد لحداني، القراءة وتوليد الدلالة، ص12.

العربية "اكتشفت سحر التعبير بإمكانات اللغة المتعدّدة"¹ ونحن نتأثر بالخطاب الأدبي أكثر من غيره؛ إذ أنّ: "الخطاب الأدبي خطاب تواصل يحمّل شحنة تأثير في القارئ، ويحمّل آليات وطرائق للتفاعل، فالمؤلف يسعى لانتقاء واختيار الشكل الأنسب والأكثر تأثيراً في متلقيه، ويستعمل أفعالاً كلامية بصورة غير مباشرة، ويلجأ إلى عدم التصريح بالمعنى لتحقيق كناية أو استعارة أو رمزا وهذا يعتبر من صلب التداولية والتي اهتمت بالفعل غير المباشر"²، وعلى هذا فالخطاب الأدبي خطاب تأثري يسعى إلى الإقناع والتغيير في المعتقدات والأفكار وتغيير الواقع فمن الأهداف التي يرمي إليها الكاتب من نصّه الأدبي التأثير على القارئ بإحداث تغيير في موقفه الفكري أو العاطفي، "فالأفعال الكلامية في الرواية متخيّلة ومصطنعة لا تتعلّق بفعل شيء لكنّها تحقق أعمالاً نفسية خيالية بهدف إحداث تغيير في العلاقات، وما يهم ليس البحث عمّا تقوله وإنما ما تفعله عندما تصدر أقوالاً، ولئن كانت تلك الأفعال خيالية ومصطنعة فهي تؤدي الوظيفة نفسها التي تؤديها في الواقع وتتمثّل في إحداث تغييرات في العلاقات البشرية، بواسطة محمولات إنجازية تدعو لتنفيذ عمل محدد لبلوغ مقاصد محددة في إطار البنية السردية التي تحتويها والتأثير في الآخر وإقناعه بما يقول والحمل على تصديقه"³، فالمؤلف يسعى من خلال عمله الفني التواصل مع القارئ والتأثير فيه فإذا كان "الكلام في الحياة الواقعية يهدف إلى التأثير لتحقيق غايات محددة، فالأمر نفسه في العمل الإبداعي فالمؤلف يسعى من خلال اختياره لمفرداته وأمكنته، وأزمته ليؤثر في المتلقي ويرسل رسالته، ولعل نظرة "إبيرز" للقارئ الضمني تؤكد ذلك حيث يهتم بأثر النص الأدبي على القارئ وأنّ هدف المؤلف من الرسالة الأدبية هو التواصل مع القارئ والتأثير فيه، وما مدى استجابته لهذا العمل الإبداعي⁴ وانطلاقاً من هذا يمكننا القول أن الجانب التواصل والتأثري تمثلان نقطتي التلاقي بين التداولية والخطاب الأدبي.

1- حميد لحداني، القراءة وتوليد الدلالة، ص12.

2- عبد الحكيم سحالية، تداولية أفعال الكلام في الخطاب الروائي لأحلام مستغانمي، دراسة في عابر سرير ونسيان كوم ص82.

3- كاهنة دحمون، تداولية الخطاب السردية بين القديم والحديث، ص214.

4- عبد الحكيم سحالية، تداولية أفعال الكلام في الخطاب الروائي لأحلام مستغانمي، دراسة في عابر سرير ونسيان كوم ص82.

3/4/3-النشاط التعاوني بين المؤلف والكاتب:

إنّ فهم وتأويل أيّ نصّ سردي هو نشاط تعاوني وتفاعلي بين الكاتب والقارئ، فتأويل أيّ خطاب أدبي لا يكون إلاّ من خلال تعاون الكاتب؛ "حيث يتطوّر المؤلف بتقديم جهده لجمهوره ويقبل هذا الجمهور بعالم الكاتب "الوهمي" ويندمج فيه ويتفاعل معه"¹ كما يتعاون الكاتب كذلك بتوظيف قرائن لغوية توجّه هذا الجمهور لفهم عالمه، وهذا ما يجسّد سلطة المؤلف، وسلطة النصّ في توجيه القارئ، "فالمؤلف يوجّه العملية التأويلية لدى القارئ ليتفاعل معه تفاعلاً إيجابياً، وفي هذا المقام يمكن تصوّر الرقابة التي يفرضها المؤلف على القارئ، ممّا يجعله لا يخرج عن النصّ الرّوائي... ويمارس النصّ الرّوائي سلطته على القارئ من خلال البنى التعبيرية والتّصورية التي يحاول الولوج إليها"² ويتجلى ذلك في النصّ من خلال الوحدات اللغوية التي تتجسّد في النصّ وذلك من خلال "التعامل مع ضمائر مختلفة كضمائر الشخص والإشارة والوصل... وعناصر ووحدات لغوية تحيل إلى العالم الخطابي والاجتماعي والثقافي الذي صدر فيه الخطاب"³ وكلّ المظاهر الواضحة التي من شأنها توجيه الفهم، وينطلق المتلقي أو القارئ في البحث عن الجانب الضمني وكشف العوالم الغامضة والدلالات والأفكار الضمنية التي تختفي وراء التّعابير الإيحائية والخيالية والمجازية وسدّ كلّ ثغرات النصّ، وهكذا يبدأ التفاعل، وهذا ما ذهب إليه "قولفغانغ إيزر" حيث يرى أنّ التواصل في الأدب هو "عملية لا يحركها أو ينظمها قانون مسبق بل تفاعل مقيد وموسع متبادل بين المعنى الواضح والمعنى الضمني بين الكشف والخفاء. إنّ الشيء الخفي يحرض القارئ على الفعل، ويكون هذا الفعل مضبوطاً بما هو ظاهر، ويتغيّر الظاهر بدوره عندما يخرج المعنى الضمني إلى الوجود، وكلّما سدّ القارئ الثغرات بدأ التواصل وتعمل الثغرات كالمحور الذي تدور حوله العلاقة بين القارئ والنصّ"⁴ ونلاحظ في هذا الكلام التّركيز الكبير على القارئ وبيان دوره في عمليّة القراءة، فهو ليس مستهلك للمضامين النصية فقط، بل هو طرف أساسي

1- حميد لحداني، القراءة وتوليد الدلالة، ص12.

2- ذهبية حمو الحاج، في قضايا الخطاب والتداولية، ص230

3- عمر بلخير، "التداولية والشعر" مقالات في التداولية والخطاب، ص218.

4- حميد لحداني، القراءة وتوليد الدلالة، ص69.

في تأويل الخطاب، والتواصل بهذا المعنى هو "فعل منتج للدلالة وليس مستهلك لها"¹، وبهذا يكون عنصراً مشاركاً في الإبداع "فقرأة النصّ الأدبي بشكل عام ورحلة البحث عن مقاصده هي في الحقيقة عمل إبداعي في حدّ ذاته"² وهذا دليل التفاعل لأنّ إبداع القارئ ما هو نتيجة "ذلك التفاعل الوجودي بين الذات القارئة والبنية النصّية لتوليد معنى ما أو قيمة أدبيّة ما"³ وهنا تتضح عملية التواصل بين القارئ والكاتب من خلال المبدأ التداولي وهو مبدأ التعاون، "فعملية إنتاج معنى النصّ بفعل القراءة هي حوار جدلي بين النصّ والقارئ، يتأرجح بين قصديّة النصّ المستمدة من استراتيجية المبدع وقصديّة القارئ فيصبح العمل الأدبي عمل تكاملي تفاعلي تعاوني بين المنتج والمتلقي، حيث يقوم فيه المؤلف ببناء الكلمات ليأتي القراء ويحاولون فهم المقروء وفك شفرات الرّسالة هكذا توهب للنص الحياة المتجددة بتعاقب القراء المؤولين"⁴، وعلى هذا الأساس يكون الضمني بشكل عام ليس عائقاً أمام القارئ في التأويل، وإنّما هو من الوسائل التي تقوّي عملية التواصل بين الكاتب والقارئ وتحقق مبدأ التعاون، ذلك أنّ مجهود القارئ في الفهم والتأويل لا يولّد لديه شعوراً بالمتعة فقط، بل يجعله يشعر بمشاركة المؤلف في إنتاج دلالة النصّ⁵.

وبالحديث عن المعرفة المشتركة بين الكاتب والقارئ في الخطاب الأدبي، فإنّ الكاتب والقارئ يتقاسمان مجموعة من الافتراضات المشتركة التي تجسد نفس الانشغالات والتوقّعات وتستشرف نفس الطموح والآمال، وهذا بالرغم من صعوبة تحديد الكاتب والقارئ في الخطاب الرّوائي بشكل مباشر فنظراً "لصعوبة إسناد دور المتكلم ودور المخاطب إسناداً مباشراً إلى شخص بعينه في الخطاب الأدبي، يقترح الباحثون في العصر الحديث عن كاتب وقارئ ضمني (مفترض)، لا

1- حميد لحداني، القراءة وتوليد الدلالة، ص70.

2- ميلود مصطفى عاشور، القصديّة في النصّ الأدبي (دراسة لسانية)، مجلة الرّواق، السنة 1، ع1، جامعة لندن للدراسات العليا بالمملكة المتحدة، 2015؛ مركز البحوث والدراسات، ص123

3- حميد لحداني، القراءة وتوليد الدلالة، ص70.

4- ميلود مصطفى عاشور، القصديّة في النصّ الأدبي، ص123

5-عزيز الغريايوي، بلاغة الخطاب السردية في الرّواية السعودية (مقاربة تداولية لرؤية "طوق الحمام" للرّوائية رجاء عالم) الرّياض:2017، دار جامعة الملك سعود للنشر، ص151.

يتقاسمان معرفة خلفية فحسب، بل يتقاسمان مجموعة من الافتراضات والآمال والمعايير حول ما هو ممتع، وما هو مؤذ، وما هو جميل وما هو قبيح، وما يعد صحيحاً، وما ليس كذلك¹ وفي إطار الحديث عن مبدأ التعاون، يمكننا الحديث كذلك عن نقطة تميّز أغلب النصوص والخطابات الأدبية، وهو ميل المؤلف كثيراً للإطناب وهذا من أجل توجيه القارئ للتأويل الصحيح للنص، وضمان عدم خروجه عن النص "فالمؤلف يلجأ إلى الإطناب... وبهدف التيقن من نجاعة التواصل يميل الروائي (الكاتب) إلى قول نفس الشيء بطرق عدة..."² ويمكن أن نعتبر هذا مظهر من مظاهر مبدأ التعاون.

وبشكل عام تختلف درجات وكيفيات التواصل من مجال إلى آخر - وهذا ما أشرنا إليه سابقاً- لكن يضلّ الفهم - مجرد الفهم- من أدنى مستويات ودرجات التواصل، ولعلّ الانفعال والتأويل والاقتراح والتغيير أكثر المصطلحات ارتباطاً بالتواصل والتفاعل ومنه إلى التداولية، والنصوص الأدبية أكثر ارتباطاً وإثارة لهذه الملكات- الانفعال والتأويل والاقتراح والتغيير- فهي حافز يتميز بتشغيل القدرة التفاعلية والإنتاجية لحظة القراءة³؛ وهنا تتضح القدرة التفاعلية والإنتاجية في قراءة النص الأدبي وكلّ هذا يُظهر مدى ارتباط التداولية بالخطاب الأدبي.

4/4/3-الخطاب الروائي خطاب ذو مقاصد:

لقد أولت التداولية اهتماماً كبيراً بمقصدية الخطاب؛ إذ يعتبر القصد أساس العملية التواصلية لأنه "لا يوجد لأيّ تواصل عن طريق العلامات اللغوية دون وجود قصدية وراء فعل التواصل"⁴ فلكل عملية تواصلية مقاصد محددة، لذلك يقال إنّ "الأصل في الكلام القصد"⁵، وقد اهتمت التداولية بالقصدية الخطابية بتجاوز الدلالات المباشرة والمضامين الحرفية للخطاب، فمفهوم المقصد بالتصور التداولي لم يعد ينظر إلى المعنى الحرفي للخطاب على أنّه المعنى الوحيد،

¹-كاهنة دحمون، تداولية الخطاب السردى بين القديم والحديث، ص13

²- المرجع نفسه، ص13

³- حميد لحداني، القراءة وتوليد الدلالة، ص70.

⁴- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ط1، لبنان: 2004، دار الكتاب الجديد ص183.

⁵- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط1، الدار البيضاء: 1996، المركز الثقافي العربي، ص103

"فتوسّع الدراسات التداولية لم تقف عند حدود المعنى الحرفي للخطاب، أو عند انجاز الفعل بشكله اللغوي المباشر كما عند "أوستين" و"سيرل" في جانب من نظريتهما، بل اهتمت بالمعنى التداولي، وكيفية التعبير عنه بالفعل اللغوي غير المباشر وهذا ما يمثل إحدى استراتيجيات الخطاب لتعبير المرسل عن قصده"¹؛ أي أنّ التداولية تتجاوز المعاني الحرفية للخطاب، وكذلك انجاز الأفعال في شكلها اللغوي المباشر، فهي تهتم بالبحث عن المقاصد غير المباشرة باعتماد مجموعة من العناصر السياقية والمقامية، ومن هذا المنطلق يمكننا القول بأن التداولية والخطاب الأدبي عامة يرتبطان بالمعاني غير المباشر للخطاب، وعلى هذا الأساس "لا تعارض بين الخطاب السردى والتداولية بل إنّ أولى اهتمامات التداولية تتمثل في جنس الخطاب أيا كانت صفته، فمعلوم أنّ المخاطب ليس دائما يفصح عما يريد وبالأخص الخطاب الممتزج بالأدبية كحالة الخطاب السردى. فإذا كان الخطاب يتوارى بتقنيات سردية، أو ملفوظات لغوية معمّاة، أو اضممارات لعوائد مستترة، فلا شكّ حينها أن التداولية تختص بهذه الزاوية من الرؤية الخطابية؛ لأنها تدرس المعنى الذي يقصده المتكلم من خلال سياقه، بل تفتش عن كيفية إيصال أكثر ممّا يقال في الخطاب"².

يرتبط مفهوم المقصد حسب التصور التداولي - التصور الذي وضّحناه سالفًا- بالخطاب الأدبي أكثر من غيره، إذ يعبر الأديب أو الشاعر عن مقاصده عبر الدلالات والأفكار الضمنية من خلال التعبيرات المجازية والخيالية؛ إذ أنّ: "القصيدة الأدبية غير مباشرة لأنها تتوسل بشتى ضروب المجاز والاستعارات والكنائيات، وعليه فالقارئ لا يجد المعاني دائما في متناوله"³، فعلى القارئ معرفة كل العناصر المقامية والوضعيات السياقية؛ أي الفضاء التواصلية ككل من أجل التأويل المناسب للخطاب، وهو ما يدخل في صميم البحث التداولي.

وانطلاقا مما سبق يمكن الحديث عن قرب المنظور التداولي من الخطاب الأدبي فبالرغم من الخصوصيات التي تميز كل اتجاه إلا أنهما يلتقيان في مواطن عدة لا يمكن إغفالها أو تجاهلها في دراسة ما يتصل بهذين الاتجاهان من إشكاليات وقضايا، وتظهر علاقة الخطاب السردى بالتداولية في علاقة تواصلية وطيدة أفرزتها منظومة العلوم اللسانية أولا، ثم ما آلت إليه التداولية

¹ - يوسف تغزاوي، الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل اللغوي، في نظرية النحو الوظيفي، ص78.

² - محمد بن عبد الله المشهورى، التداولية السردية في خطاب الأفضوصة النسائية، ص25

³ - حميد لحداني، القراءة وتوليد الدلالة، ط1، 2003، المغرب، المركز الثقافي العربي، ص105.

ثانيا من رؤية خاصة، وأدوات تعمق فهم العلاقات الخطابية في النص القصصي نفسه¹ كما يمكننا الذهاب إلى أبعد من ذلك، فمحاولة تقريب الخطاب السردي من المنظور التداولي من شأنه أن يعزز البحث عن رؤى وآليات خطابية تداولية جديدة ومميّزة وعلى هذا فإنّ: "فاعلية العلاقة بين الخطاب السردي والتداولية، تشتد إذا كان الخطاب ينطلق من محاولة البحث عما يميّزه، أو له من الرؤى المختلفة عن غيره ما يتفرد به"².

4-المقاربة التداولية السردية (الأهداف والأبعاد):

بالرغم من تعدد المناهج اللسانية المختلفة التي اهتمت بدراسة النصوص الأدبية إلا أنها اهتمت بدراسة جوانب من الجوانب المعرفية دون أخرى، "فرغم كل هذا الزحم المعرفي والإبستمولوجي وتعدد المناهج النسقية إلا أننا نلمح كل هذه المناهج إقصاءها للسياق"³ وهذا دون الاهتمام بحقيقة الظاهرة الأدبية كظاهرة تخاطبية تواصلية، تحكمها مبادئ مختلفة وسياقات محددة وانطلاقا من هذا كله يمكن اعتماد التداولية كمنهج شامل ومتكامل لدراسة الخطاب السردي باعتبارها تهتم باللغة من وجهة نظر عامة فالتداولية "تدرس اللغة من وجهة وظيفية عامة (معرفية واجتماعية وثقافية...)" وهي بعد ذلك تمثل نقطة التقاء مجالات العلوم ذات الصلة باللغة بوصفها همزة وصل بينها وبين الثروة اللغوية⁴؛ إذ يمكن استغلال آلياتها في تأويل مختلف النصوص والوصول لأهم مقاصدها وفهم مختلف أبعادها.

إنّ محاولة مقارنة الرواية بآليات المنظور التداولي هو محاولة "تجاوز المقاربات الشكلية للأدب والتي استبعدت السياق في مناهجها والتي اهتمت بالأشكال والبنى اللغوية، فالتداولية تجعل الرواية مرتبطة بسياق إنتاجها وغير منفصلة عن المؤلف باعتباره منتج النص وهذا بالتركيز على الرواية في بعدها التواصلية"⁵ بشكلها العام؛ "فالسرد القصصي لا يمكن انتزاعه من سياق الأدبية

1- محمد بن عبد الله المشهوري، التداولية السردية في خطاب الأفضوصة النسائية، ص26

2- المرجع نفسه، ص27

3- عبد الحكيم سحلية، تداولية أفعال الكلام في الخطاب الروائي لأحلام مستغانمي، دراسة في عابر سرير ونسيان كوم ص13

4- كاهنة دحمون، تداولية الخطاب السردي بين القديم والحديث، ص09

5- ينظر: إلفي بولان، المقاربة التداولية للأدب، ص15

بطبيعة الرؤية التداولية التي تفرضها على مختلف الخطابات التي تتعامل معها¹ وهذا للوصول إلى مختلف مقاصدها وأغراضها التواصلية؛ "فحقل التداولية إذن حقل جديد، يعنى بالجانب الأدبي للنصوص والخطابات، فنتقل إذن آليات التحليل التداولي من الحقل اللساني إلى الحقل الأدبي ويصبح التحليل التداولي تحليلاً نقدياً يتجاوز ويتفوق عن مستويات التحليل السابقة كالأسلوبية واللسانية والبنوية والشكلية..."² وعليه فمحاولة مقارنة الخطاب الروائي بآليات وإجراءات المنظور التداولي يساعد القارئ على فهم النصّ الروائي والبحث في ما ورائياته واستخراج مخبوءاته والوصول لأهم مقاصده ومعالمه وفهم مختلف أفعاله الكلامية الإنجازية، وذلك من خلال ربط الرواية بقيرنتيها السياقية والمقامية.

عموماً اهتمت التداولية بدراسة اللغة في الخطاب، فهي "تتكفل ببعض الأشكال اللسانية التي لا يتحدد معناها إلا من خلال استعمالها"³، وهذا بمراعاة المواقف التواصلية وكذلك مقاصد مستعملها، والرواية كشكل لساني وكظاهرة تواصلية تدخل كذلك ضمن دائرة اهتماماتها، بالرغم من خصائصها الأدبية؛ "وهذا لا يضعف الدرس التداولي، وإنما يحفظ للنصوص المدروسة طبيعتها الأجناسية، وتقنياتها القارة وقوالبها المعهودة في تصنيفها، من غير ضرر بأجناسية النصّ، أو خرق لأفق المنهج"⁴. إذ يكمن استثمار آلياتها وأدواتها المنهجية في دراسة هذا النوع من الخطاب ولاسيما في دراسات ظواهر التلفظ والإشارات وقصدية الخطاب ودراسة أفعال كلام المتخاطبين والاستراتيجيات؛ وبالتالي محاولة تجديد النظرة إلى الخطاب السردي والأدبي عامة، والخروج به إلى الجوانب التواصلية فيه. فالقراءة التداولية هي دراسة اللغة في قلب العملية التواصلية، ودراسة كلّ مظاهر التداولية من أفعال كلامية والضمنيات والتأويل والحجاج وآليات التأثير للوصول إلى كنه اللغة ومقاصدها وكيانها.... فلا يخلو أيّ خطاب من ملامح تداولية ومن بين هذه الخطابات الخطاب الروائي، فهو خطاب تواصلية بين الكاتب والمتلقي القارئ كون "قراءة نص تواصلية

1- محمد بن عبد الله المشهوري، التداولية السردية في خطاب الأصوصة النسائية، ص26

2- عبد الحكيم سحلية، تداولية أفعال الكلام في الخطاب الروائي لأحلام مستغانمي، دراسة في عابر سرير ونسيان كوم ص14.

3-Françoise Armengand, la pragmatique, p05

4- محمد بن عبد الله المشهوري، التداولية السردية في خطاب الأصوصة النسائية، ص27.

يجمع أشخاص الرواية والسرد، ويجمع المبدع مع متلقيه إذ يمارس فعل التأثير والتأثر، ويحاول أن يغيّر المجتمع من خلال تغييره للقارئ، إنّه فعل تداولي بامتياز وبهذا تستطيع التداولية أن تمتد من الخطاب الواقعي اليومي إلى الخطاب الإبداعي الفني الأدبي¹ فالرواية هي استعمالٌ للغة لأداء أهداف ومقاصد تواصلية يوصلها للجمهور القارئ، وهذا ما سنحاول أن نتطرّق إليه و نوّكده في فصول البحث.

¹ - عبد الحكيم سحالية، تداولية أفعال الكلام في الخطاب الروائي لأحلام مستغانمي، دراسة في عابر سرير ونسيان كوم ص83.

الفصل الأول

التواصل السردى الروائى ومقاصد الخطاب

- تمهيد

- المبحث الأول: سياق التواصل فى الخطاب الروائى

1. موقف التواصل السردى الروائى وبنيتة التداولية.

2. مقام التأليف ومقام القراءة.

3. الزمن السردى ومسيرة أحداث الرواية

- المبحث الثانى: القصدية التداولية والتأويل فى الخطاب الروائى السياسى

1. عنوان الرواية السياسية: الدلالة والرمز والتأويل.

2. الحدث الروائى السياسى بين الواقع والمغامرة السردية.

3. التأويل ومقاصد الرواية السياسية.

تمهيد:

شكلت الرواية منظومة تواصلية، اجتماعية ثقافية مهمة في حياة الأفراد والمجتمعات خاصة في وقتنا الراهن، إذ "لا يوجد من يجهل سلطة الرواية وأهميتها في كل الثقافات بتعدد أشكالها..."¹ وبالحدوث عن الرواية العربية فقد "استطاعت الرواية العربية أن تحدث صدى واسعا في المنظومة الثقافية المعاصرة"²، وأثبتت وجودها في الساحة الأدبية المعاصرة وبرزت كأهم الأصناف والأشكال الأدبية التي استقطبت الكتاب والقراء، وأصبح لها الانتشار الواسع والواضح والحضور القوي في ساحة القراءات والإبداعات الأدبية.

تعتبر الرواية فتحة تواصلية مميزة، ونشاطا اجتماعيا بارزا، إذ لم تعد الرواية - كنوع أدبي فني - ينظر إليها على أنها مجرد منظومة فنية جمالية للاستمتاع والتسلية فحسب، بل أصبحت أداة ووسيلة بارزة لطرح قضايا فكرية ومشكلات إيديولوجية وتمير رسائل مختلفة تحمل أهدافا معينة مرتبطة بالواقع الاجتماعي، وهذا على غرار الأنواع الأدبية الأخرى؛ "قالفنّ والأدب منظومة تواصلية تحتاج إلى أن ينظر إليها، لا على أنها مجرد صنعة زخرفية ولوحة جمالية يلوذ بها بعض الأشخاص في أوقات وأزمنة معينة، وإنما باعتباره منظومة تواصلية تتجاوز النسق الجمالي والشكلي"³؛ خاصة في عصرنا حيث أصبحت فيه الرواية سجل الحياة ومرآتها، تعكس واقع المجتمع وقضاياها، فقد "أصبحت الرواية (ديوان العرب) في العصر الحديث"⁴؛ لما تحمله من مهمة تصوير الواقع وما يتضمنه من قضايا، فبعد أن "كان الشعر أعلى الأصوات الأدبية طوال التاريخ الأدبي للأمة العربية، أصبحت فنون القصّ: القصيرة والطويلة، أكبر مزاحم لفنّ الشعر وكثر عدد كتاب الرواية والقصة، على امتداد الوطن العربي كلّه، وهكذا حقق فنّ القصة - في المرحلة المعاصرة - سيادة أدبية على مستوى الكمّ والكيف"⁵

¹- ذهبية حمو الحاج، قضايا التداولية والخطاب، ص215

²- طه الوادي، الرواية السياسية، ص01

³- ذهبية حمو الحاج، قضايا التداولية والخطاب، ص122.

⁴- طه الوادي، الرواية السياسية، ص05.

⁵- المرجع نفسه، ص05.

وبالحديث عن الرواية السياسية تحديداً - باعتبارها مجال دراستنا - فقد كان لها جانباً مهماً في الرواية الجزائرية والرواية العربية عامة، واعتُبرت الرواية السياسية محورا مهماً من محاور الأدب العربي المعاصر، وهذا نظراً لما تمتاز به السياسة من مكانة هامة في المجتمع فالسياسة قد "غدت المحرك الأول لمسيرة البشر في أي مجتمع، لأنها هي التي تحدد أصول الحكم وتنظم شؤون الدولة على أساس من الوعي...بهذا الدور الخطير والمؤثر اهتمت الرواية العربية المعاصرة بكثير من القضايا السياسية، وبيان مدى تأثيرها على حياة الناس"¹

وانطلاقاً من هذا يمكننا القول أن للرواية السياسية جانباً تواصلياً تفاعلياً تأثيرياً بارزاً، لما تحمله من قضايا اجتماعية ووعي إيديولوجي يعبر عن واقع الوطن والأمة فالرواية السياسية "أداة فنية للوعي يمكن بواسطتها رصد وضع الأمة وتجسيد أزماتها العامة من خلال شخصياتها الروائية الفردية ومن هنا تصبح الرواية طاقة سياسية هامة في التعبير عن روح الأمة وأزماتها وطموحاتها"² وعلى هذا الأساس يمكن القول بأن الرواية السياسية نشاط اجتماعي وإبداع أدبي متميز تحمل في طياتها مقاصد تواصلية متعلقة بالواقع الاجتماعي وتتعلق في عمومها بهموم الواقع السياسي.

وهي بذلك تجسد لفنّ جمالي ووعي إيديولوجي للواقع الإنساني، وعلى هذا الأساس لا يمكن عزل الأدب عن مضمونه وقصده التواصلية لأنّ "محاولة عزل الأدب عن التأثير السياسي والاجتماعي لن يؤدي إلا لضياع الأدب وانغلاقه على تجارب شكلية أو زخارف بلاجمهورة أو فعالية... فلا بد من ضرورة تناول الأعمال الأدبية من الداخل ومن الخارج، من الشكل ومن المضمون، لأنه لا يمكن فهم الأدب ودراسته بمعزل عن ظروف إبداعه السياسية والاجتماعية"³، وهذا في الحقيقة ما أكّده الدراسات التداولية، من خلال انفتاحها على الجانب التواصلية واهتمامها بالظروف السياقية وبكل العناصر المقامية للخطاب من أجل الوصول للتأويل المناسب والوصول لمقاصده، وفي هذا الإطار يقول "ألبيريس": "ولا يعني جعل الرواية تاليفاً أن نفرغها من محتواها، ولا يمكننا أن نحول

¹ - طه الوادي، الرواية السياسية، ص 06

² - أحمد محمد عطية، الرواية السياسية (دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية)، مصر: 1982، مكتبة مدبولي ص 17

³ - المرجع نفسه، ص 12.

الْقن الروائي إلى موهبة في الترتيب حول موضوع لا أهميّة له، إنّ هذه الموهبة مرتبطة لدى كل مبدع بالمضمون الذي يعالجه¹.

وبالعودة إلى التواصل السردى الروائي، فإنّه يشكل نمطا تواصليا مميزا ومختلفا عن أنماط وأشكال التواصل الاجتماعي الثقافي نظرا لطبيعة التراسل التي تتجسّد عبر الكتابة، ويقوم هذا التواصل على ما يبيّنه الكاتب من فضاء افتراضي بواسطة التخيل والسرد، لينقل لنا الكاتب من خلاله تصورات وأفكار ورؤى إزاء واقعه الاجتماعي والسياسي، فالمتقف العربي لجأ إلى الرواية السياسية كنوع من الفنون السردية لتبليغ رسائل فكرية وإيديولوجية من أجل تحقيق مقاصد تواصلية أيضا فقضايا الفكر والإيديولوجيا "أصبحت (التيمة) الرئيسة والمحور الغالب عند كثير من كتّاب الرواية العربية المعاصرة"². وهذا نظرا للمكانة الهامة التي تحتلها السياسة في المجتمع وتأثيرها على الأفراد. وبحديثنا عن الرواية السياسية الجزائرية بشكل خاص، فإنّ هذه الوجهة وهذا الاهتمام نجده حاضرا عند أغلب الكتّاب الروائيين الجزائريين، فقد استطاع الكاتب الجزائري أن يطرح إشكاليات وقضايا سياسية عالمية، قومية، وطنية من خلال تقديمه تجارب سردية في عالم افتراضي محدد.

عموما إنّ العمل الروائي تجربة فنيّة تواصلية، تعكس نظرة الكاتب وطموحه، وعلى القارئ تحليل العمل الأدبي والتعمّق فيه، وتفكيكه، من أجل الوصول لمضمونه ولمقاصده، وأبعاده فالعمل الأدبي "طموح فردي لرؤية العالم، وقراءة النصّ الأدبي تفسير هذه الرؤية، ومحاولة تحديد أبعادها"³، ومقاصدها، والبحث في أبعاد ومقاصد هذه النصوص وتأويلها لا يتأتى إلاّ باعتبارات سياقية والإلمام بكل العناصر المقامية المساعدة في اقتحام عالم النصّ الروائي والكشف عن مقاصده وأبعاده، وهذا لا يكون إلاّ بالنظرة الشاملة للنصّ وسلطة المؤلف المبدع التي يشترك فيها مع القارئ ويجتهد هذا الأخير في تأويل النصّ الروائي وكذا إعطائه قيمة أدبية. فالقارئ لم يعد مستهلكا للعمل الأدبي وحسب بل أصبح طرفا مهما في إنتاج العمل الأدبي وعليه فالتواصل

1- أحمد محمد عطية، الرواية السياسية (دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية)، ص 12.

2- طه الوادي، الرواية السياسية، ص 02

3- المرجع نفسه، ص 13

السردى الروائي هو في الواقع تفاعل بين الكاتب والقارئ بواسطة مكونات النص من أجل الوصول إلى مقاصد العمل الروائي بفعل القراءة؛ ومن هذا المنطلق يمكن القول أن: "القصدية من أسس قراءة العمل الروائي لأنها جزء من الجهاز التلّفي ومرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالشخصية المتحدثة (الذات المتحدثة) وبالزمان والمكان، وبالمتلقي (القارئ)، وبالمتوى... وإن حدث تأثير بين هذه العناصر، فإنها تبرز بشكل خاص علاقة الشخصية بالقصدية التي تتحكم في توجيه النص الروائي وتحدد طبيعته"¹، وهذا يفيد أن فعل القراءة هو بحث عن مقاصد الخطاب التي ترتبط بالنص وجهازه التلّفي ومكوناته التخاطبية والمقامية التي يتحكم فيها الكاتب باعتبار علاقته بالقصدية (مستعمل اللغة).

¹ - ذهبية حمو الحاج، قضايا التداولية والخطاب، ص 217

المبحث الأول

سياق التواصل في الخطاب الروائي

تمهيد: يعتبر السياق جانبا مهما من جوانب تداولية الخطاب، فهو من بين أهمّ المفاهيم التي اهتمت بها مختلف الدراسات اللغوية، خاصة تحليل الخطاب، والدراسات التداولية، التي يرتبط مفهومها به، فالتداولية "تطلق على التخصص أو التخصصات التي تعنى بالمكون التداولي وعندما نتحدث عن المكون التداولي أو نقول إن ظاهرة ما خاضعة (لعوامل تداولية)، فإننا نقصد بذلك المكون الذي يعالج ويصف معنى الملفوظات في سياقاتها"¹، وعلى هذا الأساس تعرف التداولية بأنها "دراسة لهيمنة المقام على معنى العبارة"²، فالسياق يلعب دورا مهما في الدراسات التداولية من حيث مساهمته في تحديد مقاصد الخطاب التي لا ترتبط إلا به، وهو بهذا يحتل جزءا بارزا في فضاء الدرس التداولي، وقد حدد مفهوم السياق في قاموس دوكر و توردورف، "Ducrot, todocov" بأنه: "مجموع الظروف التي يتحدد في إطارها فعل التلفظ l'acte d'énonciation سواء كان مكتوبا أو شفويا"³ وهنا لابدّ من ربط الخطاب بظروف تلفظه.

فمعرفة السياق هو عامل مهم في توضيح الكلام، وفي تأويل مختلف الخطابات والوصول إلى أهم مقاصدها "فمقام التلقظ حامل نوعي لكثير من مقاصد الخطاب إذ تنعكس المقامات التواصلية على مكونات الخطاب، فتستجيب من خلاله المكونات لمقتضيات المقام"⁴ فالمقام يعكس الكثير من المؤشرات الدلالية، والمحددات المعرفية التي تُسهم في تأويل مختلف الخطابات.

والتحليل التداولي الروائي شأنه شأن التحليل التداولي للأنواع الأخرى من الخطاب، إذ يركز هو الآخر على السياق وظروف الخطاب الخارجية وملابساته للوصول إلى مقاصد الخطاب فالتحليل

¹-دومينيك مونقانو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، "1، الجزائر: 2005، منشورات الاختلاف ص92.

²- شيتير رحيمة، تداولية النص الشعري، جمهرة أشعار العرب نموذجا [أطروحة مقدّمة لنيل دكتوراه العلوم في الأدب] 2009، باتنة: جامعة الحاج لخضر، ص207

³- O Swald Ducrot/todorov, dictionnaire encyclopédique des sciences du langage Paris, 1972 édition seuil, p417.

⁴-محمود طلحة، تداولية الخطاب السردية، ص41.

التداولي للخطاب الروائي "يتركز على جملة من الآليات والتقنيات والضوابط، ويعتبر مستوى تصنيفها إجرائياً في الدراسات اللسانية التداولية، يتجاوز المستوى الدلالي؛ لبحث في العلاقات ومؤوليتها وعلاقتها بالمرسل والمرسل إليه، وظروف الخطاب الخارجية (المكان، والزمان، والمحيط الاجتماعي...)"¹

يعدّ السياق من المفاهيم الواسعة والمتشعبة، فهو متعدد بتعدد جوانب النظر إليه كما إنّه يعد من المفاهيم المتشابهة والمعقدة أحياناً، خاصة إذا تعلق الأمر ببعض الخطابات كالخطابات الأدبية التي تتعدد فيها السياقات - السياقات الداخلية والسياقات الخارجية - فيما أنّ: "لنص السردى فعل تواصلى يتحقق بحضور أطراف عملية تواصلية، فإنّه لا محال متوقّف على سياق داخلي، أو خارجي، وهذا السياق المنشأ يعدّ حجر الزاوية في عملية التّأويل"²، ولعلّ أهم السياقات المميّزة للنصّ الأدبي أو الروائي، سياق التّأليف أو الإنتاج الخاص بمؤلف النصّ وسياق القراءة الخاص بقارئ النصّ، "فمقام التّفلفظ الخاص بصاحب الخطاب هو مقام التّأليف، أمّا مقام التّفلفظ الخاص بالمتلقي فهو مقام القراءة، ولكلّ مقام استراتيجياته الخاصة التي تدخل في تكوينها عدّة أجزاء ومكوّنات"³، إذن مقام التّأليف يرتبط بمنتج النصّ، وسياق التّلقي خاص بمتلقي النصّ الذي يحلّل الخطاب في ضوء اعتبار مجموعة من الظروف السياسية والثقافية والاجتماعية... واعتبار مجموعة من العناصر السياقية والمحددات والتأثيرات المقامية (ذاتية أو موضوعية)، كما يعبر عن القيمة الفنية للنصّ باعتبار تلك الظروف؛ وعلى هذا يمكننا القول أنّ: "العمل الأدبي عموماً ليس فقط نصاً، أي سلسلة لغوية ودلالية، ولكنّه أيضاً، وقبل كل شيء فعل تواصلى بين البشر، ورسالة موجّهة من شخص معيّن وضمن ظروف معيّنة لهدف محدد، يتلقاها شخص آخر له ظروفه وأهدافه الخاصة"⁴ وبالإضافة إلى مقامي التّأليف والقراءة يمكننا الحديث عن السياق الداخلي للنصّ، وهو ما يتعلّق بالسياق اللغوي الخاص بالعلاقات اللسانية في التّركيب، وهذا السياق قريب

¹- عبد الحكيم سحلية، تداولية أفعال الكلام في الخطاب الروائي لأحلام مستغانمي، ص 267.

²- كاهنة دحمون، تداولية الخطاب السردى، ص 12

³- محمود طلحة، تداولية الخطاب السردى، دراسة تحليلية في وحي القلم لرافعي، ص 42.

⁴- كاهنة دحمون، تداولية الخطاب السردى بين القديم والحديث، ص 26

من سياق آخر داخلي، وهو ما يتعلّق بالمقام الداخلي المرتبط ببنية النصّ وموقف التواصل السردى، وكذا العلاقات بين الشخصيات في العمل السردى؛ أي هو المقام الذي يظهر فيه النصّ أي ما يرتبط بما هو داخل النصّ؛ فالنصّ السردى "فعل تواصلى متوفّر على سياق داخلي وخارجي حيث أنّ الأول منحصر في العلاقات اللسانية داخل التركيب، وقريب من السياق ما يسمى بالمقام الداخلي في الأدب، وهو العلاقة بين الشخصيات في العمل السردى، تمييزاً له عن المقام الخارجي المرتبط بمن يستهلك ذلك الإنتاج، فهناك إذن مقام داخلي لا يظهر إلا في العمل الأدبي بين شخصياته، وآخر خارجي بين العمل الأدبي، ومن يوجّه إليه هذا العمل"¹

وبخصوص النظر إلى التعمّد المقامي للنصوص الأدبية فيمكن الحديث كذلك عن اختلاف مقام التأليف الخاص بالمؤلف، عن مقام القراءة الخاص بالمتلقي في أغلب الأحيان، وهذا نظر: "لخصوصية الخطاب الأدبي عموماً في أنّ المتلقّظ أو صاحب الخطاب والمتلقي لا يشتركان في نفس المقام التّواصلى؛ أي بمحدديه الزمان والمكان، وهذا بخلاف الخطاب العادي في التحوارات اليومية مثلاً"²، وبالحديث عن اختلاف سياق التأليف عن سياق التلقي وعن القيمة الأدبية للنصوص التي تضيفها القراءة فإنّ النصوص الأدبية لا تحتفظ دائماً بنفس القيمة الأدبية، خاصة في الحديث عن التّباعد الزمني بين التأليف والتلقي، "... فهذا واقع الكتابة التي مارسها الإنسان عبر العصور، فما كانت له قيمة أدبية ومضمونية في عصر من العصور لا يلزم دائماً أن يحتفظ بها متميزة في العصور اللاحقة،"³، ولكن في الحقيقة لا يمكن نسيان بعض الأعمال الخالدة التي تحتفظ بنفس القيمة الفنية، والأدبية، والمضمونية على مرّ العصور.

إنّ الحديث عن الرواية السياسية يستدعي بالضرورة الحديث عن ظروف إنتاجها وإنشائها، لأنّها مرتبطة أشدّ الارتباط بسياق إنتاجها، فهي ليست بعيدة عن مقام تأليفها، فالرواية السياسية ماهي إلا مرآة عاكسة للواقع السياسي الخارجي، وعليه يستحيل على القارئ قطع الصّلة بكلّ الملابسات والظروف السياسية والاجتماعية التي تحيط بالنصّ الروائي، لأنّه: "لا يمكن فهم الأدب ودراسته

¹ - كاهنة دحمون، تداولية الخطاب السردى بين القديم والحديث، ص12

² - محمود طلحة، تداولية الخطاب السردى، دراسة تحليلية في وحي القلم لرافعي، ص40.

³ - حامد لحداني، القراءة وتوليد الدلالة، ص05.

بمعزل عن ظروف إبداعه السياسية والاجتماعية¹؛ إذ أنّ للسياق دورا بارزا في الكشف عن مقاصد العمل الأدبي الروائي كون الرواية: "خطاباً تفاعلياً يحدث تماسه مع كافة أشكال الوعي الاجتماعي، السياسي، النفسي، التاريخي..."²، كما لا يمكننا إهمال السياق اللغوي في الرواية أيضاً، فالتركيب أو البناء اللغوي عنصر مهم في الخطاب الروائي والأدبي بشكل عام؛ إذ أنّ: "الأدب مجرد عنصر تابع للغة لأنها تشكّل مادته وعماده"³، وفي هذا الإطار يمكننا القول أنّ الأسلوب في الرواية يختلف عن غيره من الأساليب، كما أنّ السياق اللغوي يجسّد المتتابعات اللغوية في تشكل الرواية ويساعد في الكشف عن معاني مختلف الملفوظات، ومن جانب آخر يمكن القول أنّ اللغة ليست بعيدة عن المعالم الحضارية والاجتماعية المرتبطة بها، وعلى هذا الأساس فإنّ: "اللغة لا تعدو أن تكون حاملة لحضارة وثقافة معينتين. والمبدع مهما حاول الانفصال عن هذا الإطار الذي ينتمي إليه، فإنّ اللغة تجذبه باستمرار"⁴، وهذا يعني أنّ اللغة مرتبطة إذن بالمحيط الخارجي بل هي تعكسه، وإن: "ألفينا الرواية في تركيب لغوي منسوج نسجا متشابكا إلا أنّ ذلك غير منقطع عمّا يربطها من معالم حضارية واجتماعية وثقافية"⁵، كما يرتبط سياق النص الروائي بعناصر بنيته الداخلية، والعلاقة بين شخصياته، وأحداثه، وأزمته... وهو ما يتعلّق بالمقام الداخلي للنص وعلى هذا فإنّ السياق بشكله العام، عنصر مهم في تحديد مقاصد الخطاب، فلا بدّ من دراسة الرواية السياسية من الداخل ومن الخارج، مع إحاطتها بكل الظروف السياسية والاجتماعية المحيطة بها، إذ يفرض غياب بعض عناصر السياق، أو عدم معرفتها أو تجاهلها إلى تضييل وغموض يحول دون تحقيق التواصل بين كاتب الرواية السياسية والقارئ فالسياق يُسهم بدرجة كبيرة في تأويل الرواية وفهم مختلف مقاصدها، والوقوف على أبعادها، وذلك بشكل يجعل العملية التواصلية بين كاتب الرواية السياسية والقارئ محددة المعالم.

1- أحمد محمد عطية، الرواية السياسية (دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية)، ص12.

2- فاطمة الشيدي (المعنى خارج النص) أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب، دمشق، 2011: دار نينوي للطباعة والنشر، ص232.

3- خديجة غفيري، سلطة اللغة بين فعلي التأليف والتلقي، المغرب: 2012، أفريقيا الشرق (الدار البيضاء)، ص63.

4- ذهبية حمو الحاج، ص233

5- المرجع نفسه، ص233.

وقبل الحديث عن سياق الروايات السياسية لمدونة النصوص، ارتأينا الوقوف عند البنية التداولية للقصّة لارتباطها الوثيق بالسياق القصصي كما يمكن اعتبارها جانبا مهما في فهم الرواية وتأويلها.

1. موقف التواصل السردى الروائي وبنية التداولية: ترتبط البنية التداولية للرواية أو النص بمستعمل لغة النص؛ لأن "أي تعريف تداولي للقصّة يقام على البنية التي يشكلها مستعملو لغة النص، هذه البنية التداولية تستمد من الفعل الذي ينجزه الكاتب"¹؛ إذ تنطلق وصف البنية التداولية للرواية كجنس قصصي من الفعل الذي يكتبه الكاتب إلى القارئ والذي يتشكل من بناء وضعية تواصلية خاصة، تتشكل من شخصيات قصصية فالبنية التداولية للقصّة: "قائمة على الفعل الذي يكتبه الكاتب، وإنّ فعل الكاتب في نسبة النص الذي يكتبه إلى شخص آخر ينتج من خلاله تشكيل سياق تواصلى محكم مع متكلم ومستمع قصصيين"² ومن هذا يمكننا الحديث عن نوعين من البنية التداولية للقصّة، البنية التداولية الأساسية للقراءة والتي تتشكل من الكاتب والقارئ الذين يجمعهما النص، والبنية التداولية للقصّة هي توسيع للبنية التداولية الأساسية، فالبنية التداولية للقصّة هي "توسيع للبنية الأساسية للقراءة، فلكل موقف قرائى بنية تداولية تربط بين الكاتب والقارئ بفعل تواصلى عن طريق النص الذي بينهما وعن طريق السياق الذي يشتركان فيه"³ ويمكننا توضيح ذلك كما يأتي:

- شكل يوضح البنية التداولية الأساسية:

كاتب (نص) قارئ

- شكل يوضح البنية التداولية للقصّة:

كاتب (متكلم (قصّة) مستمع) قارئ⁴

حيث تمثل الأقواس السياق الداخلي والذي هو قصصي، وبالحديث عن الرواية فإنها تقوم على توسيع البنية التداولية الأساسية إلى بناء عالم سياقي تواصلى مشكل من متكلم ومستمع قصصيين

¹ - جون-ك. آدمز، التداولية والسرد، تر: خالد سهر، ط1، العراق: 2009، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ص17

² - المرجع نفسه، ص23.

³ - المرجع نفسه، ص 22

⁴ - المرجع نفسه، ص 23

وأحيانا يتعدى الأمر إلى عدد من المتكلمين، ويقوم المتكلم بتوجيه أفعال كلامية يمثلها النص للمستمع؛ ويمكننا تحدد البنية التداولية على أنها مجمل العلاقات بين مستخدمي اللغة في النص: ولاسيما بين الكاتب والمتكلم والسامع القصصيين من جهة وبين القارئ والمتكلم والسامع القصصيين من جهة أخرى¹.

وبالعودة إلى سياق الرواية السياسية في مدونة النصوص، فإن دراسته وتحليله سواء بما يتعلق بالسياق الخارجي أو الداخلي لا يتأتى إلاّ بحدوثنا عن أهم عناصر السياق المشكلة لأقطاب العملية التواصلية للرواية السياسية، وسيكون توضيح مختلف السياقات المشكلة للخطاب الروائي (مقام التأليف، والإنتاج، الزمان والمكان....) انطلاقا من هذه العناصر، فتأويل الرواية السياسية وفهم مختلف أبعادها ومقاصدها لا يتحقق إلاّ بتقريبنا لمجموعة من المقامات؛ أي من خلال الوقوف عند أهم العناصر السياقية المشكلة لها، فهذه العناصر هي بمثابة مؤشرات تساعد في تفكيك الرواية السياسية وتحليلها، وهذه العناصر السياقية هي أهم العناصر التي تبنى عليها الرواية؛ إذ تساعدنا في تفكيك النص الروائي وتفتح المجال للتأويل والتفاعل بين المؤلف والقارئ والوصول لأهم مقاصد الخطاب. فالسياق عنصر أساس في تحديد مقاصد الخطاب لأنّ "شخصية المتكلم ومعتقداته، وتكوينه الثقافي ومرجعياته الفكرية والمعرفة المشتركة بين المتخاطبين، والوقائع الخارجية، كالظروف المكانية والزمانية والعلاقات والأعراف الاجتماعية، كل ذلك يعد من المرتكزات التي تساعد في فهم الخطاب وبيان القصد"² وانطلاقا من هذا كله يمكننا الوقوف عند أهم أقطاب العملية التواصلية لمختلف نصوص المدونة، ويمكن شرح أقطاب هذه العملية كالآتي:

1/1. أقطاب العملية التواصلية:

1/1/1. المخاطب: يعتبر المخاطب قطب محوري من أقطاب العملية التواصلية لكونه منتجا للخطاب (مستعمل اللغة)، وسنحاول في هذا الإطار التمييز بين نوعين من المخاطب؛ ما يتعلق بخارج الرواية، وما يتعلق بداخلها (داخل القصة)، فما يتعلق بالأول فهو الكاتب أو المؤلف

¹- ينظر: جون-ك. آدمز، التداولية والسرد، ص 23.

²-ميلود مصطفى عاشور، القصديّة في النصّ الأدبي (دراسة لسانية)، مجلة الزّواق، السنة 1، ع1، جامعة لندن للدراسات العليا بالمملكة المتحدة، 2015؛ مركز البحوث والدراسات، ص12.

كعنصر من عناصر مقام التأليف، وما يتعلّق بداخلها؛ أي بالسرد نسميه المتكلم (الراوي) كعنصر مشكّل لموقف التواصل السردى، وهو في الحقيقة ما يقتضيه الوصف التداولي للقصة، ويمكننا تقريب قطبي العملية التواصلية في مدونة النصوص كالاتي:

1/1/1/1. كاتب الرواية السياسية: إنّ الحديث عن مقاصد الخطاب السياسي الروائي هو حديث عن تفكيك الرواية وتأويلها، والذي لا يتأتى إلا بتحليل السياق والدخول في عالم الرواية وسياق إنتاجها، وذلك بالاستناد إلى مجموعة من النقاط التي تكون ضمن المعايير والمؤشرات المقامية والإجراءات المعرفية، فمن أجل هذا يمكننا الوقوف عند صاحب الرواية السياسية؛ وهو المؤلف؛ وسلطته الإنتاجية، فالكاتب أو المؤلف طرف أساس في الخطاب وهذا باعتبار أنّ روايته تتوارى خلف سلطته، وهو ما يرتبط بالبعد التداولي باعتباره مستعمل اللغة.

يعتبر الكاتب عنصرا مهما من عناصر السياق (سياق التأليف) فهو صانع ومنتج الرواية؛ وعلى هذا الأساس يمكن القول: "أنّ المخاطب هو الذات المحورية في إنتاج الخطاب لأنّه هو الذي يتلقّظ به من أجل التعبير عن مقاصد معيّنة، وبغرض تحقيق هدف فيه، ويجسّد ذاته من خلال خطابه"¹؛ إذن الرواية نتاج فني خاص مرتبط ارتباطا وثيقا بصاحبه وبمقاصده وأهدافه التواصلية.

وبحديثنا عن صاحب الرواية السياسية، وخلفيته المعرفية، فإنّ هذه الأخيرة بالنسبة لكاتب الروايات السياسية لمدونة النصوص فإننا نلمس بأنّ جميعهم مهتمون بالشأن السياسي العام للوطن وللأمة العربية، ولهم ميل سياسي واضح، كما أنّهم عايشوا كثيرا من الأحداث السياسية سواء تلك المرتبطة بالوطن أو تلك المرتبطة بالأمة العربية؛ إذ أنّ: "معظم كتّاب الرواية العربية، قد عاصروا كثيرا من الأحداث السياسية الجسام على المستوى الكوني(العالمي) والقومي(العربي) والمحلي(الوطني)"² وبهذا فهم ينطلقون من خلفية معرفية سياسية مرتبطة بشؤون البلد والوطن العربي، وفي الحقيقة لا يمكن تصوّر مؤلف يكتب عن السياسة دون أن تكون له خلفية معرفية سياسية يستقي منها أفكاره وأيديولوجيته، وهذا لا يشترط بأن يكون منتصيا لحزب من الأحزاب

¹- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص45.

²- طه الوادي، الرواية السياسية، ص06.

فكاتب الرواية السياسية: "ليس منتميا-بالضرورة- إلى حزب من الأحزاب السياسية، ولكنه (صاحب أيديولوجية) يريد أن يقنع بها قارئه بشكل صريح أو رمزي"¹، وهنا قد يتفق مع القارئ وقد يتضارب معه، وأحيانا تتضارب الأفكار ليس مع القارئ فحسب بل بين الكتاب أنفسهم.

إنّ المتأمل في روايات وأعمال الكاتب "كمال قرور"، منها رواية "حضرة الجنرال" و"جمهورية الخراب"، و"التراس"... فإنه يلاحظ بأن جميعها تدور في سياقات متقاربة، وأنّ الهمّ السياسي جامعا لمختلف أعماله، وكلّها تطرح قضايا السلطة، والاستبداد، والعبودية، والحرية، هذا بوجه عام، وانطلاقا من هذا يمكن استنتاج أنّ للمؤلف نزعة سياسية شديدة الارتباط بأزمات وهموم الواقع الاجتماعي والسياسي الراهن للأمة العربية على وجه العموم، والأمر نفسه عند الكاتب "عزيز غرمول" فهو الآخر كثير الاهتمام بقضايا وهموم مجتمعه وقضاياه، وذلك من خلال ما طرحه في مجموع أعماله. أمّا عن الكاتب "محمودي حامد العربي" فله كذلك خلفية معرفية سياسية وصحافية، حيث طرح قضايا وتأمّلات مرتبطة بالسياسة والمجتمع.

2/1/1/1. المتكلم (السارد): يعتبر المتكلم أو السارد كذلك عنصرا مهما من عناصر السياق السردية؛ فالسارد هو الذي ينفرد بسرد أحداث الرواية السياسية، والذي يندرج ضمن اختيارات الكاتب التي كثيرا ما يكون في الرواية السياسية شخصية قصصية من اختيار الكاتب.... أي يجعل الكاتب متكلما افتراضيا يتمص دوره، فكثيرا ما يقم المؤلف شخصية خيالية لتروي أحداث الرواية المرتبطة بقضايا سياسية معينة؛ وذلك ليتمكن كاتب الرواية السياسية من التعبير عن مختلف أفكاره، وقناعاته، ووجهته الأيديولوجية إزاء قضية سياسية معينة؛ فحتى "يؤكد المؤلف أنه يعبر عن وجهة نظر خاصة في قضية سياسية، فإنه يجعل الراوي ينفرد بسرد أحداث الرواية"²، لي طرح وجهة نظر سياسية بطريقة غير مباشرة، وهذا ما نجده في رواية "حضرة الجنرال" حيث جعل "كمال قرور" الشخصية الأسطورية الدكتاتورية "ذياب الزغبى" الذي كان يبحث عن كتابة سيرته الذاتية، إذ يقول: "أنا فارس وجنرال وديكتاتور" أوليغارشي" محلي، منسي، يبحث عن قلم

¹ - طه الوادي، الرواية السياسية، ص 06.

² - المرجع نفسه، ص 07.

يمنحه أضواء الشهرة¹؛ "قاوم أيها المبدع وأكتب سيرتي الرسمية للأجيال لتعرف حقيقة المأساة... الديمقراطية أو "الديموقراطية" "خرطي" كبير ليست خيرا دائما والديكتاتورية ليست شرا دائما"²، "أنا آخر بطريك عربي "قومجي" حكمت "الإمبراطورية" قرنا كاملا بحنكة وقبضة حديدية وسيف مسلول..."³، وقد ارتبطت سيرة هذه الشخصية بالمغامرات والاعترافات والقناعات السياسية من وجهة نظره، وتعكس هذه الشخصية مقاصد الكاتب المرتبطة بكشفه لواقعه السياسي، كما يمكننا الحديث في هذا الإطار عن القيمة الجمالية التي تضيفها الشخصية الساردة في البنية السردية للرواية.

وحدث الأمر ذاته في رواية "زعيم الأقلية الساحقة"، إذ جعل "عزيز غرمول" شخصية طاغية" تسرد قصتها وقناعاتها وأفكارها الجهنمية إزاء الحكم والسلطة، ولم يقدم لهذه الشخصية اسم، لكنه أسهب في تقديمها وتعريفها سياسيا ووصف خباياها وأفكارها الجهنمية إزاء السلطة والرعية والحكم، وذلك في قوله: "كنت ملك الجزائر وما ولاها من الضواحي، أحكم مملكتي بالقوة والعبث، أمشي في أسواقها مختالا على رأسي تاجي، وفي يدي صولجاني، محاطا بحرسيّ، اثنان يسييران أمامي لشقّ طريقي في حما الحياة، واثنان ورائي لحمايتي من ضغينة الحساد، يتدافع الناس في الشوارع للتبرّك بتقبيل يدي وتفرش لي الطريق بالعطايا والدعوات..."⁴؛ "عرفت في الحياة أعاليها وأسافلها، سعدت وهبطت، ذهبت بعيدا إلى حدود الحلم..."⁵؛ "لقد تعلّمت في هذه الحياة أنّ اليد التي تمنح هي نفسها التي تذبح وهي نفسها التي تقبل، اليد كلّ شيء في الإنسان، أما أعضاؤه الأخرى فهي مجرد رعية في مملكتها..."⁶ ويمكن القول أن اختيار الكاتب لشخصية قصصية تتفرد بسرد أحداث الرواية المرتبطة بأسرار حكمها لم يكن صدفة أو اختيارا اعتباطيا؛ وإنما كان ذلك ضمن استراتيجيات الكاتب للتعبير عن مختلف مقاصده.

1- رواية (حضرة الجنرال)، ص07.

2-المصدر نفسه، ص07.

3-المصدر نفسه، ص11

4- رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص01

5- المصدر نفسه، ص07

6- المصدر نفسه، ص08.

أما الكاتب "حامد العربي" فاختار بنفسه سرد قصة الهادي وأصدقائه بنفسه لي طرح بذلك قضية الإرهاب وليعبر عن أفكاره ووجهة نظره إزاء القضية (العشرية السوداء)، وقد ظهر ذلك في قوله: "...أما نحن وأمثالنا كثر... فقابعون في بيوتنا لا نتكلم ولا نشارك حتى... إنما نكتب في صمت يكاد يكون ميتاً"¹ وفي الوقت نفسه حاول تقديم رؤية إصلاحية بدعوته لإصلاح ما أفسده سوء الرأي، وخبث وفساد الفتوى، وتجاوز الأزمة وأخذ العبرة منها والدعوة أيضاً إلى التماسك المجتمعي "فلا ريب في أنّ الروائي حين يطرح نقداً سياسياً لمجتمعه فإنّه - في الوقت نفسه - يقدم رؤية مستنيرة وملتزمة له، معنى هذا أنّ الرواية - بحكم مضمونها الاجتماعي - تقدّم نقداً للواقع ورؤية مستقبلية له في آن واحد"²، وقد كان ذلك في قوله: "إننا ندعو للثوابت من دون خرافات..."³، "فلماذا لا تقوم لنا قائمة عامرة مليئة بالأفكار والإبداع والاختراع..."⁴، وبالعودة إلى البناء السردى للرواية يمكننا القول بأنّ الراوي هو جزء من العمل الفني الخاص بالمؤلف، ويختلف من رواية إلى أخرى، فقد يكون الراوي أحياناً مشاركاً في الأحداث، وقد يكون متعدداً، وقد يكون الغائب العالم بكل شيء...⁵، ويؤدي في كلّ حال من الأحوال من الحالة وظيفته السردية كما يؤدي بعداً جمالياً خاصاً تتميز به كلّ رواية.

2/1/1. المخاطب: يعتبر المخاطب عنصراً مهماً من عناصر العملية التواصلية فهو طرف فاعل ومشارك في الخطاب، ويمكن في هذا المؤشر السياقي التمييز بين نوعين من المخاطب، القارئ والمتلقي، وهذا للإحاطة بالبنية التداولية للرواية ككلّ.

1/2/1/1. القارئ: لا تكتمل دلالة وقيمة العمل الفني الروائي إلا بوجود القارئ الذي لا غنى عنه للإجراء السردى بالمعنى العملي النهائي⁶، فالقارئ عنصر مهم في الإنتاج الروائي؛ إذ هو الذي يعطي معنى لهذا النص؛ فالقراءة "ظاهرة إبداعية يتحقق من خلالها مفهوم النصّ وللقارئ

¹ - رواية (حرب الفتوى)، ص 355

² - طه الوادي، الرواية السياسية، ص 14.

³ - رواية (حرب الفتوى)، ص 350.

⁴ - المصدر نفسه، ص 340.

⁵ - طه الوادي، الرواية السياسية، ص 16

⁶ - جون-ك. آدمز، التداولية والسرد، تر: خالد سهر، ط1، العراق: 2009، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ص 53.

دور مهم في إنتاج النص وتعدد معانيه؛ إذ أصبح بذلك مبدعا ثانيا¹، فلم يعد القارئ مجرد متلق منفعل؛ بل يمكن اعتبار القارئ مؤلفا لأنّ القراءة نموذج من نماذج الإبداع²؛ كما يمكن للرواية أن تتضمن في ثناياها ما يحدد قارئها، خاصة في الرواية السياسية، فقد يقصد المؤلف قارئاً محدداً دون غيره وهذا بحسب المقاصد والأهداف التواصلية التي يسعى إلى بلوغها؛ حيث يكون القارئ وحده القادر على اكتشاف دلالات النص الروائي وتأويلها، وعليه يشارك في إنتاج الرواية، "فلا يوجد خلف النص عنصر فاعل (الكاتب) وعنصر (منفعل)، ولم تعد القراءة مجرد تلق، ولكنها نشاط، لأنّ القارئ لا يتلقى دلالة سابقة عبر عنها النص، وإنما يتولى هو بنفسه إنتاجها"³، فالقارئ إذن هو منتج لدلالة النص لأنه هو المتكفل بتأويل النص وفهم أبعاده. وبالحديث عن الرواية السياسية التي تميّز نصوص مدونتنا ومتلقيها، يمكننا التطرق لنقطتين أساسيتين هما:

أولاً: اشتراك مقام القراءة مع مقام التأليف أو الإنتاج، وهذا باعتبار معابشتها (الكاتب والقارئ) لنفس الفترة الزمنية، وهي الفترة المعاصرة والوقت الراهن الذي يعكس ويصوّر الكثير من الظروف والأوضاع الاجتماعية والأزمات السياسية التي يشترك فيها المؤلف مع القارئ.

ثانياً: الرواية على أساس أنها تحمل بعداً سياسياً، فإنها إضافة لتشكيلها الفني، تقدّم قضية سياسية - مرتبطة بوجهة نظر خاصة مرتبطة بأفكار وأيديولوجية المؤلف - تتعدد إزاءها مواقف القراء تأييداً ومعارضة، قبولاً ورفضاً - حتى وإن شارك القارئ نفس المقام ونفس الظروف - وعلى هذا الأساس يمكننا القول بأنّ مجموع الأفكار السياسية المرتبطة بالقضية السياسية المطروحة في الرواية التي يقدمها الكاتب والتي تستجيب لاتجاه المؤلف يمكن أن تجد قبولاً من بعض القراء كما يمكن أن تجد معارضة من قبل البعض الآخر، وعلى هذا الأساس يمكننا القول أن "كاتب الرواية السياسية يدخل في تحدّ صعب مع قارئه - خاصة الذي قد لا يكون متفقاً معه في الرأي أو مؤمناً بما يطرح من عقيدة أو وجهة نظر - إذ كيف يُقنع الروائي من يختلف معه سياسياً فيما يعتقد أنّه الصواب"⁴ فمن هنا يمكن أن يدخل المؤلف مع قارئه في مغامرة فنية صعبة.

¹ - ينظر: عبد الحكيم سحالية، تداولية أفعال الكلام في الخطاب الروائي لأحلام مستغانمي، ص 67.

² - ينظر: خديجة غفيري، سلطة اللغة بين فعلي التأليف والتلقي، المغرب: 2012، أفريقيا الشرق (الدار البيضاء)، ص 41

³ - المرجع نفسه، ص 36

⁴ - طه الوادي، الرواية السياسية، ص 06.

2/2/1/1. المتلقي: يختار كاتب الرواية السياسية وفق استراتيجيته الخاصة شخصيات معيّنة ومحددة لتشكيل عمله الفني وبناء مختلف أحداث روايته، سواء ما يتعلّق بالمتكلم (السارد) أو المتلقي (الإطار الداخلي للنص)، فإذا كان الراوي شخصية بارزة في بناء الرواية وسرد مختلف أحداثها، فإن الأمر ذاته بالنسبة للمتلقي، فالمتلقي كذلك يمثل عنصرا سياقيا مهما، ويعتبر عنصرا مشاركا في البناء الروائي، وهو موازي للمتكلم (السارد) في البنية السردية باعتباره الموجّه إليه بالخطاب، فمعرفةنا بالمتلقي ووظيفته ودوره في النص الروائي يمكن أن يكون مؤشرا سياقيا يسهم في تأويل الرواية، وفهم أبعادها.

لقد تعددت أصناف المتلقين في الروايات السياسية لمدونة النصوص ووظائفهم حسب تعدد التشكيلة البنائية الخاصة بكل رواية والمرتبطة بمقاصد وأهداف كل الكاتب، فقد اختار "كمال قرور" في روايته شخصية منتقاة من الواقع لبناء عمله الروائي والموجهة إليها بالخطاب، وهي شخصية "غارسيا ماركيز" الكاتب المشهور الذي كان يكتب عن سير شخصية لأكبر الديكتاتوريين، وقد اختاره ليكتب ما يسرده "الجنرال بعو" الذي كان آخر دكتاتوري عربي مضاف لقائمة الدكتاتوريين والطغاة، وكان مما أملى عليه قوله: "إيه... غارسيا ماركيز! كاتب شهير! ومتألق أنت، ومهووس بكتابة سير أشهر ديكتاتوريات أمريكا اللاتينية..."¹، وفي قوله "أكتب... أكتب يا ماركيز! السيرة الرسمية لحضرة الجنرال "بعو" ذياب الزغبى... فارس الفرسان القائد الملهم، زعيم الأمة المفدى... السلطان الأعظم، الفاتح الكبير، حامل أوسمة الشرف المجاهد الأكبر، رجل الأجماع..."²، وكذلك قوله: "الكتابة تقاوم الزمن والزوابع وغبار النسيان، سجّل يا ماركيز! شهادتي للتاريخ وللأجيال... سجّل ما لم يسجله المؤرخون والروائيون العرب قديمهم وحديثهم، وما بعد حداثة غيرهم"³، أمّا في رواية "زعيم الأقلية الساحقة"، فكانت الشخصية الساردة هو ملك الجزائر، الطاغية الذي كان يسرد عن قناعاته وأفكاره الجهنمية في شؤون الحكم والرعية، والذي استمرّ حكمه إلى أرذل العمر، وقد كان هو نفسه متلقي الرواية؛ إذ كان لا يكتب لأحد، بل كان

¹ - رواية (حضرة الجنرال)، ص 07.

² - المصدر نفسه، ص 11.

³ - المصدر نفسه، ص 14

يكتب لنفسه، وهذا ما صرّح به في قوله: "أعرف أنه من الصعب تفهمي، لكنني لا أكتب كلّ هذا كي يفهمني أحد، أريد بكل بساطة أن أجمع أطراف مملكتي في يدي وأن ألمس حدودها، وأحدد بافتخار الطرق الجهنميّة التي حكمتها بها، وأخيرا رؤية مدى ما تراه يدي...¹"، وفي مقطع آخر يقول: "إنني أكتب لنفسي كي أبصر نفسي، ربّما بشكل أفضل، ففي الكثير من الأحيان تجتاحني تلك الفكرة الرهيبة التي تشعرنى أنني أفخ خارج الزمن، وأن أجيالا وأجيالا تولد على يدي وتموت على يدي وكأنني هنا منذ قرون، منذ القرن الخامس أو السادس عشر، متعاليا في أزمنتى، أعبر السنين والأجيال بحريّة مطلقة"²، لكن مع تقدّم القراءة نلاحظ بأنه كان يخاطب رعاياه وخصومه أيضا ويوجّه إليهم خطابه وكان يقدم كذلك وصيّة ونصائح لمن يأتي بعده، وهذا ما يظهر في بعض مقاطع الرواية مثل قوله: "لقد وعدتكم منذ صفحات عديدة بأنّي سأترك وصيّة قبل خروجي من الباب الخلفي للحياة...قلت لكم: لن أسمح لأحد أن يرث عرشي من بعدي ويستغلّ طيبة رعاياي الأعزاء، سأترك كرسي الملك في الساحة العامة وعليه يدي، هذه اليد الطويلة التي اشتهرت بها بينكم، والتي زهقت بها بعض الأرواح وبعض الأرزاق وبعض الخصي...وصيّي لكم أيّها الأندال القادمون: الملك الحق لا يرضى سوى بملك حق يرث عرشه"³، وفي مقطع آخر: "أنا ذاهب...أيّها الناس، أنا ذاهب بعد قليل...ربّما بعد جيل أو جيلين، سأذهب وحيدا كما جئت وحيدا، لن أترك فيكم ملكا يرث سيئاتي وعبثي رحمة بكم أيّها الأوغاد الجبناء..."⁴، وفي قوله: "سأواصل من قبوري إدارة عواطفكم، وشؤونكم، يا رعاياي وخصومي الألداء بنفس الحماس الذي أدرت به بها في حياتي... شكرا لي"⁵، وعلى هذا يمكننا القول بأن المتلقي القصصي في الرواية كان متعددا.

وفي رواية "حرب الفتوى" وجّه "حامد العربي" -وهو نفسه راوي الرواية- خطابه إلى مجموعة من المتلقين، ففي مواضع نجد أنه يوجّه كلامه للمواطن الجزائري بشكل عام، ومن ذلك أقواله:

¹ - رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 10.

² - المصدر نفسه، ص 10

³ - المصدر نفسه، ص 186

⁴ - المصدر نفسه، ص 187.

⁵ - المصدر نفسه، ص 187.

"بالمواجهة نخسر فيها الجزائر، كلّ الجزائر ولا بقاء إلاّ للحطام، فهل نتعقل يوماً ونصحح ما أخطأنا فيه؟، لنكن أكثر جرأة ونميّز هذه الأخطاء، ونضع الكمدات على بواطن المرض ونعالجها شيئاً فشيئاً، تعود أيامنا باسمه، ورؤوسنا بأسقة كما عاهدناها فيما مضى، فهل سيتحقق ذلك، اللهم... نعم...¹؛ "أين نحن من زمن الأفكار والابتداع والتّهذيب والتطويع لموجودات الحياة...²؛ كما نجده يخاطب السياسيين قائلاً: "لقد أخطأنا... ويجب استدراك أخطائنا... ماذا ربّحنا من السياسة...³ "أيّها الإنسان... أيّها السياسي... إننا لا يمكن أن نساير هذا العالم ونحن نسير بهذه العقليات المملة والموحشة...⁴ أمّا أغلب توجيهات الراوي (المؤلف) فكانت موجه "للهادي" وكانت الشخصية السردية الروائية التي كانت تمثّل الجماعات الإسلامية الإرهابية بل كان الهادي صورة للإنسان الإرهابي المنحرف الذي كان سبباً في تشتت الوطن الواحد والأسرة الواحدة، وسبب الفتنة والشقاق بين أبناء الدم الواحد، وهذا ما حاول الكاتب تبيانها في المقاطع الآتية: "أيّها الإنسان... أيّها الداعية... أيّها المنقذ... أنقذ نفسك... من تنقذ وكيف وبما ولما...⁵؛ "أيّها الإنسان الفاسد... أيّها الإنسان الجاهل... أيّها الإنسان... أتعرف أيّ ربّ يعبدون... أهو ربّك أم ربّهم أم ربّكم يختلف من جماعة لأخرى من عقيدة لأخرى، وأنتم نفس العنوان ونفس المكان، ونفس اللغة، ونفس العرف أم لهم رب، ولك ربّ ولكلّ منهم رب يختلف عن الرّب السابق...⁶؛ أيّها الخطيب دع عنك الوعظ وانتم للناس... دع عنك الناس وشأنهم، وأصلح من شأنك...⁷"

وبالعودة إلى أقطاب العملية التواصلية، يمكننا التمثيل لقطبي العملية التواصلية من المخاطب والمخاطب في الروايات السياسية من خلال مدونة النصوص في الأشكال الآتية كالاتي:

1- رواية (حرب الفتوى)، ص 51.

2- المصدر نفسه، ص 337.

3- المصدر نفسه، ص 178.

4- المصدر نفسه، ص 48.

5- المصدر نفسه، ص 163.

6- المصدر نفسه، ص 279.

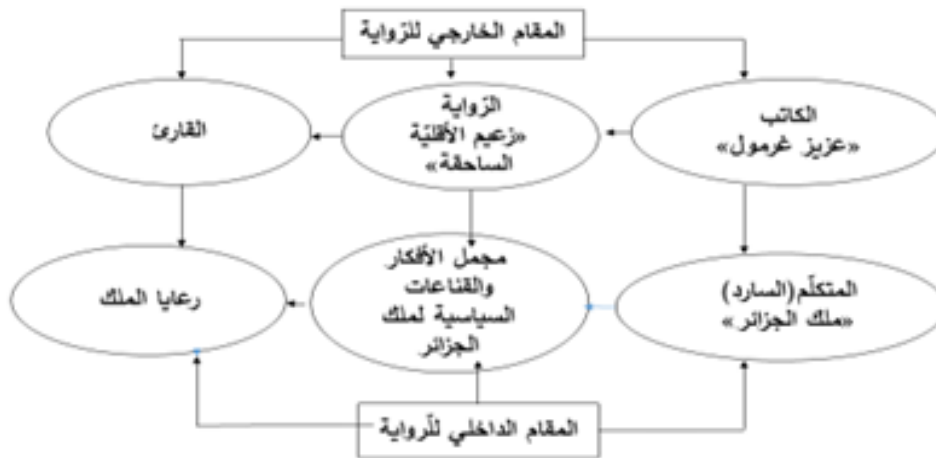
7- المصدر نفسه، ص 310.

-رواية "حضرة الجنرال":



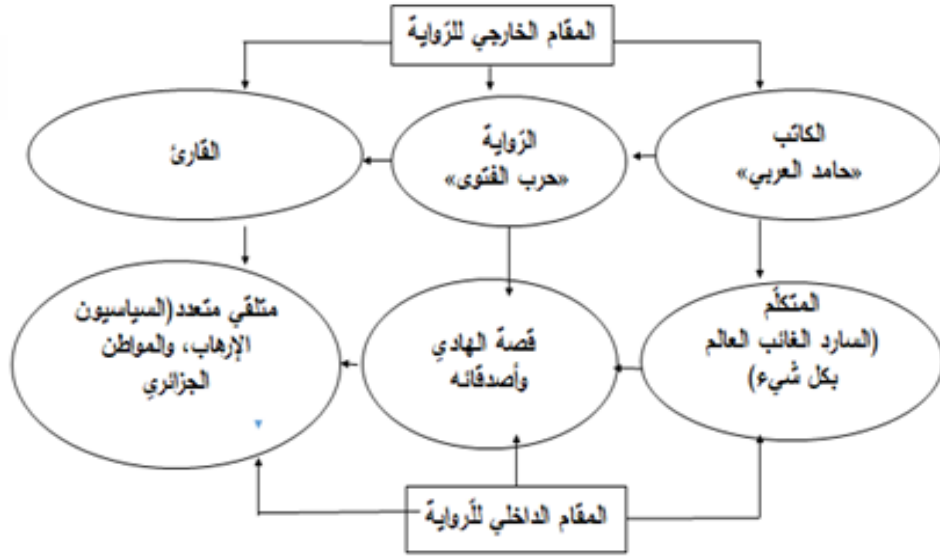
مخطط لأقطاب العملية التواصلية لرواية "حضرة الجنرال"

-رواية "زعيم الأقلية الساحقة":



مخطط لأقطاب العملية التواصلية لرواية "زعيم الأقلية الساحقة"

-رواية "حرب الفتوى":



مخطط لأقطاب العملية التواصلية لرواية "حرب الفتوى"

2/1. الإطار الزمني والمكاني للخطاب الروائي:

يلعب الزمان والمكان دورا مهما في الأعمال القصصية، خاصة في الرواية، فإذا كانت هذه الأخيرة "نقلا للأحداث، وتصويرا لحالات ووضعيات تتعلق بشخصيات مختلفة، فإنه لا يعقل تصور هذه الأحداث والحالات إلا ضمن إطارين متلازمين، أحدهما زمني، والآخر مكاني"¹، وعلى هذا الأساس فإن تحليل السياق، وقراءة الأثر الأدبي الروائي لا يكون إلا بدراسة الإطار الزمني والمكاني للخطاب، فهما يمثلان مكونات مهمة في توضيح وإضاءة جوانب سياقية تساعد في تأويل الخطاب، وفهم أهم أبعاده، وعلى هذا فإنه "كلما توفر المتلقي على معلومات تخص هذه المكونات (المتكلم، المتلقي للرسالة، الزمان والمكان، ونوع الرسالة ..) تصبح له حظوظ قوية لفهم الرسالة وتأويلها أي وضعها في سياق معين من أجل أن يكون لديها معنى"².

1/2/1. الزمان: يشكل الزمن عنصرا مهما في بناء الخطاب السردية؛ إذ لا يمكن تصور خطاب

سردية دون وجود هذا المكون الذي يرتبط بأحداث الرواية ومسيرتها بشكل عام.

¹ - إبراهيم صحراوي، تحليل الخطاب الأدبي، دراسة تطبيقية، ط1، الجزائر: 2013، دار التنوير، ص143.

² - محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ط2، المغرب (الدار البيضاء)، 2006: المركز الثقافي العربي، ص297.

ويُسهم الزمان في الكشف عن بعض العناصر المقامية للرواية السياسية فلكل إطار زمني عناصر مقامية مرتبطة به، ويتعلق الأمر بمجمل الظروف الاجتماعية والسياسية التي تحيط به، وإنّ دراستنا لعنصر الزمن للروايات السياسية لمدونة النصوص يقتضي تحليل ودراسة الزمن الخارجي للرواية، وهو ما يتعلّق بزمن المؤلف (التأليف والإنتاج)، وزمن القراءة، وكذا دراسة وتحليل الأزمنة الداخلية للرواية، وهي الأزمنة التي وظفها المؤلف داخل فضاء الرواية.

1/1/2/1. الأزمنة الخارجية (زمن التأليف وزمن القراءة):

يرتبط زمن المؤلف بالزمن الحقيقي الذي "يشير إلى الواقع المعيش للمؤلف والذي استقى منه موضوع الحكى"¹؛ فزمن التأليف هو زمن الإنتاج الروائي الخارج عن الرواية، ويمكن القول هنا أنّ مدونة النصوص الخاصة بالروايات السياسية تنتمي لفترة الراهنة والمعاصر التي تعبّر عن مجموعة من الأحداث التي يعيشها المؤلف، أو عاش بعضها. وقد يدوّن كاتب الرواية السياسية الزمن الخاص بالتأليف (زمن بداية الكتابة، أو نهايتها، أو الاثنين معا) في بداية الرواية أو مع نهايتها.

أمّا بالنسبة لزمن القراءة "المرتبط بالعصر الذي ينتمي إليه قارئ الأثر"²، فهو يشترك مع زمن التأليف والإنتاج؛ أي ينتمي هو الآخر إلى العصر الراهن؛ وعليه يمكن القول بأن أهم ما تتميز به مدونة النصوص الخاصة بالروايات السياسية اشتراك زمن الإنتاج الروائي مع زمن التلقي أو زمن القراءة فكاتب الرواية السياسية وقارئها يعيشان نفس الفترة الزمنية، وعليه فهما يشتركان في نفس الظروف الاجتماعية والسياسية.

2/1/2/1. الأزمنة الداخلية: اختلف زمن الأحداث للروايات السياسية من رواية لأخرى، بين

التحديد والوضوح وبين التعقيد والغموض، وهذا حسب البناء الداخلي الخاص بكل رواية كونها تخضع لسلطة المؤلف، بل أحيانا تتنوع وتتعدد مع تطوّر البناء السردى للرواية وتطوّر أحداثها، حيث عبرت أحداث رواية "حرب الفتوى" في عمومها على زمن محدد وواضح في سرد قصة الهادي وأصدقائه، وهو تاريخ مرتبط بزمن تاريخي واقعي، إذ اختار "حامد العربي" العودة إلى

¹ - خديجة غفيري، سلطة اللغة بين فعلي التأليف والتلقي، ص 43

² - ينظر: إبراهيم صحراوي، تحليل الخطاب الأدبي، ص 151

الأزمة السياسية (الحرب الأهلية) والمأساة التي عاشها الشعب الجزائري في التسعينيات وحاول طرح قضية الفتوى من خلال بناءه لعالم متخيّل الذي تجسّد في قصة الهادي وأصدقائه، وعاد بنا المؤلف إلى قلب الحدث الذي اشتعلت فيه نار الفتنة، والذي بدأت أحداثها في "أكتوبر 88" كما جاء في الرواية: "أكتوبر كان شهر الفوضى... والتغييرات الكبرى...¹ جاءت رياح التغيير ما بعد أكتوبر... جاءت رياح التغيير على أجساد أنهكتها البطالة والفقر... ليبتها لم تأت تلك الحرية الفاسدة"²، كما اعتمد الكاتب في روايته على ذكر بعض التواريخ المرتبطة بالحدث الروائي، مثل 1988 و11 جانفي 1992، و09 فيفري 1992... ويرتبط كلّ تاريخ بحدث تاريخي محدد وواقعي.

أمّا في رواية "زعيم الأقلية الساحقة" فقد جاء الزمان غير محدد تحديدا واضحا، إذ ترتبط الرواية بفترة تاريخية محددة ولا بتاريخ محدد، وكان السارد يتلاعب بين الأزمنة الثلاث الماضي فيما كان يسرده عن حياته، والحاضر والمستقبل فيما كان يخاطب به رعاياه وخصومه ومن ذلك أقواله: "كنت ملك الجزائر وما ولاها من الضواحي... عرفت في الحياة أعاليها وأسافلها، سعدت وهبطت، وذهبت بعيدا إلى حدود الحلم..."³؛ "وها أنا أجلس إلى نفسي كما يفعل أيّ ملك محترم أمام حاسبة الحياة، يجمع ويضرب، ويطرح ويقسم خصومه ومعارضيه"⁴؛ "دعوني أقل لكم أخيرا فيما يشبه الاعتراف: إنني أشعر وكأنني دائما هنا... ففي كثير من الأحيان تجتاحني تلك الفكرة الرهيبة التي تشعني أنني أفق خارج الزمن وأن أجيالا وأجيالا تولد على يدي وتموت على يدي، وكأنني هنا منذ قرون"⁵، "سأترك كرسي الحكم في الساحة العامة، وعليه يدي، هذه اليد الطويلة التي اشتهرت بها بينكم"⁶؛ "سأواصل من قبري إدارة عواصمكم وشؤونكم يا رعاياي"⁷ وجاءت هذه الأزمنة مناسبة لأحداث الرواية، مثال الحديث عن مغامراته وطموحاته في الحياة، وما عاشه من

1- رواية (حرب الفتوى)، ص 91.

2- المصدر نفسه، ص 93.

3- رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 01.

4- المصدر نفسه، ص 09.

5- المصدر نفسه، ص 186.

6- المصدر نفسه، ص 186.

7- المصدر نفسه، ص 188.

أحداث انطلاقاً من قناعاته وأساليبه في الحكم والسلطة، وما يسعى ليعيشه ويواصل فيه (السلطة والعبث)، "فالزمان أو المكان... أو الزمكانية هما من أهم عناصر الرواية... ولا شك أنّ ثمة رابطة فنيّة قويّة بين الحدث/ القضية السياسية، وبين المكان/الرحم، الذي تنمو فيه الشخصية، وبين المكان/ التاريخ..."¹

وأما بخصوص رواية "حضرة الجنرال"، فقد عبّر "كمال قرور" عن زمن أحداث الرواية بطريقة غامضة جدّاً وبطريقة معقدة، حيث جاء زمن الرواية غامض الملامح يعتره الكثير من التعقيد بين الزمن الماضي وأحداثه، وبين الزمن الحاضر ومميّزاته، حيث كان الكاتب يتلاعب في الزمن ويُمدد فيه على شكل مفارقات زمنية أو مفارقات سردية (Anachronies narratives) (التلاعب بالنظام الزمني)² وحدث هذا إلى إحساسنا بأنّ الشخصية الطاغية في الرواية "ذياب زغبى"، أو "الجنرال بعو" أنّه عاش قرورنا وقرورنا، كما ورد في قوله: "حاربت مع قورش الكبير الميديين وقدت أحد فيالق الإسكندر المقدوني الذي امتدت امبراطوريته من سواحل البحر الأيوني إلى سلسلة الهملايا شرقاً، وشاركت مع حنبعل في الحرب البونيقية الثانية. وغزت مع يوليوس قيصر بلاد الغال وفرنسا وإسبانيا. خضت حروب الردّة مع خالد بن الوليد، وفتحنا مع العراق والشام. وفتحت مع طارق بن زياد شبه الجزيرة الأيبيرية والإسبانية، وأنهينا حكم القوط والفرسيين والإسبان، وخضت مع جنكيز خان حرب القوقاز... وفتحت مع محمد الفاتح القسطنطينية، حاربت مع نابليون بونابرت الانجليز، وشاركت في حملته على مصر، وغزت مع هيتلر، شاركت مع جورج واشنطن ضد الجيش البريطاني... خضت ببسالة حرب 73 مع الجيوش العربية ضد إسرائيل، شاركت في قادية صدام ضد إيران، وحاربت ضدّ الطاغية في حرب الخليج الأولى والثانية..."³ كما نشعر أنّ أحداث الرواية جرت في العصور القديمة، والتاريخ القديم وهذا انطلاقاً من بعض الكلمات التي تعود للتراث مثل: (السيوف، الفرسان، القلعة... الخيل الخيم، القصر،

¹ - طه الوادي، الرواية السياسية، ص 16.

² - ينظر: محمد بوعزة، تحليل النّص السردى (تقنيات ومفاهيم)، ط1، الرباط (الدار البيضاء)، 2010: دار الأمان ص 88.

- حميد لحداني، بنية النّص السردى، ط3، الدار البيضاء، 2000: المركز الثقافي العربي، ص 74.

³ - رواية (حضرة الجنرال)، ص 51.

الحبشة أحمد بن قاسم الحجري...) لكن سرعان ما يعود بنا الكاتب للزمن الحاضر، وتأخذ الرواية شكلا معاصرا، فنحس بأن الشخصية الطاغية يعيش الحاضر، مثلما جاء في الرواية: "اكتب يا ماركيز تخريبة حضرة الجنرال نياي الزغبي... كما سميتها أنت بلغتك الساحرة، إذا قررت أن تنشر فصولها على "التويتر" و"الفيسبوك" ليتفاعل معها جمهور واسع من القراء، بكل تأكيد ستكون تغريدة متميزة حقا، ستنسى الشعب العظيم مغامرات سندباد....ومراوغات "ميسي"، ونطحة "زيدان"¹، يخيل إلينا أنّ حضرة الجنرال بعو" حسب ما سبق لم يعيش قرنا فقط بل قرونا وأجيالا. وقد جاء هذا التلاعب على مستوى الأزمنة والامتداد فيها مناسبا للغرض العام للرواية ألا وهو السخرية.

وفي إطار الحديث عن الزمن في الخطاب السردى الذي يعد مؤشرا سياقيا مهما في تأويل الخطاب يمكننا الوقوف على بنية الزمن وتقنياته داخل الخطاب السردى وهو ما يتعلّق بتزمين الخطاب (ترتيب الزمن وسرعته)²، إضافة إلى كونها من التقنيات الفنية، إلا أنّها تلعب دورا مهما في تأدية مقاصد الخطاب، وهذا باعتبار أنّ السارد يختار تقنيات سردية محددة لدوافع ومقاصد خطابية، ويمكننا توضيح كالاتي:

3/1/2/1. الزمن في الخطاب الروائي والأثر التداولي:

كثيرا ما يلجأ الراوي في بناء أحداث الرواية إلى خلق بناء زمني مخصوص، وهذا استجابة لدوافع مرتبطة بمقاصد الخطاب السردى والغايات المرتبطة بموقف الحدث، إذ لم يعد الزمن متوقف على التوصيف فقط، بل كذلك مرتبط بمقاصد خطابية محددة فالنظرة التداولية للزمن في الخطاب "لا تقف عند مجرد التوصيف؛ فهي يبحث عن الدوافع والمسببات والغايات المؤثرة في موقف الحدث، وتفاعل الشخصية..."³؛ ووفقا لما مر بنا في وصف الزمن في مدونة النصوص للروايات السياسية نجد أن الراوي يتلاعب ويتصرف في الأزمنة بين تأمل واسترجاع واستباق وتنبؤ، لأنه "كثيرا ما يتصرّف الراوي في ما ينقل من أحداث، فيقدّم أحيانا ويؤخر أحيانا أخرى

¹ - رواية (حضرة الجنرال)، ص 41.

² - محمد بن عبد الله المشهورى، التداولية السردية في خطاب الأقصوصة النسائية، ص 194

³ - المرجع نفسه، ص 194

ويستحضر منها ما فات ويستشرف منها ما لم يقع¹ وهذا تحقيقا لغايات مرتبطة بأحداث الرواية ، ويمكننا الوقوف عند بعض المواقف الزمنية وتأويلها كالاتي:

1/2/1/3/1. الاستحضار والاسترجاع: الاسترجاع من بنية الترتيب، وهو سرد لاحق لحدث سابق للحظة التي أدركتها القصة، فنقلة زمنية إلى الوراء في القصة يمكنها أن تغيّر فهمنا لحدث يقع بعد ذلك في التسلسل الزمني للقصة²

وفي مدوّنة النصوص تجلى الاسترجاع في رواية "حرب الفتوى" من خلال الموقف الذي جمع بين الهادي وصديقة شاطر بعد طول فراق، ولاشك أنّ هذا الموقف يستدعي وقفة وتأملا واسترجاعا وتذكر الماضي، وهذا ما جاء في الرواية: "رأى الهادي صديقه صديق الصبا شاطر... يا لها من صدفه... وجه إلى وجهها... تذكر كل شيء... مصير أمام مصير... يتذكر أبا سلاح أيام الكنيسة... أيام الصبا... تذكر كل شيء... شريط أحداث العمر... تذكر أنه تبادل مع صديقه حتى سرواله ذات شتاء... واش ببيك أبا سلاح؟... ما كاين والو مرهق فقط... أواه حالتك ما تعجبش والكفار راهم هنا!..."³؛ إن هذا الاسترجاع في الماضي الذي عاشه الهادي وتقاسمه مع صديقة جعلنا نفهم أكثر نفسية الهادي وحالته المضطربة وجعلنا نجد تفسيراً لحالته المنقلبة التي تغيّرت فجأة، وربما غيّر فهمنا لشخصية الهادي الذي لا تزال عاطفة الصداقة في داخله، كما يوقفنا هذا الاستحضار عند بدايات إحساسه بالندم.

أما في رواية "زعيم الأقلية الساحقة" فقد تجسد الاستحضار من خلال ما تذكر الملك من مقتطفات حياته... فمحاولة الملك توجيه حكام المستقبل والتعبير عن أهم قناعاته وأساليبه في الحكم استدعى بالضرورة تذكر وتأمل ماضيه، والعودة لتجاربه، وجاء هذا في قوله: "النسيان الذي أنعم الله به على البشر... يتحوّل بين يدي القضاة إلى موت بطيء ينتظر الإنسان فيه أن يمد قاض تافه يده إلى جيبه لعلّه يتذكره لكن القاضي ينسأه حتى يتعفن... غير أن تلك السنوات لم تكن بالنسبة لي بالضبط سنوات تعفن... كانت سنوات تدريب الحواس على الرؤية في الظلام بين أظلاف الظلم... قلت دائما أن مترين مربعين يكفيان في بعض الأحيان لصناعة مصير إنسان

¹ - محمد بن عبد الله المشهورى، التداولية السردية في خطاب الأقصوصة النسائية، ص 194

² - المرجع نفسه، ص 195

³ - رواية (حرب الفتوى)، ص 256

خاصة عندما ينسوه لأسبوع دون طعام فيضطر لأكل الجردان، لكن على الإنسان أن يبقى على قيد الحياة حتى ولو أكل الجردان... كان عزائي الوحيد في ذلك الليل الدائم أنني كنت بين الحين والآخر ألتقي برجال حكماء أصبحوا ربما بفعل التفاهة مجرمين... لكني تعلمت منهم كيف يمكن لليد وهي حاسة لمس معروفة أن ترى في الظلام...¹، فتفكير الملك في ماضيه يوقفنا على ما عاشه من قهر وظلم، وفي الوقت نفسه يمدنا بأسرار قوته ودوافع جبروته وغطرسته

2/3/1/2/1. التنبؤ والاستباق: الاستباق من بنية الترتيب، وهو أقرب إلى التنبؤ بمسار السرد ونتائجه وفق معطيات تتخلله؛ إذ يقوم على افتراض ما سيحصل من أحداث²، وقد اختار السارد في رواية "حضرة الجنرال" مع بدايات السرد تقديم بعض الأحداث مسبقاً للكاتب ماركيز، وذلك من أجل تأدية مقاصد خطابية، إذ حاول السارد من خلال هذا الاستباق سرد أحداث الرواية للتعبير عن يأسه واضطرابه وخوفه، حيث جاء هذا الاستباق مشحوناً بالخوف من الزمن القادم، والذي تولد نتيجة أعماله الشنيعة إزاء قبيلته، فالاستباق "يتولّد من الصراع والأزمات؛ فالأجواء الحاتّة على الاستباق يكون وقت الحذر والتحوط أكثر من غيره"³، كما جاء في قول السارد: "آه... يا حضرة الجنرال ذياب... أه يا الزغبى... يا كبدي... هذا ما زرعت يداك أيها الفارس المعمر تحصده اليوم جراحاً وحقداً وانتقاماً على أيدي هؤلاء الفتية "الثوارجية" البواسل في ربيعهم المبتسم وفي خريفك الحزين ضحايا غطرستك واستبدادك وغدرك منشدين في ساحة قصرك "الامبراطوري نشيدهم الجديد الرهيب: أيها الجنرال... أيها الشر الأعظم ارحل... ارحل... ارحل بضربة رجل واحد، ازهقوا روح ذياب الأوليغارشي الديكتاتور الغدار..."⁴

أمّا في رواية "حرب الفتوى" فقد حاول السارد مع بدايات السرد استباق أحداث الرواية لينقل لنا انفعاله وتأثره وحسرتة؛ حيث كان الاستباق سابقاً لأحداث الرواية بدافع شعوري نفسي انفعالي إذ

¹-رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص91

²- محمد بوعزة، تحليل النص السردى (تقنيات ومفاهيم)، ط1، الرباط (الدار البيضاء)، 2010: دار الأمان، ص90.

³- محمد بن عبد الله المشهورى، التداولية السردية في خطاب الأقصوصة النسائية، ص201.

⁴- رواية (حضرة الجنرال)، ص25

يقول السارد: "ثلاثة أصدقاء ووطن... ثلاثة رجال وقدر... ترتبط حياة الثلاثة برباط الصداقة وستنتهي هذه الصداقة إلى نقاش بطيء..."¹

3/3/1/2/1. الحذف والمجمل: ويكون في مواضع الاختصار في السرد؛ وهو "تسريع إيقاع السرد حين يلجأ السارد إلى تلخيص وقائع وأحداث فلا يذكر عنها إلا القليل، أو حين يقوم بحذف مراحل زمنية من السرد"²، ويحضر المجمل في رواية "زعيم الأقلية الساحقة" في بعض المواقف السردية للحكاية حيث نلمس قفز السرد على فترة زمنية من الحكاية؛ ويرتبط هذا "بتلخيص سرد ووقائع جرت في مدة طويلة (أشهر، سنوات...)" في جملة واحدة...³؛ إذ يقول السارد في مقطع سردي: "إيه... يا ماركيز... بعد قرن من توليتي السلطة "الأوليغارشية" الشمولية في "الإمبراطورية، وتسليطي سيني البتار على رقاب المواطنين وفرض الكتاب الأبيض... قررت أن أحتفل بعيد ميلاد جلوسي على عرش الإمبراطورية"... وتسجيل اسمي في كتاب (غينيس) للأرقام القياسية كأكبر معمر على كرسي "الإمبراطورية"⁴ وقد جاء المجمل هنا في رغبة السارد اختصار وتلخيص أحداث الرواية المرتبطة بتولييه السلطة والحكم على رأس "الإمبراطورية"، كما أراد أيضا أن يوقفنا عند طول المدة الزمنية التي تولاها في الحكم وهو ما يعكس حكمه الديكتاتوري واستبداده، وبالنظر إلى المقاصد الكلية للرواية، فإن اعتماد السارد على المجمل في هذا القول أدى وظيفة هامة في تنفيذ آلية السخرية.

وكذلك حضر المجمل في رواية "حرب الفتوى" خاصة في المواقف السردية المتعلقة بشخصية الهادي، ففي مواقف اعتمد السارد فيها على المجمل بدافع الوقوف عند التحولات والتغيرات التي طرأت على حياة الهادي، وهذا كما جاء في قول السارد "الهادي... يتنزه من كتاب إلى كتاب قرأ العديد من الكتب حتى تبنى آخر المطاف نتاج أفكار الإخوان المسلمين... صار أخوانجي... حتى صار داعية... صار أمير الجماعة..."⁵ وقد جاء هذا المجمل مناسبا لتأدية مقاصد الخطاب

¹ - رواية (حرب الفتوى)، ص 21

² - محمد بوعزة، تحليل النص السردى (تقنيات ومفاهيم)، ط1، الرباط (الدار البيضاء)، 2010؛ دار الأمان، ص 93

³ - المرجع نفسه، ص 93.

⁴ - رواية (حضرة الجنرال)، ص 176

⁵ - رواية (حرب الفتوى)، ص 40

والمرتبطة بتبيان تأثر الهادي السريع بالجماعات الإسلامية، وفي الوقت ذاته تبيان شدة تأثير الإخوان المسلمين على أفكار الهادي.

4/3/1/2/1.المشهد: ويُعنى بالمشهد "مواضع القصة المفصل الذي قد ينطوي على الوصف أو الحوار في مقابل السرد المجمل، وهو ينتمي إلى سرعة السرد، ويعد من أطول تقنيات استطلاعة الزمن"¹، تجلى المشهد (الاستطلاعة في الزمن) في رواية (حضرة الجنرال) فيما لمسناه في وصف السارد للمكان الذي جاء يسكنه طلبا للهدوء والراحة كما تجلى في الرواية: "...بدا المكان مخضراً على امتداد البصر، يجري في وسطه وادي كبير، خريز مياهه العذبة تعزف يومياً لحنها الجميل، تردد صداه الجبال والآفاق كل ليلة، وكلّ قيلولة حين يهجع القطيع على ضفافه زهور مترافقة وشجيرات مترافقة، وفي سمائه تحوم اللقالق والسمان والحجل... ومحاط بجبال شامخات..."²

وتجلى المشهد في رواية "زعيم الأقلية الساحقة" خاصة مع بداية السرد؛ إذ يقول السارد: "كنت ملك الجزائر وما والاها من الضواحي، أحكم مملكتي بالقوة والعبث، أمشي في أسواقها مختالاً، على رأسي تاجي وفي يدي صولجاني، محاطاً بحرسى، اثنان يسيرون أمامي في حما الحياة، واثنان يسيرون ورائي لحمايتي من ضغينة الحساد... يتدافع الناس في الشوارع للتبرك بتقبيل يدي..."، ففي هذا القول نلمس استطلاعة في الزمن، وقد جاء هذا مناسباً للتعريف بشخصية الملك العايب وتقريب صورته للقارئ.

2/2/1.المكان: يشكل المكان مكوناً محورياً في السرد، بحيث "لا يمكن تصور حكاية بدون مكان فلا وجود لأحداث خارج المكان، ذلك أن كل حدث يأخذ وجوده في مكان محدد وزمان معين"³ وللمكان دور مهم كذلك بالنسبة للرواية باعتباره الحيز والإطار والديكور الذي تدور عليه أحداثها وتحولاتها، ويمثل المكان مؤشراً سياقياً مهماً في تطور الأحداث، وسنحاول في هذا المجال رسم ملامح البنية المكانية للرواية في مدونة النصوص للروايات السياسية من خلال التعبير عن الأمكنة ومحاولة تبيان وظيفتها.

¹ - محمد بن عبد الله المشهورى، التداولية السردية في خطاب الأقصوصة النسائية، ص 198

² - رواية (حضرة الجنرال)، ص 53

³ - محمد بوعزة، تحليل النص السردى (تقنيات ومفاهيم)، ط 1، الرباط (الدار البيضاء)، 2010: دار الأمان، ص 99

1/2/2/1. المكان الأصلي: إنَّ تحديد المكان الأصلي الذي أنجزت فيه الروايات السياسية أمر صعب، فمكان الكتاب أمر يتعلّق بالمؤلف، لكن مع ذلك يمكن أن نقول أو نفترض بأنَّ المكان الأصلي الذي أنجزت فيه الروايات هو "الجزائر" باعتبارها روايات جزائرية، وأحياناً قد يصرّح الكاتب بالمكان والتاريخ الأصلي الذي بدأ فيه كتابة روايته أو أنهى كتابتها، وهذا يظهر في بداية أو نهاية الرواية، أو في كليهما، وهذا ما ذهب إليه الكاتب "محمودي حامد العربي"، حيث ذكر في بداية الرواية زمن التأليف وهو "رمضان 2010"، وفي نهاية الرواية ذكر المكان والتاريخ الذي أنهى به كتابة روايته، وهما "الجزائر العاصمة، الجمعة 25 فيفري 2011"، وفي رواية "حضرة الجنرال" ذكر تاريخ بداية كتابة الرواية ونهايتها، وهو "2012/2014". أمّا في رواية "زعيم الأقلية الساحقة" فلم يذكر شيئاً، إذ اختار "كمال قرور" إبقاء القارئ مرتبطاً بعالم الرواية.

2/2/2/1. التعبير عن الأمكنة الداخلية: نجد في الفضاء الداخلي للروايات تنوع في الأمكنة، وأحياناً يصعب التحديد الدقيق لها. ففي رواية "حضرة الجنرال" صوّر الكاتب كمال قرور أماكن عديدة ومختلفة لنقل عالم الرواية المتخيّل، ونقل أحداثها، حيث بدأت أحداث الرواية في المستشفى أين كان "الجنرال بعو" يسرد روايته للكاتب المشهور ماركيز، وهذا في قوله "هيه... غارسيا ماركيز! كاتب شهير ومتألّق أنت، ومهوس بكتابة أشهر ديكتاتوريات أمريكا اللاتينية... وأنا فارس وجنرال وديكتاتوريا "أوليغارشي" محلي، منسي، يبحث عن قلم يمنحه أضواء الشهرة... لقاءنا هنا في هذا المستشفى ليس صدفة، هو موعد من مواعيد القدر التي كثيراً ما فاجأني بها، والأکید أنّ هذا آخر المواعيد غير الرسمية".¹ حاول الكاتب في هذه الرواية تشكيل فضاءات سياقية خيالية خاصة، فقد بدأت حكاية زياب الزغبي في قبيلة (بني هلال) وقد كان جندياً وفرد من أفرادها، ثم بدأ الكاتب يسرد لنا أماكن متنوّعة مرتبطة بأحداث الرواية (كواد الغباين) المكان الذي كان مرعى لقطيع الغنم وقطيع الجمال (منفاه الإيجباري)، وكذلك القصر (قصر الزناتي)، (ساحة الهلتون)، وهو المكان الذي كانت تتصب فيه الخيام، كما تطرّق الكاتب لأماكن أخرى مثل: (بني زغبة، أسوار القلعة، الخيمة، الحبشة...)، إنّ هذه الأماكن التي اعتمدها الكاتب في هذه الرواية هي أماكن في الحقيقة يصعب تحديدها فهي أماكن غامضة

¹ - رواية (حضرة الجنرال)، ص 07.

الملاح، كما أنّ المتأمل لها يحس بأن الكاتب عاد بنا إلى الزمن الماضي، أي العصور القديمة وكأنّه متأثر بأماكن تراثية، فمثل هذه الأماكن ترتبط بعصور تاريخية قديمة، وعليه يمكن اعتبار الرواية من الزمن القديم. كما اعتمد الكاتب في بعض مقاطع الرواية على الوصف (وصف الأمكنة)، "لأنّ إمكانية الوحيدة المتوفرة للقاص أو الروائي لنقل الأمكنة هي الوصف؛ أي محاولة إعادة تشكيل الفضاءات التي جرت، أو تجري بها الأحداث المروية، عن طريق اللغة، وهو ما يستدعي توقيف السرد للقيام بهذه المهمة"¹؛ ومن ذلك قوله: "... بدا المكان مخضراً على امتداد البصر، يجري في وسطه وادي كبير، خريز مياهه العذبة تعزف يومياً لحنها الجميل، تردد صداه الجبال والآفاق كلّ ليلة، وكلّ قيلولته حين يهجع القطيع على ضفافه زهور متراقصة وشجيرات متراصة، وفي سمائه تحوم اللقالق والسمان والحجل... ومحاط بجبال شامخات..."²، وقد جاء هذا الوصف ليبيّن مدى ارتياح ذياب الزغبى فيه بالرغم من أنّه كان منفاه الإجماري، لكنّه كان مكاناً مناسباً ليستجمع قوته ولينظم أفكاره للاستيلاء على العرش و"الإمبراطورية"، وقد كان فرصة لنسيان ما خاضه من الحروب، وتبيّن في قوله: "تعبت من الحروب، وتعبت الحروب مني..³" وبالنسبة لرواية "حرب الفتوى" فإننا كذلك نجد تنوعاً في الأمكنة، حيث بدأت حكاية الهادي في وسط مدينة الجزائر العاصمة، أين يجتمع رفقة أصحابه كلّ يوم لا عمل لهم ولاهمّ، واعتمد الكاتب في هذه الرواية على اختيار وتشكيل أمكنة من الواقع، أو نقل أجزائها حسب صورتها في الواقع، وعلى هذا الأساس بدت الأمكنة واضحة ومحددة، لأنّه اعتمد أيضاً على تسمية الأماكن بأسمائها، فمثلاً نجد من هذه الأمكنة: (مطعم الروبي في الجزائر العاصمة، غابة المجابرة، مسجد الضاية في وسط البلدة، شارع سيدي نائل....)، وما يميّز هذه الرواية كذلك هو مجموع الأمكنة التي اختارها المؤلّف في روايته كونها تتناسب مع مضمون الرواية وأحداثها المتعلقة بقضية الجماعات الإسلامية فمثلاً نجد في الرواية التعبير عن أماكن مثل: (أفغانستان، الجبال، والمساجد، والسجون....)، وفي الحقيقة هذه الأماكن جدّ مرتبطة بأحداث الرواية خاصة بالهادي مع

¹ - إبراهيم صحراوي، تحليل الخطاب الأدبي، دراسة تطبيقية، ص 144

² - رواية (حضرة الجنرال)، ص 53

³ - المصدر نفسه، ص 52.

انضمامه للجماعات الإسلامية وتحوله إلى إرهابي. اعتمد "حامد العربي" على الوصف في تعبيره عن الأمكنة كقوله: "البلدة الهائجة بجموع البشر من كلّ لون وصنف" "البلدة الطيبة"، "المدينة التجارية الصرفة"، هاجت البلاد ... وتحوّلت العاصمة البيضاء إلى منطقة تجارب¹، فالكاتب يعتمد كثيرا على وصف الأمكنة لتشكيل إطار مناسب لأحداث الرواية ومن هذا يمكن القول أنّ التعبير عن المكان لا يتأتى إلا من خلال الوصف.

أمّا في رواية "زعيم الأقلية الساحقة" اعتمد الكاتب "عزيز غرمول" على التنوّع في التعبير عن الأمكنة، وهي أماكن مرتبطة بمملكة الشخصية الطاغية (الجزائر، وما ولاها من ضواحي) وهي مملكة ملك الجزائر، الذي حكم الجزائر (الشخصية الطاغية، وهي نفسها الشخصية التي تسرد عن قناعاتها في الحياة)، حيث تمت أحداث الحكاية في مملكته، وقد ارتبطت أحداثها بمجمل أفكاره وبحكمه العبثي والجهنمي، وظهر ذلك في قوله: "كنت ملك الجزائر وما ولاها من ضواحي أحكم مملكتي بالقوة والعبث"²، ولقد جاءت الأمكنة غير محددة تحديدا دقيقا، لكنّها كانت واضحة الملامح نسبيا وهذا باعتبار أنّ أحداث الرواية جرت في الجزائر وضواحيها، لكنّه مع ذلك اعتمد على الشمول والعمومية في التعبير عن مختلف الأمكنة، أمّا عن مجموع الأمكنة التي عبر عنها الكاتب فقد ناسبت كثيرا أحداث الرواية التي عالجت قضية السلطة والاستبداد والدكتاتورية، ومن هذه الأمكنة نجد: (الجزائر وما ولاها من الضواحي، شوارع مملكتي...، خزائي المكان غير الأمن مطلقا... الساحة العامة، مقاهي النهار والساحات العمومية عالم السفلة...)، كما اعتمد الكاتب على وصف الأمكنة التي عبّرت عن ذاتية الكاتب في اتخاذه أحكاما تقديرية وصفية إزاء المكان الذي أسهم كذلك في تجسيد الوظيفة الأساسية للمفوضات، وهي وظيفة السخرية كما يتّضح ذلك في قوله: "كانت المملكة تبدو أمامي يتيمة متروكة لذاتها يتلاعب شطار صغار بمكوناتها من الذهب والأوراق النقدية والتمتع الصغيرة، تتوزّع خيرات الرشوة والبيروقراطية والمحسوبية، والانتهازية، وترسانة الأخلاق القديمة الفاسدة..."³ وفي قوله: "... كانت أرضا تمتد من الماء

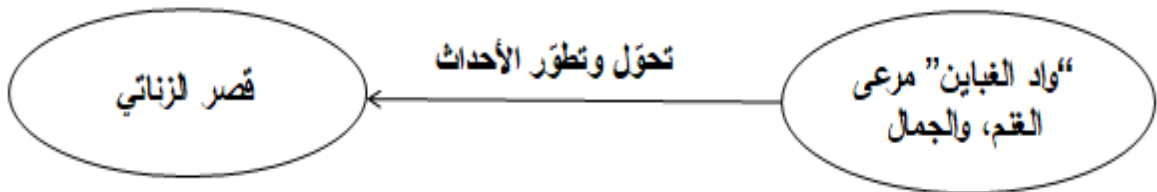
¹ -رواية (حرب الفتوى)، ص 204.

² - رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 01

³ - المصدر نفسه، ص 20.

إلى الماء تحيطها الرهبة والخضوع والقوانين الصارمة الهشاشة...¹؛ كما اتضحت من علاقة الملك بالمكان الذي تجسدت فيه علاقة إعجاب واستهواء وتملك.

3/2/2/1. وظيفة الأمكنة: ارتبط المكان ارتباطا وثيقا بالأحداث الروائية، وتطور مسيرتها فالتنوع في الأمكنة يمكن أن يكون عاملا ومؤشرا سياقيا مهما في فهم الرواية وفهم مختلف أبعادها، فلم يعد المكان كفضاء وكمسرح للأحداث الروائية فقط بل أصبح عنصرا مهما في فهم تطور الأحداث لأنها "تتجاوز في بعض المواقف وظيفتها الأساسية المتمثلة في كونها إطارا، أو ديكورا، لتصبح عنصرا مهما من عناصر تطور (الأحداث) على هذا المحور أو ذلك من محاور الرواية...²، ففي رواية "حضرة الجنرال"، لعب المكان دورا هاما في تطور مسيرة الأحداث، فمثلا وجود "ذياب الزغبى" في "واد الغباين" له حدث خاص، وهو المكان الذي نفى إليه من قبل زعماء بني هلال، ليحرس قطع الغنم والجمال، وقد اعتبر ذياب الزغبى هذا الحدث مهانة وذلك له ولكن مع تطور الأحداث تحوّل راعي الغنم والجمال (ذياب) ليعيش في القصر (قصر الزناتي)، وهذا المكان له حدث خاص به أيضا، وهو المتمثل في قتل ذياب الزغبى للزناتي وتحوّله لجنرال واستلائه على عرشه وعلى قصره، ويمكننا توضيح ذلك على الشكل الآتي:



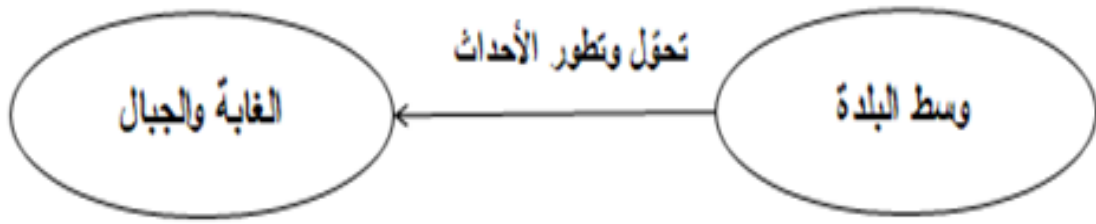
مخطط يوضح علاقة المكان بتطور الأحداث في رواية "حضرة الجنرال"

وفي رواية "حرب الفتوى" نجد الأمر ذاته، حيث لعب المكان دورا هاما في نقل الأحداث الروائية وتطورها، فالمكان هو عنصر مهم من عناصر تطور أحداث الرواية، فبالنسبة للهادي الذي كان الشخصية المحورية في الرواية، فقد بدأت قصته في "وسط البلدة" الهائجة بجموع البشر، يعيش

¹ - رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 20.

² - إبراهيم صحراوي، تحليل الخطاب الأدبي (دراسة تطبيقية)، ص 148

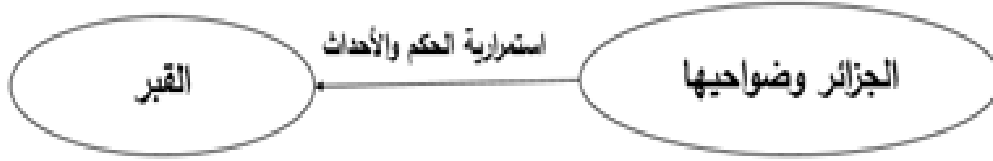
حياته مع رفاقه (شاطر وقدر)، لا حظّ لهم ولاهمّ لهم في الحياة، جمعهم الفراغ والضجر... ومع تطوّر أحداث الرواية، تحوّل المكان من البلدة التي كان يعيش فيها بين أصدقائه ومجتمعه إلى "الجبال" يقاتل أبناء شعبه، وهكذا شكّل المكان دلالة واضحة مرتبط بأحداث الرواية مع انضمام الهادي إلى الجماعات الإسلامية الإرهابية وتمرّده وانحرافه، وتحوله إلى أبي سلاح. فأين كان وأين أصبح ويمكن التوضيح بالشكل الآتي:



مخطط يوضح علاقة المكان بتطور الأحداث في رواية "حرب الفتوى"

أمّا في رواية "زعيم الأقلية الساحقة" يمكننا أن نلمس علاقة بين المكان وتطور أحداث الرواية، ولكن ربّما من زاوية مختلفة وهذا باختلاف المقاصد الخاصة بكلّ رواية فقد بيّن الكاتب في رواية "زعيم الأقلية الساحقة" شدّة حبّ شخصيته الروائية وطاغيته "ملك الجزائر" للسلطة والحكم الاستبدادي وهوسه به، إذ جعله يطمح لحكم أبديّ، وقد عبّر عن ذلك من خلال مكان خاص وهو استمرار الحكم والأحداث من "القبر"، وقد كان ذلك في قوله: "سأواصل من قبري إدارة عواطفكم، وشؤونكم يا رعاياي، وخصومي الألداء بنفس الحماس الذي أدّرت به في حياتي!!"¹ فقد كان الملك حاكم الجزائر وما ولاها من الضواحي وقد حكم مملكته بالقوّة والعبث، واستمر حكمه إلى أرذل العمر، لكنه مع ذلك فهو يطمح لمواصلة مشواره في قبرة، وانطلاقا من هذا يمكن القول بأن المكان عنصر مُسهّم في تأويل أحداث الرواية ويتضح ذلك من خلال الشكل الآتي:

¹ - رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 188



مخطط يوضح علاقة المكان بتطور الأحداث في رواية "زعيم الأقلية الساحقة"

ومما سبق كله نستنتج أنّ الإطار المكاني للرواية لا يقتصر دوره في كونها حيّز يسرد فيه الكاتب أحداث الرواية فقط، بل إنّ للمكان وظيفة هامة تتمثل في كونها مؤشر سياقي لتطور الأحداث وفهمها، وعليه فهو يُسهم في فهم الرواية عامة وتأويلها.

3/1. العلاقات التخاطبية والمعرفة المشتركة بين أطراف الخطاب:

يعبّر العالم الروائي السردى التخيلي عن أحداث ومواقف تواصلية افتراضية، تتجسّد من خلالها علاقات تواصلية اجتماعية، فالعالم التخيلي في السرد ما هو إلاّ نتاج لعلاقات مختلفة بين الأشخاص السردية التخاطبية، والتي تُسهم في بناء مختلف تأويلات الخطاب، ونفهم هذه الأحداث والمواقف لا يمكن أبداً إغفالها في دراسة الخطاب، وما تُجسّده من وظيفة تفاعلية، وما تتضمنه من دلالات ومقاصد، إذ "تعتبر هذه العلاقة من أهم العوامل التي توجّه المرسل في تبني استراتيجية خطابه الملائمة للسياق من جهة، ومن أهم الأسباب التي توجّه المرسل إليه إلى طريقة تأويل الخطاب من جهة أخرى"¹، وهذه العلاقات والمعرفة المشتركة يعتمد عليها كلا الطرفين في الخطاب فالمعرفة المشتركة هي "الأرضية التي يعتمد عليها طرفا الخطاب في إنجاز التواصل"² إذن المعرفة المشتركة ينطلق منها المتكلم ليتمكن من التأثير على المتلقي، كما ينطلق منها المتلقي من أجل تأويل خطاب المتكلم.

ويشكل تحديد العلاقة التي تجمع بين أطراف الخطاب معياراً مهماً يُسهم في فهم المواقف التواصلية ومقاصد المتخاطبين، وعلى هذا الأساس يمكن عدّه عنصراً سياقياً مهماً يضاف إلى أنواع السياقات الخطابية كونه يجمع بين المتكلم والمخاطب.

¹ - يوسف تغزاوي، الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي، ص 179.

² - المرجع نفسه، ص 179.

1/3/1.رواية "حرب الفتوى":

تجلت في رواية (حرب الفتوى) علاقات تواصلية وعلاقات مشتركة بين المتخاطبين، تجسدت في مستويات عديدة مختصة بالتلفظ السردى، ويمكن تحديدها كالاتي:

1/1/3/1.المستوى الأول: بين الكاتب والقارئ (المواطن الجزائري): حدد الكاتب علاقته التي تجمع بينه وبين القارئ، وقد بيّن ذلك من خلال علاقة القرابة والانتماء ويتمثل هذا في الأمور الآتية:

1/1/1/3/1.الوطن الواحد : يحاول الكاتب تذكير المواطن الجزائري بما يجمعهما من قواسم مشتركة؛ إذ يقول : "نحن مركّب واحد في مركّب واحد الجزائر الأم الحلوب الودود الودود...¹؛"نحن لحمة واحدة...².

2/1/1/3/1.الدين الواحد: كذلك من القواسم المشتركة الدين الواحد "نحن كلنا عيال الله ندور في فلكه ونوحده"؛ "إننا في الجزائر على جملة واحدة مسلمون على المذهب المالكي أباة وأبناء...³

2/1/3/1.المستوى الثاني (مستوى الفاعلون): وهو ما يتجلى من علاقات تجمع بين الشخصيات القصصية الفاعلة في القصة السردية والتي تظهر على مستوى التحاورات السردية، خاصة على مستوى الشخصيات الأساسية فيها، وقد تعددت العلاقات في الرواية، ولعلّ ما يميزها التحول والتغير، فما يميّز العلاقات التخاطبية في الرواية أنّها تتغيّر وتتبدّل بفعل تطوّر مسار الحكى⁴، وأهم العلاقات التي تجلت في رواية "حرب الفتوى"، علاقة شاطر بالهادي وقد جمعت شاطر والهادي علاقات مشتركة حيث تجسدت في البداية علاقة الصداقة والأخوة. كما يجمعهم المجتمع والوطن الواحد الذي يتقاسم فيه الصديقان كل شيء وهذا كما تجلى في خطاب الهادي الذي لا يزال معترفا بهذه العلاقة بها كالاتي:

¹-رواية (حرب الفتوى)، ص345

²- المصدر نفسه، ص336

³- المصدر نفسه، ص118

⁴-محمد بوعزة، تحليل النصّ السردى (تقنيات ومفاهيم)، ط1، الرباط (الدار البيضاء)، 2010: دار الأمان، ص63

1/2/1/3/1. التعايش المشترك: تتضح علاقة الهادي بشاطر في تعايشهما المشترك ذلك في قول شاطر: "أنا خوك يا الهادي... درست وترعرت معك في كنف هذه الدولة..."¹؛ "خوك شاطر قريت كامل معاك التعليم الابتدائي حتى الثانوي حتى لُفطنا إلى البطالة..."²

2/2/1/3/1. البلد الواحد والسياسة الواحدة: كذلك اتضح انتمائهما المشترك في الرواية في قول شاطر: "نحن في بلد واحد وتحكنا سياسة واحدة ونأكل من خبز واحد..."³، لكن مع تطور أحداث الرواية أصبح الصديقان يمثلان اتجاهين مختلفين في أيديولوجيتهما وتحولت علاقتهما من علاقة صداقة وأخوة إلى علاقة عدا وصدام ومواجهة وهذا التطور والتحول الحاصل الذي جاء إثر تغير الهادي وانحرافه حسب الرواية، وقد تبين ذلك في قوله: "أنت أعدى أعداء الشعب... فكيف تكون أخي..."⁴ ماشي صاحبي، من نهار لي طلعت للجبل..."⁵

2/3/1. رواية (حضرة الجنرال):

كشفت لنا الرواية مجموعة من العلاقات والمعارف المشتركة التي تجمع بين أطراف الخطاب، ويمكننا توضيحها وتبيانها في مستويين كالآتي:

1/2/3/1. مستوى الإطار العام للرواية: وهو ما جمع الشخصية المحورية "ذياب الزغيبي" بالكاتب المشهور "ماركيز، وأما عن العلاقة التي تجمعهما فهي علاقة ارتباط والتزام، وهي علاقة ديكتاتور بكاتبه بشكل عام كما يجمعهما الوضعية الأساسية المشتركة لكن بأوجه مختلفة كما في قوله: "...أنت على فراش المرض والشيخوخة والخرف، وورائك ملايين القراء المعجبين... وأنا متهاك على كرسي متحرك أعاني مثلك الخرف والزهايمر والقرف واللعنات وطعنات قاتلة، وجهها إلى جسدي النحيف المرتعش في لحظة واحدة يتامى الحقد السياسي..."⁶، أما عن المعرفة المشتركة فقد تجلت فيما يعرفه كلا الطرفين عن الآخر، إذ يقول الجنرال ذياب للكاتب ماركيز: "...كاتب

¹ - رواية (حرب الفتوى)، ص 104

² - المصدر نفسه، ص 105

³ - المصدر نفسه، ص 116

⁴ - المصدر نفسه، ص 104

⁵ - المصدر نفسه، ص 274

⁶ - رواية (حضرة الجنرال)، ص 07

شهير ومتألق أنت ومهووس بكتابة أشهر ديكتاتوريات أمريكا اللاتينية...¹ كنت عزيزي غارسيا ماركيز واحدا من أولئك الذين قدموا ترشيحاتهم، إلا أنك كنت لبقا وذكيا...²، وفي اتجاه معاكس يخاطب ماركيز الجنرال ذياب ويقول: "يسعدني أن أكتب سيرتك كونك الديكتاتور العربي المحلي الذي تجاهلته كل الأقلام، فعاش في الظل نسيا منسيا رغم أنه عمّر قرنا على رأس الإمبراطورية...سأستدرك هذا الإجحاف والتقصير في حقك..."³، وهو ما يوضح خلفيته المعرفية إزاء الجنرال ذياب الزغبى المرتبطة بحياته وحكمه.

2/2/3/1. مستوى القصة الأساسية: تتجسد في قصة الجنرال (ذياب الزغبى) مع بني هلال، ويشكل هذا القصة الأساسية في الرواية، واتّضحت في هذا المستوى مجموعة من العلاقات تجمع أطراف الخطاب الأساسيين فيها والتي يمكن التطرّق لها كآتي:

1/2/2/3/1. علاقة ذياب مع سادة بني هلال: جمع بين ذياب وقبيلته مجموعة من العلاقات جسّدت قوة الانتماء والقرابة بينهم وقد اتضح ذلك في:

1/1/2/2/3/1. الفروسية المشتركة: ظهر انتماء ذياب لقومه من خلال ما جمعهم من بطولة ونضال وقد تبين ذلك في قول الجنرال "ذياب" مستحضرا قصته للكاتب "ماركيز": "نحن أبطال الملاحم والمعامع والغزوات والفتوحات، في المشرق وفي ربوع شمال إفريقيا على الضفاف الأخرى للبحر المتوسط وتخوم الصحراء الإفريقية الكبرى..."⁴

2/1/2/2/3/1. النضال الواحد: وكذلك جمعهم النضال الواحد إذ يقول ذياب من خلال سرده قصته مع قومه: "هربنا من الجفاف والعطش والجوع. صبرنا وصابرنا وقاتلنا واستبسلنا في سبيل الهدف النبيل..."⁵؛ "...قطعنا الفيافي والقفار والجبال والسهول والوديان وخضنا مع الأحلام والانكسارات..."⁶

¹ - رواية (حضرة الجنرال)، ص 07

² - المصدر نفسه، ص 39

³ - المصدر نفسه، ص 39

⁴ - المصدر نفسه، ص 20

⁵ - المصدر نفسه، ص 20

⁶ - المصدر نفسه، ص 21

3/1/2/2/3/1.الحلم المشترك: إلى جانب نضالهم المشترك كذلك تقاسموا نفس الطموح والأحلام وهذا كما جاء في قول ذياب: "كانت الإمبراطورية العتيبة الباذخة الغلال والمرهبة للجميع حلمنا الكبير...استبسلنا جميعا في سبيل تأسيسها شبرا شبرا وحجرا حجرا..."¹، لكن كل هذه القرابة تحولت إلى حقد وضغينة وعداء بسبب المبتغى السياسي المشترك والصراع على السلطة وهو عرش "الإمبراطورية" وهذا ما اتضح في هذه الحوارات الآتية:

- "يا حسن...لقد مكنا لكم مشارق الأرض ومغاربها...لقد تعبنا فانزلوا من على عرش الإمبراطورية ودعونا نسترح عليه قليلا..."

-طموحك أكبر منك...أنت مجرد محارب جلف لا يعرف غير الطعن وقطع الرؤوس...² "لقد بغيتم يا بني هلال...ملكتناكم أرض الغرب...فأردتم الاستئثار بحكم الإمبراطورية دوننا...الآن جاء دورنا لنحكمها بسيوفنا ونسترجع حقوقنا..."³

أمّا عن المعرفة المشتركة بينهما وهو ما يعرفه كل واحد عن الآخر كما في قوله: "كانت عيون الجميع ترقبني بحذر منتظرة انفعالي وردة فعلي الطبيعي الذي يعرفه الجميع..."⁴؛ "الحكم شورى بينهم وحدهم، وهم يعرفون بالسليقة على من ينتخبون...الأفضل لي الآن أن لا أتورط في سفسطتهم..."⁵

2/2/2/3/1.علاقة ذياب الزغبى بالجازية: لقد مثّلت الجازية الاتجاه المعارض لحكم الجنرال "ذياب الزغبى" وقائدة فرسان يتامى الحقد السياسي، ويمثّل ذياب بالنسبة لها عدوّها اللدود، وقد كانت الجازية صوتا بارزا بين زعماء حلف بني هلال الذين غدر بهم ذياب: "أيها الفرسان يتامى

¹ - رواية (حضرة الجنرال)، ص21

² - المصدر نفسه، ص92

³ - المصدر نفسه، ص168

⁴ - المصدر نفسه، ص50

⁵ - المصدر نفسه، ص97

الأطهار الأبرار...الجنرال ذياب جبّار وغدار، وحتى وهو في أرذل العمر لا يؤمن، اصطفوا كما علمتكم ودربتكم صفا واحدا...واطعنوه طعنة فارس واحد...¹

3/2/2/3/1.علاقة (ذياب الزغي) بالرعية: تحددت بشكل عام في الاستبداد والخطرة والاستغلال: أنا الطوفان... وأنتم جرفي...²؛ "علمتني تجربة السجن كيف أضبط حياة "شعبي" في الإمبراطورية" مثلما تضبط حياة السجناء...الطاعة العمياء، الانضباط التام، الصوت الخافت الخفيف، التقشف والكفاف...والطموح لا يتجاوز سقف المعدة... وعلمتني تجربة الرعي أن القطيع المثالي يكفي بحقه من الماء والكلأ "القيلولة"، ويعبر عن ارتياحه وسعادته بالرقص والتزواج أو السبات العميق...³

3/3/1. رواية (زعيم الأقلية الساحقة):

كشفت لنا الرواية بشكل عام عن علاقة ملك عابث برعيته وخصومه، والتي جسدت علاقات التصادم والاستغلال والخبث، وبنيت على معرفة مشتركة لكلا أطراف الخطاب، وتتجلى هذه العلاقات والمعرفة المشتركة في:

1/3/3/1. نظرة الملك للرعية والخصوم: جمع بين الملك ورعيته علاقة الخضوع والطاعة، كما حاول الملك كشف حقيقة رعيته من خلال معرفته لهم مؤكداً ذلك في خطاب صريح إذ يقول: "أنا الملك وأعرف جيداً رعيته...⁴؛ "إني لا أدعي أبداً أن رعيته من الملائكة، بل أعتبر أنني اكتسبتهم بفضل قوتي وعبي، ولو لا يدي الفولاذية ما كان أحد منهم يعبر لي الآن عن طاعته وخضوعه...ولا أن يسبح أحد منهم الآن بحمدي...⁵؛ أمّا بالنسبة للخصوم فيقول: "إنهم

¹ - رواية (حضرة الجنرال)، ص 217

² - المصدر نفسه، ص 33

³ - المصدر نفسه، ص 34

⁴ - رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 41

⁵ - المصدر نفسه، ص 42

مجموعة من الفاسدين المنضبطين القادرين على القتل والاعتصاب والتزوير وحلف اليمين الغليظة ببراءتهم كالأطفال...¹؛ فقد سعى هنا إلى كشف حقيقة خصومه الخبيثة.

2/3/3/1. نظرة الخصوم والرعية إزاء الملك: وهو ما يعرفه الجميع عن قوة الملك وجبروته، وهو الأمر الذي يجسد المعرفة المشتركة بين أطراف الخطاب؛ وقد صرح الملك بخضوع رعيته وخصومه له في قوله: "لمس الجميع عن طيب خاطر بطشي وعبثي... حين تقبض يدي على رقبة أحدهم فلا تعيده إلى الحياة إلا مبلل السروال... يعرفون أنني رحيم حين أرحم وأستعمل على الأقل مائة يد حين أريد خنق أحدهم..."²

كذلك تجلت في الرواية علاقة أخرى ثانوية وقد مثّلت علاقة الملك بحكام المستقبل والتي تجمعها علاقة التقارب من خلال (السلطة والحكم، والفساد المشترك) اتضح هذا في قوله: "علي الآن أن أزجي بعض النصائح من كمال حكمتي للأندال القادمين الذين سيقومون بعدي بالسطو على راحة رعيّتي، مثلما قمت أنا بذلك... لكن بخصوم أقل..."³ "إنني أشجع الملوك القادمين أن يكونوا مثل الأطالس الذين تخيلهم هيرودوت، ينامون وعيونهم مفتوحة... كي لا تخدع الأحلام أيديهم الطويلة أبدا..."⁴، وقد ظهر ذلك في ما قدم لهم الملك من نصائح وتوجيهات تخص أساليب وركائز الحكم العايب، وبذلك يكون قد مهّد لهم الطريق نحوه السلطة.

2. مقام التأليف ومقام القراءة:

يعتبر السياق عنصراً مهماً في دراسة النصوص، فالسياق عنصر يؤثر في تكوين وصياغة النصوص كما يؤثر في تأويلها،؛ سواء بالنظر إلى كاتب النص، أو بالنظر إلى قارئ النص ودراستنا السياق التلّفظ في مدونة النصوص، هو مسعى إلى تقريب مجموعة من المقامات التي تحيط بهذه النصوص، وكل مقام من هذه المقامات يمثل عنصراً مسهماً في تأويل هذه النصوص والكشف عن أهم مقاصدها، فكل جزء يُسهم في الكشف عن بعض عناصرها، وأبعادها ومعالمها،

¹ - رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 50

² - المصدر نفسه، ص 53

³ - المصدر نفسه، ص 165

⁴ - المصدر نفسه، ص 175

وعليه فإنّ مقارنة سياق التّأليف وسياق القراءة لمدوّنة النصوص هو الكشف عن سياقها الخارجي الذي يحيط بها، إذن الحديث هنا عن الزمان والمكان، وكل الظروف التي أحاطت بالكاتب عند تأليفه الرواية؛ أي سيكون الحديث عن الظروف الاجتماعية، والظروف الثقافية خاصة الظروف السياسية المرتبطة بها... وهذا باعتبار المجال السياسي الذي تنتمي إليه مدوّنة النصوص التي نحن بصدد دراستها وتحليلها.

1/2. مقام التّأليف والواقع:

تجدد الإشارة هنا إلى دراسة مقام التّأليف الخاص بمدوّنة النصوص المتعلقة بالروايات السياسية التي نحن بصدد تحليلها والحديث عن عنصر مهم من عناصر مقام التّأليف، وهو عنصر الزمن، كون هذا الأخير من العناصر المهمّة التي تربطه علاقة وطيدة بكلّ المكونات الأخرى من عناصر مقام التّأليف، حيث يعكس الزمن واقع الظروف الاجتماعية والسياسية والثقافية السائدة في فترة محددة... التي في كنفها كتبت هذه الروايات؛ أي كلّ عصر من العصور يعبر عن قضايا اجتماعية، وسياسية، وثقافية خاصة به، فكل فترة من الفترات مميّزاتها وخصوصياتها... والفترة التي كتبت فيها هذه الروايات هي الفترة المعاصرة، والفترة الراهنة التي نعيشها، فرواية "زعيم الأقلية الساحقة" لعزیز غرمول، ورواية "حرب الفتوى" لحامد العربي، ورواية "حضرة الجنرال" لكمال قرور روايات كلّها تدرج ضمن العصر الحديث، أي زمننا الحالي، والتي تعكس فيه الروايات الواقع الاجتماعي والسياسي، وتعبّر عن قضايا عشناها ونتعايشها... فالرواية أصبحت اليوم مرتبطة كثيرا بالواقع، كما تعكس نظرة شاملة للحياة كونها "تسعى نحو الارتباط القوي بالواقع المعيش، مع محاولة تصوير أدقّ تفاصيله، وعكس آلامه وأحلامه- وهي تسعى نحو تحقيق ذلك- تصوّر قضاياها مختلطة بطين الأرض، ومختبّطة بقضايا الواقع"¹، كما يمكن الحديث عن كاتب الرواية السياسية، فكاتب الرواية السياسية مرتبط كثيرا بقضايا مجتمعه وواقعه لأنّ: "الروائي العربي قد أصبح اليوم هو (المؤرّخ الحقيقي) لكثير من أحداث الأمة وقضاياها"²، فهو يعبر عن واقعه ويكتب عن مختلف أحداثه.

¹- طه الوادي، الرواية السياسية، ص 05

²- المرجع نفسه، ص 05.

2/2. مقام القراءة بين ذاتية القارئ وموضوعية العصر:

يتعلق مقام القراءة بمتلقي الرواية وإذا كان عنصر الزمن من أهم العناصر السياقية المتحكمة في مقام التأليف، فإنه كذلك بالنسبة لمقام القراءة، فهو عنصر أساس في سياق القراءة، والمقصود بزمن القراءة هو الزمن الذي ينتمي إليه القارئ، وكل الظروف السياقية الأخرى المصاحبة له، "زمن القراءة" هو "العصر الذي ينتمي إليه قارئ الأثر، ذلك أن كل عصر يتميز عن سابقه- وكذلك عن لاحق- بجملة من المعطيات على الصعيد السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي، والفكري، تتأزر كلها للتأثير على التطورات العامة، ومختلف الآراء والأفكار، ومن ثم صياغة مجمل الرؤى والاتجاهات، مما يجعل النظرة لهذا الأثر أو ذاك تأخذ في الاعتبار كل هذه المعطيات"¹، وإذا كنا كثيرا ما نتحدث عن العوامل الذاتية الخاصة بالفرد، والتي تختلف فيها القراءات وتتعدد بتعدد مختلف الميولات والمشارب، إلا أنه يمكننا في هذا الإطار الحديث عن العوامل الموضوعية المتعلقة بالعصر وظروفه؛ أي -زمن القراءة- والمتحكمة في بناء المواقف لأن "العصر بمختلف مكوناته المادية منها والمعنوية، اليد الطولى في صياغة الموقف(أو المواقف) لهذا الأديب أو ذاك، أو من ذلك الموضوع، أو ذلك الآخر"² وانطلاقا من هذا يمكن القول أن هناك عوامل ذاتية وأخرى موضوعية لسياق القراءة فإذا "كانت العوامل المتحكمة في فترة القراءة ذاتية، فإن تلك المتحكمة في العصر "زمن القراءة" موضوعية جماعية تتجاوز الفرد الواحد إلى المجتمع ككل"³، فبالإضافة إلى العوامل الذاتية المتعلقة بالخاصة بالفرد، هناك عوامل أخرى موضوعية متعلقة بالعصر وبظروفه ومميزاته؛ وهنا سنكون أمام المواقف المشتركة بين القراء التي تتخذ إزاء الأعمال الإبداعية.

وبالعودة إلى سياق النص الأدبي الروائي، فإن الكاتب والقارئ لا يشتركان غالبا في نفس المقام التواصلية، مثلما يحدث في تفاعلاتنا وفي خطاباتنا اليومية، لكن مع ذلك يمكن أن يكون أحيانا اشتراك في مقام التلطف؛ أي أن يتوحد المقام الذي يجمع بين مقام التأليف ومقام القراءة؛ أي مقام

¹- إبراهيم صحراوي، تحليل الخطاب الأدبي (دراسة تطبيقية)، ص151

²- المرجع نفسه، ص152

³- المرجع نفسه، ص152

الكاتب ومقام القارئ، وهنا يمكننا الحديث عن محدد الزمن، أي أنّ زمن التأليف نفسه زمن التلقي الخاص بالقراءة، أي لا وجود للتباعد الزمني بين الإنتاج والتلقي، وعليه يشترك الكاتب والقارئ في السياق الموضوعي المتعلق بالعصر في نفس الظروف والمعالم الاجتماعية والثقافية، والسياسية... والتي يحددها هذا الزمن، وهكذا يشتركان (الكاتب والقارئ) أحيانا نفس الأفكار والتصورات، ونفس الهموم، ونفس الطموح والآمال. وهو الشيء الذي ميّز نماذج المدونة فمقام القراءة الخاص بالروايات السياسية والمرتبط بالقارئ، يتقارب بشكل كبير مع مقام التأليف - إذ أنّ الكاتب والقارئ يشتركان نسبيا في نفس مقام التلّفظ خاصة الظروف الاجتماعية والسياسية التي تميز الوقت الراهن؛ أي يمكن الحديث عن المقام المشترك بين الكاتب والقارئ فكاتب الرواية السياسية بحكم الفترة الراهنة والمعاصرة التي كتب فيها نصّه الروائي يتشارك مع القارئ في نفس المقام بحكم معايشتهما لنفس الفترة الزمنية، إذن هما يتشاركان معا نفس الواقع السياسي والاجتماعي ولثقافي، ويتشاركان معا نفس الهموم والمعاناة.

يخضع مقام التأليف الخاص في نماذج الروايات السياسية لمدونة النصوص، والذي يشترك مع مقام القراءة الخاص بالقارئ لمجموعة من الظروف الاجتماعية، والتاريخية، والثقافية، والسياسية ومن خلالها كتب العمل الروائي "فمقام التلّفظ الخاص بالكاتب-والذي يمكن أن يشاركه متلق أيضا-يندرج ضمن مؤسسة اجتماعية تجعل من الخطاب الذي يوجّهه هذا الكاتب خطابا خاضعا لظروف تاريخية واجتماعية معينة"¹ وما يميز الظروف السياسية والاجتماعية الخاصة بنماذج الروايات السياسية بشكل عام:

- الأزمات السياسية والحروب الأهلية التي عرفت الجزائر بعد الاستقلال؛
- انعدام الاستقرار السياسي والاجتماعي في الجزائر وفي الوطن العربي ككل؛
- أزمة الديمقراطية واحتكار السلطة؛ إذ أنّ أمر السلطة لا يزال محتكرا بيد فئة حاكمة معينة في معظم الأقطار العربية²

¹ - محمود طلحة، تداولية الخطاب السردية، ص 42.

² - ينظر: مصطفى بلعور، التحول الديمقراطي في النظم السياسية العربية (دراسة حالة النظام السياسي الجزائري 2008/1988)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية، الجزائر، 2010: جامعة يوسف بن خدة

- تركيز السلطة وعملية اتخاذ القرار السياسي بيد الحاكم، أو جماعات صغيرة تابعة له في معظم النظم السياسية¹

- عدم الاستقرار السياسي والاجتماعي نتيجة تدني مستوى أداء وفاعلية أجهزة الدولة ومؤسساتها والفساد المالي والإداري في النظم السياسية العربية ككل، وهو ما انعكس سلبا على حرمان المواطنين من التمتع بحقوقهم الاقتصادية والاجتماعية وغيرها، وهو ما خلق أزمة ثقة بين الحكام وشعبهم²، وهو ما يميّز الواقع السياسي والاجتماعي المرتبطين بمقامي الإنتاج والقراءة بشكل عام.

3. الزمن السردى ومسيرة أحداث الرواية:

يتعدد السياق في الخطاب الروائي بتعدد عناصره وتعدد مكوناته الداخلية والخارجية؛ إذ يمكن النظر إلى سياق كتابة الرواية (مقام التلّفظ) من خلال اعتبار مجموعة الظروف الاجتماعية والتاريخية والسياسية المصاحبة لفعل التلّفظ (كتابة الرواية) ... وهو ما يعرف بمقام التّأليف، كما يمكن النظر إلى الرواية من خلال إجراءاتها الداخلي؛ أي النصّ الروائي بحدّ ذاته؛ وما يتعلّق بإطاره التاريخي وموضوعه وأزمته وأمكنته المرتبطة بأحداث الرواية (داخل الرواية).

وفي إطار دراستنا لعناصر السياق المرتبطة بالرواية السياسية، يمكننا الوقوف عند عنصر آخر أساس في النصّ الروائي، ويتعلّق الأمر بالإجراء الداخلي للنصّ السردى وهو الحدث الروائي والزمن السردى ومسيرة أحداث الرواية، والذي يُسهّم في فهم النصّ الروائي وتأويله من حيث مضمونه وإطاره، وتطورات الحاصلة باعتباره مرتبّطاً بالحدث الروائي داخل السرد والمرتبّط بالقضية السياسية المطروحة داخل العمل الروائي، والذي يعبر عن واقع محدد ويعكسه فالحدث الروائي "لا يدور في فراغ، وإنّما يوهّم - غالباً - بأنّه يرصد تجربة إنسانية في واقع محدد، له وجود متعيّن على خريطة مجتمع من المجتمعات، لأنّ الفنون السردية من أكثر الأنواع الأدبية التي تعكس حركة الواقع وتصور مسيرة أفرادها"³

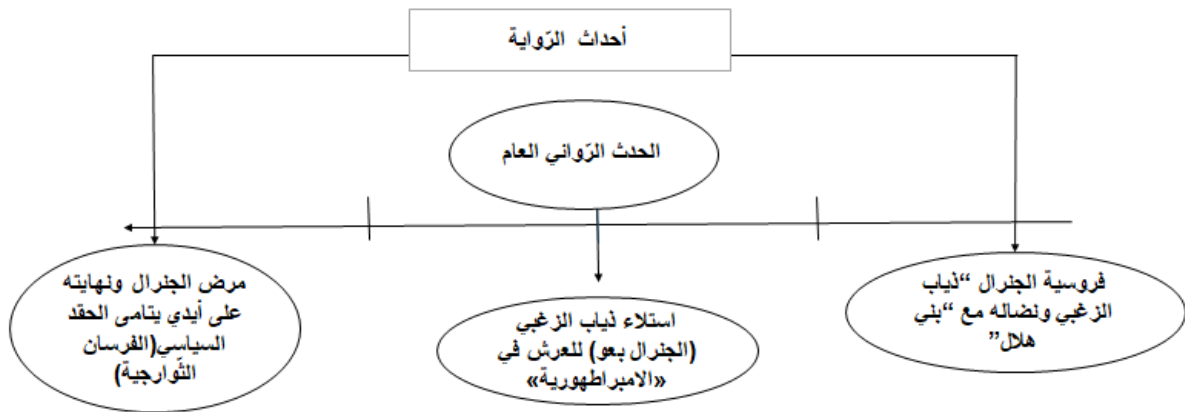
¹-، مصطفى بلعور، التحول الديمقراطي في النظم السياسية العربية (دراسة حالة النظام السياسي الجزائري 1988/2008) ص156

²- المرجع نفسه، ص181

³- طه الوادي، الرواية السياسية، ص16

1/3. رواية "حضرة الجنرال":

قدّم لنا "كمال قرور" روايته الدكتاتور "ذياب الزغبى"، في شكل سيرة ذاتية، وفي الحقيقة لم تكن هذه القصة إلا ليطرح بها قضية الاستبداد والدكتاتورية التي أصبحت من القضايا السياسية الهامة في وقتنا الراهن والمرتبطة بالواقع السياسي والاجتماعي الذي آلت إليه الأمة العربية، فرواية "حضرة الجنرال" مع أنها قصة خيالية إلا أنّها صوّرت لنا أزمة فعلية مرتبطة بالأزمات السياسية للعصر، وعلى هذا "الحكاية القصصية يمكن أن يكون لها إطار مرجعي في الواقع المعاش، وأنّها تصوّر بعض الأزمات الفعلية للبشر والرواية - إذن - عمل أدبي متخيّل، لكنّه دال على مدلول معيّن، هو الواقع الاجتماعي، وذلك يعني أنّ "الحكاية القصصية تقدّم نصف الحقيقة-إن لم تقدم الحقيقة كلّها أحيانا"¹، لكن مع ذلك يمكن أن تتعدد إزاءها (القضية السياسية) مواقف، وتتباين، وهذا بالنسبة لمجموع القراء، فقد يؤيدها البعض، وقد يعارضها البعض الآخر وهذا تبعا لاختلاف الميولات والتوجهات، والإيديولوجيات، أمّا بالنسبة للحدث الروائي في قصة الجنرال "بعو" فتمثل في تمرّده على قبيلته واستيلائه على العرش وتحوله إلى ديكاتور مهاب يزهبه الجميع. وقد جاءت القصة بشكل غير متسلسل على مستوى الأحداث وذلك لرؤى فنية ومقاصد خطابية، ويمكننا توضيح الحدث الكلامي العام ومختلف أحداث الرواية في المخطط الآتي:



الحدث الروائي العام ومسيرة أحداث رواية "حضرة الجنرال"

¹ - طه الوادي، الرواية السياسية، ص 17

2/3. رواية "حرب الفتوى":

سعى الكاتب من خلال روايته "حرب الفتوى" إلى معالجة قضية الإرهاب وفساد الفتوى من وجهة نظره الخاصة وذلك بطرح مختلف أفكاره وتصويراته التي تحمل أبعادا سياسية إيديولوجية، واختار في ذلك تصوير إطار سياقي تاريخي مستمد من الواقع، فقد ارتبطت الرواية بأحداث أكتوبر 1988 (بداية العشريّة السوداء)، وهي المرحلة العصيبة التي مرّ بها المجتمع الجزائري، وقد حاول الكاتب التعبير عن مختلف آرائه إزاء القضية من خلال بسرده لقصة الأصدقاء الثلاثة (شاطر والهادي وقدر) الذين تفرّقوا وتشتتوا بعد طول صحبة وأخوة، كما جاء في الرواية: "ثلاثة أصحاب وثلاثة أوجه للحياة... اجتمع بهم الصبا وتحولت بهم أهواء الحياة إلى طموحات مختلفة...".¹ "ثلاثة أصدقاء ووطن... ثلاثة رجال وقدر..."²؛ كان انحراف الهادي وتمرده وانضمامه للجمعات الإسلامية الإرهابية نقطة تحول في حياة الأصدقاء الثلاث، وعلى هذا الأساس يمكن اعتباره الحدث الروائي الأساس في الرواية، فرغم أنّ الرواية مليئة بالأحداث المرتبطة بتفاصيل حياة الأصدقاء الثلاث والمتعلقة أيضا بالإرهاب وفتاوى الجماعات والأحزاب الإسلامية، إلاّ أنّه يمكن أن نعتبر تحوّل الهادي إلى إرهابي ومفّتِ الحدث الأساس في الرواية، أمّا زمن مسيرة الأحداث السردية في الرواية فكان يسير في خط طولي ممتد، فالكاتب كان يسرد أحداث الرواية في تسلسل على مستوى الزمن ويمكننا توضيح ذلك كالآتي:



الحدث الروائي ومسيرة أحداث رواية "حرب الفتوى"

¹ - رواية (حرب الفتوى)، ص 17

² - المصدر نفسه، ص 21

3/3. رواية "زعيم الأقلية الساحقة":

طرحت الرواية قضية سياسية تتعلق بالدكتاتورية والاستبداد بما صوره كمال قرور في شخصيته الروائية السردية، وكانت شخصية المستبد والطاغي الذي كان يسرد أفكاره الجهنمية إزاء السلطة والحكم، وقناعاته، وأساليب حكمه، وقد جاءت الرواية كنوع خاص على غير ما اعتدناه في الكتابة السردية الروائية، خاصة بالحديث عن تسلسل الأحداث ومسيرها، فلم نلمس في الرواية تسلسل في الأحداث على مستوى الزمن، حيث بنى الكاتب روايته بشكل فني مميز، تُصوّر أفكار وأساليب الطاغية في الحكم، وقد كان ذلك كاستراتيجية خطابية للكشف عن الكثير من خبايا النظام السياسي الحاكم وشرح الكثير من التصورات والأفكار الأيديولوجية إزاء القضية، وهذا ما يدعونا للقول أن الكاتب "عزيز غرمول" غلب عليه الإقناع الإيديولوجي في روايته، فالرواية المعاصرة حين "تعبّر عن قضية سياسية فإنّها تضيف إلى وظائفها الفنية، وظيفة أخرى جديدة- لم تكن ضمن وظائفها- وهي الإقناع الأيديولوجي إزاء قضية سياسية، قد تكون حادّة وساخنة، لكن الروائي يحاول أن يقدمها بطريقة فنية هادئة حتى تقرأ من الخصوم والأنصار"¹. أما عن الزمن السردى فقد كتبت الرواية دون تسلسل على مستوى الأحداث، لكن مع ذلك يمكننا أن نلمس زمن سردي نفساني متعلق بشخصية وبنفسية الطاغية المستبد والمتعطش للسلطة، وتكبره الذي يعلو فوق العادة وهوسه الكبير بالحكم والسيطرة، وقد برز ذلك في أبعد الحدود، كما تبيّنه هذه الأقوال: "منذ البداية خطت عن سبق إصرار وترصد للاستلاء على الحكم..."²؛ "كنت ملك الجزائر وما ولاها من الضواحي أحكم مملكتي بالقوة والعبث..."³، "أنا ذاهب...أنا ذاهب أيها الناس...ربما بعد جيل أو جيلين..."⁴، "سأواصل من قبري إدارة عواطفكم وشؤونكم يا رعاياي بنفس الحماس الذي أدّرته في حياتي..."⁵، ويتضح ذلك أكثر في المخطط الآتي:

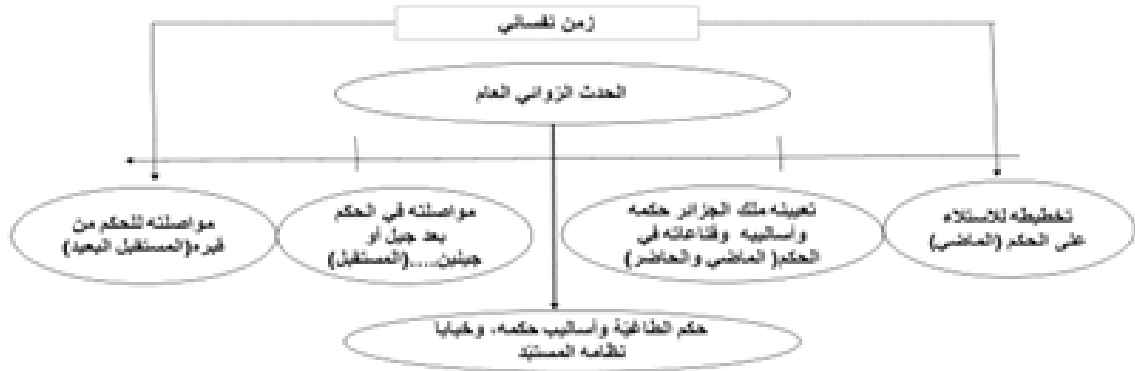
¹- طه الوادي، الرواية السياسية ص 07.

²- رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 20

³- المصدر نفسه، ص 01

⁴- المصدر نفسه، ص 187

⁵- المصدر نفسه، ص 188



الحدث الروائي العام ومسيرة أحداث رواية "تزعيم الأقلية الساحقة"

يتضح من خلال هذا المخطط أنّ الكاتب "عزيز غرمول" أراد دراسة شخصية الديكتاتور من الداخل وحاول التعمق فيها، وقد كان ذلك بما سرده عن شخصيته الطاغية ملك الجزائر وقناعته السياسية وأفكاره التي تتطلع للمستقبل ومواصلة الحكم، وعلى هذا الأساس يرتبط الحدث الروائي بموضوع الرواية ككل والمتعلق بحكم الطاغية وأساليبه في السلطة وخبايا نظامه المستبد.

وفي العموم اهتم هذا المبحث بالإطار السياقي للتواصل الروائي وبنيته التداولية، والذي من شأنه أن ينيّر جوانب مهمة في القراءة التداولية لمدونة النصوص، وإن أهم ما أفضت إليه الدراسة في هذا المبحث؛ هو الكشف عن أهم المعطيات التواصلية لنماذج الروايات، وذلك بفضل ما تجلّى من دراسة مكوناتها وعناصرها السياقية؛ وبما تتضمنه من الأقطاب العملية التواصلية وزمانها ومكانها والعلاقات التخاطبية بين الذات المتلقّظة، وكذا من خلال ربط الروايات السياسية وتقريبها بمقام التأليف والقراءة المرتبطين بالواقع السياسي والاجتماعي ومن ذلك يمكننا القول أن الخطاب الروائي شأنه شأن أنواع الخطاب في مكوناته التلفظية فهو يقع أيضا ضمن معطيات التلقّظ من متلفظ ومستمع، وملفوظ وظروف إنتاج التلفظ، وهو ما يجسد بنيته التداولية التي تنطلق من الفعل السردية الذي ينجزه الكاتب.

المبحث الثاني

القصدية التداولية في الخطاب الروائي السياسي

تمهيد: يعتبر المقصد أساس كل عملية تواصلية؛ إذ لا يخلو أي خطاب من مقاصد محددة، وقد ارتبط مفهوم المقصد في الخطاب الأدبي عموماً بتجاوز المعاني الحرفية للخطاب ليرتبط بالمعاني الضمنية والخفية للمفوضات، وهذا مقارنة له بالخطاب التواصل العادي؛ فالخطاب الأدبي كثيراً ما يتجنب التعبير بالشكل المباشر للخطاب؛ إذ يلجأ الأديب أو المؤلف أو الشاعر... إلى التعبير عن مقاصده عبر الدلالات والأفكار الضمنية من خلال التعبيرات المجازية والخيالية.

وبخصوص الخطاب الروائي فإنه كذلك يرتبط بمقاصد ضمنية وغير مصرح بها تتطلب استكشافها من قبل القارئ عبر آليات استدلالية وتأويلية، وذلك نظراً لاتساع الأفق الفني للمؤلف وتوظيف الرمز والخيال بشكل عام.

أما الرواية السياسية التي أصبحت محورا هاما من محاور الخطاب الأدبي الروائي المعاصر فإن الكاتب أو المؤلف يقوم بتصوير عالمه الإبداعي بطريقته الخاصة، يعكس فيه رؤيته لواقعه من خلال تقديم أفكار وقناعات إيديولوجية تكون في الغالب بشكل رمزي غير مباشر وإن كان كاتب الرواية السياسية يعتمد على التصريح والخطاب المباشر في نصه أحيانا، لكن مع ذلك فإن الضمني يلعب فيه الدور الغالب، ويكون ذلك أساسا بفضل توظيف عنصر التخيل بشكل عام أو بتوظيف الإيحاء والمجاز كما يمكن الاستعانة بالخرافة والأسطورة أحيانا عن طريق تصوير عالم خيالي لي طرح فيه الكثير من القضايا السياسية؛ فكثيرا ما يلجأ المؤلف إلى الكتابة لتقديم الكثير من الأفكار والتصورات والحقائق السياسية بطريقة ضمنية غير مباشرة، وعلى هذا فإن كاتب الرواية السياسية يستطيع طرح رؤيته للعالم من خلال السرد... لإيصال أيديولوجيته السياسية بطريقة غير مباشرة¹.

وبالعودة للحديث عن القصدية الأدبية، يمكننا الوقوف عند نقطة مهمة تتعلق الأمر بفعل القراءة ومسيرته حيث "ارتبط فعل القراءة في التاريخ الأدبي العربي وغير العربي غالبا بفكرة النقاط مضمون الرسالة من النص.... وأن مفهومي النص والمعنى النصي، كانا دالين دائما على

¹ - ينظر: طه الوادي، الرواية السياسية ص 05

مضمون ثابت¹ إذ تمسك النقاد كثيرا بالدلالة الثابتة والمضامين النهائية، والفهم المشترك... ولكن سرعان ما تغيرت هذه الفكرة السائدة عند الدارسين والباحثين المحدثين مع الدراسات الأدبية والنقدية المعاصرة من فكرة الدلالة الثابتة إلى فكرة التأويل؛ فمن أبرز مميزات الخطاب الأدبي عموماً، "قابليته للتأويل وتعدد المعنى، مما يجعل من الحكم على معنى النص أمراً نسبياً، لا يمكن الجزم به، مما يعني تعدد المعنى بتعدد القراءة للنص"²، وقد تمسك الباحثون بفكرة التأويل وذلك لمجموعة من الاعتبارات:

- إنَّ العمل الأدبي حقيقة دلالية معقدة، ومتعددة الأبعاد، ولهذا السبب مسألة هويته لن تعرف جواباً وحيداً؛³

- لا تستطيع القراءة الواحدة الظفر بكل دلالات النص، لأنَّ هذه الأخيرة متنوعة ومتعددة فليس هناك "قارئ أو ذات تستطيع إيقاف النص"، فهناك دائماً شيء لم يفهم بعد، إذ يستحيل الفهم الكلي والنهائي؛⁴

- إنَّ فكرة الدلالة الثابتة للنص الأدبي تتعارض بشكل واضح مع واقع الأمر الذي يشير إلى أنَّ هذه النصوص لها خاصية جوهرية وهي قابليتها على الدوام لأنَّ تُقرأ في كل العصور من زوايا مختلفة وجديدة، وذلك في ضوء التطورات الحاصلة في تقدّم الفكر بشكل عام، هذا فضلاً عن كون قراءتها في العصر الواحد تشهد اختلافاً بين الجماعات والشرائح الثقافية⁵؛

- إنَّ المنظور الإيديولوجي الذي يحكم العمل الأدبي (يحكمه وينقله المؤلف بطريقة غير مباشرة) أبعد ما يكون عن التّحديد، وتحديدّه يحتمل أكثر من تأويل.⁶

ومن هذا كلّه نجد من الباحثين من دعا إلى ضرورة استبدال علاقة الفهم من القراءة بعلاقة بالتأويل منها، وهذا الاستبدال يكون في الخطابات الأدبية بوجه خاص.

1- حامد لحداني، القراءة وتوليد الدلالة (تغيّر عادتنا في قراءة النص الأدبي)، ص 05

2- ميلود مصطفى عاشور، القصديّة في النصّ الأدبي (دراسة لسانية)، مجلة الرّواق، السنة 1، ع1، جامعة لندن للدراسات

العليا بالمملكة المتحدة، 2015؛ مركز البحوث والدراسات، ص 120

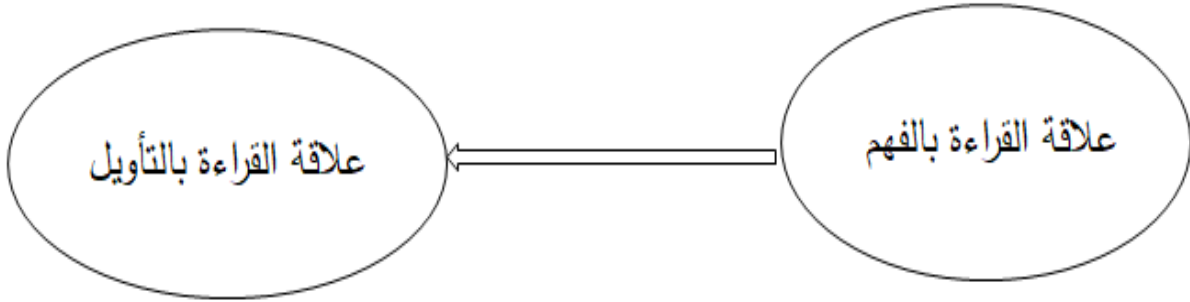
3- كاهنة دحمون، تداولية الخطاب السردى بين القديم والحديث، ص 26.

4- خديجة غفيري، سلطة اللغة بين فعلي التأليف والتلقي، ص 40

5- المرجع نفسه، ص 07

6- زهية حمو الحاج، قضايا التداولية والخطاب، ص 229.

❖ مخطط يبين ضرورة استبدال علاقة القراءة بالفهم بعلاقة القراءة بالتأويل في قراءة النصوص⁽¹⁾



وعلى هذا الأساس ارتبط فعل قراءة النصوص التخيلية والأدبية عامة كثيرا بالتأويل لأنه "يتدرج عادة من فهم النصوص التي لها ارتباط بتلبية الحاجيات التواصلية اليومية إلى تأويل النصوص التي يتجاوز بناءها واستراتيجياتها تلبية هذه الحاجيات، حيث نتقلنا إلى مستويات أرقى من التفاعل لنعبّر عن ردود أفعالنا النفسية وآرائنا واقتراحاتنا باعتبارنا قراء، فحياة الإنسان اللغوية لا تستدعي دائما أن نُفهم فقط، بل تحرضه في كثير من الحالات على أن ينفعل ويؤوّل ويقترح ويغيّر، والنصوص الأدبية أكثر إثارة لهذه الملكات فهي حافز يتميز بتشغيل القدرة التفاعلية والإنتاجية لحظة القراءة من خلال عملية التأويل"².

وقد أوّلت الدراسات الأدبية والنقدية المعاصرة عموما عناية فائقة للتأويل والقراءة، أي: القارئ أو المتلقي وعلاقته بالنصّ باعتباره الممارس لفعل القراءة والمؤول للخطاب، ومع هذا لا يمكن غض النظر أو الاستهانة بالأطراف المُسهمّة في التأويل والوصول إلى مقاصد الخطاب انطلاقا من سلطة النصّ والمؤلف والسياقات المختلفة التي أحيانا تُسهّم في التقريب بين مختلف القراءات فحضور سلطة النصّ والسياقات النصّية الداخلية ضروري في كثير من الأحيان للتقارب بين القراءات المختلفة فضلا عن كون "السياقات الاجتماعية والحضارية تسمح دائما بتأويلات محددة تشترك فيها وتلتقي عندها شرائح كاملة من القراء في عصر من العصور دون أن يغيب الاختلاف بشكل عام"³.

¹-ينظر: حامد لحداني، القراءة وتوليد الدلالة (تغيّر عادتنا في قراءة النصّ الأدبي)، ص70

²-المرجع نفسه، ص70

³-المرجع نفسه، ص07.

وبالعودة للتداولية فقد أدى ظهورها إلى الانشغال أكثر بمسألة القصد والتأويل؛ حيث "اهتمت التداولية اهتماما بالغا بقصدية النص؛ إذ تعد القصدية محورا هاما من محاور التداولية"¹، حيث انشغلت التداولية بقضايا الخطاب والتواصل في علاقتها بالقصدية، إذ أنّ مفهومها يرتبط بمقصديّة الخطاب، "التداولية فرع من فروع علم اللغة يبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم"²؛ وذلك باستغلال عناصر السياق المرتبطة بالعملية التواصلية.

وقد طرحت التداولية إشكالية التأويل والبحث عن مقاصد الخطاب من منطلق جديد مرتبطا بالسياق التواصلية للخطاب؛ ويكون ذلك انطلاقا من مجموعة من المعايير المقامية والسياقية والعلاقات التخاطبية التي تحكم العملية التواصلية؛ إذ تجاوزت التداولية المعاني الحرفية للوصول إلى مقاصد المتكلم أو النص؛ إذ أنّ "الدراسات التداولية لا تعتمد في الوصول إلى مقاصد المتكلم على المعنى الحرفي للنص فحسب، بل تدرس المعنى الذي يرمي إليه المتكلم أو النص، وفق اعتبارات عدّة، استنادا إلى هوية المنتج، ومكان الخطاب وزمنه والظروف التي تكتنف الخطاب"³، كما اهتمت القصدية التداولية بالخطاب غير المباشر وعدته من آليات واستراتيجيات خطاب المتكلم للتعبير عن قصده؛ فتوسع الدراسات التداولية "لم تقف عند حدود المعنى الحرفي للخطاب، أو عند انجاز الفعل بشكله اللغوي المباشر كما عند "أوستين" و"سيرل" في جانب من نظريتهما، بل اهتمت بالمعنى التداولي، وكيفية التعبير عنه بالفعل اللغوي غير المباشر، وهذا ما يمثل إحدى استراتيجيات الخطاب لتعبير المرسل عن قصده"⁴،

وبخصوص الخطاب السردى والأدبي بشكل عام فقد ارتبطت مقاصده بالوقوف على مسألة السياق، إذ "تتعامل المقاربة التداولية مع النص الأدبي والنص الإبداعي باعتباره مقصدية سياقية ينبغي استحضارها بغية تأويل النص تأويلا صحيحا وسليما"⁵؛ وهذا يعني أنّ السياق عنصرٌ مهمٌ في توجيه التأويل والوصول لمقاصد الخطاب.

¹- ميلود مصطفى عاشور، القصدية في النص الأدبي (دراسة لسانية)، ص 112.

²- المرجع نفسه، ص 112.

³- المرجع نفسه، ص 114.

⁴- يوسف تغزوي، الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي، ص 78.

⁵- جميل حمداوي، التداوليات وتحليل الخطاب، ط 1، 2015: مكتبة المثقف، ص 35.

عموما إن الحديث عن الخطاب الأدبي بما فيه النصّ الروائي هو حديث عن مقاصده ومضامينه، وللوصول إلى مقاصد النصّ لابدّ من الاستناد إلى مجموعة من المعايير والعناصر السياقية والأدوات الإجرائية المعرفية التداولية التي تؤدي إلى أفكار هذه النصوص والتعمق في أيديولوجياتها، من أجل فتح باب التأويل، وكلّ هذا يُسهم في إنشاء علاقة بين النصّ والقارئ بتعاون القارئ مع الكاتب في التفاعلية الإنتاجية والإبداعية للعمل الأدبي.

إنّ الحديث عن مقاصد الرواية يستدعي الحديث عن عناصرها المقامية المشكلة لها ودراسة مقاصد الرواية معناه اقتحام الرواية والدخول في عالمها، والتعمق في أهم مضامينها من خلال دراسة كلّ العناصر، والمؤشرات المشكلة لها، وعلى هذا آثرنا الوقوف على إشكالية «عنوان الرواية» فأول شيء يمكن أن يوجّه القارئ للعمل الروائي هو العنوان، فالعنوان يمثّل مؤشرا مهما وبارزا من عناصر الرواية، لا يمكن إغفاله في دراسة ما يتصل بالنصّ الروائي من قضايا ومعالم، فالعنوان يمهد الطريق أمام القارئ للدخول إلى عالم الرواية فالعنوان "مفتاح أساسي للدخول إلى تفسير عالم النصّ الأدبي"¹ كما أنّه يفتح باب الدخول إلى عالم الرواية، أو النصّ.

1. عنوان الرواية: الدلالة، والرمز، والتأويل:

تعتبر قضية المعنى من أهم القضايا التي شغلت اهتمام الباحثين والنقاد - قديما وحديثا- فقد اهتمت بها مختلف الدراسات اللسانية والأدبية والنقدية، وقد شكلت التداولية كآخر الدراسات اللسانية المعاصرة تيارا بارزا في تحليل مختلف النصوص، والبحث عن معانيها، والكشف عن أهم مقاصدها الكامنة، والبحث في أغوار معاني الكلام في ظل مسارات سياقية مرتبطة بعملية التخاطب والتواصل من خلال فعل الكتابة. وفي إطار تحليلنا للنصوص الروائية في ضوء هذا المنهج بما يحمله من إجراءات وآليات للفحص والتحليل، ارتأينا الوقوف عند عناوين الروايات باعتبار العنوان هو القوة التأثيرية الأولى التي ينفعل لها القارئ، والذي يعبر أحيانا عن الكل الجامع.

يعتبر العنوان ملفوظا لغويا حاملا لمقصد معين ومرتبطا بمضمون النصّ وبأحداثه، كما يشكل الصلة الأولى والمؤشر الأول الذي يعمل على ربط القارئ بالنصّ، وبالحديث عن الرواية فإن

¹ - طه الوادي، الرواية السياسية، ص14

العنوان يحمل سر النص الروائي إذ "يشكل العنوان سر الملفوظ الروائي وينتج لفأئته"¹، أي يعد جزءاً من استراتيجية الكتابة والقراءة "فالعنونة جزء لا يتجزأ من استراتيجية الكتابة والقراءة، لما لها من قدرة على قنص القارئ وإشراكه في لعبة الكتابة، ويمكن القول أنّ فهم العنوان جزء لا يتجزأ من أي محاولة تروم فهم النص الروائي وتأويله"²، كما ذهب الباحثون إلى "اعتبار أن العنوان وكذا العناوين الفرعية مؤشرات تساعد على الوصول إلى المقصديات الإخبارية الشاملة للنص"³، فالعنوان مؤشر فعال في فهم وتقصي موضوع النص؛ إذ يعكس بصورة واضحة فحوى النص، وهناك من ذهب إلى أنّ "اعتبار أن العناوين والفصول... التي نجدها داخل الخطاب تدخل ضمن المقصديات الوسيطة (Intermédiaires)، والتي ترتبط بمستويات التنظيم النصي فتتظيم النص، تقسيمه... يلتقي جزئياً بمستويات مقصدية المتكلم، والتي يستطيع هذا الأخير إعادة بنائها، لهذا فإنّ التقسيم الذي نجده في صفحات مؤلف ما، هو بمثابة مساعدة القارئ للوصول إلى تشكيل فرضيات حول المقصديات الإخبارية الوسيطة، وبالتالي الوصول إلى المقصد الإخباري الشامل"⁴، ويمكننا تحليل عناوين الروايات الخاصة بنصوص المدونة التي نحن بصدد دراستها كالآتي:

أطلق الكاتب "حامد العربي" روايته تحت عنوان "حرب الفتوى"، "وإنّ اختيار هذا العنوان من قبل الكاتب عموماً عملية غير اعتباطية، بل هي مقصودة"⁵ ويتشكّل هذا العنوان من لفظين "حرب" و"الفتوى"، وإذا بحثنا عن معنى ودلالة الكلمتين - المعنى المعجمي -، فإنّ كلمة (حرب) في لسان العرب هي "تقيض السلم..."⁶؛ فالحرب تعني "قتال بين فئتين"⁷؛ أي تحمل معنى القتال والهلاك

¹-مولدي بشينية، علاقة العنوان بقضية المعنى في النص السردى، أعمال ندوة: النص السردى وقضايا المعنى، ط1،

المملكة العربية السعودية، 2016: نادي القصيم الأدبي، ص135

²- المرجع نفسه، ص145.

³-حياة مختار ام السعد، تداولية الخطاب الروائي من انسجام الملفوظ إلى انسجام التلفظ، ط1، عمان، 2015: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ص248.

⁴- المرجع نفسه، ص67.

⁵- مولدي بشينية، علاقة العنوان بقضية المعنى في النص السردى، أعمال ندوة: النص السردى وقضايا المعنى، ط1،

المملكة العربية السعودية، 2016: نادي القصيم الأدبي، ص135

⁶- ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، لسان العرب، -بيروت، ط3، ج1، 1414هـ. دار صادر.

⁷- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط5، جمهورية مصر العربية، 2011: مكتبة الشروق الدولية.

وكلمة (الفتوى) معناها "الجواب عما يُشكّل من المسائل الشرعية أو القانونية والجمع فتاوى أو فتاوى"¹ أي تبيان مختلف الأحكام خاصة ما يتعلّق بأمر الشرع والدين؛ فالفتوى تعني إبداء الحكم في مختلف المسائل، وإذا نظرنا إلى دلالة الكلمتين مجتمعتين أي الملفوظ في شكله العام (حرب الفتوى) فإنّه يحمل معنى يظهر في القول مباشرة، ومعنى آخر متضمنا في القول، فأما الأوّل فهو معنى يحمل تسمية وخبر ومضاف إليه ليعرّف به الكاتب عن واقع معين للدلالة عن نوع آخر من أنواع الحروب غير المألوفة والذي تكشفه الرواية، أمّا المعنى الآخر والذي يتمثّل في المعنى المتضمّن في القول، فهو مرتبط بمقاصد الرواية، وعليه يمكن تأويل الملفوظ على أنه استنكار. كما يرتبط بأوجه الاستفهام والغرابية، فالفتوى عادة تنبثق عن علم واجتهاد ودراية، وتقريبا تكون موحّدة بين الفقهاء، وعند أهل العلم والدين لكن ما يحصل في الواقع بعيد عن العلم وهذا ما يحاول الكاتب أن يبيّنه من خلال ما تعكسه الرواية، فإضافة الكاتب كلمة الفتوى لكلمة حرب أصبحت النظرة للفتوى نظرة مغايرة عما هو مألوف؛ وحينئذ يمكن وصف هذه الفتوى بالتعدد والتنوع والفوضى، بل أكثر حيث يمكن وصفها بالتصادم والقتال وتضارب الأفكار، وإنّ اختيار الكاتب للفظه الحرب فذلك يفيد تعميق الرؤية، فكان بإمكانه اختيار مثلا (تعدد الفتوى) (تضارب الفتوى)، لكن اختار كلمة (حرب) لتقريب وتعميق الفكرة للقارئ، فالفتوى لم تقف عند اختلافاتها فقط، بل ذهبت لأبعد حدود التصادم والتضارب والذي تجسّد في الحرب والقتال.

وإذا أردنا التعمق في مقاصد الكاتب بغرض تأويل عنوان الرواية فالعنوان يمثل فعلا كلاميا غير مباشر يرتبط بدعوة القارئ لاجتتاب الفتوى الفاسدة والمنحرفة التي تفتيتها الجماعات الإرهابية، فكلمة حرب تحمل رمزا ودلالة الفوضى والهلاك، وبذلك تستدعي الابتعاد والحذر، فإذا كانت الحرب في دلالتها الطبيعية تستدعي النفور بما تخلقه من فوضى واضطراب واللامن، فكذلك الأمر بالنسبة للفتوى، فتصادمها وتضاربها تجعل المفتي له في تشتت، إذ يحترق أي فتوى يتبع وأي فتوى يجتنب، وهو أمر يضعه في حلقة مفرغة يجد نفسه في مفترق الطرق، وهذا ما أكّده

¹ - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط.

الكاتب في الرواية إذ يقول: "إذا كان الدين الواحد لا يوحدكم ولا يسبغ عليكم لونه الواحد... فكيف نصدقكم ونطمئن لكم؟"¹

وبالرغم من أنّ عنوان الرواية، لم يظهر فيه موقف الكاتب بشكل صريح، لكنّه تضمن فيه معانٍ ومواقف ضمنية خفية، غير واضحة بشكل مباشر فإذا "كان سيرل يقرّ تقسيماً لأفعال اللغة أو الكلام إلى أفعال تقريرية أو واصفة، وأفعال أخرى إنجازية، فإنّه في الوقت نفسه يرى أن كل قسم من قسيمي الأفعال، قد تقتزن فيه دلالة العبارة الظاهرة بدلالة أخرى خفية، أو غير ناطقة بصريح المعنى"²

وانطلاقاً من هذا كله يمكننا تقديم قراءة تداولية للعنوان³ (رواية حرب الفتوى) كآلاتي:

-الفعل الكلامي: حرب الفتوى، ويتكوّن من:

-الفعل القولّي: يتعلّق بجملّة اسمية خبرية تخبرنا عن حرب وتصف واقعا معينا

-الفعل الإنجازي: الفعل الإنجازي هو الذي يقتزن فيه المضمون بالأداء، أو هو ما نقول به على سبيل التحقيق الفعلي⁴، ويتجسّد في هذا الملفوظ المتمثل في عنوان الرواية، نوعان من قوى إنجازية "قوة إنجازية حرفية، وقوة إنجازية مستلزمة، ويكون التمييز بين هاتين القوتين على أساس أن الأولى مدلول عليها بصفة مباشرة بصيغة العبارة، في حين أن القوة الثانية تتولد عن الأولى طبقاً لمقتضيات مقامية معيّنة"⁵، ويمكننا تمثيلهما كآلاتي:

-قوة إنجازية حرفية: وهي إخبار عن حرب، ويتعلّق الأمر بالفتوى

¹- رواية (حرب الفتوى)، ص 374

²- نواري سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي، ط1، الجزائر: 2009، دار الحكمة، ص 88

³- عبد الحكيم سحالية، تداولية أفعال الكلام في الخطاب الروائي لأحلام مستغانمي، دراسة في عابر سرير ونسيان كوم ص 33.

⁴- نواري سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي، ص 88.

⁵- أحمد المتوكّل، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، ط1، المملكة المغربية، 1993: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ص 21

-قوة إنجازية مستلزمة: وتتمثل فيما تستلزمه هذه الفتاوى من تضارب وتعدد وفوضى ودمار وقتال وموت، وتصدر من مختلف الجماعات والأحزاب الإسلامية الإرهابية، وعليه فهي دعوة إلى تركها وتجنبها.

-الفعل التّأثيري: وهو الأثر ورد الفعل الذي يصدر من المتلقي، ويقصد به الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في السامع، سواء أكان تأثيراً جسدياً أم فكرياً أم شعورياً¹، أمّا بالنسبة لعنوان هذه الرواية فيظهر الفعل التّأثيري له بما يثيره من جذب القارئ لقراءة الرواية، وزرع الفضول فيه في معرفة هذا الواقع الذي كانت الفتاوى سبباً في اضطرابه ودماره.

كما نجد عنوان هذه الرواية (حرب الفتوى) عنواناً فرعياً آخر، يمكن أن يضيف عوالم أخرى مفترضة، وقد تمثّل هذا العنوان الفرعي في جملة: "...أو ثلاثة رابعهم كلبهم"، وعند قراءة هذا العنوان، فإن أول شيء يتبادر في ذهن القارئ هو سورة الكهف، أمّا عن إدراج الكاتب لهذه الآية الكريمة في عنوان روايته فهو في الحقيقة أمرٌ يصعب تأويله؛ لأنه يوقع القارئ في التباس؛ حيث يمكن تأويله على أنه تذكيرٌ للقارئ عن أمر الخائضين في أمر عدد فتية أصحاب الكهف، وقد كانت أقوالهم مجرد فتاوى وأقوالاً بلا يقين ولا علم، فيجسد بذلك الكاتب من خلاله صور الفتاوى من غير علم ولا دراية، كما يمكن أن يتعلّق مقصده بمضمون القصة والبعيد عن التأويل الديني لكن الأكيد أنّ اقتباس الكاتب لهذه الآية لم يكن اعتباطياً، وعلى هذا الأساس فإنه يمكن تأويل هذا العنوان على أنه ملفوظ يحمل دلالة ضمنية غير مباشرة، كما أضاف هذا العنوان جانباً من الجاذبية والإثارة، وهذا لشدّ انتباه القارئ، فالعنوان جاء مثيراً وصادماً بشكل يجذب القارئ لقراءة محتوى الرواية.

أمّا الكاتب "كمار قرور" فقد اختار لروايته عنوان بارزاً "حضرة الجنرال" كعنوان بارز لروايته ويتألف هذا العنوان من لفظتين متقاربتين دلالياً، فكلمة (حضرة) هي: "التعبير عن المكانة"² أي التعبير عن مكانة ومنزلة الشخص المرموقة، وهو لقب يطلق للاحترام والتشريف، وكلمة (الجنرال)

¹ - عبد الحكيم سحالية، تداولية أفعال الكلام في الخطاب الروائي لأحلام مستغانمي، دراسة في عابر سرير ونسيان كوم ص33.

² - ينظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط.

رتبة عالية بالجيش والشرطة والدرك، وعليه يكون المعنى الجامع إشارة إلى التقدير والاحترام والتشريف لشخصية ما، خاصة بحضور كلمة "حضرة" والتي ترمز لشخصية مرموقة ومحترمة تستحق كل معاني التقدير والسمو، وهذا ما يحمله المعنى المباشر للعنوان، وعند ولولجنا للرواية يتضح لنا عكس ما كان معتقداً، فبمجرد أنّ الشخصية التي استهدفها الكاتب هي شخصية محارب مستبد ومتمرد ومغرور سعى لأن يستحوذ على السلطة والحكم بكل الوسائل، خان وتمرد على عشيرته، قتل رفاقه بدون رحمة ولا شفقة، استبد برعيته... يمكن حينئذ استنباط وتأويل معنى آخر ضمني يحمله العنوان يبتعد كل البعد عن معناه المباشر ليشتمل على معنى التكبر والتعالي والجبروت، وعليه يحمل اللقب كل معاني الزيف والاحتقار وهذا محاولة للكشف عن حقيقة هذه الشخصية التي جاءت كرمز للطغيان والاستبداد والديكتاتورية. كما يمكن أن نلمح في اختيار الكاتب لهذا العنوان جانبا واضحا من السخرية طغى على المضمون العام للرواية التي كانت نقدا للواقع السياسي.

ويمكننا قراءة العنوان البارز للرواية وتأويله كالاتي:

-الفعل الكلامي: حضرة الجنرال، ويتكوّن من:

-الفعل القولي: جملة اسمية ترتبط بذكر شخصية معيّنة

-الفعل الإنجازي: ويتضمن نوعان من القوة:

-قوة إنجازية حرفية: تتمثل في تقديم شخصية ذات منزلة محترمة وسامية تستحق كل التقدير والاحترام.

-قوة إنجازية مستلزمة: ويتعلق الأمر بما يستلزمه الملفوظ من تكبر واستعلاء وجبروت، وعليه يكون رمزا للطغيان والزيف والاستبداد.

-الفعل التأثيري: يتجلى الفعل التأثيري في عنوان هذه الرواية في شد انتباه القارئ لقراءة الرواية لمعرفة الشخصية التي شرفها الكاتب في روايته واكتشاف حقيقتها.

وقد ورد على واجهة هذه الرواية عنوانان فرعيان، ويتجلى الأول في قوله: "تعبت من الحروب، وتعبت الحروب مني" ويشير المعنى الدلالي لهذا القول في تعبير الجنرال عن تعبته وكذلك الإخبار عن تعب الحروب منه، مشبها الحرب بكائن حي يشعر ويحس، أمّا عن المعنى الضمني الذي

يحمل هذا الملفوظ، فهو إشارة إلى الحروب الكثيرة التي خاضها من جهة، ومن جهة أخرى إشارة إلى الحروب الكثيرة التي أنهكت البشرية، وإذا أردنا البحث في المقاصد الغامضة العميقة التي يحملها هذا الملفوظ، نجد أن هذا العنوان هو فعل كلامي غير مباشر، فليس غرض الجنرال الإخبار عن تعبه، ولكن في الحقيقة يكشف عن رغبته في الارتياح ورغبته بتولي العرش والحكم ويدعو زعماء قبيلته بالتنازل له عن كرسي العرش، وهذا ما توضّح أكثر عند قراءة الرواية كما جاء على لسان الجنرال في الرواية: " يا حسن...لقد مكنا لكم مشارق الأرض ومغاربها...أنتم تنعمون في الحرير والديباج ونحن نقاتل الأعداء في كلّ مكان...لقد تعبنا فانزلوا من على عرش "الإمبراطورية" ودعونا نستريح عليه قليلا"¹

أما العنوان الفرعي الثاني الذي تحمله الرواية، فقد كان واضحا على غلاف الرواية في قول الكاتب "التخريبة الرسمية للزعيم المفدى "ذياب الزغبى" كما رواها "غارسيا ماركيز"، وفي هذا العنوان نلمس حضور التراث الأسطوري؛ إذ نجد حديثا عن حكاية الجنرال وعن تخريبته والتي رواها غارسيا ماركيز، وهذا ما يظهر لنا في المعنى المباشر الذي يحمله العنوان، لكن يبقى هذا الأخير يعتريه الكثير من الغموض وعليه يمكن النظر إلى هذا القول على أنه ملفوظ يتضمن معاني مضمرة، يمكن استدلالها كالاتي:

استعان الكاتب في روايته بشخصية تراثية أسطورية، وجعلها الشخصية المحورية في الرواية وقد عرفت هذه الأسطورة بأنها "تغريبة بني هلال"، وهي عبارة عن حكايات شعبية متداولة وقصص عجيبة عن مسيرة قوم بُنيت حياتهم على الصراع من أجل تحقيق العدالة والكرامة والبقاء،² وتغريبة بني هلال تروى ملحقات وبطولات كبيرة، وقد اختلف أبطالها وشخصياتها من منطقة إلى أخرى وقد عرفت هذه الحكايات بالمبالغة والمجازفات الهائلة والتضخيم إلى حدّ تمثلها بالأسطورة، كما استعان الكاتب من جهة أخرى بشخصية واقعية وهو الكاتب "غارسيا ماركيز" المشهور بكتابة أشهر ديكتاتوريات أمريكا اللاتينية، الذي جاء مناسبا لطرحة السياسي.

¹ - رواية (حضرة الجنرال)، ص92

² - وليدة بن طالب، سيرة بني هلال: دراسة سردية: [مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي]، الجزائر 2010: جامعة منتوري (قسنطينة)، ص07.

وبالعودة إلى "تغريبة بني هلال"، نجد الكاتب استبدل لفظة التغريبة بالتخريبة، وهذا إحالة إلى الخراب الذي ألحقه الجنرال بقبيلته ورعيته، بعد أن استولى على العرش، وقتل منافسيه، وتمرد على عشيرته، واستبد بشعبه. كما يمكن أن نلمس في هذا الملفوظ الذي يحمله هذا العنوان، جانبا من السخرية من بطولة هذا الجنرال المزيقة. مقارنة بالبطولات الأسطورية التي تحكى عن "بني هلال" أمثال أو زيد، والزعيم حسان...والجازية....

أما في رواية "زعيم الأقلية الساحقة" فهي ليست بعيدة عن رواية "حضرة الجنرال"، فلقد جاء عنوان الروايتين متقاربتين بشكل كبير - شكلا ومضمونا - ويتألف العنوان البارز لرواية "زعيم الأقلية الساحقة" من ثلاثة ألفاظ، كلمة زعيم، و"جمعها (زعماء)، وتعني الرئيس أو الضامن أو الكفيل"¹ وكلمة (الأقلية) وتعني "طائفة من الناس تجمعهم رابطة اللغة أو الدين أو الجنسية، ويعيشون مع طائفة أخرى أعظم شأنًا وأكثر عددا"²، أما عن كلمة ساحقة، فيقال "نجاح ساحق؛ أي نجاح يتفوق، أكثرية (ساحقة)؛ يعني أكثرية غالبية عظمى"³ وتكون بذلك دلالة الملفوظ اللغوي في شكله العام مرتبطة بتقديم شخصية تتصف بصفة الزعامة لأقلية ساحقة، وهذا ما يتضمنه المعنى الدلالي للعنوان، لكن العنوان يتضمن معنى آخر مضمرا والذي يتضح أكثر عند قراءتنا للرواية، ففي الملفوظ إشارة إلى الظلم والاستبداد وهذا من طرف الأقلية الساحقة والتي على رأسها زعيم متكبر ومتعجرف، وقد عبّر الكاتب عن هذه الأقلية بمملكة الليل إذ يقول: "...منذ البداية قسمت مملكتي إلى قسمين، مملكة الليل والتي أنا سيدها وأمرها المطلق...وجمهورية النهار التي لا أتدخل فيها إلاّ بالقدر الذي يحمي مملكتي ويدعم صرح رصيدي وعبثي..."⁴؛ فاختار الكاتب لجملة "أقلية ساحقة" يخلق في ذهن المتلقي نوعا من الالتباس، فكلمة ساحقة ترتبط عادة بالأكثرية فيقال أكثرية ساحقة، أي أكثرية غالبية عظمى، لكن الكاتب جعلها وصفا لكلمة (أقلية)، ليعبر عن الاضطهاد والظلم والفساد الذي يتصف بهما الزعيم رفقة أتباعه ومعاونيه، كما أن كلمة الزعيم كذلك تحمل معاني مضمرة مرتبطة بالتكبر والاستعلاء والتعاضم إزاء أتباعه من جهة، والاستغلال

¹ - جبران مسعود، معجم الرائد (معجم لغوي معاصر)، ط7، بيروت-لبنان، 1992: دار العلم للملايين.

² - المصدر نفسه.

³ - المصدر نفسه

⁴ - رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص11

والاستبداد رفقة أتباعه (مملكة الليل) إزاء الرعية التي تنتمي لجمهورية النهار من جهة أخرى، إذن يمكن القول أن عنوان هذه الرواية يتضمن إحياءات ومعانٍ مضمرة، وهذا ما يسمى في التداولية بالاختصاص والتخمين المعجمي¹

وانطلاقاً من هذا يمكن تحليل عنوان رواية "زعيم الأقلية الساحقة"، كآتي:

-الفعل الكلامي: "زعيم الأقلية الساحقة"

-الفعل القولّي: جملة اسمية تحمل لقباً لشخصية معيّنة

-الفعل الإنجازي: ويتألف الفعل الإنجازي من:

-قوة إنجازية حرفية: تتمثل في الإخبار عن شخصية معيّنة، وهي شخصية تتمتع بصفة الزعامة لطائفة معيّنة وهذه الطائفة بدورها تتميز بالعظمة، والقوة.

-قوة إنجازية مستلزمة: تعبر القوة الإنجازية المستلزمة لهذا العنوان الرواية بما يحمله الملفوظ من معاني مستلزمة ترتبط بالظلم والاستبداد والغطرسة والفساد التي تمارسها الأقلية الساحقة (مملكة الليل) إزاء الرعية (جمهورية النهار)

-الفعل التأثيري: يتجلى الفعل التأثيري لهذا العنوان في ما يثيره الملفوظ من جذب للقارئ بهدف قراءة الرواية، ليكشف القارئ عن شخصية هذا الزعيم وحقيقته ويكشف كذلك أمر هذه الفئة أو الطائفة (الأقلية الساحقة)، والتي تجسدت في مملكة الليل ...

وعموماً يمكننا القول أن للعنوان دوراً بارزاً لا يمكننا الاستهانة به في قراءة النصّ الروائي فالعنوان "عتبة أساسية تدخل بنا إلى النص وموضوعاته، سواء بطريقة مباشرة أم بطريقة تموّه بها معنى النصّ وتزيده تعتيماً، فتفتح لنا بذلك فضاءات التأويل بإقامة علاقات متداخلة بينها وبين ما في النصّ من موضوعات"²؛ إذ يمكن للرواية أن تحمل عنواناً غامضاً يفتح بذلك مجالاً لتأويله من خلال ربطه بالنصّ وما يحمله من موضوعات.

¹ - جاك موشلار وأن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من الأساتذة، تونس: 2010، دار سينيترا

ص112

² - حياة مختار أم السعد، تداولية الخطاب الروائي من انسجام الملفوظ إلى انسجام التلفظ، ط1، عمان، 2015: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ص248.

ويستدعي الوصول لمقاصد الرواية السياسية وتأويلها الانطلاق من مجموعة من الخلفيات المعرفية التي تكمن ضمن المعايير المقامية والسياقية والإجراءات المعرفية، ولعل أهم نقطة يمكننا الحديث عنها هي ارتباط الرواية السياسية بالواقع.

2. الحدث الروائي السياسي بين الواقع والمغامرة السردية:

يرتبط الحدث الروائي في جوهره بسرد حقيقة من حقائق الواقع؛ فالأنواع السردية المختلفة في الوطن العربي، "تنضوي في مجملها في إطار عباءة واقعية أدبية رحبة... وهذه النصوص السردية تصدر عن رؤية واقعية"¹، ومن هنا يمكن القول بأن الرواية السياسية مرتبطة كثيرا بالواقع السياسي والاجتماعي.

لقد كان الشعر في وقت مضى ديوان العرب، فدائماً كان يقال إن الشعر ديوان العرب، لكن في وقتنا الحالي حل محل الشعر فن الرواية، حيث يقول أحد المفكرين أن: "الرواية التي صارت (ديوان العرب) في العصر الحديث، تسعى نحو الارتباط القوي بالواقع المعاصر، ومحاولة تصوير أدق تفاصيله، وتعكس آلامه وأحلامه... فالرواية تصوّر قضاياها مختلطة بطين الأرض ومخضبة بقضايا الواقع"²، ونعرف أن المثقف العربي شديد الارتباط بأمور واقعه حيث أصبح يلتجأ إلى فنون السرد لتدوين قضايا وهموم واقعه، وسرد آلامه وأحزانه؛ وعليه "فالمثقف العربي المعاصر قد أصبح اليوم هو المؤرخ الحقيقي لكثير من أحداث الأمة وقضاياها"³ فأغلبهم عايشوا مجموعة من الأحداث والقضايا. والرواية السياسية بالتحديد ما هي إلا سجل لواقع الحياة السياسية ومرآتها وعلى هذا الأساس يمكن اعتبارها نشاطا تواصليا اجتماعيا مميزا.

وبالعودة إلى الرواية السياسية والواقع، نجد أنها شديدة الارتباط بالواقع وملازمة له لأن "القضايا السياسية وأزماتها الخطيرة، لا تتحقق - بالضرورة - في أي عمل أدبي إلا من خلال رؤية واقعية للحياة والفن"⁴، أما كاتب الرواية السياسية فما هو إلا مخاطب سياسي، يسعى لتمير رسائله التي يسردها بشكل ضمني أو صريح إلى جمهوره قصد إقناعه بأفكاره وقناعاته في قضية من القضايا

¹ - طه الوادي، الرواية السياسية، ص 13

² - المرجع نفسه، ص 05

³ - المرجع نفسه، ص 05.

⁴ - المرجع نفسه، ص 61.

السياسية الواقعية التي هي محلّ اهتمامه، ويعبر عن ذلك بشكل إبداعي سردي خاص، ومن هنا يمكن القول بأنّ الرواية السياسية مرتبطة بالواقع بل هي أشدّ ارتباطاً به وكاتب الرواية السياسية باعتباره مخاطب سياسي لا ينتمي بالضرورة إلى وجهة سياسية، لكنّه صاحب أيديولوجية يسعى وفقها إلى تقديم رؤية سياسية لتنظيم شؤون الوطن والأمة وبناء مجتمع أفضل.

إنّ كاتب الرواية السياسية على الرّغم من تعبيره عن الواقع بأدائه الفنّي الذي يقدّمه للقارئ ويعالج فيه قضايا مرتبطة بالواقع وبحياة الإنسان كما يحيل إلى وقناعات معرفية، إلاّ أن يمكّنه الاستغناء على عنصر الخيال، فتعبيره عن الواقع لا يكون بمعزل عن الخيال، فهذا الأخير حاضر دائماً في العمل الأدبي، لأنّه يتجسّد دائماً في بنية الخطاب السردى، إن كان على مستوى الأحداث أو الشخصيات أو الزمن... ويكون عنصر الخيال هنا استراتيجياً تواصلية فيمكن اعتباره كنوع من الأساليب غير المباشرة للتعبير عن المقاصد الضمنية التي يرمي إليها الكاتب، والتي يمكن أن تكون ضمنية خاصة بالحديث عن الرواية السياسية، ويكون الخيال فيها كطريقة غير مباشرة لإسقاط الواقع السياسي على تجربة سردية معيّنة، تتجسد في عالم افتراضي من نسج الخيال، فيمكن إذن اعتبار الخيال من الاستراتيجيات التلميحية الأساسية التي تُسهم في بناء عالم الرواية السياسية الذي يرتبط فيه اللاواقعية بالواقع.

تناولت رواية "حضرة الجنرال" موضوع الدكتاتورية والاستبداد السياسي بشكل عام، وقد جاءت الرواية بلسان شخصية طاغية (السارد) وهي شخصية "ذياب الزغبى" أو الجنرال "بعو" كما يُكنى وقد كان ذياب يسرد حياته السياسية وسيرته الذاتية في أحداث خيالية وشخصيات خيالية، وأخرى واقعية، حيث استعان الكاتب كثيراً على شخصيات تاريخية. وكان ذياب شخصية متمرّدة، مستبدّة عنيفة، استولى على السلطة والحكم، يحكم الناس بقوانينه الخاصة، وهذا كما جاء في الرواية "...كنت جندياً باسلاً، ثمّ ضابطاً منضبطاً محنّكاً، ثمّ فارساً مغواراً، قبل أن أصبح جنرالاً مهاباً مرهوباً و"امبراطوراً" ديكتاتورياً أوليغارشياً يحكم قطيع "الغاشي" بأحكامه ومزاجه ونزواته، لا يؤمن بديمقراطية النخبة التي سودت بها الصحائف والكتب. لا يؤمن بالأحزاب ولا البرلمان ولا الدستور، ولا المجتمع المدني"¹

¹ - رواية (حضرة الجنرال)، ص32

وقد جاء مضمون الرواية شديد الارتباط بالواقع السياسي الراهن، خاصة مع ما شهده العالم العربي من أزمات سياسية، فالمؤلف في روايته "حضرة الجنرال" يرصد تجربة سياسية واقعية لأنّ الرواية ما هي إلا انعكاس لحركة الواقع.

لم تكن رواية "حضرة الجنرال" من محض الخيال، مع أنّها كانت مبنية على الأسطورة والخيال لكنّها مبنية على ما يحدث في عالمنا العربي، منبثقة من واقعنا السياسي الذي نعيش فيه. وقد جاء الكاتب في روايته مستكراً الواقع السياسي والاجتماعي... من خلال ما طرحه من أفكار وقناعات معرفية تعكس الواقع تماماً كما جاء في شخصية "ذياب الزغبى"، التي كانت الشخصية المحورية في الرواية، وقد أسقط المؤلف هذه الشخصية على ما يحدث في واقعنا الراهن.

سعى الكاتب إلى تقديم أفكاره من خلال سرد أحداث في إطار تاريخي خيالي، وهذا من أجل تقديم أيديولوجيته الخاصة بطريقة ضمنية غير مصرّح بها للحديث عن همّة السياسي؛ وهذا ما تجسّد في رواية "حضرة الجنرال"، حيث استعان الكاتب بالأسطورة والتراث القديم لرؤية فنية ومقاصد خطابية يرمي إليها، فقارئ الرواية يحسّ بأنّ أحداثها جرت في التاريخ القديم، وهذا من خلال حديثه عن مغامرات الطاغية "ذياب الزغبى" وحروبه و حديثه عن بعض الأشياء التي ترمز إلى التاريخ والتراث القديم، كحروب بين القبائل، والفراس، والأحصنة، والسيوف... لكن مع ذلك نجد في الرواية ذكر أمورٍ وأشياء تحيل إلى الوقت الحالي والمعاصر كحديثه عن الصحافة، وقناة الجزيرة، ومراسل الجزيرة، قناة bbc والتويتر، والفايس بوك... خاصة في حديثه عن شخصيات من الواقع، مما يجعل القارئ يستغرب من شخصية "ذياب الزغبى" وكأنّه عاش قروناً كثيرة.

جاءت رواية "حضرة الجنرال" في مغامرة سردية خاصة، وقد جاءت كسخرية من الواقع السياسي الحالي، والذي يميّزه الاضطراب والخراب، خاصة مما عشناه ولا زلنا نعيشه من أزمات سياسية فنحن "نعيش مرحلة سياسية صعبة على كافة المستويات، وأصعب ما فيها أن يقدر روائي على تحديد أبعادها، وإقناع القارئ بها"¹، فالإقناع أصبح من الأمور الصعبة جداً، خاصة مع تعدد الأفكار والأيديولوجيات ووجهات النظر وتكاثرها، وتصادمها في كثير من الأحيان.

¹ - رواية (حضرة الجنرال)، ص 11

قدّم الكاتب روايته في شكل سيرة ذاتية، وقد كان "ذياب الزغبى" الشخصية المحورية في النصّ الروائي حيث كان يسرد سيرته الدكتاتورية على "ماركير غارسيا"، الكاتب المشهور الذي اعتاد الكتابة عن أشهر الديكتاتوريات، وقد جمعها إطار سياقي مشترك (المستشفى)، يتقاسمان معا الوضعية المأساوية المشتركة، إذ كان كلاهما على فراش المرض، لكنّه كان موعد ولقاء مناسبين لكتابة سيرة "الجنرال بعو" بإملاء سيرته الحقيقية شخصا خوفا من تعرضها للتهميش والإقصاء والتشويه... حيث قال: "أكتب... أكتب يا ماركيز... السيرة الرسمية لحضرة الجنرال "بعو" ذياب الزغبى... فارس الفرسان... القائد الملهم، زعيم الأمة المفدى، السلطان الأعظم، الفاتح الكبير حامل أوسمة الشرف، المجاهد الأكبر، رجل الإجماع...¹، وفي قوله: "أكتب يا ماركيز... حان الوقت ليقرأ العالم سيرتي الحقيقية كما أملتتها عليك أيّها الروائي النابغة...²

لقد استعان الكاتب في الرواية بشخصية "ذياب الزغبى" الذي كان بطلا من أبطال الحكايات الخيالية الأسطورية في التراث العربي القديم، ليضعه في سياق زمني خيالي ليعكس به سياق زمني معاصر، ليواجه به الكاتب مشاكل العصر مع محاولة لفضح أزماته السياسية؛ فقد وظّف الكاتب الشخصية الأسطورية "ذياب الزغبى" كرمز للاستبداد والديكتاتورية، وجاءت كذلك الشخصية الواقعية "غارسيا ماركيز" مناسبة لما طرحته الرواية من أفكار وما تضمنته من مقاصد.

لقد ارتبطت الرواية بالسياسة، ولعبت دورا هاما في طرح القضايا الاجتماعية والسياسية بنقدها للواقع السياسي والاجتماعي، فكل كاتب يحاول تشكيل تجارب فنية سردية تتوافق مع وأفكاره وقناعاته الإيديولوجية، وهذا ما سعى الكاتب إلى إيصاله للقارئ بروايته حيث تميّزت بنقدها للواقع الاجتماعي والسياسي في تشكيلة فنية خيالية خاصة.

كما طرحت كذلك رواية "زعيم الأقلية الساحقة" قضية الظلم والاستبداد والدكتاتورية، وفساد الحكم بوجه عام، إذ جاءت رواية الكاتب "عبد العزيز غرمول" كنقد للواقع السياسي والاجتماعي الفاسد وقد حملت الرواية أفكارا ورؤية سياسية خفية ضمنية تعكس الواقع وتكشف عن الكثير من القضايا السياسية بطريقة فنية خيالية غير مباشرة.

¹ - رواية (حضرة الجنرال)، ص 11

² - المصدر نفسه، ص 36

وكانت الرواية كفرصة ثمينة للكاتب أتاحت له ممارسة نشاطه الفني في ارتباط مع واقعه واهتماماته السياسية والتي تعكس الهموم والقضايا والأزمات السياسية بطريقة غير مباشرة، وهذا على غرار معظم كتّاب الرواية السياسية العربيّة المهتمين بقضايا وطنهم وأمتهم نظرا لافتقاد الحرية السياسية؛ "فنظرا لما عاناه وطننا العربي في مجمله من افتقاد الحريات السياسية والشخصية على درجات متفاوتة، فقد ظهرت الاتجاهات السياسية من خلال الفن والعمل الروائي، وعبرت الرواية العربية عن القضايا والأزمات والطموحات السياسية التي تضطرم في الضمير العربي والتي لم يتمكن من تناولها بحرية تامة في الكتابات السياسية المباشرة"¹.

أما رواية "زعيم الأقلية الساحقة" فليست بعيدة عن رواية "حضرة الجنرال"، إذ عالجت الرواية كذلك قضية الاستبداد وحبّ السلطة والدكتاتورية، بل ونلمس تأثيرا واضحا للرواية على رواية "حضرة الجنرال" حيث بدا الكاتب "كمال قرور" جدّ متأثر بها؛ بل وقد ذكرها في الرواية التي أسهمت في تنفيذ خطابه الساخر، وذلك كما جاء في قوله: "راودتني فكرة البحث عن "غرمول" صاحب رواية "زعيم الأقلية الساحقة" ليكون مستشاري الخاص، سأمنحه مقابل ذلك ما يريد من المال، ما جاء في روايته من أفكار جهنميّة تليق بي، وتستحقّ أن تنقذ تحت إشرافه سيكون تطبيق فصل من الرواية كلّ يوم في الواقع على الرعيّة شيقا ومدهشا، ولكن أحجمت عن الفكرة بعد أن كشف عن طموحه السياسي والسلطوي، أكيد هذا برنامجه حضّره في عزلته استعدادا للمرحلة"²، وفي موقف سردي آخر كما جاء من الرواية يقول: وبعد أن اطلعت على رواية "زعيم الأقلية الساحقة" للروائي عزيز غرمول، و... و... و... تغيّرت أمور كثيرة. شكرت أبا زيد من أعماقي على فاكهته الأدبية"³، فقد جاء كلّ هذا كسخرية تكشف عن اتجاهات وقناعات الكاتب المرتبطة بواقعه.

لقد عالجت الرواية قضية الاستبداد السياسي من خلال تشكيل فنيّ خيالي من نوع خاص، فقد كانت الرواية عبارة عن قصة أو كتابة شخصية لحياة ملك وهو نفسه سارد الرواية، وقد كان ملكا

¹- أحمد محمد عطية، الرواية السياسية (دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية)، ص 12.

²- رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 144

³- المصدر نفسه، ص 142

على الجزائر وكان عابثا في حكمه الفاسد، وقد أسهبت الرواية في الحديث عن شخصية هذا الملك وسرد تفاصيل حكمه، وسرد مجموعة من الأفكار والقناعات التي يؤمن بها، والتي كانت سبيلا لوصوله إلى العرش، وفي الرواية كذلك ذكر أساليبه المتبعة للوصول إلى الحكم والسيطرة وطرق السيطرة على الشعب وقد جاء في عنوان الرواية إشارة إلى الاستبداد، كما أنّ هذا العنوان وثيق الصلة بمضمونها الذي عبّر فيه الكاتب عن الظلم والفساد السياسي، وقد حمل أيضا مجموعة من القضايا تحدث في الواقع السياسي بطريقة غير مباشرة، وهذا من وجهة نظر الكاتب؛ وكان كلّ ذلك مرتبط بالمقاصد التي يرمي إليها المؤلف، والمتمثلة في نقد الواقع السياسي والاجتماعي.

جاءت الرواية ساخرة من النظام السياسي الحاكم، لإتباع أصحابه سياسة عابثة وحكم فاسد، وقد أسقط الكاتب في الرواية ذلك على الشخصية الساردة، وهي شخصية الملك الذي كان يروي عن حياته السياسية، وعن قناعاته الشخصية، الملك الذي كان حاكما على الجزائر كما جاء في الرواية: "كنت ملك الجزائر وما والاها من ضواحي أحكم مملكتي بالقوة والعبث، أمشي في أسواقها مختالا، على رأسي تاجي وفي يدي صولجاني محاطا بحرسى اثنان يسيران أمامي لشقّ طريقي في حما الحياة، واثنان ورائي لحمايتي من ضغينة الحساد، يتدافع الناس في الشوارع للتبرك بتقبيل يدي... وتفرّش لي الطريق بالعطايا والدعوات..."¹، وقد كان ذلك بأسلوب ساخر مبينا غروره، وتكبره وانتصاره لذاته.

وبالحديث عن مقاصد الرواية السياسية، فإنّ المقاصد ترتبط ارتباطا وثيقا باستراتيجيات النصّ الروائي، لأنها تعد من أهمّ العوامل التي تؤثر في استعمال اللغة، فالمقصد "عامل مهمّ في اختيار استراتيجية الخطاب"²؛ أي تؤثر في توجيه الكاتب أو المؤلف في اختيار الاستراتيجية المناسبة لخطابه؛ حيث يختار المؤلف استراتيجية خطابه وفق ما تقتضيه مقاصده وأهدافه التواصلية، فقد اعتمد الكاتب في روايته كثيرا على التلميح والسخرية، كاستراتيجيات وأساليب خطابية لإيصال مقاصده المتمثلة في انتقاد الواقع الاجتماعي والسياسي.

¹ - رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص01.

² - يوسف تغزاوي، الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي، ص193.

كما استعان الكاتب في هذه الرواية بشخصية ديكتاتورية خيالية لسرد تفاصيل الرواية، والمتمثلة في شخصية الملك الذي عبّر عن أهمّ قناعاته وأساليب حكمه إزاء شعبه، وكان ذلك للكشف عن خبايا النظام الاستبدادي الحاكم الذي شغل اهتمام الكاتب، وقد بنى الكاتب هذه الرواية انطلاقاً من قناعات وإيديولوجيات سياسية خاصة، إذ أراد الكاتب إدخال القارئ في عمق تفكير الرجل السياسي المستبد، وطريقة حكمه ورؤيته للحكم وكان ذلك من خلال شخصية الملك العايب الذي عيّن نفسه حاكماً للجزائر، والذي استمر حكمه طويلاً. وهذا ليكشف للقارئ الكثير من القضايا السياسية وكان هذا من أهمّ مقاصد الرواية التي كانت السخرية من أهم استراتيجياتها الأساسية.

أما رواية "حرب الفتوى" فقد ارتبطت كذلك بالواقع أشد ارتباطاً؛ إذ سردت لنا المرحلة الصعبة والحرجة التي مرّت بها الجزائر-إطار تاريخي واقعي-في ما يعرف بالعيشية السوداء (الحرب الأهلية) والتي لاتزال نتائجها مستمرة إلى يومنا هذا، كما ارتبط مضمون الرواية بالواقع السياسي الجزائري، وقد حاول الكاتب إعادة شرحه للعشيرة السوداء للبحث في أسبابها من وجهة نظره بتقديم أفكار واعية ورؤية سياسية خاصة. في شكل فني سردي متميز.

فعنوان الرواية ذو ارتباط مباشر بمضمونها، حيث عالجت الرواية موضوع الفتوى والفتاوى وتعددتها، وانتشارها وتوسّعها وتصادمها، ولاتزال تشغل مساحة كبيرة في الواقع الاجتماعي والديني والسياسي في وقتنا الراهن، وهو ما دعا الكاتب إلى طرح هذا الموضوع، فلجأ إلى مرحلة تاريخية ليعبّر عن وجهة نظره الخاصة إزاء الواقع الذي يعيش فيه، فموضوع الفتوى لم يعد قضية دينية فحسب، بل كذلك ارتبط بتوجهات وأغراض سياسية.

سعى الكاتب إلى طرح ومناقشة مجموعة من الأفكار والتصوّرات، لتوضيح أيديولوجياته عبر عمله الإبداعي الذي جعل مواضيع "فتاوى الإسلاميين"، الموضوع الأساس فيها، حيث كثرت الفتاوى وكثر المفتون، وكل ذلك أدى إلى الفوضى، وإدخال البلاد في تلك الفترة في أزمة ومأساة موجعة وخراب حقيقي.

يجتهد كاتب الرواية السياسية في إقناع القارئ بأفكاره وتصوّراته وأيديولوجياته إزاء قضية شائكة - باعتباره صاحب إيديولوجيا- وهذا ربّما من مقاصده الأساسية، وفي الآن ذاته تعتبر وظيفة من أهمّ وظائف الرواية السياسية المعاصرة؛ فالرواية المعاصرة حين "تعبّر عن قضية

سياسية فإنها تضيف إلى وظائفها الفنيّة وظيفة أخرى جديدة - لم تكن من وظائفها- وهي الإقناع الأيديولوجي إزاء قضية سياسية معيّنة، قد تكون حادة وساخنة، لكنّ الروائي يحاول أن يقدمها بطريقة فنيّة هادئة، حتى تُقرأ من الخصوم والأنصار وتكون مقبولة من كليهما في آن واحد¹ فالوظيفة الإقناعية تعتبر من أهمّ الوظائف والمقاصد الأساسية في الرواية السياسية إذن الإقناع حاضر في أغلب الحالات، إلى جانب وظائف أخرى كالتّوجيه، والتّحريض والتّسييس... وهذا يرتبط بالفئة التي يوجه إليها بالخطاب، صحيح أنّ الرواية تتوجه إلى جمهور القراء، لكن في الخطاب السياسي كلّ شيء وارد؛ فأحيانا عند قراءة بعض الروايات السياسية نشعر أنّ الكاتب يوجه خطابه إلى متلق معيّن، فالرواية قد تكون موجهة إلى فئة ووجهة معيّنة، قد يكون إلى (حزب معيّن)، أو الحكومة أو عامة الشعب...

أراد الكاتب في نصّه توجيه القارئ إلى مجموعة من الأفكار السياسية التي يرى بأنّها الصّواب -من وجهة نظره- فالروائي يعبر من وجهة نظر خاصة، فهو يُدين في هذه الرواية الجماعات الإسلامية وينسب إليهم هذه الفوضى والمآسي، حيث أضحت أكثر الأحزاب عددا وتنوعا، فالكلّ أصبح يقاتل من أجل جماعته ومن أجل مشروعه، وهو الوصول إلى السّلطة والحكم باسم الدين وكانت هذه أهمّ الأفكار السياسية التي سعي من خلالها الكاتب أن يُوجيه قارئه إليها وإقناعه بها فبهذه هذه الأفكار والرؤية الأيديولوجية يمكن أن نستكشف أهمّ مقاصده وأهدافه التواصلية، ولعلّ التّوجيه أخذ حيّزا كبيرا في نصّ الرواية، إذ كان همّ الكاتب هو الإصلاح وإيقاظ وعي المواطن وضميره، وعلى هذا الأساس لم تكن التجربة السردية إلا رسالة هادفة تسعى لتغيير واقع إلى الأفضل، فالحرب الأهلية ما هي إلا قتال بين أبناء الشعب الواحد، قتال بين أبناء البلد الواحد قتال بين أبناء الدّم الواحد، فالروائي رام من عمله التّوجيه والإصلاح وجمع شمل الوطن من أجل بناء مستقبل أفضل. فلا ريب في أنّ "ضمائر الكتاب- وهم طليعة مثقفيّ الأمّة- هي التي تشعرهم بواجبهم القومي، وتدفعهم إلى تشكيل تجارب سردية ملتزمة، توظف وعي مواطنيهم، وتقوي بصائرهم، ليرفعوا مستوى إيمانهم، حتى يجدوا لأمتهم مكانا يليق بها، ومكانة تستحقّها في عصر

¹ -ظه الوادي، الرواية السياسية، ص07

العولمة والكيانات الموحدة، في عالم، ليس فيه مكان لضعيف أو متخلف¹ وهذا ما تجسّد في رواية "حرب الفتوى"، التي كانت رسالة هادفة تجسدت في تجربة فنيّة سردية مميّزة، أملا في مستقبل مشرق، وتحقيق أهداف المجتمع، وبناء حياة أفضل لوطننا العربي، وهذا ما يعرف بالالتزام فتبني الأديب لقضايا المجتمع هو "ما يطلق عليه بالالتزام، وقد تم تفسيره على أنه وعي بالواقع السياسي والاجتماعي للمجتمع، وهذا الوعي هو الذي يجعل الأديب يشعر بمسؤوليته اتجاه هذا المجتمع"².

لقد حاول الكاتب من خلال أفكاره، وتصوراتهِ السياسية التعبير عن مقاصده التي تجسّدت في عمله الفنيّ السردى، حيث أراد تعزيز الثقافة الوطنية الواحدة، والطموح الفكري والسياسي المتقارب الموجّه لخدمة الصالح العام؛ فالكاتب باعتباره من مثقفي هذا الوطن، حمل على عاتقه مسؤولية الحفاظ على الوطن، وتوعية الشعب، والاعتراض على كلّ أشكال والفساد، والعمل على تعزيز الوحدة الوطنية، وبناء مجتمع متماسك، كلّ ذلك بفضل رؤية سياسية خاصة مجسّدة في عمل فنيّ هادف، وقد لجأ الكاتب إلى قضية تاريخية سياسية وهي قضية العشرية السوداء، وقضية العنف السياسي حيث قام بمناقشتها بوجهة خاصة، ولم يكن ذلك من باب فتح مجال على قضايا تاريخية، لكن من أجل أخذ التجربة من واقعنا التاريخي، فالأحداث التاريخية يمكن أن تساعد الكاتب على إعطاء وجهة نظر فكرية خاصة إزاء الواقع الذي نعيش فيه. فقد دعا المؤلف إلى أخذ الحيطة والحذر من كل الفتاوى التي تأتي من هنا وهناك، وأخذ العبرة من التجربة التاريخية وضرورة اللجوء إلى الفكر والحوار والحكمة في اختلافاتنا واستعمال العقل من أجل التقدّم وتوحيد صفوف الأمة.

عموما يمكننا القول بأن الرواية السياسية ترتبط بالواقع ارتباطا وثيقا، فالواقع حاضر دائما في النصّ الروائي، لأنّ الرواية السياسية ماهي إلا انعكاس وتعبير عن مختلف القضايا والمهموم والانشغالات والأزمات والمشاكل التي يطرحها الواقع السياسي؛ فالنصّ الأدبي "أصبح يُنظر إليه

1- طه الوادي، الرواية السياسية، ص 04

2- ريمة كعبش، الرواية والتاريخ في النقد الجزائري المعاصر (بحث في العلاقة التداولية)، مجلة الناص، ع 16 جيجل: 2014، القطب الجامعي (كلية الآداب واللغات)، ص 101.

على أساس أنه انعكاس عن وعي جمالي وإيديولوجي للواقع الإنساني¹، وعليه فالعمل الأدبي ما هو إلا حديث عن الواقع، فالواقعية حاضرة في النص الأدبي بشكل أو بآخر خاصة إذا كان الحديث عن الرواية السياسية التي تعتبر من أهم القضايا الاجتماعية الجديّة والملتزمة، وهذا كون السياسة المحور الأساسي الذي تبنى عليه الدولة وتتنظم وتسير وفقها شؤونها وشؤون شعبها.

3. التأويل ومقاصد الرواية السياسية:

إنّ البحث في مقاصد الرواية السياسية هو بحث في مضامينها الخطابية وفهم الرواية أو النصّ فهما عميقا من خلال "ربط الدلالة بالوظيفة السياقية والأداء الإنجازي"²، وتعبير كاتب الرواية السياسية عن أهم مقاصده التي يسعى إلى إيصالها للقارئ ما هو إلا إثباتا لأفكاره ورؤيته وموقفه إزاء واقعه والتي يعبر فيها عن ذاتيته انطلاقا من الفعل السردى ككل؛ فالقصد في النصّ الروائي يرتبط بالغايات التي يرمي إليها الكاتب وموقفه من وراء تشكيله الفني؛ إذ أن "القصد في النصّ يتضمّن موقف منشئ النصّ... وأن مثل هذا النصّ وسيلة من وسائل متابعة خطة معيّنة للوصول إلى غاية بعينها"³؛ يعتمد الكاتب على بناء وتشكيل سردي استراتيجيات معيّنة للتعبير عن أهم مواقفه وإيصال مقاصده الكامنة لذهن القارئ، فالقصديّة في النصّ الروائي بشكل عام لا تتحقق إلا من خلال تجاوز الدلالة الطبيعية للخطاب، إذ أن "المقصديّة التواصلية في النصّ الروائي تتحقق من خلال الانتقال السلس من مستوى الإخبار والإعلام إلى مستوى التمثيل، وذلك من خلال تجاوز الدلالة الطبيعية إلى الدلالة غير الطبيعية"⁴ ويمكننا تلخيص أهم المقاصد التي تضمنتها الروايات السياسية كآتي:

1/3. رواية زعيم الأقلية الساحقة:

¹ - طه الوادي، الرواية السياسية، ص 13

² - جميل حمداوي، التداوليات وتحليل الخطاب، ط 1، 2015: مكتبة المتقف، ص 57.

³ - عبد الحكيم سحالية، تداولية أفعال الكلام في الخطاب الروائي لأحلام مستغانمي، دراسة في عابر سرير ونسيان كوم ص 94.

⁴ - عزيز الغرباوي، بلاغة الخطاب السردى في الرواية السعودية (مقاربة تداولية لرواية "طوق الحمام" للروائية رجاء عالم الرياض: 2017، دار جامعة الملك سعود للنشر، ص 150.

اعتمد الكاتب في روايته على الخطاب غير المباشر في التعبير عن مقاصده، فقد تضمنت الرواية مقاصد ضمنية باعتماد على استراتيجيات تلميحية غير مباشرة، وأخرى يمتزج فيها الضمني والصريح في خطاب ساخر، فقد أراد الكاتب التعبير فيه عن رؤيته وأيديولوجيته إزاء واقعه الاجتماعي والسياسي، والتطرق لقضاياها ومشاكله بما كتبه عن سيرة حياة شخص ديكتاتور طاغية ليكشف بذلك عن أسرار وأساليب الحكم الاستبدادي. حيث أصبح هاجس المؤلف طرح هموم الواقع الاجتماعي والسياسي العربي، وبذلك لم تعد الرواية أداة للإمتاع والتسلية، بل أداة هامة ل طرح مشاكل الوطن والأمة إذ "تطوّرت الرواية من أداة للتسلية وحكاية المغامرات إلى أداة فنية للوعي بمصير الإنسان وتاريخه ونفسيته ووضعه في المجتمع"¹؛ وهكذا أصبحت الرواية أداة مهمة في طرح هموم وقضايا الوطن.

1/1/3. السخرية وتبيان أساليب الحكم المستبد: إنّ أولى المقاصد التي يمكن أن يستنتجها القارئ من الرواية هو رغبة الكاتب في الإخبار عن أساليب وأسرار الحكم الاستبدادي الفاسد، وتبيان هذه الأساليب لا تتفصل أبداً عن المقاصد التبليغية التي توخاها الكاتب، وقد شملت هذه الأساليب على أفكار مستبدة جهنمية عبّر عنها الكاتب من خلال الملك العايب الذي عبّر بكل سخرية عن أسرار حكمه، وقد تجسّد ذلك في مجموعة من أفعال كلامية امتزج فيها الصريح والضمني في عمومها. كما اعتمد الكاتب كذلك على السخرية التي تعتمد على المبالغات والمفارقات المضحكة، والتي يدمج فيها الكاتب المأساة بالملهاة ليصل لأهدافه²

صرّح الملك بشكل مباشر أن القوّة والعبث أسلوبان ملازمان لبناء مملكة؛ إذ يقول: "هناك شيئان حافظت عليهما كملك: القوّة والعبث، بالقوّة تشتري ندم الناس، وبالعبث يسهل عليك تدميرهم...". وقد جعلهما من أهمّ ركائز حكمه، كما عبّر الملك باعتماد استراتيجية السخرية كذلك عن أساليب أخرى لحكمه؛ ومن ضمنها الانفراد بأصحاب الأرصدة العالية المرتبطة بأصحاب الثراء من رجال الأعمال والسياسيين كما جاء في الرواية: "...كانت الخطة واضحة أمامي: طرد كل أولئك الذين لا

¹- أحمد محمد عطية، الرواية السياسية (دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية)، ص 07.

²- ينظر: شكري عزيز الماضي، أنماط الرواية العربية الجديدة، الكويت: 2008، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،

يملكون سوى مصروف الجيب من مملكتي، ثم الانفراد بالأرصدة السمينية... من الطبيعي أن تسلق طريق مملكة لا يحتاج إلى سلم ولا مواهب القردة في التشعلق على أغصان الأشجار وإنما الصعود على أكتاف الآخرين¹، وقد أكد الملك اهتمامه بأصحاب الثراء وأكابر رجال الأعمال والفاستدين، وقد مثل ضمن أساليبه في الحكم، كما أكد ذلك في قوله: "قلت دائما على الملك أن لا يأبه بالموظفين الصغار، وإلا سيقضي عمره في تلبية حاجاتهم التي لا تنتهي كمطالبهم الدائمة بتحسين ظروف عملهم السيء، ورفع رواتبهم بالموازاة مع غلاء المعيشة وربما تزويجهم لأنهم غير قادرين على إقناع امرأة بجدواهم، على الملك أن يذهب مباشرة إلى هدفه، إلى قبيل الشطار حيث يختار منهم أديعاء الزعامة ويعك خصاهم حتى تنزف عيونهم وبعدها سيتكفلون هم بعك الشعب الطيب²، كما اعتبر الملك الطاغية والعاث أن المال وجمعه وتكثيره هو من أهم اهتماماته، وعبر عن ذلك في خطاب ساخر معتمدا آلية المبالغة كما في قوله: "قلت سابقا أنني لست باحثا عن المجد...أنا باحث عن المال...وقد أصبحت قامتي الآن كقامات الأطالس الذين يصفهم هيروودوت بأنهم يصطادون السمك بأيديهم من أعماق البحر ويشوونها مباشرة على الشمس"³

اعترف الملك عبر مجموعة من الأفعال الكلامية الإخبارية عن مختلف أعماله اللاقانونية والفاستة مخاطبا خصومه بعجرفة وسخرية مبينا بعض أساليبه وأسراره في الحكم كما جاء في الرواية: "من أجلكم ابتدعت أكثر الطرق جهنمية في فنون الرشوة والسطو...والسرقة والقتل غير المتعمد وأجهزة النظافة الأكثر شظفا وتجفيفا...و...ومع ذلك لم أطلب منكم حبا أكثر أو احتراما أكثر كل ما طلبته منكم أيها الأندال الرائعون أن تحبني أوراكم المالية...ماذا يفعل الملوك بحب شعوبهم؟ تزيين كتب التاريخ؟"⁴

ومن أهم أساليب حكم الملك كذلك هو محاربته للأمل، إذ اعتبر الملك الأمل خطرا على حكمه وعلى مملكته، فالأمل يقوي العزيمة ويبعث الإرادة والطموح للسعي وراء التغيير، ولقد صرح بذلك

¹- رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 26

²- رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 102

³-المصدر نفسه، ص 178

⁴- المصدر نفسه، ص 81

في قوله: "... كل شيء يمكن للملك أن يتسامح معه إلا زراعة الأمل، يمكن للناس أن يزرعوا البطاطا أو الكرفس أو حتى الكلى للمرضى والشعر للصلع... ولكن زراعة الأمل خطر جارف على الممالك"¹

وقد جاء ضمن أساليب الملك الأساسية في حكمه، عدم تسامحه مع الهاربين من الضرائب كاشفا عن طريقه الجهنمية إزائهم، ومعتبرا بكل سخرية أنّ ذلك من واجب الملك الصارم وكشف بهذه الأساليب عن ذاتيته بضمير المتكلم (أنا) مبيّنا أفكاره وتصوراتهِ وإثبات قناعاته وكذلك غروره وانتصاره لذاته وهذا في قوله: لقد اعتبرت دائما وأنا على حق، أن التسامح مع المتهربين من الضرائب لا لزوم له، لذلك طاردتهم بكل ما أوتيت من قوّة وعبث... حرشت بعضهم على بعض ليتأكلوا كالكلاب... غسلت بعضهم من ذنوبه في الغسالات العمومية... واعتبرت ذلك نوعا من الواجب الملكي الذي يستدعيه نظام صارم²

وكذلك جسّد المالك ذاتيته بكشفه عن أساليبه إزاء خصومه، مقتنعا بقناعاته، كما ورد ذلك في قوله: لقد قدرت وأنا على حق، أن من واجب الملك الحفاظ على نظافة مملكته من الحشرات والأفكار الفاسدة والأظافر الطويلة، فالممالك التي تجوب شوارعها الجرذان... تكون أوراقها النقدية عرضة للقرص والنهش...³، أراد الملك تبيان تأثير أساليبه المستبدة على رعيته وخصومه بقوله: "لمس الجميع بطشي وعبثي حين تقبض يدي على رقبة أحدهم فلا تعيده إلى الحياة إلاّ مبلل السروال..."⁴، وقد عبّر هنا عن استبداده بكل تكبر وغرور وبشكل مبالغ فيه.

2/1/3. الكشف عن حقيقة المجتمع والواقع السياسي: ارتبطت مقاصد الرواية بوجه عام بالكشف عن بعض حقائق المجتمع التي تأملها الكاتب بعمق في واقعه السياسي والاجتماعي محاولا طرحها بشكل غير مباشر وبأسلوب فكاهي ساخر عبر أفعال كلامية يمتزج فيها الصريح والضمني، كما أنّ الكاتب اعتمد على السخرية كاستراتيجية أساسية للتعبير عن مقاصده وأغراضه التواصلية.

¹-المصدر نفسه، ص121

²- رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص83

³- المصدر نفسه، ص84

⁴-المصدر نفسه، ص53

وقد سعى الكاتب إقناع قارئه بحقيقة الواقع الذي يعيشه، فالإقناع الأيديولوجي يمكن اعتباره ضمن أهم المقاصد التي تضمنتها الرواية، حيث نلمس في بعض المواقف خروج السارد والذي مثل الملك العايب عن الإجراء السردى الداخلى للحكاية ليدخل في العالم الواقعي ويخاطب القارئ ويمكن اعتبار هذا مؤشراً مهماً تُساعد القارئ على عملية الفهم والتأويل وبلوغ مقاصد الكاتب ويندرج هذا ضمن مبداء التعاون بين الكاتب والقارئ، وقد ظهر ذلك في قوله: "لا...أنا لا أستعمل هنا المجاز ولا أقترف الخرافات...إنها الحياة كما هي..."¹

اهتم الكاتب بالإقناع الإيديولوجي، حيث بدا حريصاً على طرح أفكاره وتصوراتهِ للقارئ والمرتبطة بكشف حقيقة الواقع السياسي، وهذا ما أشار إليه في الرواية من خلال شخصية (الملك) طاغيته في خطاب مزج فيه بين الواقع والخيال؛ إذ نشعر أحياناً بخروج الكاتب عن القصة السردية ليدخل في الواقع والعالم الحقيقي الذي يشترك فيه مع القارئ، ليعود مرةً أخرى للغوص في عالم القصة بشكل ضمني أقرب للتصريح معبراً عن مقاصده المرتبطة بكشف أساليب وأسرار الحكم الاستبدادي وهذا يتضح في قوله: "لم تكن مهمتي كتابة عمل أدبي، ولا حتى التأريخ لسيرة أحد عتاة الملوك كما ستصفونه فيما بعد، وإنما رغبتى هي كما قلت سابقاً، أريد بكل بساطة أن أجمع أطراف مملكتي في يدي، وأن ألمس حدودها بافتخار الطرق الجهنمية التي حكمتها بها، وأخيراً رؤية مدى ما تراه يدي..."².

كما صرح الملك العايب عن أسلوب من أساليب حكمه المستبد المتسلط والمتمثل في تقسيم مجتمعه لقسمين: مجتمع ليلي، ومجتمع نهاري، الأول الممثل لطبقة الأقلية الحاكمة والثاني المرتبط بعامة الشعب الذي يعيش على الفقر والمشاكل كما في قوله: "...منذ البداية قسمت مملكتي إلى قسمين، مملكة الليل والتي أنا سيدها وأمرها المطلق...وجمهورية النهار التي لا أتدخل فيها إلاّ بالقدر الذي يحمي مملكتي ويدعم صرح رصيدي وعبثي..."³، وقد سعى الكاتب إلى تبرير أفكاره بتقديم حجة في ذلك مؤكداً على موقفه بقوله: الشعوب - كما اكتشفت مبكراً -

¹ - رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 65.

² - المصدر نفسه، ص 127.

³ - المصدر نفسه، ص 11.

تنقسم إلى شعبين شعبي نهاري يعتاش على العشب والمشاكل، وشعب ليلي ينعم بفاكهة النهار وغفلته¹، وبالنظر إلى البعد التداولي الذي تحمله الملفوظات، فقد أراد الكاتب الكشف عن حقيقة المجتمع الذي تسوده الطبقة والظلم.

سعى الكاتب إلى التعبير عن طبقة المجتمع باعتماد استراتيجيات السخرية من خلال طاغيته الذي جعله ينفرد بسرد أحداث الرواية، إذ عبّر الملك بشكل ساخر ومبالغ فيه عن الطبقة في المجتمع، جاعلا من المال أساسا لكل شيء وهذا كما اتضح في قوله: "بعض الناس في هذه الجهة من أطالسة هيرودوت الذين تخيلهم يصطادون السمك بأيديهم من أعماق البحر ويشوونهم مباشرة على الشمس، غير أنّ البعض الآخر وهم طبقة الأغلبية لا يزالون في طور-الأميبيا- البدائية لهم خلية واحدة انقسمت على ذاتها لتلبية الحاجات الوضيعة في الجسم الأكل والنوم والتكاثر كالأرناب والذهاب إلى المراحيض... هكذا هي الطبقة في مجتمعنا واضحة ومحسوسة... وعلى الرجل الذي يرغب في تغيير طبقته أن يهتم بتربية رصيده كما تربي الخنازير بالعلف والعراك..."²

وفي موقف آخر سعى الملك إلى تعميق رؤيته بوصفه بعض ظروف الحياة الفقيرة وهي كما سماها "حياة النهار" كاشفا عن ظلم الطبقة الحاكمة واستبدالها، إذ يقول: "...تلكم حياة النهار الفقيرة التي يتزاحم في طرقاتها الموظفون والبهائم والآليات من أجل تقاسم الميزانيات السنوية الشحيحة التي تتكرم بها حكوماتهم للحفاظ على سلطتها..."³ وكذلك في قوله: "...تلكم نزوات حياة النهار المثخنة بالمفاسد والأخلاقيات والبروتوكولات المستعملة كالجوارب، وخاصة المريضة بالعناوين البراقة كالديمقراطية والشفافية والنزاهة وما إلى ذلك استغناء شعوب النهار والحفاظ على مكاسب الأقلية الحاكمة"⁴

لقد عبّر الملك عن واقعه بتصوير مجتمعه الذي كثر فيه الظلم والفساد حيث صرح الملك التعبير في خطاب ساخر بفساد مجتمعه الذي يبدأ بغياب العدالة وفساد القضاة وفساد رجال الدولة ورجال

¹- المصدر نفسه، ص 11.

²- رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 15.

³- المصدر نفسه، ص 11.

⁴- المصدر نفسه، ص 12.

الأعمال، كما بين سبل الوصول لمصالحه الشخصية في ظل هذا الفساد والفوضى وفي ظل غياب القانون في قوله: "...للأسف، لا يمكنني قتل قضاة بهذا الفساد الرائع... فأنا ممن يؤمنون أنّ جهة الحقيقة من وجودي في حدّ ذاته يعود إلى فساد العدالة الجميل، ففي نهاية الأمر العدالة لا تخترع حياة الناس، وإنما تعطيها معنى... وبما أنّ هذا المعنى غائب فإنّ القضاة يعطوني بفسادهم الرائع فرصة صناعة معنى العدالة حسب مصالح الشخصية... وهذا يستحق مني كلّ التقدير والاحترام..."¹، وقد اعتمد هنا السارد على استراتيجية السخرية عبر آلية المدح في موضع الذم، وصوّر بذلك الواقع الاجتماعي الذي تغطى فيه المفارقات.

كذلك كشف الملك عن الأعمال اللاقانونية لبعض رجال الأعمال وأصحاب الثراء والمرتبطة بالتهب والرشوة وقد عبر عن ذلك بخطاب صريح ومباشر في قوله: "...هناك مدير شركة "استراد كل شيء" الكولونيل المتقاعد "محيقة"... كان مرتشياً مشهوراً وبخيلاً لا تملأ صدقته منقار عصفور... أصبح يدفع تحت قبضتي الحديدية حقوق مواطنته في مملكتي وهو ينتحب كالثكلي: أنا شاكر لك فسادك العظيم الذي أنقذني من السجن المؤبد"²

وبشكل عام حاول الملك الطاغية، الشخصية المحورية في الرواية الكشف عن جوانب خفية ميّزت مجتمعه ومدينته، تمثلت في الفساد والتهب والسلب، وقد ارتبطت هذه المظاهر بالمجتمع اللاأخلاقي وقد عبّر الملك عن ذلك باعتماده على استراتيجية التصريح والخطاب المباشر كما جاء في قوله: "...مدينة كاملة تتحرك بين عصابات النهب والسلب... وبيوت المواعيد الفاجرة وفنادق عليها كل مظاهر الفخامة والاحترام... إنّها مدينة أخرى لا تراها وأنت تقف في الشوارع الصغيرة المحاذية لهذه الجغرافيا، حيث الناس سائحون في الشوارع دون هدف: البطالون، المتسولون... القراصنة الصغار وباعة السمك... وأحياناً بعض العمال الفخورون بوطنيتهم... وأصحاب دكاكين صغيرة قانون بمصرف الجيب، وأغلبية السذج الذين يؤمنون فقط بأن دوام الحال من المحال..."³

¹ - رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 78

² - المصدر نفسه، ص 48

³ - المصدر نفسه، ص 183

3/1/3. الدعوة للحرية والعدالة وإصلاح المجتمع: يروم الكاتب من خلال روايته تصوير ورصد واقعه السياسي محاولاً انتقاده بالكشف عن بعض مظاهره السلبية المرتبطة بالظلم والاستبداد والفساد... حيث ارتبطت الرواية بالسعي إلى الوقوف على مشاكل الأمة وأهم قضاياها وأزماتها ومعلوم أن رصد وتصوير هموم الأمة والوطن ما هو إلا دعوة لإصلاحها ودعوة لمعالجتها فالكتابة عن الظلم والاستغلال هي تعبير عن الرفض والاستنكار، كما أن الكشف عن مشاكل وأزمات الوطن هو دليل على عدم تقبلها، وفي الوقت ذاته هو أمل للإصلاح وسعي للتغيير، فقد "أجمع دارسو الرواية على أن الرواية هي من أهمّ الفنون النثرية الحديثة، الحاملة لرسالة جديدة هي التعبير عن الواقع والعصر والانسان، وهي سلاح شعبي لمناهضة الظلم والاستبداد والواقع المتردي، والبحث من خلالها على قيم إنسانية فاضلة وواقع إنساني مثالي أفضل، فيه العدالة والحرية، والحب والسعادة"¹؛ فمن أجل هذا يمكن القول أن الرواية ترتبط بمقاصد عميقة تجسدت من خلال تأمل الواقع، ومن خلال تعمق في الرؤية وترتبط هذه المقاصد بالدعوة للتغيير والإصلاح وبناء مجتمع وواقع تتجسد فيه كل معاني الحرية والعدالة بعيداً عن كل أشكال الفساد والظلم والاستغلال وصور الاستبداد والقهر؛ فالخطاب الأدبي والنقدي اليوم يرى أن "أسمى ما يمكن أن تحققه محصلة الحياة الثقافية - في أية شعبة من شعبها- هو الدعوة إلى (الحرية) بمعناها الشامل الحرية التي تساند حركة الوطن وتدعم كرامة الفرد في أن يكون حر الإرادة والمسيرة، وله الحق في أن يختار الأيديولوجيا التي تتلائم مع قناعاته الفكرية وانتماءاته السياسية"²

2/3. رواية "حضرة الجنرال":

بدا الكاتب "كمال قرور" متأثراً كثيراً برواية "زعيم الأقلية الساحقة" للكاتب "عبد العزيز غرمول" - كما أشرنا سابقاً - ولم يقف الأمر عنده بالإشارة إليها (الرواية) في روايته فقط وذكرها، بل حملت رواية "حضرة الجنرال" نفس الأفكار والأيديولوجية ونفس الرؤية التي قدمها الكاتب "عبد العزيز غرمول" في روايته والمتعلقة بتصوير الواقع السياسي والاجتماعي، كما أنهما تضمنتا نفس المقاصد

¹ - عبد الحكيم سحالية، تداولية أفعال الكلام في الخطاب الروائي لأحلام مستغانمي، دراسة في عابر سرير ونسيان كوم ص44

² - طه الوادي، الرواية السياسية، ص52

المرتبطة بالسخرية من الواقع والتعبير عن أسرار وأساليب الحكم الاستبدادي ورفضه سعياً من وراء ذلك إلى التغيير نحو واقع يسوده الوعي والعدل والمساواة، والحرية.

كما اعتمد الكاتب في روايته كذلك بشكل عام على التخفي والخطاب غير المباشر في التعبير عن مقاصده، التي ارتبطت بالتعبير عن واقع النظام الاستبدادي والديكتاتوري، الذي عانى منه ولا يزال يعاني منه أكثر من بلد في وقتنا الراهن.

حاول الكاتب أن يسقط واقعه السياسي المرتبطة بقضية الاستبداد والديكتاتورية، مستندا إلى شخصية "ذياب الزغبى" والذي جعله رمزا للطغيان والظلم والاستعباد، ولم يقف عند هذه الشخصية فقط، بل استعان كذلك بالشخصية الواقعية "غارسيا ماركيز" لكتابة سيرة الطاغية، وهو الكاتب المشهور بكتابة أشهر ديكتاتوريات أمريكا اللاتينية، وقد جاء اختيار الكاتب للشخصيتين مناسباً وملائماً لجعل الطاغية يسرد عن تفاصيل حياته وعن حروبه وعن مغامراته للكاتب ماركيز، معترفاً ومصرحاً بأساليبه وأسارره في الحكم، كما اشتملت الرواية على مجموعة من المقاصد التواصلية يمكننا الوقوف عند أهمها كالاتي:

1/2/3. التعبير عن النظام الاستبدادي والكشف عن حقائقه: استطاع الكاتب بفضل روايته إظهار حقائق النظام الاستبدادي بكشفه لمختلف تصورات وأفكار الحاكم السياسي المستبد وشخصيته المتسلطة وأساليبه وسياسته في الحكم حيث تجسّد هذا المستبد في شخصية "ذياب الزغبى" وكان هذا الكشف من أهم المقاصد التي تضمنتها الرواية وسعى الكاتب إلى إيصالها للقارئ وقد استند في ذلك على عالم الرواية الخيالي داخل الإجراء السردى المرتبط بالطاغية المستبد للتعبير بشكل غير مباشر وإسقاط ذلك على الواقع الذي كثر فيه الظلم والاستبداد في أكثر من وطن، ومن هنا يمكننا القول بأن الكاتب اعتمد على خطاب امتزج فيه الصريح في ظاهره والضمني في باطنه وهذا باعتبار ارتباط الخيال بالواقع.

لقد عبّر الكاتب عن موقفه واتجاهه إزاء السياسات المستبدة، بما تبين من تأثره بأفكار ورؤية الشاعر عادل صياد واعتماد أقواله كوجه من أوجه الاستشهاد الذي عبّر بشكل صريح عن حقيقة النظام الاستبدادي وعن خطأ اعتقاده تجاه سياسة الحاكم، وهذا بالنسبة لما اتضح من مقاصد مع بداية الرواية ممّا لمسناه من مقاصد خارج الإجراء السردى كما جاء في قوله: "أنا لست بخير..."

كنت أظن بأن الأرض ستحفظ من كان عليها وأنّ الحاكم يحكم بالعدل... كان يقيني في غير محله¹

أما بالنسبة للرواية وعالمها السردى القصصى فقد عبر الكاتب عن مختلف مقاصده بشكل غير مباشر مستندا إلى الشخصية المحورية في الرواية "ذياب الزغبى" الذي صرح واعترف بحقيقة حكمه وأسرار سياسته، ومن ذلك قوله: "كنت رجل الأعمال الأول-وبلا فخر- في الإمبراطورية تاجرا في كل شيء، وبكل شيء وأصبحت من أثرى الأثرياء، ولا أحد استطاع أن ينافسني، ولا أحد استطاع أن يقدر ثروتي... استعملت في تجارتي سجلات تجارية لأقاربي وحاشيتي وعشيرتي ولباطلين ومعوقين وموتى، حتى لا أثير أية شبهة...² وهكذا يعكس الكاتب صورا عن الواقع البائس.

كما ذكر حقائقه المرتبطة بمسيرة حياته ومراحلها، معترفا بأعماله الدنيئة إزاء أعدائه وأصدقائه وغطرسته إزاء رعيته، كما جاء في الرواية: "عشت عمري كما أردت أن أعيش، وانتصرت على أعدائي بالسيف وعلى منافسي بالخدعة، وعلى الرعية بالسوط وتوجيهات" الكتاب الأبيض"³ بين "ذياب الزغبى" سياسته إزاء شعبه في خطابه الساخر، وهذا يعكس دكتاتوريته واستغلاله وفكره المتسلط، والمرتبط بظلم واستعباد شعبه كما ورد في قوله: "علمتني تجربة السجن كيف أضبط حياة شعبي في الإمبراطورية مثلما تضبط حياة السجناء: الطاعة العمياء، الانضباط التام، الصوت الخافت الخفيف، التقشف والكفاف، النوم باكرا، والطموح لا يتجاوز سقف المعدة شريبة سخونة"... وعلمتني تجربة الرعي أن القطيع المثالي يكتفي بحقه في الماء والقيولة ويعبر عن ارتياحه وسعادته بالرقص والتزواج أو السبات العميق⁴.

عبر "ذياب الزغبى" عن ذاتيته بكل تكبر وتعالٍ وتفاخر بنفسه، وقد عكس هذا شخصية ونفسية الطاغية، وقد اتضحت ذاتيته في ضمير المكلّم (أنا) والتي استعمل في هذا السياق للتعبير عن التفاخر والتعظيم، حيث وضع نفسه في مرتبة متعالية إزاء الآخر الذي مثّل رعيته كما اتضح في

¹ - رواية (حضرة الجنرال)، ص 15

² - المصدر نفسه، ص 12

³ - المصدر نفسه، ص 34

⁴ - المصدر نفسه، ص 34

قوله: "أنا السيد المطلق... أنا ربّ الإمبراطورية... أنا مطرقة القانون... أنا الطوفان وأنتم جرفي... والآن لا أحد من حقّه وصلاحيته أن يحاسبني"¹، كذلك بيّن في خطابه المباشر والصريح سيطرته على كل شؤون الدولة معبرا عن تكبره بكل عجرفة بقوله: "...يخول لي دستوري أن: أعين وأنهاي مهام الوزراء، أعين وأنهاي مهام الولاة... أعين وأنهاي مهام مسؤولي أجهزة الأمن... أعين وأنهاي مهام القضاة... أعين وأنهاي مهام الأئمة... أعين وأنهاي... يحق لي وحدي أن أقرر السياسة الداخلية والخارجية. أن أوقع المراسيم... يحق لي وحدي أن أبرم الصفقات والمعاهدات... من بايعني وأطاعني فقد أمن على نفسه وماله وعرضه، ومن لم يفعل يتحمّل العواقب..."²

وكشف "ذياب الزغبى عن ثقة بنفسه، بإثبات وجوده بالقوة وتحديه لكل الاتجاهات أو السياسات المعارضة لسياسته في "الإمبراطورية"، وقد تبيّنت هذه الأمور في قوله: معبرا كذلك عن ذاتيته وقد ارتبط هذا بأبعاد تداولية مرتبطة بالواقع والذي عاشته مختلف الدول العربية، وقد تبين تحدي الطاغية لمختلف المعارضات السياسية، وإثبات ذاتيته في قوله: أنا ثابت من ثوابت الكرة الأرضية ومعلم تاريخي لا تزحزحي الرياح ولا الأعاصير ولا موجات الاحتجاج الروتينية على الزبدة والعدس و"الفرماج" والزبيب، وبعض المناوشات والمفاخرات والمشاحنات بين القبائل والطوائف في الأقاليم المترامية الأطراف التي تستعمل فيها الخناجر والعصي والكلام البذيء³ وقد ارتبط هذا بأبعاد تداولية ذات صلة بالواقع الذي عاشته مختلف الدول العربية، ومن أهم حقائق النظام السياسي المستبد ما كشفه الكاتب في شخصية "ذياب الزغبى"؛ حيث صرّح في خطاب مباشر عن سياسة الملك وأساليبه للحكم بما تجسد في مجمل أفعال التوجيه التي جاءت كنصائح وتوجيهات لمن يريد أن يصبح حاكما، وهي الأساليب نفسها التي اتبعها الطاغية والتي استولى بها على الحكم وتوجته ملكا مستبدا على "الإمبراطورية" كما جاء في الرواية: "يابني... (Ammi).... لا تتوكل على العلم/ اتركه جانبا... انزع من قلبك الصفاء/ وارم حسن النية... يا بني... إنك لن

¹ - رواية (حضرة الجنرال)، ص 33

² - المصدر نفسه، ص 171

³ - المصدر نفسه، ص 177

تصل إلى سدة الحكم/ لا بالعلم ولا بالشجاعة... ابدأ في تعلّم الحيلة/ فإنّ الحياة عليها تبنى... اسبق خصمك إلى المنصب/ إذا سبقك الغه... لا تخش الله في الظلم/ لا ترحم أحدا/ بل انزع من قلبك الرّحمة... اعرف ما تختاره/ من ألفاظ خطابك/ اختر الكذب الذكي/ إذا أحسنت ذلك/ لن تبلغ مآربك إلّا بذلك/ وإلّا سبقوك... أولئك الذين تحبهم/ لا تثق بهم... لأنّ أعداءك سيؤلبونهم ضدك. من تخاف منهم/ اصنع لهم حربا/ ترسلهم اليها ليموتوا فيها/ ولما يعودون / في توأبيتهم/ احمل باقة ورد/ لتزيين أضرحتهم...¹.

2/2/3. الاستنكار ورفض النظام المستبد والدعوة للتغيير: أوضح الكاتب التعبير عن رفضه للنظام الاستبدادي، بموقفه المتجسّد بشكل صريح في الرواية، وإنّ محاولة الغوص في المقاصد التي حملتها الرواية هو بحثٌ في ما وراء القصة السردية، وتتبع كل ما يربط بالواقع بتفاصيل الرواية.

بدا الكاتب متأثراً كثيرا بأعمال "عادل صياد" و"أتين دي لابويسسي" خاصة في أفكاره التي قدّمها في مقاله "العبودية المختارة" الذي ضمنه الكاتب في روايته كوجه من أوجه الاستشهاد في قوله: "...أيّ قوة والطاغية واحد، بينما احتملوه على كره بالملايين؟ أنقول أنّه الجبن؟ قد يخشى اثنان واحد، وقد يخشاه عشرة... أما ألف مدينة! إن هي لم تنهض دفاعا عن نفسها في وجه واحد فما هذا الجبن، لأنّ الجبن لم يذهب إلى هذا المدى، كما أنّ الشجاعة لا تعني أن يتسلّق امرؤ وحده حصنا أو أن يهاجم جيشا أو يغزو مملكة. فأى مسح من مسوح الرذيلة هذا الذي لا يستحق حتى اسم الجبن ولا يجد كلمة تكفي قبحه والذي تنكر الطبيعة صنعه وتأبى اللغة تسميته..."²؛ وكذلك في قوله: "ولكن ما هذا يا ربي؟ كيف نسمي ذلك؟ أيّ تعس هذا؟ أيّ رذيلة أو بالأصديق أيّ رذيلة تعسة؟ أن نرى عددا لا حصر له من الناس لا أقول يطيعون بل يخدمون، ولا أقول يُحكّمون بل يستبد بهم، لا ملك لهم ولا أهل ولا نساء ولا أطفال، بل حياتهم نفسها ليست لهم! أن نراهم يحتملون السلب والنهب وضروب القسوة لا من جيش ولا من عسكر أجنبي... بل من

¹ - رواية (حضرة الجنرال)، ص 139

² - المصدر نفسه، ص 06.

واحد لا هو هرقل ولا شمشون...¹؛ استنكر "أتين دي لابيوسي" إلى حد التوبيخ في هذه الأقوال تقبل الشعب للذل وعدم صموده في وجه الظلم والقهر، وقد اتضح ذلك في مجموعة من الأفعال الكلامية غير المباشرة تضمنت دلالة الاستنكار والتوبيخ ويمكن اعتباره وجها من أوجه الرفض وعدم تقبل الاستبداد والقهر، وفي الوقت ذاته دعوة للنهوض وتغيير الواقع، وأن تضمين الكاتب أقوال "أتين دي لابيوسي" ما هو إلا دليل على حملته لنفس الرؤية و الإيديولوجية فأهم المقاصد التي سعى الكاتب إيصالها للقارئ هو دعوته لرفض الظلم وتغيير الواقع لتحقيق العدل وهذا ما أكده في آخر الرواية في محاولة منه لإيقاظ ونشر الوعي ودعوة القارئ لعدم تقبل أي شكل من أشكال الاستبداد والظلم .

3/3.رواية حرب الفتوى:

تضمنت الرواية بشكل عام مقاصد صريحة، واتضح هذه الأخيرة في الرواية بشكل جلي حيث ارتبطت بالتوجيه والدعوة للإصلاح، وضرورة تجنب الفتاوى المهلكة، وقد تبين اعتماد الكاتب على التوجيه والخطاب المباشر في أغلب الأفعال الكلامية للرواية سواء ما تعلق بالأفعال الكلامية على مستوى تحاوراتها السردية، أو على مستوى خطاب الراوي الذي لم يكتف بالتمثيل ونقل الأحداث ووصفها، بل أبان على فاعلية سردية ورؤية إيديولوجية صريحة، ومن هنا يمكننا القول بأن وجهة الكاتب وتصوراته واضحة إزاء الجماعات الإرهابية وإزاء فتاويهم من خلال رفضه لفكرهم الفاسد ومحاولته للكشف عن حقيقتهم المرتبطة بمساعي الحكم والسلطة، إذ مثلت الرواية رسالة هادفة تسعى إلى تغيير الواقع السياسي والاجتماعي، والنهوض بالوعي، وتعديل المفاهيم من أجل التطلع لمستقبل أفضل، وعليه يمكن القول أن: "الرواية أصبحت طاقة سياسية واجتماعية هامة تعبّر عن روح الأمة ومشكلاتها وطموحها"²، ونستطيع توضيح أهم المقاصد التي تضمنتها الرواية في النقاط الآتية:

1/3/3. الاستنكار وكشف حقيقة الجماعات الإسلامية الإرهابية وإدانتها: استنكر الكاتب ونقد الفكر الفاسد المنحرف والذي تجسد في مختلف الفتاوى الذي جاءت به الجماعات الإسلامية

¹ - رواية (حضرة الجنرال)، ص161.

² - أحمد محمد عطية، الرواية السياسية (دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية)، ص07

الإرهابية، حيث أباحت كل شيء، وبدّعت كل شيء، وقد اتّضح ذلك في مجموعة من أفعال كلامية غير مباشرة سعى بها الكاتب إلى رفض كل الفتاوى المهلكة كما جاء في قوله: "الفتوى قاتلة... من يفتي لمن؟ من يجراً على الفتوى في الدماء؟ هل الدين في الموت؟ أي حرب هاته... أي عدوّ هذا... ألسنا على دين واحد؟"، فجاء استنكار الكاتب مدعماً بحجج ليبيّن وليثبت فساد الفتاوى وفساد أصحابها، وقد تجسّد العامل الحجاجي على شكل (الاستفهام) كما في قوله: "هل الدين في الموت؟ أي حرب هذه؟ أي عدوّ هذا؟ ألسنا على دين واحد؟ وفي قوله: "كيف لهؤلاء الشرذمة تكفير المسلمين وشقّ صف الأسرة الواحدة المسلمة لمصل وتارك، لمؤمن وعاص، لمسلم وكافر ونحن لحمّة واحدة...؟¹؛ كما سعى الكاتب إلى توضيح خطورة الفتاوى التي وصلت حدّ استباحة الدماء كما ورد في قول الكاتب: "من يفتي؟ ومن يتصدر للفتوى... بأي قانون يموت الناس؟ وعلى أي أساس؟²؛ "أي فتوى هذه التي تستبيح دماء الناس؟"³

لقد بيّن الكاتب فساد فتاوى الجماعات الإسلامية وانحرافها بكشف تعددهم وعدم توحدهم، حيث كثروا وتكاثروا، وأضحت الجماعات الإسلامية أكثر الأحزاب عدداً وتنوعاً، إذ كثرت الفتاوى وكثر المفتون، وأدى كل ذلك إلى الفوضى كما جاء في الرواية: "فإذا كان الدين الواحد لا يوحدكم ولا يسبغ عليكم لونه الواحد... فكيف نصدقكم ونطمئن لكم"⁴، ويمكن اعتبار هذا الملفوظ حجة ليبيّن انحراف وجهتهم وفكرهم.

كذلك كشف الكاتب حقيقة الجماعات الإسلامية المرتبطة بطموحهم السياسي والحزبي، وقد عبر عن ذلك في خطاب مباشر صريح حيث يقول: "فقلوها الصراحة تأتيكم الراحة. أحزاب أهواء وبغى للرياسة تهوى وتسعى..."⁵

2/3/3. تعزيز الوحدة الوطنية والطموح الفكري والسياسي الواحد: سعى الكاتب إلى تعزيز الوحدة الوطنية، بإثبات انتماء أبناء الشعب للوطن الواحد، ودعا الكاتب إلى الوحدة وإعادة لم

1- رواية (حرب الفتوى)، ص 345

2- المصدر نفسه، ص 222.

3- المصدر نفسه، ص 258

4- المصدر نفسه، ص 347

5- المصدر نفسه، ص 347.

شمل الوطن؛ وقد اتضحت بهذا ذاتية الكاتب الذي عبّر عن انتمائه للوطن انتمائه باستعمال الضمير (نحن) الذي جسّد من خلاله ذاتيته ومشاعره الإنسانية؛ إذ يقول: "يبدوا أنّ هناك ارتباط من نوع ما بين الخطاب السياسي وبعض المشاعر الإنسانية كحب الوطن والغيرة على الدين والحفاظ على الحرمات..."¹، كما بيّن الكاتب سبب التشتت والفرق والانقسام بين أبناء الوطن الواحد في هذه الأقوال الآتية: "نحن لحمة واحدة ما فرقها غير تلك الفتاوى البائسة...نحن مجتمع واحد واعد واحد بمحبة وحب وإخاء..."²؛ "نحن كلنا عيال الله ندور في فلكه ونوحده...ونحن مركب واحد في مركب واعد، الجزائر الأم الحلوب الولود والودود..."³

قدّم الكاتب في روايته رؤية متقابلة ومنيرة لوطنه نحو مستقبل أفضل قائم على الوحدة الوطنية وكذا الطموح السياسي الواحد والموجّه لتحقيق الصالح العام، فالكاتب حاول رصد مشاكل وهموم واقعه ساعيا في الوقت ذاته إلى إصلاحه وتغيير وضع أمته أملا بمستقبل أفضل وأجمل، كما جاء في قوله: "...وإعادة اللحمة الوطنية... لأن تعود الثقافة الوطنية واحدة والطموح الفكري متقارب موجّهة لخدمة الصالح العام..."⁴

3/3/3. التوجيه والدعوة للإصلاح ومواكبة زمن الأفكار والإبداع: إن أهم المقاصد التي دعا إليها الكاتب في روايته هو دعوته للإصلاح وإعادة اللحمة الوطنية، ومواكبة زمن التطور والنقد والدعوة إلى التمسك بالثوابت من دون خرافات وترك الفجور والتجريح وفتاوى رجال الدين التي تتكاثر وتتصادم وهو ما تجسد في الرواية في مجمل الأفعال الكلامية التوجيهية التي يسعى من خلالها إلى التأثير على القارئ؛ إذ "يتحقق قدر كبير من التفاعل في الخطاب السياسي بفضل ثراء تعابير اليقين والشك، وتعابير الضرورة والالتزام الأخلاقي والديني والاجتماعي - تعابير "افعل" و"لا تفعل" و"يجب" و"ينبغي" و"لا بد" و"علينا" -"⁵؛ فقد كانت رواية "حرب الفتوى" تجربة سردية

¹ - بهاء الدين محمد مزيد، تبسيط التداولية-من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي-ط1، مصر: 2010: شمس للنشر والتوزيع، ص129

² - رواية (حرب الفتوى)، ص336

³ - المصدر نفسه، ص345

⁴ - المصدر نفسه، ص335

⁵ - بهاء الدين محمد مزيد، تبسيط التداولية-من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، ص129

ملتزمة أراد الكاتب بواسطتها إيقاظ وعي القارئ وضميره والدعوة إلى استدراك الأخطاء، حيث كانت روايته محاولة لتوجيه القارئ إلى ترك الفتاوى القاتلة التي لا تتسبب إلا في التثنت والفساد، كما سعى الكاتب الدعوة إلى تغيير وضع أمته بجمع شمل الوطن وتغيير واقع البلاد نحو مستقبل أفضل، "فلا ريب في أن ضمائر الكتاب-وهم طليعة مثقفي الأمة-هي التي تشعرهم بواجبهم القومي، وتدفعهم إلى تشكيل تجارب سردية ملتزمة، توقظ وعي مواطنيهم، وتقوي بصائرهم، ليرفعوا مستوى إيمانهم حتى يجدوا لأمتهم مكانا يليق بها، ومكانة تستحقها في عصر العولمة والكيانات الموحدة"¹

وجه الكاتب خطابه للهادي الذي مثل رمزا للإرهابي محاولا من خلاله توجيه الجماعات الإسلامية الإرهابية ككل ودعوتهم للعودة إلى جادة الصواب وإعادة بناء حياتهم بعزيمة وإرادة بعيدا عن التكفير والقتال والقسوة والسواد، وقد تجسد هذا من خلال مجموعة من الأفعال الكلامية التوجيهية الصريحة كما في قوله: "يا أيها الوطني...بلا استهتار...أيها المتدين بلا يقين...يا أيها الخامل قم وبدد خطى الكسل وأعد رسم الخمول بلون للحياة ورديا...لا سواد فيه..."²

وقد دعا الكاتب القارئ لتغيير وضع أمته والنهوض بها، مستكرا وضعها القائم على التفجير والترهيب بالفتاوى المنحرفة التي كثرت وتصادمت، حيث بدا الكاتب منفعلا ومتحمسا لتغيير وضع أمته والنهوض بها لتحقيق التقدم والتطور كما جاء في هذه الأفعال الكلامية غير المباشرة في قوله: "ما بال هذه الأمة...ما بال هذه الغمة...ما بالنا نقعد جالسين دون حدث ولا همة...؟"³، فإذا لم يكن عقل الوطني ذخرا للإنسانية اليوم وسندا فمتى تقوم لنا قائمة ونحن لا نصنع في هذا العالم غير التفجير والترهيب...؟"⁴

لقد دعا الكاتب إلى مواكبة زمن التطور والإبداع، والابتعاد عن كل الفتاوى، مع ضرورة إدراك الأخطاء، وتوخي الحذر من كل حاضر؛ كما جاء في قوله: "فلماذا لا تقوم لنا قائمة عامرة مليئة بالأفكار والإبداع والاختراع...هلاً يقوم لنا من شهم عريف بالحياة خبير بالدنيا أفكارا وقدحا

¹ - طه الوادي، الرواية السياسية، ص 04

² - رواية (حرب الفتوى)، ص 339

³ - المصدر نفسه، ص 339

⁴ - المصدر نفسه، ص 340

ونقحا وفحصا... بعيدا عن فتاوى المعاداة والمصادمة والحرب؟¹، وقد كان هذا أهم المقاصد التي تضمنتها الرواية، حيث اعتمد الكاتب في هذا الإطار على الاستفهام بدلالة الأمر الذي يحمل معنى الحث والتحريض².

عموما، اختص هذا المبحث بدراسة "مقاصد الخطاب الروائي السياسي"، باستغلال مختلف المعطيات السياقية التي من شأنها أن تساعد في تأويل الخطاب، وقد انطلقت الدراسة بالوقوف عند القصدية السردية بشكل خاص والأدبية بشكل عام تمييزا عن الخطابات العادية، ثم تطرقنا إلى تحليل عناوين الروايات السياسية، وجاء الحديث بعدها عن محاولة ربط السياسية بالواقع كإجراء يندرج ضمن مجموعة من الخلفيات المعرفية والمعايير المقامية والسياقية من أجل تأويل الخطاب، وفي الأخير جاء اختتام هذا البحث باستخلاص مختلف المقاصد الكلية لنماذج الروايات السياسية، ومن أبرز نتائج هذا المبحث: ارتباط القصدية الروائية بشكل عام بالامباشر في الخطاب وخروجها عن التقريرية الخطابية، وهو الأمر الذي يستدعي التأول والقفز إلى الجانب الاستعمالي للخطاب، أما بالنسبة لعنوان الرواية السياسية فقد مثل عنصرا مهما من عناصرها؛ إذ تضمن أبعادا تداولية ارتبطت بمقاصد الخطاب، كما كشف هذا المبحث عن الارتباط الوثيق بين الواقع وما يحمله من متناقضات؛ وكذلك استناد الرواية السياسية إلى عنصر التأويل، وقد أسهم ذلك في بناء علاقات تفاعلية بين منتج النص والقارئ.

¹ - رواية (حرب الفتوى)، ص 340

² - مصطفى العطار، لغة التخاطب الحجاجي، دراسة في آليات التناظر عند ابن حزم ط1، 2017: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ص 220

الفصل الثاني

تداولية الخطاب الرّوائي السياسي واستراتيجيات الخطاب

- تمهيد

-المبحث الأول : أفعال الكلام والسرد والتداولية النصيّة

1. الفعل الكلامي السردى وإشكاليته التخيل والتظاهر.
2. أفعال الكلام والقوى الإنجازية في الخطاب الرّوائي
3. الحدث الكلامي الرّوائي والفعل الكلامي الشامل.
4. الفعل الكلامي الأساس ومقصدية الخطاب الرّوائي

- المبحث الثاني: الاستراتيجيات الخطابية وبناء الخطاب الرّوائي السياسي

1. السّخرية استراتيجية خطابية سياسية.
2. الحجاج والإقناع الأيديولوجي في الرّواية السياسية.
3. استراتيجية التوجيه وبناء الخطاب
4. تداولية التصريح والتلميح في الرّواية السياسية

تمهيد:

أصبحت التداولية محلّ اهتمام متزايد للباحثين والدارسين في الآونة الأخيرة، فقد أصبحت منهاجاً لا يمكن الاستغناء عنه في دراسة وفهم لغة التواصل الإنساني بشكل عام ولم يقف هذا المنهج في دراسة الخطابات العادية فقط، بل امتدّ كذلك ليشمّل الخطاب الأدبي حيث قال أحد المفكرين: "حظيت التداولية في العقود الأخيرة باهتمام متزايد من لدن النقاد ودارسي اللغة والأدب في أماكن مختلفة من العالم وامتدت نظريتها أو نظرياتها وتطبيقاتها من حقل اللسانيات إلى حقل الأدب، شعراً وسرداً، فضلاً عن حقول معرفية أخرى"¹.

وبالتركيز عن المجال الأدبي وبشكل خاص المجال السردى الروائي، فإنّه ظهرت دراسات حاولت إدخال هذا النوع من الخطاب ضمن هذا الفتح الجديد للغة، ومحاولة استغلال هذا المنهج لفهم الظاهرة السردية، والأدبية بشكل عام.

إنّ الحديث عن تطبيق المنهج التداولي على الخطاب الروائي، هو حديث عن استغلال أهمّ مباحثها وآلياتها من (أفعال الكلام، الحجاج، متضمنات القول، مقاصد الخطاب...) واستثمارها بما يساعد في فهم بنية الرواية، وبما يؤسس للخطاب الروائي ويتناسب مع خصوصياته من أجل قراءة وفهم النصوص الروائية، وفهم العلاقات بين مستعملها داخل وخارج الإجراء السردى، فالرواية أو القصة هي شكل من أشكال استخدام اللغة، وتحتاج إلى "البحث عن العلاقة بين اللغة ومستعملها من أجل استخلاص تأويل وبالتالي الوصول لأهم معالمها وأبعادها"².

وسنحاول في هذا الفصل دراسة أهمّ مبحث من مباحثها، وهو مبحث أفعال الكلام، الذي تجاوز النظرة القديمة للغة المرتبطة بالوصف إلى جعل الكلام قوّة فاعلة لأفعال محققة في الواقع من خلال الاستعمال.

وبالحديث عن الرواية وأفعال الكلام، فلاشك أنّ لتداولية أفعال الكلام في السرد اعتبارات ومميّزات وسميات خاصة سنحاول البحث عنها والوقوف عندها، كما نصبو للبحث عن أنواع

¹-جون-ك. آدمز، التداولية والسرد، تر: خالد سهر، ط1، العراق: 2009، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ص05

²- ينظر: المرجع نفسه، ص07

الأفعال الكلامية وتجلياتها في نماذج النصوص الروائية، وما حققته من قوى إنجازية فاعلة في السرد الروائي. وعليه سنقف في هذا الإطار عند الفعل الكلامي نصيا داخل الخطاب السردي. وسنخرج على مبحث آخر لا يقل أهمية عما ذكرناه آنفا وهو دراسة الاستراتيجيات الخطابية المتبعة في الخطاب الروائي وبخاصة المرتبطة بالمجال السياسي من خلال نماذج نصوص الروايات السياسية، والكشف عن أهم تلك الاستراتيجيات المعتمدة لبناء الخطاب السياسي، وأهم آلياتها المعتمدة من أجل التأثير وتحقيق مقاصد الخطاب.

المبحث الأول

أفعال الكلام والسرد والتداولية النصية

تندرج نظرية أفعال الكلام ضمن أهم المباحث التداولية، إذ تعد الأفعال الكلامية النواة الأساسية للدرس التداولي، حيث "تمثل نظرية الأفعال الكلامية مكوناً أساسياً في الاتجاه التداولي فهي تختزل أهم إنجازات فلسفة اللغة الطبيعية في هذا المسار، فقد أصبح مفهوم الفعل الكلامي نواة مركزية في الكثير من الأعمال التداولية"¹، ويُعد الفعل الإنجازي المحور الأساس الذي تتمحور حوله نظرية أفعال الكلام لأنّ "القوى الإنجازية التي سعت إليها أفعال الكلام، هي جوهرها، ومكمن ثقلها"².

ويراد بالفعل الكلامي، الفعل والإنجاز الذي تحققه الملفوظات أثناء الحديث والاستعمال حيث إنّ: "الفعل الكلامي يرتبط بالإنجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد نطقه بمنطوقات معينة من خلال منظومة من الأفعال كالنطقية، والإنجازية والتأثيرية، ولا البقاء فقط-كما يقف أوستين-على وصف العبارات بالخبرية، والحكم عليها بالصدق أو الكذب"³ فالفعل الكلامي ينطلق من فكرة أنّ اللغة مرتبطة بتأدية أفعال إنجازية لتحقيق أغراض تواصلية.

وبالعودة إلى أفعال الكلام في الرواية، يرى أحد المفكرين أنّها: "جزء من الاستخدام اللغوي، وأنّ المتكلم لا يستطيع الكلام، والكاتب لا يستطيع الكتابة من دون أن يستخدمها"⁴، هذه الحقيقة مستمدة من رؤية (أوستين) الذي أكد أن "التلفظ بملفوظ معين معناه القيام بفعل"⁵.

إنّ البحث عن الفعل الكلامي في الخطاب الروائي هو بحث عن مواطنه وتجلياته في الخطاب السردية، وهو كذلك بحث عمّا تحققه هذه الأفعال من قوى إنجازية في البناء السردية، وفي فهم مقاصد الخطاب، وانطلاقاً من هذا سنحاول الخوض في دراسة الأفعال الكلامية في الخطاب

¹- عادل بن علي الغامدي، الحجاج في قصص الأمثال القديمة (مقاربة سردية تداولية)، ط1، الأردن: 2016، كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ص225

²- محمد بن عبد الله المشهوري، التداولية السردية في خطاب الأقصوصة النسائية، 245

³- المرجع نفسه، ص243

⁴- جون-ك. آدمز، التداولية والسرد، ص68

⁵- Austin, Quand dire c'est faire, traduit de l'anglais par Gilles Lane, Paris 1970, Edition du seuil, p41

الروائي من خلال بعض النماذج، مروراً أولاً بالنظر في أهم سماتها ومميزاتها في ظل الخصائص التخيلية والمعطيات السردية التي تميّزها، والتي تقع حقيقتاً في منطقة صعبة وحرجة وإن الهدف من ذلك ليس الخوض في متاهاتها، بل هو محاولة التطرق لكيفية تجاوز الباحثين لهذه المزالق وذلك من أجل التأسيس للفعل الكلامي في السرد، وبناء هويته التداولية. كما إنّه لا يمكننا الشروع في دراسة الأفعال الكلامية في الخطاب الروائي دون الوقوف عند إشكالية الفعل الكلامي في السرد.

1. الفعل الكلامي السردى وإشكاليته التخيل والتظاهر: لقيت نظرية أفعال الكلام صعوبات في تفسير أفعال الكلام في الرواية، وذلك راجع لخصائص الخطاب السردى والذي يجمع بين التخيل الذي يميّز النصوص الأدبية بشكل عام، والمرتبط بالعالم الافتراضي للنصوص، وإشكالية السرد بشكل خاص والمتعلقة بكيفية تجلية الأفعال الكلامية داخل الرواية أو القصة، والتي ترتبط بشكل مباشر بالأفعال الكلامية المتظاهر بها إذ أنّ "البحث عن الأفعال الكلامية في السرد يقع في منطقة ارتباك بين عوالم الخطاب الجاد ومنطقه وبين عوالم الخطاب التخيلي الذي قد يوصف تجاوزاً للخطاب غير الجاد، فالقصة تتموضع في هذه المنطقة الحدودية القلقة، فجزء منها يتواصل مع القارئ في عقد جاد لإخباره بأحداث معينة، وجزء آخر يوهّم مخاطبه ويدعي أنه يقوم بعمل انجازي لكنّه غير حقيقي"¹. ومع ذلك اجتهد باحثون في إيجاد سبيل لتجاوز هذه الصعوبات قصد التأسيس للفعل الكلامي في الرواية، ويمكننا توضيح هذه المسألة من خلال التطرق للإشكاليتين كالتالي:

1/1. الأفعال الكلامية والخطاب التخيلي: إنّ أهمّ ميزة تميّز بها النصوص الأدبية عامة، وتختلف بذلك عن خطاباتها العادية هو عنصر الخيال، فالأعمال الأدبية هي تراكيب خيالية وهي "ضرب من الاستعارة القصوى، فدالاتها تتجاوز الملفوظ ذاته، وترتكز على مواصفات مضمرة خاصة

¹- عادل بن علي الغامدي، الحجاج في قصص الأمثال القديمة (مقاربة سردية تداولية)، ط1، الأردن: 2016، كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ص257.

وعلى عقد واقع بين الكاتب والقارئ، إنها طريقة مخصوصة في اللعب مع اللغة¹، فعنصر الخيال نجده في النصوص الأدبية في عدّة مستويات، وبالنسبة للرواية يحضر عنصر الخيال فيها على مستويين أساسيين هما: مستوى الأحداث ومستوى الشخصيات لأنّ "السرد تركيبية خيالية تشتمل على مجموعة الأحداث الخيالية، فالسارد يصنع الأشخاص ويحدّد أدوارها"² بالإضافة إلى مستوى آخر وهو المستوى اللغوي الذي يبدعه المؤلف بقالب خاص ومميّز، بكثير من الإيحاء والمجاز و التضمين وغيرها.

وبالعودة إلى الأفعال الكلامية والعنصر التخيلي الذي يميز النصوص الأدبية عامة، حاول باحثون تجاوز هذه المسألة-كما أشرنا سابقا-انطلاقا من مجموعة من اعتبارات* يمكننا إيجازها في عنصرين كالآتي:

-الاعتبار الأوّل: إنجاز أفعال انطلاقا من الوظيفة التواصلية والتأثيرية التي تحملها النصوص الأدبية، إذ يعتبر الإبداع الأدبي نشاطا اجتماعيا مميّزا، فالمؤلف يحمل رسالة اجتماعية للقارئ تحوي مقاصده التواصلية التي يسعى جاهدا لإيصالها له، فالأعمال الأدبية هي وسيلة للتعبير عن الأحاسيس ووسيلة للتأثير والتغيير، والتعبير عن الأحاسيس أو الإسهام في تغيير العالم أي أنّ مسألة إنجاز الأفعال هي الانتقال من القول إلى الفعل³، فالنصوص الأدبية الخيالية كذلك عبارة عن ملفوظات في سياق معيّن داخل وضع خاص تحمل مقاصدا وأغراضا وأهدافا معيّنة.

-الاعتبار الثاني: التعاقدات الثقافية التي تنظم الكتابة الأدبية (المؤلف لا يقصد خداع القارئ) لأنّ مشكل الحديث عن معيار الصدق المرتبط بالتصوّر التداولي لقيام الفعل الكلامي(الكفاية التواصلية) الذي يكون غائبا في النصوص الروائية والأدبية عامة تمّ تجاوزه وذلك من خلال اعتبار أننا لا يمكننا أن ننسب إلى المؤلف مقصدية خداع القارئ فالقارئ ليس غافلا عن الشروط السياقية

* لقد تمّ التفصيل ذلك في مدخل البحث (نحو بناء تداولية أدبية)، لكن رأينا لا حرج في إعادة ذكر بعض الأمور المهمة وإيجازها، نظرا لعدم إمكانية تجاوز هذا الإشكال، خاصة في هذا المبحث (الأفعال الكلامية)، نظرا لارتباطه الشديد به وللتفصيل أكثر ينظر في كتاب (المقاربة التداولية للأدب لإلفي بولان).

¹- شيرت رحيمة، تداولية النص الشعري، جمهرة أشعار العرب نموذجا، ص 157.

²- ذهبية حمو الحاج، قضايا التداولية والخطاب، ص 216.

³- المرجع نفسه، ص 103

للتواصل التخيلي¹، فالكاتب والقارئ هما على وعي بالتعاقدات الثقافية للتواصل التخيلي التي تظم الكتابة الروائية، وهذا ما سنوضحه في النقطة الموالية (الأفعال الكلامية والتظاهر). فبالنسبة لكيفية تجلية الأفعال الكلامية في الخطاب التخيلي عامة، فقد اجتهد الباحثون في التوفيق بين رأيي (منقونو) و(جيرار جينت)؛ إذ يذهب مانقونو/ Maingueneaus إلى: "وجود اتجاهين أساسيين يرى أحدهما أنه توجد أفعال كلامية خاصة بالأدب، سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة، ويذهب الاتجاه الآخر إلى أنّ الخطاب الأدبي هو تحويل لأفعال كلامية جادة"²، في حين يقترح "جيرار جينت" "اعتبار الخيال السردي نتيجة للأفعال اللغوية غير المباشرة"³ وفي مسعى الباحثين للتوفيق بين هذه الآراء، اعتبروا أنّ أفعال الكلام في الخطاب التخيلي هي أفعال جادة يعبر الكاتب أو المؤلف بها عن مقاصده بطريقة ضمنية غير مباشرة، وهذا ما ذهب إليه سيرل في تعريفه وشرحه كيفية تجلية أفعال الكلام في الخطاب الأدبي التخيلي عامة حيث قال: "إنها نوع من الخطاب الجدّي الخيالي الذي يسعى فيه المتكلم بطريقة واعية مقصودة إلى التعبير عن نواياه بطريقة غير مباشرة"⁴؛ فالخطاب التخيلي خطاب ذو مقاصد جادة، و"الفعل التخيلي عنده - كما قد أشرنا سالفاً- يعرض تقريبا بشكل متستر"⁵، وهنا يأتي دور القارئ لأنّ: "النص باعتباره جهازا متوانيا يفرض على القارئ عملا تعاونيا، ومكلف بتعبئة فضاءات اللاقول أو المقول أو ما قيل وهو كامن في بياضات"⁶، أي لابدّ من اجتهاد من قبل القارئ والتأويل للوصول إلى مقاصد الخطاب. وانطلاقا من هذا كله، يمكن القول بوجود الأفعال الكلامية في الخطاب التخيلي، بل هناك من ذهب إلى أبعد من هذا، فمسألة الإنجاز جعل نقاد الأدب "ينظرون إلى نظرية أفعال الكلام بوصفها نظرية تساعد على إضاءة الصعوبات النصّية، أو تساعد في فهم طبيعة الأنواع الأدبية"⁷.

¹- إلفي بولان، المقاربة التداولية للأدب، تر: محمد تنفو، ط1، القاهرة: 2018، دار رؤية للنشر والتوزيع، ص89

²- شيتز رحيمة، تداولية النص الشعري، جمهرة أشعار العرب نموذجا، 157

³- المرجع نفسه، ص157

⁴- جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، عمان: 2016، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ص95

⁵- ذهبية حمو الحاج، قضايا التداولية والخطاب، ص101

⁶- المرجع نفسه، ص87

⁷- المرجع نفسه، ص103

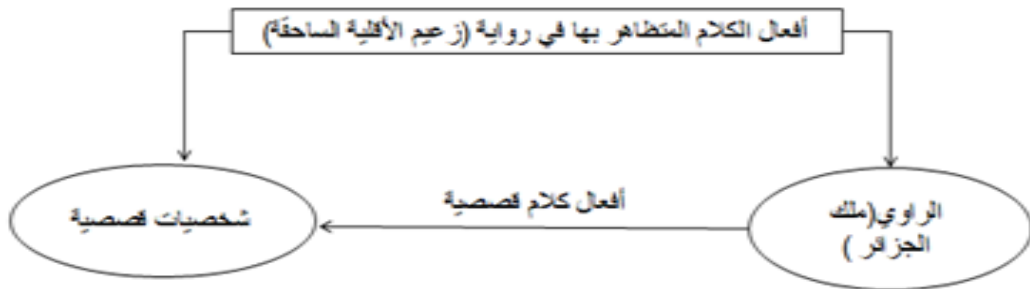
2/1. الفعل الكلامي السردى والتظاهر: ينطلق مفهوم التظاهر الذي تبناه سيرل على ذلك الوصف التداولي للقصة القائم على الادعاء بأن كاتب القصة يتظاهر بإنجاز أفعال الكلام¹؛ أي يتظاهر بإنجاز أفعال الكلام وهو في الحقيقة لا ينجزها، ولقد لقيت هذه النظرة عدم القبول الكامل من طرف بعض الباحثين، وقد سعوا لتجاوز هذه النظرة وتكوين تفسير لأفعال الكلامية في القصة وبالرغم من أن هذه المسألة لقيت صعوبات في تفسير الفعل الكلامي في القصة، إلا أن حاول مجموعة من الباحثين قامت بمعالجة هذه المسألة، إذ تم اقتراح بديل لتحليل أفعال الكلام، وذلك انطلاقاً من عمليتي الاختلاق والنسبة، فالكاتب يخلق قصة حينما ينسب ما يكتبه إلى متكلم أو متحدّث آخر يختلقه، وبالتالي نكون إزاء عالم قصصي، يتضمن متكلماً ومستمعاً قصصيين وبالتالي تؤدي أفعالها الكلامية على نحو طبيعي داخل القصة، فالكاتب يخلق قصة حينما ينسب ما يكتبه إلى متحدّث آخر أي أن الكاتب ينسب إنجاز أفعال كلامه إلى متكلم يختلقه، ومن عملية الاختلاق والنسبة هذه، نستنتج أن الكاتب والقارئ الحقيقيين من جهة أخرى ليسا جزءاً من هذا السياق وهما بذلك لا يتفاعلان مع بعضهما البعض على المستوى التواصلية² وعلى هذا يمكننا القول بأن أفعال الكلام في القصة أو الرواية تؤدي وظائفها بشكل عادي داخل نمطها السردى وهذا بالنظر إلى البنية التداولية للقصة بشكل عام.

وقد حاول الباحثون التفصيل في المسألة ومعالجتها بشكل أعمق، وكان ذلك انطلاقاً من تمييزهم بين نوعين من أفعال الكلام في القصة أو الرواية؛ أفعال الكلام للشخصيات القصصية من جهة وأفعال الكلام المتظاهر بها للكاتب أو الراوي من جهة أخرى؛ فالحديث عن أفعال الكلام في الرواية أو القصة بشكل عام هو حديث عن نوعين من الأفعال الكلامية، أفعال الكلام المتظاهر بها المرتبطة بالكاتب، وأفعال الكلام المتعلقة بالشخصيات القصصية، وعلى هذا الأساس ارتبط الوصف التداولي للقصة بأفعال الكلام المتظاهر بها والتي ينجزها الكاتب؛ فتحليل فعل الكلام المتظاهر به في القصة "يتطلب الحاجة إلى نوعين مختلفين من أفعال الكلام من أجل تفسير

¹ -جون-ك. آدمز، التداولية والسرد، ص 18

² - المرجع نفسه، ص 19

القصة: أفعال الكلام المتظاهر بها للكاتب من جهة وأفعال الكلام القصصية من جهة أخرى¹ وبالنسبة للأفعال الكلامية للشخصيات القصصية فإنها تؤدي وظيفتها على نحو طبيعي إذ تنجز أفعالها الكلامية داخل القصة "أفعال كلام الشخصيات داخل الخطاب القصصي تؤدي وظيفتها على نحو طبيعي اعتيادي"²، أما بالنسبة للراوي أو الكاتب، فيمكنه أن يقوم بنوعين من أفعال الكلام: أفعال كلامية متظاهر بها وأفعال كلامية قصصية، وعليه "فإن الحاجة إلى الادعاء بأن الراوي ينجز أفعال كلام متظاهر بها، تبرز فقط إذا تطابق الراوي مع الكاتب وصار شخصا حقيقيا من عالم حقيقي يتكلم إلينا، لكن إذا كان الراوي شبيها بالشخصيات القصصية؛ أي أنه جزء من القصة، فهو إذن كالشخصيات ما يقوله قصصي"³، وإذا أردنا تقريب وتوضيح مسألة الأفعال الكلامية المتظاهر بها في نماذج النصوص انطلاقا من هذه النظرة، فإننا نجد أنفسنا أمام متكلمين قصصيين، وهذا في روايتي (زعيم الأقلية الساحقة وكذا في رواية حضرة الجنرال)، فالراوي في رواية "زعيم الأقلية الساحقة هو (ملك الجزائر)، وهو شخصية قصصية يتظاهر الكاتب بتقمصها، وبالتالي يمكن القول بأن الراوي ينجز أفعاله الكلامية بشكل عادي وبالتالي تكون فكرة التظاهر غير ضرورية، ويمكننا توضيح ذلك في هذا المخطط كالاتي:



مخطط يوضح الأفعال الكلامية المتظاهر بها في رواية "زعيم الأقلية الساحقة"

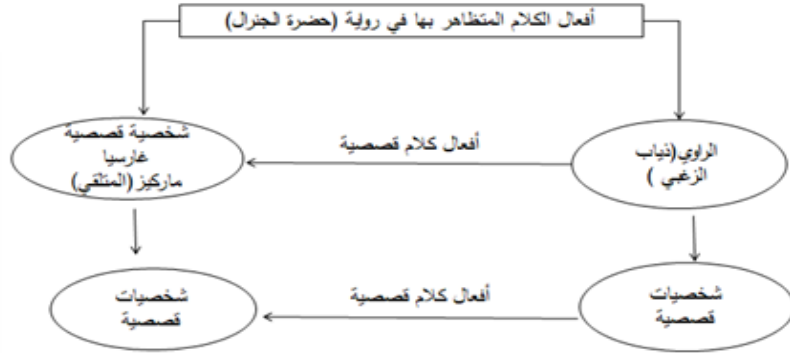
وكذلك بالنسبة لرواية "حضرة الجنرال"، والتي ارتبطت بمنكلم قصصي (ذياب الزغبى)، وعليه فهو ينجز أفعاله الكلامية داخل الرواية "فحينما يقال أن الكاتب يتظاهر بأنه متكلم قصصي

¹ - جون ك. آدمز، التداولية والسرد، ص 21

² - المرجع نفسه، ص 19

³ - المرجع نفسه، ص 21

(يتقّم ذلك)، فإن فكرة التظاهر نفسها تصبح غير ضرورية وناقلة¹ ويمكننا توضيح ذلك كالاتي:



مخطط يوضّح الأفعال الكلامية المتظاهر بها في رواية "حضرة الجنرال"

ولقد حاول الباحث (جون، ك، آدمز J-k-Adams)* تفسير هذه المسألة بشكل أوضح وتوصل إلى اعتبار أنّ الأفعال الكلامية المتظاهر بها هي حقيقية وقصصية في الوقت ذاته حيث قال: "إنّ فعل الكلام المتظاهر به هو في الحقيقة فعل كلام في فعل واحد طالما أن الكاتب حقيقي فعليه أن ينجز أفعال كلامية في عالمنا، لكن طالما ظهرت أفعال الكلام المتظاهر بها في القصة فإنّها أيضا تؤدي وظيفتها في عالم القصة، بمعنى أن أفعال الكلام المتظاهر بها هي حقيقية وقصصية في الوقت نفسه، إنّ هذه التعدية في أفعال الكلام، تنتهك مبدأ البساطة، وإذا كان الراوي، على العكس من ذلك، قصصيا، فلا حاجة إذاً للأفعال المتظاهر بها"² وانطلاقا من هذا يمكن القول أنّ الراوي: "سواء اعتبرناه الكاتب أم لا، حينما ينجز ما سميناه بأفعال الكلام المتظاهر بها، فإن أفعال الكلام هذه تمتلك المكانة نفسها التي تمتلكها أفعال كلام الشخصيات في علاقتها بكل من الخطاب القصصي واللاقصصي"³

¹- جون-ك. آدمز، التداولية والسرد، ص22

*:- أستاذ في جامعة فريبيرك (Freiburg University)، حصل على الدكتوراه عام 1983 عن أطروحته الموسومة بـ (The reader Pragmatics of Fiction)، ومن كتبه الأخرى (Narrative Explanation) وكذا (Pragmatic Theory of Discourse 1996A) المترجم، نقلا عن كتابه (التداولية والسرد؛ تر: خالد سهر).

²- جون-ك. آدمز، التداولية والسرد، ص21.

³- المرجع نفسه، ص19

وإذا أردنا تفسير أفعال الكلام في رواية "حرب الفتوى" انطلاقاً من تحليل جون آدمز باعتبار تطابق الرّاي مع الكاتب، فإنّ الوضع القصصي لأفعالها الكلامية يقوم على النحو الآتي:

- بالنسبة للشخصيات القصصية فهي تؤدي أفعال كلامية قصصية في عالم القصة؛

- أما بالنسبة للرّاي فهو يتطابق مع الكاتب، وهنا يمكننا الحديث عن نوعين من الأفعال، فالكاتب يؤدي في الرواية أفعال كلامية قصصية وحقيقية وهذا كما توضحه هذه الأقوال الآتية:

- "الله...الله عليك يا سي الهادي...وأنت عمّا تسأل يا سي الهادي؟ عن دمّ رقبة واحدة أم دمّاء كثيرة؟ فيما قتلت؟ ولأيّ ذنب قتلت..."¹؛

- "فطن الهادي بعد فوات الأوان...ماذا يفعل المسكين...تذكر البيت...تذكر أخته وأباه... تذكر كلّ شيء..."²؛

- لماذا لا تقوم لنا قائمة عامرة مليئة بالأفكار والإبداع والاختراع...هلا تقوم لنا من شهيم عريف بالحياة خبير بالدنيا أفكارا وقدحا ونقحا بعيدا عن فتاوى المعاداة والمصادمة والحرب..."³

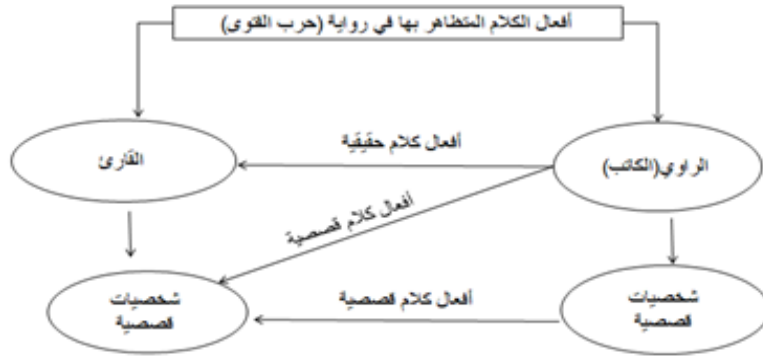
إذا حاولنا تحليل هذه الأقوال انطلاقاً مما ذكرناه آنفا نلاحظ في القول الأول أن الكاتب يخاطب شخصية قصصية في الرواية (الهادي)؛ وبالتالي الكاتب هنا يؤدي فعلاً كلامياً قصصياً باعتبار ارتباطه التام بالعالم القصصي، أمّا بالنسبة القول الثاني، فالكاتب يؤدي هنا مجموعة من أفعال كلامية إخبارية (إثباتات)، وهنا تؤدي وظيفتها داخل القصة و خارجها؛ وبالتالي يمكن اعتبار أنّ هذه الأفعال هي أفعال قصصية وحقيقية في الوقت نفسه؛ إذ تكون هذه الأفعال الكلامية قصصية؛ وهذا باعتبار ارتباطها بعالم القصة، وتكون حقيقية باعتبار أن الكاتب هنا يسرد تفاصيل القصة لقارئه (التواصل مع القارئ لإخباره بأحداث معينة) ويخرج بذلك إلى العالم الواقعي انطلاقاً من هذه الأفعال، وبالتالي يكون هو الموجّه إليه بالخطاب. وفي هذه النقطة نلتقي مع إشكالية صدق المؤلف-باعتبار أنّ الكاتب يسرد قصة افتراضية خيالية-والتي تمّ تجاوزها من قبل الباحثين انطلاقاً من المنظومة الثقافية التي تنظم الكتابة الروائية (الكاتب والقارئ على وعي بها). أمّا بالنسبة

¹- رواية (حرب الفتوى)، ص313

²- المصدر نفسه، ص312

³- المصدر نفسه، ص340

للملفوظ الأخير فإننا نلمس انفصال الكاتب تماما عن عالم الرواية إلى العالم الواقعي إذ ينجز هنا أفعالا كلامية توجيهية حقيقية ترتبط بالعالم الحقيقي الذي يجمعه مع القارئ. ويمكننا توضيح ذلك في الشكل الآتي:



مخطط يوضح الأفعال الكلامية المتظاهر بها في رواية "زعيم الألفية الساحقة"

وعموما يمكننا القول انطلاقا من تجاوز الباحثون لإشكالياتي التخيل والتظاهر تحقق إمكانية الخوض في دراسة أفعال الكلام في الخطاب السردى والبحث عن تجلياتها، والتي تتضمن قوى إنجازية مدفوعة برغبة في التعبير والتغيير، وهذا انطلاقا من الفعل الذي يؤديه الكاتب منذ اللحظة الأولى لأن: "الحديث عن أفعال الكلام في الخطاب السردى يحتاج إلى تلمس مواطنه، وهو محقق-لا شك-فيه نشأ البناء القصصي منذ لحظة تأسيس خطابه؛ فالإنجاز هو ما يرنو إليه الراوي منذ لحظة القص الأولى، كذلك تعقل الشخصية، ثم انتظار الأثر/ التأثير"¹

2. الأفعال الكلامية والقوى الإنجازية في الخطاب الروائي:

1/2. الأفعال الكلامية: يرتبط الخطاب الروائي بمجموعة من الأفعال الكلامية، وهو بذلك لا يختلف عن أي خطاب آخر من حيث احتوائه لها، وما تحققه من قوى إنجازية، فالرواية تكشف لنا مجموعة من الأفعال الكلامية التي تؤدي وظائف إنجازية داخل بنائها السردى، ويمكن التطرق لها بالاعتماد على تصنيف "سيرل" على النحو التالي:

¹-محمد بن عبد الله المشهورى، التداولية السردية في خطاب الأقصوصة النسائية، ص245.

1/1/2. الإخباريات* (Assertives): الإخباريات هي الأفعال الكلامية التي تصف أحداثا ووقائع والرواية في مجملها أفعالا كلامية تصف أحداثا، وغرضها الإنجازي هو تصوير ونقل السارد لواقعة ما وتكمن قوتها الإنجازية في مدى وصول هذه الأخبار للمتلقي¹، وإذا تقصينا أثر الإخباريات في نماذج النصوص، نجد أنها متجلية بشكل واضح وملزمة لها، وتتجلى عموما في الإخبار ووصف واقع سياسي محدد، وأكثر الأفعال الكلامية الإخبارية في الروايات هو الحديث عن الذات. اعتمد السارد في رواية "زعيم الأقلية الساحقة" كثيرا على الإخباريات موظفا في ذلك الإخبار والوصف، وأكثر ما لازمت الإخباريات في الرواية حديث السارد (ملك الجزائر) عن ذاته وعن قناعاته، وهو ما اقتضاه مقام الخطاب والمرتبب بتجربة حياة ديكتاتور (سيرة ذاتية)، وهذا ما جعل من حديثه وتلفظه محورا مركزيا للحديث عن الذات، ساعيا لإعطاء صورة عن ذاته كملك عابث ومتعجرف؛ إذ يقول: "كنت ملك الجزائر وما ولاها من الضواحي، أحكم مملكتي بالقوة والعبث.... أنا لست صنيع ملابسي وهندامي، أنا صنيع يدي ويدي بما كسبت...²؛ "أنا شخصا حياتي مدفوعة التكاليف مسبقا...³؛ "...أنا لست باحثا عن المجد...أنا باحث عن المال...المال فقط، أما ما يترتب عن ذلك فتحصيل حاصل: السلطة والقوة والحرية والعبث...⁴، وفي إطار الحديث عن الذات يلحُ "ديكرو" على مركزية التلفظ في بناء صورة للذات، ذلك أن: "جهات قوله تسمح بمعرفة المتكلم أحسن مما يستطيع إثباته عن نفسه، ويتجلى هذا باستخدام "أنا" فبمجرد التلفظ تتجسد صورة الذات المتكلمة والتي يتصورها المتلقي"⁵، كما اعتمد السارد في الرواية على الإخباريات في ما وصفه من مملكته وواقعه.

وكذلك تجلى في رواية (حضرة الجنرال) الإخبار عن الذات، وذلك من خلال توظيف السارد (ذياب الزغبى) الضمير (أنا)، "أنا آخر بطريك عربي" "قومجي" حكمت الامبراطورية" قرنا كاملا

*- وتسمى أيضا: الاخبارات؛ التأكيدات؛ الجزميات؛ الممثلات؛ التمثيليات؛ الإثباتات؛ التقريريات.

1- عبد الحكيم سحالية، تداولية أفعال الكلام في الخطاب الروائي لأحلام مستغانمي، دراسة في عابر سرير ونسيان كوم ص311

2- رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص07

3- المصدر نفسه، ص16

4- المصدر نفسه، ص17

5- ينظر: محمد بن عبد الله المشهوري، التداولية السردية في خطاب الأقصوصة النسائية، ص246

بحنكة وقبضة حديدية وسيف مسلول¹؛ "أنا فارس وجنرال وديكتاتور "أوليغارشي" محلي منسي يبحث عن قلم يمنحه أضواء الشهرة"²، وتكمن القوة الإنجازية لهذه الملفوظات فيما يوصله للمتلقي من أخبار ومعلومات عن ذاته وشخصيته "قالوصف والإخبار والتقارير هي أفعال إنجازية والقوة المتضمنة فيها هي إيصال المعلومات والأخبار إلى المتلقين، والفعل الناتج عن القول هو الأثر الذي يتركه هذا (الفعل/ التفظ) في السامعين"³، ويواصل السارد (الجنرال نياب) عملية الإخبار والسرد في ما ينقله ويصفه من أحداث عن حياته وتفاصيلها.

أما في رواية (حرب الفتوى)، فلقد تجلت الإخباريات، في ما ظهر على لسان الشخصيات القصصية(الذوات المتلفظة)، والتي حاولت هي الأخرى الإخبار عن ذواتها، محاولة إيصال المعلومات للمتلقي، وقد ظهر ذلك من خلال حديث الهادي عن ذاته وحياته ، وهذا كما جاء في الرواية: "أنا إنسان فشلت في دراستي...اشتغلت بذرعي...وعندي فراغ كبير ما عندي وين نقضيه...إلا في المسجد...ومن ثم انتميت لرواد المسجد..."⁴؛ "أنا أدعوا للتغيير بالسلم"⁵؛ وكذلك بالنسبة للشرطي شاطر الذي حاول تقديم معلومات تخص عمله والتحاقه بصفوف الشرطة في خطاب له مع الهادي؛ إذ يقول: ".ترقيتي لضابط شرطة قضائية ليس بواسطة أو معرفة... أنا زوالي...وانتميت لهذا الجهاز عن قناعة وحب ودراية بنتأجه..."⁶، ويمكننا الإشارة في الرواية أيضا إلى الإخباريات التي تجلت في الأقوال التي يسردها الراوي (الكاتب)، والتي عرفت عند الباحثين بالأفعال المتظاهر بها⁷ باعتبارها تنجز أقوالا تتضمن أعمالا لا تنجز في الحقيقة (الإيهام بالإخبار أو الإثباتات)، لكن في الحقيقة يمكن اعتبارها أقوالا حقق بها الكاتب أعمالا

¹ - رواية (حضرة الجنرال)، ص 11

² - المصدر نفسه، ص 07

³ - عبد الحكيم سحالية، تداولية أفعال الكلام في الخطاب الروائي لأحلام مستغانمي، دراسة في عابر سرير ونسيان كوم ص 312

⁴ - رواية (حرب الفتوى)، ص 74

⁵ - المصدر نفسه، ص 74

⁶ - المصدر نفسه، ص 76

⁷ - ينظر: عادل بن علي الغامدي، الحجاج في قصص الأمثال القديمة (مقاربة سردية تداولية)، ط1، الأردن: 2016 كنور المعرفة للنشر والتوزيع، ص 264

متضمنة في هذه الأقوال هي الإخباريات والتقارير كونها تؤدي وظيفتها داخل الإطار القصصي، وخارجه (التواصل مع القارئ)، وهذا بحسب تفسير ج، ك، آدمز للأفعال المتظاهرة بها، وبذلك هي لا تختلف كثير عن الأفعال الكلامية القصصية، لأن: "الأفعال الكلامية التي ينجزها الكاتب (المتظاهر بها)، تمتلك المكانة نفسها التي تمتلكها أفعال كلام الشخصيات القصصية في علاقتها بكل من الخطاب القصصي أو اللاقصصي"¹، وقد تجلت الإخباريات كذلك في الرواية على لسان الراوي (الكاتب)، والتي أنجز من خلالها أفعال حقيقية وقصصية في الوقت ذاته²؛ لأن الكاتب ينجز أفعاله الكلامية في العالم الواقعي خارج الإطار السردى باعتبار تواصله مع القارئ، كما أدت هذه الأفعال الكلامية أيضا وظائفها في داخل السرد باعتبار ارتباطها بعالم القصة). وقد تجلت هذه الأفعال في الرواية، في ما وصف به واقعه السياسي المرتبط بالحدث الروائي وكذلك برزت كثيرا في ما نقله من أخبار عن الهادي وتحولات حياته بشكل عام.

2/1/2. التعبيرات*(Expressives): هي الأفعال الكلامية التي يعبر بها المتكلم عن مشاعره وأحاسيسه وتظهر في عدة حالات: كالرضا، والغضب، والسرور، والحب والكره والحزن... وقد تتعدى إلى ما يحدث للمشاركين في الفعل، وتتعكس آثاره النفسية والشعورية على المتكلم، والغرض الإنجازي منها هو التعبير عن الموقف النفسي، بشرط الإخلاص³

وقد وردت نماذج متعددة للتعبيرات في نماذج الروايات، ولعل أكثرها ما جاء في روايتي (حضرة الجنرال)، (وزعيم الأقلية الساحقة)، فلقد حاول (الجنرال ذياب) في رواية (حضرة الجنرال) الإفصاح عما يختلج في أعماقه من حزن واكتئاب وضعف، بالرغم من قوته وتكبره وشخصيته المتسلطة كاشفا عن حقيقته وحقيقة حبه لكاتبه فيقول: "أنا مجرد عاشق عاثر الحظ، متيم منذ الأزل بالجازية"⁴، كما يعترف كذلك: "إنها لحظة رهيبة ومخيفة ومحبطة حقا أن يتقدم بالمرء سنة

¹ - جون-ك. آدمز، التداولية والسرد، ص19

² - المرجع نفسه، ص21

*- وتسمى أيضا بالبوحيات.

³ - ينظر: عبد الحكيم سحالية، تداولية أفعال الكلام في الخطاب الروائي لأحلام مستغانمي، دراسة في عابر سرير ونسيان

كوم ص326

⁴ - رواية (حضرة الجنرال)، ص35.

ويمشي ببطء نحو حتفه... ويشعر بما اشعر به الآن من ضعف وعجز وحزن، و ببعض الخوف"¹ وقد كان الغرض التداولي من خلال هذه الأفعال مرتبطا بمساعي (الجنرال ذياب) لتغيير نظرة كاتبه إزائه، وجعله متفهما أكثر لنفسية الديكتاتور، لكتابة سيرته الذاتية بأكثر تحفظا وإنصافا، وهذا يُوضحه بشكل صريح في قوله: "الديكتاتور هو الآخر انسان يحب ويكره ويخاف و..."²، وبعكس ما عبّر عنه (الجنرال ذياب) من إحساس بالضعف والحزن والخوف... عبّر (ملك الجزائر) في رواية "زعيم الأقلية الساحقة" في إحساسات متنوعة وتعبيرات مختلفة عن السرور والفرح والرضا والنجاح وقد عبّر عنها الملك العابث بشكل ساخر، مظهرا فيها عجزه واستبداده وخبثه فقد عبر الملك عن إحساسه بالفرح والسرور من خلال ما حققه من ربح وثروة؛ إذ يقول: "أشعر بفرح شبيهه بلذة الانتعاش وأنا أضيف رزمة جديدة لجبال الأوراق النقدية التي أكدسها في خزائني"³، وكذا عبّر عن سعادته من خلال ما حققه من قوة وسلطة وجبروت وغطرسة إزاء رعاياه وخصومه وهذا في قوله: "لذة عظيمة تلك التي يشعر بها الملك وهو يرى رعاياه يتمسكون وينتحبون كالأرامل أمامه خائفين طائعين راكعين"⁴، كما عبّر الملك في خطاب ساخر عن إحساسه بالرضا وما حققه من إنجازات وانتصارات ونجاح كما جاء في الرواية: "أنا الآن أذهب دون خجل إلى خاتمتي بما يكفي من مال وراحة الضمير"⁵؛ "أشعر وكأنني كنت دائما هنا وكأنني هنا منذ قرون... أعبر السنين والأجيال بحرية مطلقة"⁶، وتعكس هذه الملفوظات أبعاد تداولية مرتبطة بمقاصد الخطاب.

3/1/2. الإلزاميات* (Commissives): وهي جملة الأفعال الكلامية التي "يقصدها المتكلم طوعا بفعل شيء للمخاطب في ما يستقبل من الزمن وشرط ذلك إخلاص المتكلم في خطابه وأن يكون على عزم بالوفاء بما التزم به، ومنها: أفعال الوعد والوعيد والمعاهدة، والضمنان والوصية"⁷

¹ - رواية (حضرة الجنرال)، ص 23.

² - المصدر نفسه، ص 14.

³ - رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 16.

⁴ - المصدر نفسه، ص 42.

⁵ - المصدر نفسه، ص 176.

⁶ - المصدر نفسه، ص 10.

* - وتسمى أيضا بالوعديات

⁷ - عبد الحكيم سحالية، تداولية أفعال الكلام في الخطاب الروائي لأحلام مستغانمي، دراسة في عابر سرير ونسيان كوم ص 321.

تجلت الإلزاميات في رواية (حضرة الجنرال) من خلال ما ظهر من أفعال الوعيد على أسنة الشخصيات القصصية؛ إذ يقول أبو زيد موجهًا خطابه للجنرال ذياب: "ستعب يا جنرال ذياب... وستكون نهايتك وخيمة، من يطعن أصدقاءه ورفقاءه دربه في الظهر فليهيئ ظهره"¹، وقد كان ذلك عقب غدر "الجنرال ذياب" له وتمرده على قومه من أجل الاستيلاء على حكم الإمبراطورية.

وفي رواية (حرب الفتوى) تجلت كذلك أفعال الوعيد على مستوى التحوارات السردية، وقد ظهر ذلك في خطاب والد الهادي؛ إذ يقول في خطاب موجه لابنه: "ستندم يا ولدي... سيضرك هؤلاء الشيوخ"²، وقد كان ذلك نتيجة تمسكه بفكره ورأيه وعدم الإنصات لتوجيهات من حوله وتعصبه لفكره، أما في رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، فقد اعتمد ملك الجزائر كذلك على مجموعة من الإلزاميات إذ يقول في خطاب له موجهًا لملوك المستقبل: "لقد وعدتكم منذ صفحات بعيدة بأني سأترك وصية قبل خروجي من الباب الخلفي للحياة، قلت لكم لن أسمح لأحد أن يرث عرشي من بعدي ويستغل طيبة رعاياي الأعزاء... سأترك كرسي الملك في الساحة العامة وعليه يدي، هذه اليد الطويلة التي اشتهرت بها بينكم، فإذا ما اختلفتم وتعاركتم حول تفاهاتكم اليومية كالعادة، تقاضوا عندها وارضوا بحكمها... إلى أن يجيئكم ذات يوم فاسد مثلي، فيلبسها... وصيتي لكم أيها الأندال القادمون: الملك الحق لا يرضى سوى بملك حق يرث عرشه..."³ واتضحت في هذه الأقوال أفعال الوعد والوصية في توجيه الملك لملوك المستقبل ووصيته لهم، وقد ساهمت هذه الأفعال في بناء أهداف ومقاصد الرواية بشكل عام.

4/1/2. التوجيهات* (Directives): تتمثل في الأفعال التي تتطلب من المخاطب أداء فعل ما وغايتها تكمن في "حمل الشخص على القيام بفعل معين، ويدخل ضمن أفعاله الأمر، النهي الاستفهام، الرجاء، الاستعطاف، التشجيع، الدعوة، النصح، وغرض التوجيهات الإنجازي هو توجيه

¹ - رواية (حضرة الجنرال)، ص 168

² - رواية (حرب الفتوى)، ص 135

³ - رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 186

* - وتسمى أيضا: الأمرات والطلبات؛ وسيكون التفصيل أكثر في التوجيهات في المبحث الثاني

المخاطب إلى الفعل والتأثير فيه، وتتميز بالوضوح في التعبير عن قصد المرسل¹، وقد تجلت أفعال التوجيه في نماذج النصوص بشكل بارز، حيث نجد سلطة (الأمر) أكثر من غيره في أفعال التوجيه، وتكمن قوتها الإنجازية في التأثير على المتلقي للقيام بفعل ما. فأفعال التوجيه قوة إنجازية يمكن أن نلمسها في الخطاب الروائي من الذوات المتلفظة وفي مدى تحقيق الأثر وإحداث التغيير. وقد برزت التوجيهات أكثر في رواية (حرب الفتوى)، وهذا نظراً لمضمون الرواية، وما تحمله من نصائح وإرشادات وتوجيهات موجهة للهادي في عمومها، والتي من شأنها أن تؤثر فيه ليعود لرشده كما جاء على لسان الشخصيات القصصية التي تنشد إرشاد الهادي وتوجيهه... ويتضح ذلك من خلال الأقوال الآتية: "يا بني اتق الله...يا بني...عد إلى رشدك...عد إلى أهلك وناسك وبيتك"²؛ "يا رجل خاف ربي..."³؛ "أيها الإنسان...أيها المنقذ أنقذ نفسك"⁴؛ "يا الهادي اتق الله وراعاه في أهلك وأختك..."⁵، وقد تجسدت هنا التوجيهات من خلال الآليات التخاطبية التوجيهية وتدرج هذه الآليات التخاطبية (الأوامر والنواهي...) حسب تصنيف سورل للأعمال اللغوية (سورل، 1979) ضمن الطلبات (les directifs)، حيث تقوم جهة الإنشاء على دفع المخاطب إلى عمل من الأعمال يأتيه لتحقيق إرادة المتكلم (الأمر، الناهي)⁶

5/1/2. الإعلانيات* (Declaratives): وهي أفعال كلامية "تتصل بكل ما يخص المتكلم، وهي جملة التصريحات والإعلانات التي يصدرها المرسل اتجاه المتلقي، وتهدف إلى إحداث تغيير في الوضع القائم بمجرد التلفظ بها عن طريق الإعلان"⁷؛ ومن نماذج الإعلانيات في الروايات، ما

¹ عبد الحكيم سحالية، تداولية أفعال الكلام في الخطاب الروائي لأحلام مستغانمي، دراسة في عابر سرير ونسيان كوم، ص315

² رواية (حرب الفتوى)، ص134

³ المصدر نفسه، ص103

⁴ المصدر نفسه، ص163

⁵ المصدر نفسه، ص89

⁶ ينظر: الصحبي هدوي، الإنشاء بالقول، مقارنة نحوية تداولية للأوامر والنواهي أعمالاً لغوية، ط1، الأردن، 2016: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ص133.

*وتسمى كذلك بالتصريحات.

⁷ ينظر: عبد الحكيم سحالية، تداولية أفعال الكلام في الخطاب الروائي لأحلام مستغانمي، دراسة في عابر سرير ونسيان كوم ص331

اتّضح بشكل بارز في رواية (حضرة الجنرال)، والذي أعلن عنه (الجنرال ذياب) بعد تمرده وغدره بزملاء الحلف والذي ارتبط بإحداث تغيير جذري في الحكم وفي سياسة بني هلال بتعيين نفسه الملك الجديد على رأس الإمبراطورية، إذ "يرتبط الغرض الإنجازي للاعلانات عموماً بإحداث تغيير"¹، وهذا كما جاء في قوله: "أصبحت منذ اليوم أنا: حضرة الجنرال ذياب الزغبى، فارس الفرسان، القائد الملهم، الزعيم المفدى: يخول لي دستوري أن أعين وأنهاي مهام الوزراء... أعين وأنهاي مهام الولاة... أعين وأنهاي و.... ويخول لي وحدي أن أقرر السياسة الداخلية والخارجية... يخول لي وحدي..."²، أما عن القوة الإنجازية لهذا الملفوظ فقد اتضحت في ما أبداه رعيته وقبيلته من خضوع وطاعة وقبول لأوامره وتقبلهم له كرئيس جديد للإمبراطورية، وقد كان ذلك عن خوف منهم.

2/2. أنواع الأفعال الإنجازية: تتجسد الأفعال الكلامية في الخطاب بنوعين من الأفعال، الأفعال الإنجازية المباشرة، والأفعال الكلامية غير المباشرة، وهو ما نجده في الخطاب الروائي حيث يمكن أن "تدل على ما يدل عليه المنطوق بشكله الظاهر الصريح وتكون بذلك أفعال إنجازية مباشرة كما يمكن أن تستتر خلف ما يدل عليه الملفوظ في شكله الظاهر وتكون بذلك أفعال إنجازية غير مباشرة"³، وإن اختيار الكاتب لهذه الأفعال تكون لغاية يسعى إليها ولمقاصد يرمي إليها، ويمكننا التطرق لهذين النوعين كالاتي:

1/2/2. الفعل الكلامي المباشر: يرى سيرل Searl أنّ الفعل الكلامي المباشر هو "الفعل الذي يتلفظ به المتكلم في خطابه، وهو يعني حرفياً ما يقول"⁴، أو بتعبير آخر هي الأفعال التي تطابق قوتها الإنجازية مراد المتكلم، فيكون معنى ما ينطقه مطابقاً مطابقة تامة وحرفية لما يريد أن يقول⁵، وقد تجلت الأفعال الكلامية المباشرة في النصوص الروائية، كرواية (حضرة الجنرال)

¹ - محمد مدور، نظرية الأفعال الكلامية بين التراث العربي والمناهج الحديثة (دراسة تداولية)، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع16، غرداية: 2012: قسم اللغة العربية وآدابها المركز الجامعي، ص52

² - رواية (حضرة الجنرال)، ص169

³ - ينظر: ابتسام بن خراف، أفعال الكلام في قصة كليم الرحمان موسى عليه السلام، مجلة كلية الآداب واللغات، ع12 بسكرة، 2013، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ص346.

⁴ - John. R.Searl, Sens et Expression (études de théorie des actes de langage) traduction et préface par Joëlle Proust, Paris : 1982, Les Edition de Minuit, P71.

⁵ - محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، الإسكندرية، 2002: دار المعرفة الجامعية، ص80

وبخاصة في رواية (حرب الفتوى)، التي جاءت أفعالها الكلامية بشكل عام، مباشرة، والتي ترتبط مدلولاتها بصيغتها التلفظية المباشرة، الذي يؤخذ مباشرة من تركيب العبارة نفسها¹، ففي الرواية جاءت الأفعال الإنجازية للفعل الكلامي مباشرا، لم يحتج المتلقي للبحث عن المعاني الخفية والمقاصد الضمنية من تلفظ الفعل الكلامي، ويعود ذلك لطبيعة مضمون الرواية؛ إذ يبدو أن الكاتب كان ينجح كثيرا للأفعال الكلامية المباشرة، في ما تجسد من أفعاله الكلامية وأفعال كلام الذات المتلفظة القصصية، والمرتبطة بالمواقف: النصح، والإرشاد والتوجيه بشكل عام المرتبط بالمقام واستراتيجيات الخطاب، كما يمكننا القول أن اعتماد الرواية على الأفعال الإنجازية المباشرة لا يعني أن الرواية تخلو من الأفعال الإنجازية غير المباشرة، بل تتضمن كذلك لمثل هذه الأنواع.

2/2/2. الفعل الإنجازي غير المباشر*: اهتم سيرل Searl بالأفعال الكلامية غير المباشرة وقد عرفها بقوله: "هي الأفعال التي يختلف فيها معنى كلام المتلفظ مع معنى الجملة (صيغة الجملة)؛ إذ يقول المتلفظ ما يقوله لكنه لا يزال يريد قول أشياء أخرى"²، وتلخيصها أكثر هي "الأفعال ذات المعاني الضمنية التي لا تدل عليها صيغة الجملة بالضرورة، ولكن للسياق دخلا في تحديدها والتوجيه إليها، وهي تشتمل على معان عرفية وحوارية"³ كما توضح على أنها: "إذا ما تم القيام بفعل ما داخل في القول بواسطة فعل آخر داخل في القول، فالفعل الأول يسمى فعلا كلاميا غير مباشرا"⁴، وفي هذا النوع يحتاج المتلقي إلى الإلمام بكل عناصر السياق ومقام التلفظ لاستنتاج المعاني غير المباشرة والوصول لمقاصد الخطاب لأن "الدلالة الإنجازية غير المباشرة لا يتوصل إليها، إلا عبر عمليات ذهنية استدلالية تتفاوت من حيث البساطة والتعقيد"⁵، وتضمن الخطاب الروائي في مدونة النصوص لمثل هذا النوع من الأفعال الكلامية، والتي انحرفت عن مسارها الأصلي لتأخذ مسارات أخرى مرتبطة بسياق التلفظ ومقامه، وإن أكثر ما جسّد هذا النوع

¹ - ينظر: علي محمود حجي الصراف، في البراغماتية: الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ط1، القاهرة، 2010: مكتبة الآداب، ص99

* - سيتم التفصيل فيه في المبحث اللاحق في (التلميح والاضمارات الخطابية)

² - John. R.Searl, Sens et Expression(études de théorie des actes de langage), P71

³ - علي محمود حجي الصراف، في البراغماتية: الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص124

⁴ - المرجع نفسه، ص124

⁵ - علي محمود حجي الصراف، في البراغماتية: الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص99

من أفعال الكلام هو الاستفهام، والذي لا يدل على ما تحمله صيغته في الجملة، بل يتعدى ليدل على معان أخرى تستنتج من الموقف التواصلية السردية، والتي ترتبط بالقوة الانجازية المستلزمة والتي لا يتم توليدها إلا في طبقات مقامية معينة¹، ويمكننا التمثيل لهذه الحالة ما ورد في رواية (زعيم الأقلية الساحقة) من أفعال كلامية، حيث أخذ (ملك الجزائر) يوجه أسئلته الخارجة عن مجرد معرفة الإجابة، ليؤدي الاستفهام هنا وظيفة السخرية، مبرزاً في ذلك غروره وخبثه وقناعته المرتبطة بحبه للمال ساعياً لإثبات موقفه وهذا كما جاء في قوله: "ماذا يفعل الملوك بحب شعوبهم... هل تزيين كتب التاريخ؟"² "ماذا نتعلم ونتذكى إذا كنا نعلم عن إيجاد طريق المال، أو حتى اختراعه من ترهات الكتب التي أدمت عيوننا قراءة وتمارين؟"³ وكذلك ما تجلى في رواية (حضرة الجنرال)، من خلال ما عبرت عنه الشخصيات القصصية من مواقف استنكارية إزاء (الجنرال نيباب) كما جاء في الرواية: "أي قلب حقود شرير تحمل بين أضلاعك يا صديقي العزيز؟"⁴؛ "أي جرم ارتكبت في حق حكيم الهالين؟"⁵

وكذلك في رواية (حرب الفتوى)، تجلت أفعال إنجازية غير مباشرة، وقد تجسّد ذلك من خلال الاستفهام والذي عبر عن الاستنكار، والمرتبط بالفكر الفاسد الذي جاءت به الجماعات الإسلامية الإرهابية وهذا كما جاء في الأقوال الآتية: "أي فتوى هذه التي تستبيح دماء الناس؟"⁶؛ كيف لك أن تقول هذا؟"⁷، كما عبر الاستفهام عن أغراض أخرى.

3. الحدث الكلامي الروائي والفعل الكلامي الشامل:

تتضمن الرواية مجموعة من الأفعال الكلامية الإنجازية لتعبر عن مقاصدها الخطابية، وترتبط هذه الأفعال الكلامية بسياق محدد داخل مسارها السردية، يجتهد القارئ في استنتاج واستنباط

1- أحمد المتوكل، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، ط1، المملكة المغربية، 1993: منشورات كلية الآداب والعلوم

الإنسانية بالرباط، ص21

2- رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص81

3- المصدر نفسه، ص64

4- رواية (حضرة الجنرال)، ص168

5- المصدر نفسه، ص167

6- رواية (حرب الفتوى)، ص258

7- المصدر نفسه، ص107

أعراضها الإنجازية، وإنّ هذه الأفعال الكلامية ليست منعزلة، بل هي موحدة ومتكاملة؛ إذ "لا تظهر أفعال الكلام في النصوص القصصية منعزلة إنّما مع أفعال كلام أخرى، وحينما نقرأ نفهم فعل الكلام بربطه بأفعال كلام أخرى في السياق"¹ وهذا باعتبار أن الرواية بالرغم من تعدد مواضيعها وتشابك أحداثها وشخصياتها، إلا أنها وحدة متكاملة ومنسجمة ترتبط بموضوع واحد منسجم، "فأهم ما يرتبط به النصّ السردي الانسجام والاستمرارية الموضوعاتية/ أو ما يسمى التيمية للخطاب *continuité thématique*، وهي العلاقات بين محتويات متتالية من الملفوظات والتي على أساسها يتسنى لنا فهم الخطاب. فكل خطاب تغيب فيه هذه الاستمرارية، ولا نجد فيه الربط بين المواضيع المدرجة، يصعب فهمه، وبالتالي الحكم على عدم انسجامه"²، فالبرغم من مختلف الأحداث والوقائع المتشابكة في الرواية، إلا أنها ترتبط لتشكل وحدة متكاملة ومنسجمة. وعلى هذا يمكننا القول أن الرواية تحتوي على مجموعة من الأفعال الكلامية ترتبط ببعضها لتؤدي الغرض العام للرواية، وعليه يمكننا الحديث عن شمولية الأفعال الكلامية وكليتها³، وفي هذا الإطار "يرى" فوندرليش "أن: "لكلّ فعل كلامي في النصّ علاقة عرفية إلى حدّ ما على الأقلّ بالأفعال الكلامية الأخرى (السابقة واللاحقة)... وبذلك يفضي كلّ فعل كلامي مفرد إلى تأسيس علاقات التزام خاصة"⁴، ونستنتج انطلاقاً من هذا القول بأن الأفعال الكلامية المفردة أو الجزئية ترتبط بعلاقات انسجام ببعضها، لتكوّن سلسلة من الأفعال الكلامية المتباينة، تؤدي المقصد الأساس من العمل الأدبي، لذا "فيجب أن يراعى في النظر إلى الأعمال الأدبية أنها ليست ملفوظات منعزلة بل كيان متكامل"⁵، ترتبط أفعالها الكلامية الجزئية ببعضها لتبني فعلا كلاميا أساسيا يرتبط بمقاصدها، وهذا يعني أنّ النصّ الروائي يمكن أن يُنتج فعلا كلاميا نصياً واحداً

¹ - جون-ك. آدمز، التداولية والسرد، تر: خالد سهر، ط1، العراق: 2009، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ص76.

² - حياة مختار أم السعد، تداولية الخطاب الروائي من انسجام الملفوظ إلى انسجام التلفظ، ط1، عمان، 2015: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ص66

³ - ينظر: فان دايك، النصّ والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي)، تر: عبد القادر قنيني المغربي، 2000 إفريقيا الشرق، ص309.

⁴ - جمعان بن عبد الكريم، من تحليل الخطاب إلى تحليل الخطاب النقدي (مناهج ونظريات)، ص85

⁵ - شيتير رحيمة، تداولية النصّ الشعري، جمهرة أشعار العرب نموذجاً، ص175

يرتبط بالحدث الكلامي أو فعل الكلام النَّصي¹، فمن الضروري اعتبار الأعمال الأدبية أحداثاً كلامية بدلا من كونها أفعال كلامية²، وهذا انطلاقاً من الصفة الجوهرية والميزة الأساسية التي تتميز بها النصوص الأدبية، والتي تتجلى في الوحدة النصية المتكاملة والمنسجمة.

1/3. الحدث الكلامي (المفهوم والرؤية): من المعروف أنّ الرواية تشكل نسقا موحدًا أو بنية كلية شاملة تفضي إلى مقصد محدد، وعليه يمكن اعتبار الرواية فعلا كلاميا واحدا، وهذا على غرار ما يحدث بالنسبة للشعر فالقصيدة الشعرية: "فعل كلامي جامع، تضي إلى مقصدية محددة"³ فالنص الأدبي يمكن أن يوصف على أنه فعل كلامي موحدٌ وشامل، "فان دايك" يري أنّ: "الدراسة التداولية للنصوص تستند إلى تأويل للنص بوصفه فعلا للسان أو بوصفه "سلسلة من أفعال اللسان"...وكما كان من الضروري إدخال بنى كبرى بخصوص تأويل "المضمون الإجمالي" للنص فإنه من الضروري إدخال بنى كبرى تداولية، وذلك لكي نستطيع أن نتكلم عن "الوظيفة الإجمالية" للنص، وبالفعل، فنحن إذ نتلفظ بنص ينظر إليه في كليته، فإننا ننجز أيضا فعلا لسانيا إجماليا أو "فعلا كبيرا من أفعال اللسان"⁴، فالرواية باعتبارها نصا أدبيا تتشكل من متواليات أفعال الكلام يمكن أن تنتج فعلا كلاميا شاملا.

يرتبط الحدث الكلامي بنظرية أفعال الكلام، وهو مفهوم من مفاهيمها، وينطلق الحدث الكلامي من الاتجاه النصي التداولي⁵ الذي ينظر إلى النص برمته على أنه بنية متكاملة تحقق التفاعل بين الكاتب والقارئ الذي يجتهد في تفكيك هذه البنية؛ "فالحدث الكلامي نشاط يظهر في التفاعلات الخطابية اللغوية بطريقة تواضعية، تفضي إلى نتيجة ما، ويمكن أن يحتوي على فعل مركزي، ولكن يمكن أيضا أن يحتوي (الحدث الكلامي) على منظوقات تقود إلى ردود أفعال متتابعة، تبني

¹ - جمعان بن عبد الكريم، من تحليل الخطاب إلى تحليل الخطاب النقدي (مناهج ونظريات)، ص 84

² - شير رحيمة، تداولية النص الشعري، جمهرة أشعار العرب نموذجاً، ص 175

³ - عمر بلخير، "التداولية والشعر"، مقالات في التداولية والخطاب، تيزي وزو: 2013، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، ص 221

⁴ - ينظر: فان دايك، النص: بنى ووظائف (مدخل أولي إلى علم النص)، تر: منذر عياشي، ضمن كتاب العلاماتية وعلم النص، ط1، بيروت، 2004: المركز الثقافي العربي، ص 171-174

⁵ - جمعان بن عبد الكريم، من تحليل الخطاب إلى تحليل الخطاب النقدي (مناهج ونظريات)، ص 79.

الفعل المركزي"¹، ويوضح هذا أنّ الحدث الكلامي في الرواية مثلا يظهر في سلسلة التحوارات السردية، التي تنتج بدورها سلسلة من الأفعال الكلامية، ويمكن لهذه السلسلة المتتابعة من الأفعال الكلامية أن تحتوي أو تشتمل على فعل مركزي واضح، كما يمكن أن تنتج هذه الأفعال الجزئية بتوحدّها فعلا كلاميا واحدا يعرف بالفعل الكلامي الشامل أو الكلي أو المركزي، ويجتهد القارئ في استنتاجه واستنباطه، وفي هذا الإطار "عمر بلخير" بخصوص الشعر: "القصيدة الشعرية فعل كلامي جامع. وتتدرج ضمن هذا الفعل الكلامي الجامع أفعال جزئية تؤدي هي أيضا أغراضا ووظائف تخرج كلها إلى الغرض أو المقصد الأساس الذي وضعت من أجله القصيدة"²؛ فالفعل الكلامي الكلي أو الجامع يحوي أو يشتمل على مجموعة من الأفعال الجزئية، وهذه الأفعال تخرج كلّها إلى بناء المقصد الكلي للقصيدة، أو في النصوص بشكل عام، إذ إن: "الفعل الكلامي الإنجازي الشامل أو الكلي أو الحدث الكلامي هو تأويل للنص بوصفه فعلا كلاميا إنجازيا واحدا وهو أمر ليس من السهولة الوصول إليه"³، لأنّه كثيرا ما يكون مستترا ضمنا في النصوص وبخاصة في الرواية التي قد تواجه صعوبات كثيرة في هذا الإطار، باعتبار خصوصياتها السردية التي تتعدد فيها الذوات المتلفظة والأحداث... لكن مع هذا نسعى للبحث في هذه الإشكالية وتطبيقها من خلال نماذج النصوص قصد تقديم لتوضيح للمسألة، بالرغم من أن هذه المسألة بقيت على مستوى التنظير ولم يتم تطبيقها على نحو كامل.

عموما الحدث الكلامي عند "فان دايك" هو: "دراسة التنظيم الشامل للفعل المشترك الإنجازي أي متوالية أفعال الكلام، والسياق وعلاقتها بالخطاب"⁴، ومتوالية أفعال الكلام المتنوعة تكون لها وظيفة إجمالية واحدة، وبالتالي تحدّد البنية الشاملة لأفعال الكلام.

وانطلاقا من كلّ هذا يتّضح أنّ الكلام عن الحدث الكلامي في الأعمال الأدبية أولى وأنسب من الحديث عن الأفعال الكلامية "فلعلّ الحدث الكلامي هو الأقرب للتعبير عن الأعمال الأدبية

¹ - شيرت رحيمة، تداولية النصّ الشعري، جبهة أشعار العرب نموذجا، ص158

² - عمر بلخير، "التداولية والشعر"، مقالات في التداولية والخطاب، تيزي وزو: 2013، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، ص230

³ - جمعان بن عبد الكريم، من تحليل الخطاب إلى تحليل الخطاب النقدي (مناهج ونظريات)، ص84

⁴ - المرجع نفسه، ص83

بوصفها حدثاً¹، فمن هنا يجب أن نتكلم عن الحدث الكلامي في الرواية أو النصوص السردية أكثر ما نتحدث عن الأفعال الكلامية، والتي تتناسب أكثر مع الملفوظات المستقلة والمنعزلة، كما ينبغي على القارئ بذل جهد لاكتشاف الحدث الكلامي باعتباره يَأْثُرُ في تحديث مقاصد النصوص و بهذا يكون الحدث الكلامي في حاجة لطاقة تفاعلية بين المبدع من جهة والقارئ من جهة أخرى²، أما في ما يخص القوّة التآثيرية للحدث الكلامي، فظهور القارئ ونجاحه بقراءة الجوانب الضمنية للعمل الأدبي، أو الأفكار الخفية للكاتب، معناه نجاح جزء من الفعل الإنجازي، فالعمل التآثيري يستلزم وجود القارئ وفعله، ومن هنا يتّضح بأنّ "القوّة الإنجازية للحدث الكلامي تحتجب إلى حين وجود قارئ يكفّل ظهور جزء من هذه القوّة... وبهذا يصبح الحدث الكلامي الإبداعي، هو الفضاء الذي يتيح ظهور أهميّة الفعل التآثيري في الحقل التداولي، إذ أنّ ظهور قوّة الفعل الإنجازي متوقفة على حدوث الفعل التآثيري"³، فقوّة الفعل الإنجازي، أو قوّة الحدث الكلامي مرهون بوصول وتحقيق الفهم من لدن القارئ وحمله إلى التّغيير والتّصرّف والعمل، وهذا يعني أنّ القوّة الإنجازية تظهر في فهم القارئ وعمله، وبهذا يتحقّق نجاح الحدث الإنجازي.

وحيثما نتكلم عن الحدث الكلامي في النّص الروائي، فإننا سنتكلم عن مجموع التفاعلات والتأثيرات، والعلاقات في سلسلة الأفعال الكلامية الجزئية فيها، والتي يمكن أن تحتوي على فعل مركزي، والذي يتأسس الحدث الكلامي عليه أو أنّها تتضافر في سبيل الوصول إلى الفعل المركزي الشامل، وكل هذه العلاقات ستكون من اكتشاف واجتهاد القارئ، الذي يقوم بتأويل هذه الأفعال باعتباره صانع هذا الحدث.

2/3. الفعل الكلامي الروائي الأساس وبنائه:

تعتبر الرواية بنية نصية منسجمة ومتماسكة تتكوّن من متوالية أفعال الكلام التي تُسهم في بناء الحدث الكلامي المرتبط بالفعل الكلامي الأساس، وعلى هذا يمكن أن تتوفر هذه السلسلة أفعال الكلام الانجازية على الفعل الكلامي الأساس، كما يمكن أن تتوحّد سلسلة الأفعال الكلامية

¹- شيرت رحيمة، تداولية النّص الشعري، جمهرة أشعار العرب نموذجاً، ص158

²- جمعان بن عبد الكريم، من تحليل الخطاب إلى تحليل الخطاب النّقدّي (مناهج ونظريات)، ص158

³- المرجع نفسه، ص195

الموجودة في النصّ الروائي في بناء وتشكيل الفعل الكلامي العام أو الأساس¹، ومن خلال هذا يمكننا أن نستنتج في إطار الحديث عن الأفعال الكلامية في النصّ الروائي أنّ الأفعال الكلامية في النصّ هو حدث كلامي مرتبط بتأسيس الفعل الكلامي الأساس أو المحوري والذي يُسهم في تحديد البنية الدلالية للنصّ أو بالمقصد الكلي للنصّ الروائي.

إنّ النصّ الروائي باعتباره بنية كلية متماسكة ومنسجمة يمكن أن ينتج فعلا كلاميا إنجازيا شاملا؛ إذ تقوم بعض أنماط الخطاب كأساليب السرد... على إمكانية تعيين فعل كلامي كلي بسيط أو معقد لغاية إنتاج مثل ذلك الخطاب²؛ أي أنه يُؤوّل بوصفه فعلا إنجازيا واحدا، ولكن في الحقيقة هذا الأمر يعتره الكثير من الصعوبة والتعقيد خاصة في بعض النصوص، فهو أمر ليس من السهولة الوصول إليه لذلك حاول باحثون في هذا المجال وضع مجموعة من الخطوات والقواعد المساعدة للوصول إلى الفعل الكلامي الكلي أو الشامل في أعمال نصيّة أدبية، لكن قبل ذلك لابدّ من المرور على بعض الملحوظات منها:

- يرى "فان دايك" أنّ الضوابط الكبرى للوصول إلى البنية الدلالية الكبرى يمكن أن تقوم بالدور نفسه للوصول إلى الفعل الكلامي الكلي أو الشامل³، ومعنى هذا أنّ الخطوات التي يتبّعها القارئ، أو محلّ النصّ للوصول إلى المقصد الرئيس للنصّ هي نفسها الخطوات التي توصله إلى الفعل الكلامي الشامل للنصّ، وهذا باعتبار العلاقة التي تربط بين الفعل الكلامي الشامل بالمقصد الشامل - كما أشرنا إليه سابقا - ويلخصّ هذه الضوابط الكبرى في تقسيم الأفعال الكلامية إلى أفعال تمهيدية، فعل كلامي مركّب، فعل كلامي مساعد... أفعال ضرورية...⁴؛ أي بالحذف والاختيار والتركيب والتعميم... للوصول للفعل الكلامي المركزي.

وحقيقة الأمر أنّ اكتشاف الفعل الكلامي الشامل أو الكلي للنصّ - في بعض النصوص - لا يمكن أن يتمّ بواسطة الضوابط الكبرى فقط؛ أي بالحذف، والاختيار، والتعميم، والتركيب، مثل ما ذهب

¹ - شيتير رحيمة، تداولية النصّ الشعري، جمهرة أشعار العرب نموذجاً، ص 158

² - ينظر: فان دايك، النصّ والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي)، تر: عبد القادر قنيني المغرب، 2000 إفريقيا الشرق، ص 323.

³ - جمعان بن عبد الكريم، من تحليل الخطاب إلى تحليل الخطاب النقدي (مناهج ونظريات)، ص 84

⁴ - المرجع نفسه، ص 84

إليه "فان دايك" حين صرّح بأنّه لا يملك في هذا الموضوع إلاّ استراتيجية إجمالية¹، هذا من جهة ومن جهة أخرى لا يمكن الوصول إلى الفعل الشامل بواسطة إيجاد تصنيف لأنواع الأفعال الكلامية، الإنجازية الموجودة في النّص، أو حتى التسليم بالعلاقة العرفية بين الأفعال الإنجازية في منظومة ما... فربّما كان في بعض النصوص يكون النّص في واد وقصده في واد آخر²، يتّضح من هذا أنّ الفعل الكلامي الشامل يمكن أن يكون في بعض النصوص خفيا ومستترا، وعلى هذا الأساس فإنّه من الواجب استعمال بعض القواعد المساعدة لقواعد "فان دايك" للوصول إلى الفعل الكلامي الإنجازي الشامل³، وتتلخص هذه القواعد في:

-الاهتمام الأقصى بسياق الموقف، وبأبعاد العلاقة بين المتكلّم والمخاطب.

-الاستعانة بالضوابط الكبرى؛ أي الحذف، والاختيار، والتركيب، والتعميم، التعويض؛ حيث

يمكن التعويض عن عدّة أفعال بفعل واحد، وذلك للوصول إلى البنيات التّداولية الشاملة.

- الاهتمام بتتبع الحيّز الموقعي الذي يشغله الفعل الكلامي الشامل، بالنّظر إلى نوع النّص

وإلى قدرات منتج النّص الأسلوبية، وقد لوحظ في بعض النصوص (التعقيبات) أنّ الفعل الكلامي الذي يمكن جعله الفعل الكلامي الإنجازي الشامل، يتموضع غالبا في آخر النّص أو في أوّله؛

وبذلك فإنّ نوع النّص له دور في تحديد موضع الفعل الكلامي الشامل.

-الاهتمام بتصنيفات أنواع الفعل الإنجازي الكلامي المفرد السائدة في النص المعين لوضعها في

تواتر نسبي مع أنواع الأفعال الإنجازية الأخرى⁴.

كانت هذه الخطوات مجمل القواعد التي توصل إليها الباحثون -باستغلال قواعد "فان دايك"-

المساعدة في الوصول إلى الفعل الكلامي الشامل، فعلى القارئ- قارئ النّص الروائي- الإحاطة

بالسّياق التّداولي للرواية، ودراسة الأفعال الجزئية المتعلّقة بالتحوارات السردية، خاصة المتعلّقة

ببطل الرواية، وتحليل أغراضها، وعلاقتها بموضوع الحوار وبموضوع الرواية، واعتبار هذه

الأغراض بمثابة جزء من الحدث الكلامي، واستنتاج البنيات التّداولية الكبرى التي تفضي بعلاقة ما

¹- جمعان بن عبد الكريم، من تحليل الخطاب إلى تحليل الخطاب النّقدي (مناهج ونظريات)، ص85

²- المرجع نفسه، ص85.

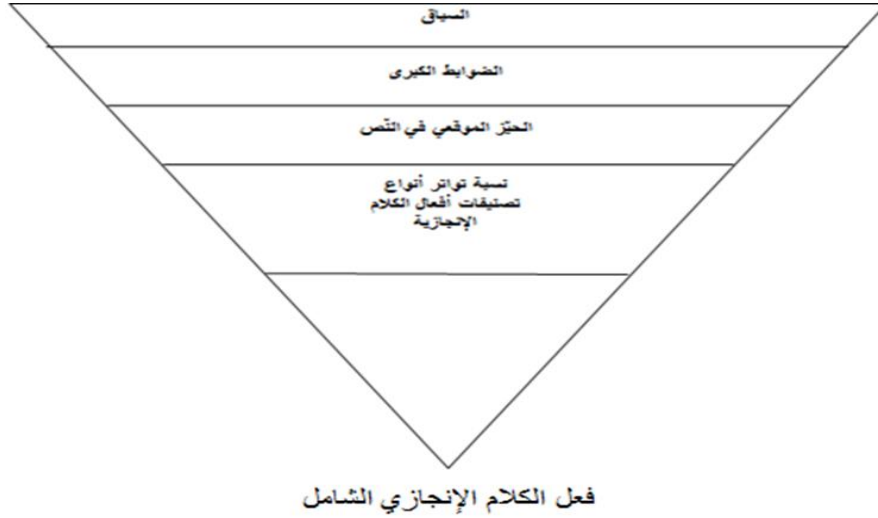
³- المرجع نفسه، ص85.

⁴- المرجع نفسه، ص89

للفعل الكلامي الشامل أو الكلي، ومن هنا يبدأ القارئ بصناعة الحدث الكلامي، باستغلال قدراته التأويلية.

ويمكن وضع الترسّيمة الآتية للوصول إلى الفعل الكلامي الشامل وصولاً تنازلياً، في الشكل الآتي:

❖ مخطط يوضّح خطوات الوصول إلى فعل الكلام الشامل⁽¹⁾



وبالعودة للخطاب الروائي يمكننا الحديث عن الفعل الكلامي الأساس وبناءه وتحديده في نماذج الروايات كالاتي:

1/2/3. الفعل الكلامي الأساس في رواية "حرب الفتوى": يتحدد الفعل الكلامي الشامل وفقاً لطبيعة النصوص، فقد يكون واضحاً ومصّرحاً به في نصوص، وقد يكون خفياً ضمناً في نصوص أخرى وأحياناً يصعب تحديده والوصول إليه؛ إذ أنّ اكتشاف الفعل الكلامي الأساس في النصوص لا يكون أحياناً إلاّ باعتماد استراتيجية إجمالية، كما أقرّ ذلك فاند دايك²، وتجدر الإشارة كذلك في هذا الإطار إلى دور القارئ في تحديد الحدث الكلامي والفعل الكلامي الشامل باعتباره عنصراً فاعلاً مشاركاً في صناعة هذا الحدث فالحدث الكلامي في الخطاب الروائي يعتمد كثيراً على القراءة والقارئ والعملية التأويلية للرواية.

1/1/2/3. تحديد الفعل الكلامي الأساس: إن الفعل الكلامي الشامل أو الكلي المتعلق برواية "حرب الفتوى" والذي يمكن عدّه الفعل الكلامي الأساس فيها جاء غير مصّرح به وغير محدد

¹ - جمعان بن عبد الكريم، من تحليل الخطاب إلى تحليل الخطاب النّقدي (مناهج ونظريات)، ص 86

² - المرجع نفسه، ص 85

تحديداً دقيقاً، وعلى هذا الأساس يمكننا الإستعانة في هذا الإطار ببعض الخطوات التي حددها "فان دايك" وكذا بعض الباحثين للوصول إلى الفعل الكلامي الشامل والذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالبنية الدلالية الكبرى أو المقصد الكلي، مع العلم بأن نظرية الحدث الكلامي التي تركز على الفعل المشترك الانجازي لمتواليات أفعال الكلام تعتمد كثيراً على القارئ ودوره في عملية التأويل وبناء الحدث الكلامي. ونريد هنا الوقوف والاستعانة بهذه الخطوات بدراسة السياق والإطار العام للرواية، وكذا دراسة نسبة تواتر الأفعال الكلامية المفردة.

1/1/1/2/3. السياق وارتباطه بالفعل الكلامي الشامل: ارتبطت رواية "حرب الفتوى" بالأزمة السياسية التي عرفت الجزائر "الحرب الأهلية"، فلقد عاد بنا الكاتب إلى صميم هذه الأزمة وحاول البحث في أسبابها التي ربطها بموضوع الفتاوى وكثرة الفتن؛ إذ يقول "من كلّ فج عقيم تأتي الكتب بفتاوى يقشع منها البدن... كتب تحرم كل شيء... وكتب تحلّ كل شيء... كتب تنسب إلى الله كل شيء... وكتب تضع عنه كل شيء... كتب تبدع كل شيء... وكتب تستبيح كلّ شيء، كتب من هنا... وكتب من هناك... تأتي بأشياء لا يعرفها العقل...¹؛ "تصدت الفتوى كلّ المنابر...²؛" كثر الهرج... صارت تأتي الفتاوى من كلّ مكان...³؛ وقد كان ذلك من خلال الشخصية المحورية في الرواية والتي كانت شخصية "الهادي" الذي كان ينتقل من حزب إلى حزب، ومن جماعة إلى جماعة حتى تحول إلى "أبا سلاح" ولقد اعتبر الكاتب "محمودي العربي" أن الفتاوى هي المسبب الأول لهذه الأزمة والتي أدت إلى الفتنة والفرقة والتشتت بين أبناء الوطن الواحد، ومن هنا نستنتج أن السياق ومضمون الرواية مرتبط بالفتوى، وبالعودة إلى الفعل الكلامي الشامل فإنّ هذا الفعل سيكون مرتبطاً بموضوع وقضية "الفتوى" وسيحدد من خلال هذه القضية الأساسية التي عالجتها الرواية.

2/1/1/2/3. سلطة الأفعال الكلامية التوجيهية المفردة: اعتمد "حامد محمودي العربي" في روايته "حرب الفتوى" على مجموعة من الأفعال الكلامية التي أسهمت في بناء الغرض العام

¹- رواية (حرب الفتوى)، ص 109

²- المصدر نفسه، ص 196

³- المصدر نفسه، ص 162

للرواية، وأكثر ما تجلى من الأفعال الكلامية، أفعال التوجيه التي برزت بروزا متواترا بالنسبة لتصنيفات الأفعال الكلامية الأخرى، لارتباط الغرض العام للرواية بالتوجيه عموما، فالرواية جاءت كتجربة سردية توجيهية ملتزمة، أراد منها الكاتب إيقاض الوعي وتحريك العقول ودعوة لأخذ العبرة من أخطائنا، كما جاء في قوله: "هلا تقوم لنا من شهيم عريف بالحياة...خبير بالدنيا أفكارا وقدحا ونقحا وفحصا وفحصا.... بعيدا عن فتاوى المعاداة والمصادمة والحرب بلا هوادة...¹ وكذلك في قوله: "لا نود أن نترك تاريخنا وواقعنا ودمائنا التي سالت في ذلك الجبل في ذلك السهل في ذلك الوادي، بل ندعوا إلى تذكرها بل ترسيخها في واقعنا في صدورنا، وفي دفاتر أمجادنا، وأن لا نترك ذلك الوراثة وراء، ولكن نأخذ بيده تقدما إلى الأمام...²، ويمكننا في هذا الإطار ذكر بعض الأفعال الكلامية التوجيهية منها:

-توجيهات (الراوي) الكاتب: يقول : "... لنكن أكثر جرأة ونميز الأخطاء...³؛ "دع عنك الناس وشأنهم وأصلح من شأنك...⁴؛ "أيها الخطيب دع عنك الوعظ، وانتمي للناس...⁵؛ "أنقذ نفسك...من تنقذ وكيف وبما ولما...⁶؛ لقد استعان هنا الكاتب على مجموعة من الأفعال الكلامية الحقيقية والقصصية أدت غرضا واحدا وهو التوجيه، وإن المتأمل لمجموع هذه الأفعال الكلامية يلاحظ بأن كلّها تدعو إلى الإصلاح من أجل بناء مجتمع أفضل.

-توجيهات (الذوات السردية): وهو ما نلمسه في الحوارات الآتية:

-حوار شاطر مع الهادي؟

- "...يا الهادي واش أداك للخوانجية وأنت راجل زوالي؟

- هذا انتماء للدين وليس لحركة بائدة

- وهل نحن كفار؟

- هذه هي الدنيا ربي خلق وفرق...واحد عابد وواحد عاصي

¹- رواية (حرب الفتوى)، ص 340

²- المصدر نفسه، ص 350

³- المصدر نفسه، ص 51

⁴- المصدر نفسه، ص 310

⁵- المصدر نفسه، ص 157

⁶- المصدر نفسه، ص 163

- أمالا هذا الفرق بناتنا؟
- حاشى ماني نتهم في حتى حد...أنا أدعوا للتغيير بالسلم
- ولكن اشكون انت؟
- أنا العبد الضعيف لله...أنا على باب ربي أدعوا من حولي على بصيرة
- ... ربي يأجرك على الخراب؟
- يا أخي هذه فتنة راكم رايحين تجيبوا العار للبلاد...خاف ربي
- لالا خاف انت
- أنا نقول اتقي مولاك وعود لرشدك.
- ...الهادي أنت من عائلة طيبة لم يعرف عنها إلا الخير
- ما نعرف كيما الدولة...
- ...يا الهادي هذه سياسة كبار..
- يا الهادي لي قاريها راني قاري أكثر منك
- خاف ربي...خصك غير تغير الدولة...¹
- نلمس في هذا الحوار(حوار الهادي مع صديقه الشرطي شاطر) أفعالا كلامية متنوعة بين الطرفين، إذ نجد النداء، والأمر، والاستفهام، والاستنكار، والاثباتات، لكن مع ذلك يمكننا تلخيص هذا الحوار في تحقيق شاطر مع الهادي رغبتة في توجيهه، وعلى هذا يمكننا تأويل هذا الحوار ومتمتالية أفعال الكلام في هذا الحوار في فعل مشترك انجازي هو (التوجيه)؛ إذ يقتضي مثل هذا الحوار إنجاز فعل كلامي واحد؛ إذ "يمكن لمثل بعض الحوارات وأنواع التخاطب والأحاديث أن يتعين اتساقها الكلي ووحدتها ومن ثم وظيفتها الشاملة من خلال إطار فعل كلامي كلي"²

-حوار الهادي مع والده:

- "...يا بني هذه حياة هذا الشعب وهذه عقيدته منذ زمن...
- يا بني اتقي الله...عد لرشدك...هؤلاء لن ينفعوك
- يا أبي هذه عقيدتي...وهذا واجبي الديني والدعوي...
- يا بني هؤلاء ألسنة عسل وقلوب ذئاب...لن ينفعونك...إنما يصدونك عن فعل الخير الحقيقي

¹- رواية (حرب الفتوى)، ص73، 74.

²- ينظر: فان دايك، النص والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي)، تر: عبد القادر قنيني المغرب، 2000 إفريقيا الشرق، ص323.

- اتق الله وعد لرشدك... طاعة أبيك من طاعة الله

- أنا لا أخشى أحدا، أنا أعبد الله على حق ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق

-... اتق الله هيا معي إلى البيت... وباعد هؤلاء¹

كذلك نجد في هذا الحوار أفعالا توجيهية متنوعة، النداء، الأمر، النهي، الإثباتات، ويمكننا تلخيص هذا الحوار في توجيه الأب لابنه، فهذا الحوار كذلك يؤوّل بشكل عام على أنه حوار توجيهي.

3/1/1/2/3. التوجيه كأكثر الأفعال الكلامية ارتباطا بالفعل الكلامي الشامل: لقد ذكرنا سالفا بأنّ النصّ السردي يحتوي على فعل كلامي مركزي أو شامل، يمكن أن يكون ظاهرا في الرواية، كما يمكن أن تتصافر مجمل الأفعال الكلامية الجزئية التي اعتمدها المؤلّف لبنائه، والتي تتجسّد على مستوى البناء السردى وكذا مستوى التحوارات السردية، كما يمكن أن يُلخّص هذا الفعل الكلامي المركزي الغرض النصّي ككل (البنية الدلالية الكبرى)، وهذا باعتباره الغاية المتضمنة في الفعل الإنجازي المركّب لأنّ "النصّ هو سلسلة من أفعال الخطاب التي من الممكن أن تُعتبر في حدّ ذاتها فعلا خطابيا موحّدا"²؛ أي أنّ النصّ سلسلة من الأفعال الكلامية ترتبط لتؤدي فعلا إنجازيا واحدا أو بتعبير آخر هو اجتماع مجموعة من الأفعال الكلامية في النصّ لتشكل فعلا كلاميا جامعا³.

وبالعودة لرواية "حرب الفتوى" فإنّها تتشكل من سلسلة الأفعال الكلامية التوجيهية باعتبار نسبة تواتر هذه الأخيرة في الرواية مقارنة بالأفعال الأخرى وأغراضها، ونستطيع القول أنّ الفعل الذي يمكن عده الفعل الكلامي الشامل ويحمل الدلالة الكلية يندرج تحت ما يسمى بالتوجيهات، وحينئذ يمكن أن يُعتبر فعلا كلاميا مركزيا، ومن هذا نصل إلى أن الأفعال الكلامية التوجيهية الجزئية عبّرت عن فعل توجيهي شامل وكلي؛ وعليه يمكن القول بأنّ الرواية تتشكل من سلسلة من الأفعال الكلامية التوجيهية المتماسكة التي ارتبطت لتنتج فعلا توجيهيا موحّدا؛ أي قادنا الحديث هنا عن الفعل التوجيهي العام في الرواية، ومن خلال استثمارنا لبعض الخطوات التي حددها الباحثون

¹ - رواية (حرب الفتوى)، ص 134

² - محمود طلحة، تداولية الخطاب السردى، دراسة تحليلية في وحي القلم لرافعي، ص 105

³ - ذهبية حمو الحاج، قضايا التداولية والخطاب، ص 22

باعتبار السياق والإطار العام للرواية وأبعاد العلاقة بين الكاتب والقارئ واعتبار نسبة تواتر أفعال الكلام التوجيهية المفردة للرواية والتي أسهمت في بنائه والتي تحث على اجتناب الفتاوى في مجملها ارتأينا تأويل متتالية أفعال الكلام ومنه الفعل المشترك الإنجازي على أنه فعل توجيهي (اجتناب الفتاوى)، باعتباره وحد مجمل أغراض أفعال الكلام المفردة التي اعتمدها الكاتب لبناء روايته. ولقد كانت الأفعال الكلامية التوجيهية المفردة أكثر الأفعال الكلامية ارتباطا بالفعل الكلامي الشامل والتي ساهمت في بناءه.

2/1/2/3. أفعال الكلام المفردة وبنائها للفعل الأساس: لقد ساهمت مجموع الأفعال الكلامية المفردة في رواية "حرب الفتوى" في بناء الفعل الكلامي الشامل بالدعوة إلى الابتعاد عن الفتاوى سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، حيث أضفت هذه الأفعال بتوحيدها في بناء فعلٍ كلامي جامعٍ لها؛ ويمكننا الحديث عن الأفعال الكلامية الجزئية وبنائها للفعل الأساس كآتي:

1/2/1/2/3. التوجيه وبناء الفعل الأساس: لقد ساهمت أفعال التوجيه في مجملها وبشكل مباشر في الحث والدعوة للإصلاح وضرورة الابتعاد عن كل الفتاوى التي سببت الفرقة والشقاق لبناء حاضر أفضل؛ إذ يقول السارد: "يا أيها الوطني... أيها المتدين بلا يقين... يا أيها الخامل، قم وبدد خطى الكسل وأعد رسم الخمول بلون للحياة... لا سواد فيه"¹، وقد كانت أفعال التوجيه أكثر الأفعال الكلامية ارتباطا بالفعل الكلامي الشامل-كما سبق الإشارة إلى ذلك-بل أكثر الأفعال الكلامية إسهاما في بناء الفعل المركزي.

2/2/1/2/3. الإخبار وفعل الكلام الأساس: حاول الكاتب كذلك من خلال أفعال الكلام الإخبارية تبيان حالة الوطن المرتبطة بالموقف السردي والذي كثرت وعمت فيه الفوضى؛ وهذا ما نستشفه في قول السارد: "...فتاوى من هنا وهناك..."²؛ "تعددت قنوات الفتوى وجاءت من كل حدب وصوب..."³؛ "عمت الفوضى، كثر الهرج والمرج..."⁴؛ وقد ساهمت هذه الأقوال بطريقة غير مباشرة في الدعوة لتجنب الفتاوى المضللة.

¹-رواية (حرب الفتوى)، ص339

²- المصدر نفسه، ص 266

³- المصدر نفسه، ص248

⁴- المصدر نفسه، ص167

3/2/1/2/3. السخرية وبناء الفعل الأساس: أسهم أسلوب السخرية بشكل غير مباشر في النهي عن الفتاوى وبناء الفعل الأساس؛ وقد اتضحت السخرية في قوله السارد: "ولأن الإسلاميين يملكون الحقيقة الكاملة والحلقة الغائبة في الفكر الإنساني، فقد استطاعوا أن يجلبوا المزيد من المريدين ورواد المساجد وطلبة الجامعة...و.¹"، وذلك بتبيان الحالة التي آل إليها الوطن من جراء الفتاوى الكثيرة المضللة.

4/2/1/2/3. الاستنكار وبناء الفعل الأساس: ارتبط الاستنكار بالفعل الكلامي التوجيهي الأساس وذلك باستنكار الفتاوى وتبيان نتائجها المرتبطة بالتشنت والفجور بل وبالموت في أبعد تصور لها وهذا كما جاء في الرواية: "الفتوى...الفتوى القاتلة...من يفتي لمن...ومن يجرأ على الفتوى في الدماء...هل الدين في الموت؟!²" وقد أسهمت هذه الأفعال الكلامية في بناء التوجيه المرتبط بالمضمون الإجمالي للرواية.

5/2/1/2/3. التوبيخ: اعتمد الكاتب كذلك على التوبيخ، وهذا كما تجلى في الرواية؛ "نحن طحالب هذا الزمن ولا زمن لنا غير زمن الفجور والفسوق والقسوة...قسوة مرسومة على محيانا...³؛ وقد ساهم التوبيخ في بناء الفعل الكلامي الأساس بأسلوب غير مباشر من خلال تبيان الحالة السلبية التي آل إليها المجتمع البعيد عن الإبداع والاختراع.

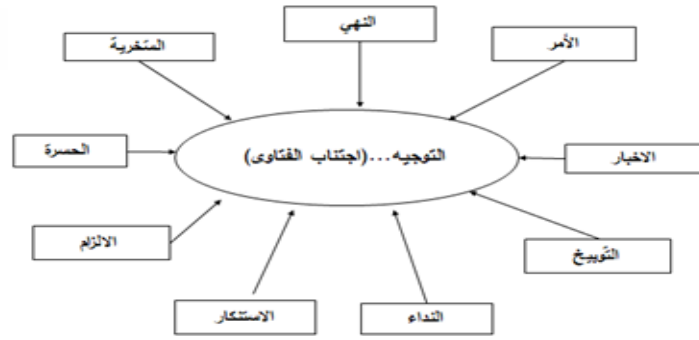
6/2/1/2/3. الحسرة وبناء الفعل الأساس: أدى أسلوب الحسرة بطريقة غير مباشرة في الدعوة إلى اجتناب الفتوى وبناء الفعل التوجيهي الشامل، وذلك بذكر النتائج التي سببتها الفتاوى في الحرب والموت لشباب الوطن وهذا كما اتضح في الرواية: "يا أيتها الثورة لما جئت...يا أيتها الثورة بما جئت... يا أيتها الثورة كيف جئت... لبيتك أكتوبر لم تأت... لبيتك أكتوبر لم تأت...⁴، ويمكننا توضيح بناء مجمل الأفعال الكلامية للفعل الكلامي الشامل في هذا المخطط كالاتي:

¹- رواية (حرب الفتوى)، ص 173

²-المصدر نفسه، ص 212

³- رواية (حرب الفتوى)، ص 337.

⁴- المصدر نفسه، ص 93.



الفعل الكلامي الشامل في رواية " حرب الفتوى "

2/2/3. الفعل الكلامي الأساس في رواية "حضرة الجنرال": جاءت رواية "حضرة الجنرال" في خطاب متماسك ومتكامل عبّر عن وظيفة إجمالية وذلك من خلال النظر للرواية في كليتها وشموليّتها، وإذا كانت الرواية في تشكيلها تتضمن مجموعة من الجمل المتسقة والمنسجمة لتؤدي المضمون الإجمالي للرواية الذي يتجسّد من خلال بنى كبرى، كذلك يمكن اعتبار الرواية مجموعة

من الأفعال الكلامية معبرة عن فعل إجمالي واحد يُجسد البنية التداولية الكبرى، وهذا من خلال محاولة ربط متواليات الجمل بمتواليات أفعال الكلام كما ذهب إليه "فان داك" ¹، ويختلف تحديد فعل الكلام الأساس أو الإجمالي للنصوص باختلاف طبيعتها وأساليبها وبنائها، ويمكننا تحديد فعل الكلام الأساس في رواية "حضرة الجنرال" كالآتي:

1/2/2/3. تحديد الفعل الكلامي الأساس في الرواية: إنّ القارئ لرواية "حضرة الجنرال" يلاحظ أنّ الفعل الكلامي الذي يمكن جعله الفعل الكلامي الأساس قد جاء واضحا وقد جاء ضمن سلسلة الأفعال الكلامية، وقد ظهر في بداية الرواية وفي نهايتها وفي كل مراحل سرد أحداث الرواية فيمكن للقارئ أن يكتشفه بشكل مباشرة عند قراءة الرواية، كما جاء هذا الفعل بصيغة الأمر في خطاب "الجنرال بعو" للكاتب المشهور "ماركيز": "...اكتب...اكتب... يا ماركيز...السيرة الرسمية

¹ - ينظر: -فان داك، النص والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي)، تر: عبد القادر قنيني المغرب: 2000 إفريقيا الشرق، ص323.

- جان كوهن وآخرون، نظرية الأدب في القرن العشرين، المغرب: 1996، إفريقيا الشرق، ص68.

لحضرة الجنرال "بعو"¹ ، ويمكن جعل هذا الفعل الكلامي فعلا كلاميا شاملا في رواية "حضرة الجنرال"، وذلك انطلاقا من مجموعة من المحددات والاعتبارات والتي يمكن ذكرها كالآتي:

- اعتبار هذا الفعل من بين الأفعال الكلامية المحورية الأساسية - وهذا إذا أخذنا في الاعتبار الضوابط الكبرى التي حددها "فاند دايك"؛ أي تقسيم أفعال الكلام إلى أفعال تمهيدية أو محورية...² والتي تُعتمد كثيرا على استراتيجية اجمالية - وهذا بالنظر إلى ارتباطه الكبير بالاطار العام للرواية وبمقام التلقظ السردى، والذي جمع بين شخصيتين محوريتين في الرواية، الكاتب المشهور "غارسيا ماركيز" والجنرال بعو" الذي كان يسرد مغامراته السياسية وحياته لهذا الكاتب المشهور بكتابة سير أشهر ديكتاتوريات أمريكا اللاتينية لكتابة سيرته الذاتية التي كان يطمح لها.

- تواتر هذا الفعل الكلامي بنسبة كبيرة في الرواية، فقد ذُكر هذا الفعل الكلامي كثيرا في الرواية ففي كل فصول الرواية سواء في البداية أو فينهايتها، وأحيانا في الاثنين معا، فقد كان الكاتب "عزيز غرمول" يبدأ به وينتهي به، وفي كل مراحل سرد أحداث الرواية فقد كان الجنرال بعو يذكر كاتبه ماركيز دائما بكتابة ما كان يسرده، حيث يقول في بعض مقتطفات الرواية: "أكتب...أكتب...يا ماركيز...السيرة الرسمية للجنرال بعو ذياب الزغبى"³؛ "سجّل يا ماركيز...شهادتي للتاريخ وللأجيال"⁴؛ "أكتب...أكتب...يا ماركيز...حان الوقت ليقراً العالم سيرتي الحقيقية" "قاوم المرض والشيخوخة والخرف يا ماركيز العزيز...واكتب بضميري وبرؤيتي"؛ "اكتب يا ماركيز أكتب تغريبة أو تخريبة حضرة الجنرال ذياب الزغبى...؛" "سجّل يا ماركيز"؛ "أكتب يا ماركيز...أكتب الحقيقة...؛ سجّل هذا وبأمانة عزيزي ما ركيز...سجّل هذا للتاريخ يا ماركيز...أكتب يا ماركيز العزيز...أكتب"⁵

- ارتباطه بمجمل الأفعال الكلامية الموجودة في النص سواء على مستوى البناء السردى (السارد)، أو على مستوى الحوارات السردية (الشخصيات الروائية)، فقد اشتمل واحتوى هذا الفعل على مختلف

¹-رواية (حضرة الجنرال)، ص 10.

²- ينظر: فان دايك، النص والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي)، ص 309.

³- رواية (حضرة الجنرال)، ص 10

⁴- المصدر نفسه، ص 10

⁵- المصدر نفسه، ص 12

الأغراض الانجازية للأفعال الكلامية المفردة المرتبطة بالسيرة الشخصية للديكتاتور "ذياب الزغبى" أو الجنرال "بعو" والتي ساهمت في توضيحه والكشف عنه ويمكننا توضيح هذا كما يأتي:

2/2/2/3. الفعل الكلامي الشامل قاسم مشترك جامع للأفعال الكلامية الجزئية: لقد تضمن واشتمل الفعل الكلامي الأساس أو الشامل في رواية "حضرة الجنرال" على مجموع الأغراض المتعددة لأفعال الكلام المفردة، فهذا الفعل جاء كقاسم مشترك لمجمل الأفعال الكلامية الجزئية، ولعل الاخبار جانب مهم من الجوانب المختلفة التي يحملها هذا الفعل الأساس أو المركزي والمرتبط بسيرة الجنرال بعو وبالتحديد مايتعلق بحياة الدكتاتور "ذياب الزغبى" وبمسار حكمه، كما في قوله: "أكتب...أكتب يا مركزيز...أنا آخر بطرياك عربي" قومجي"، حكمت "الابراطهورية" قرنا كاملا بحنكة وقبضة حديدية، وسيف مسلول"¹، وكذلك بالنسبة لأفعال السخرية التي جاءت في الرواية منها: "...أكتب يا مركزيز...أكتب تغريبة أو تخريبة حضرة الجنرال ذياب الزغبى... بكل تأكيد ستنسى الشعب العظيم مغامرات سندباد وألف ليلة وليلة...ومراوغات"ميسي" ونطحة"زيدن" وبوسة" الساسي الفرطاس"²، كما يمكننا توضيح علاقة الفعل الكلامي الأساس بالأفعال الكلامية المفردة بما اشتملته الرواية على مجموعة من الأفعال الكلامية والتي اندرجت ضمن غرض المدح مثل قوله: "أكتب...أكتب...يا مركزيز السيرة الرسمية لحضرة الجنرال"بعو"...فارس الفرسان، القائد الملهم، زعيم الأمة المفدى السلطان الأعظم، الفاتح الكبير، حامل أوسمة الشرف، المجاهد الأكبر، رجل الأجماع..."³، وهذا إضافة إلى الأغراض الانجازية للأفعال الكلامية الجزئية، كما هو موضح في الشكل الآتي:

¹- رواية (حرب الفتوى)، ص 11

²- المصدر نفسه، ص 41

³- المصدر نفسه، ص 11



الفعل الكلامي الشامل في رواية "حضرة الجنرال"

3/2/3. الفعل الكلامي الشامل في رواية "زعيم الأقلية الساحقة": لقد اعتمد الكاتب "عزيز غرمول" في روايته على أسلوب وبناء فني خاص في طرحه لقضيته السياسية، فقد كشفت الرواية على الكثير من القضايا المسكوت عنها بأسلوب غير مباشر، وقد اعتمد الكاتب في روايته على مجموعة من الأفعال الكلامية غير المباشرة والتي أفادت السخرية بشكلها العام، وبالحدوث عن الفعل الكلامي الأساس في الرواية، فإنه يمكننا القول بأن الفعل الكلامي الشامل أو الكلي جاء مصرحاً به في الرواية، وقد جاء في الأخير كخلاصة لمجمل الأفعال الكلامية المفردة التي ساهمت في بناء أحداث الرواية والتي عبّرت عن حياة الطاغية، وأساليبه في الحكم، وقناعاته وطموحاته السياسية لأن: "الفعل الكلامي الذي يجعله الفعل الكلامي الإنجازي الشامل، يمكن أن يتموضع في الأكثر في آخر النص أو في أوله¹. وهذا بالنظر لقدرات الكاتب الأسلوبية... ولقد تجلّى الفعل الكلامي في آخر الرواية في قوله: "شكراً لي..."²، وقد أفاد هذا الفعل السخرية والذي ارتبط بالغرض العام للرواية وقد كان هذا الفعل كخلاصة فيما سرده (الملك) في الرواية عن أعماله وعجرفته وقناعاته وأساليبه وركائز حكمه.

1/3/2/3. تحديد الفعل الكلامي الأساس في الرواية: يمكن تحديد الفعل الكلامي الشامل في الرواية، إنطلاقاً من مجموعة من المحددات، نحصرها كالاتي:

¹ - جمعان بن عبد الكريم، من تحليل الخطاب إلى تحليل الخطاب التقدي (مناهج ونظريات)، ص 89

² - رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 289

- بالنظر لارتباطه المباشر بمضمون الرواية وسياقها واطارها العام، فقد ارتبطت الرواية بسرد حياة شخصية طاغية وديكتاتور، فقد ارتبط هذا الفعل بالشخصية المحورية في الرواية "حاكم الجزائر" الذي كان يصرّح عن خبايا حكمه الاستبدادي، وقد ختم مجمل تصريحاته بالفعل الكلامي العام والذي يشكر فيه ذاته بكل عجرفة والذي جاء للسخرية في قوله: "شكرا لي".

- بالنظر إلى قدرات الكاتب الأسلوبية وبناءه للرواية، فقد جعل في الأخير (آخر الرواية) فعلا كلاميا مجملا لقناعاته كما جعل هذا الفعل تثبيتا وتأكيدا على تسلطه وتعجرفه، وقد كان ذلك بأسلوب ساخر وهذا من استراتيجيات الكاتب الأسلوبية لاقتناع القارى وتوجيهه وأفكاره السياسية إزاء هذه القضية، وهي القضية المتعلقة بالظلم والاستبداد بوجه عام.

- بالنظر إلى ارتباطه (الفعل الكلامي الشامل) بالأفعال الكلامية المفردة، فيمكن تأويله على أنه نتيجة وخالصة لمجمل الأفعال الكلامية الجزئية التي احتوتها الرواية والتي أفادت بدورها السخرية، فالطاغية شكر نفسه في الأخير على جميع أعماله وعن أسلوب حكمه، فقارئ الرواية يلاحظ هذه العلاقة والإرتباط الذي يربط بين الأفعال الكلامية الجزئية والفعل الكلامي الشامل، وعلى هذا يمكن أن نعدّ هذا الفعل فعلا كلاميا مركزيا في الرواية.

2/3/2/3: الفعل الكلامي الأساس خلاصة للأفعال الكلامية الجزئية:

تضمّنت الرواية مجموعة من الأفعال الكلامية المفردة، والتي حملت قوى انجازية أسهمت في بناء مقاصد الرواية، وقد ارتبطت هذه الأفعال الكلامية بمجموعة من الأغراض، حققت في مجملها الغرض العام للرواية وهو السخرية، وقد جاء الفعل الكلامي الأساس في الرواية كخالصة ونتيجة لمجمل الأفعال الكلامية الجزئية والذي كشف من خلاله عبثه وتكبره وانتصاره لذاته.



الفعل الكلامي الشامل في رواية "زعيم الأقلية الساحقة"

4. الفعل الكلامي الشامل ومقصدية الخطاب الرئائي: من خلال مشرنا للحدث الكلامي اتضح أنّ الفعل الكلامي الكامل أو الكلي تربطه علاقة كبيرة بالبنية الدلالية الكبرى أو المقصد الشامل للنصّ السردي ، وأحيانا يؤخذ في الاعتبار بأنّهما متطابقان، وعليه يكون المقصد الكلي نفسه الفعل الإنجازي الكامل، وهذا ما أكدّه "فان دايك" بقوله: "إنّ معنى الخطاب يرتبط ارتباطا وثيقا بفعل الكلام الذي ينجز بواسطة التلفظ في سياق التحوار... ويتضح ذلك بشكل خاص في إجراءات كبرى من شأنها أن تؤدي إلى إنتاج معنى شامل لمقطع أو لخطاب كلي"¹، كما ذهب بعض الباحثين إلى أنّ: "الفعل الكلامي الكلي أو الشامل يمثل المقصد الرئيس للمتكلّم في نصّه ولكن قد لا يكون اكتشاف هذا المقصد من السهولة بمكان في بعض النصوص التي تحوي في ما وراء النصّ مقاصدا خفية أو إضافية، وربّما كان النصّ في واد وقصده في واد آخر"²؛ وهذا يعني إمكانية أخذ المقصد مجرى آخر غير ما هو موجود في النصّ، وعليه فإنّ علاقة النصّ وقصده وارتباطه بالفعل الكلامي الشامل ليست حتمية في جميع السياقات، أو في جميع النصوص، ولهذا فإنّ "الفعل الكلامي الإنجازي هو العامل المؤثر في تحديد البنية الدلالية الكبرى للنصّ، ولا يمكن أن نتصوّر عكس ذلك، كما قد يؤثر في البنية النحوية والمعجمية وأدوات الربط، فما يوجد في نصوص حجاجية فعلها الشامل (أقنعك بكذا) يلزم منه أن يكثر فيها بنى نحوية، وروابط، ومعجمية خاصة"³، ومن هنا يتّضح أنّ تحديد البنية الدلالية الكبرى للنصّ الأدبي تتوقف على تحديد الفعل الإنجازي الشامل، ومن هنا نستنتج بأنّ علاقة الفعل الكلامي الشامل بالمقصد الشامل هي علاقة تأثيرية. وبهذا يكون توضيح علاقة الفعل الكلامي الشامل بالمقصد الكلي المرتبط بمدونة النصوص كالاتي:

1/4. رواية "حرب الفتوى": ارتبط الفعل الكلامي الشامل في رواية "حرب الفتوى" بشكل مباشر بمقاصدها الكلية، وجاء هذا الفعل الكلامي الشامل مرتبط بالحكاية القصصية المتعلقة بقصة بالهادي، وارتبط أيضا بالسياق الواقعي الخارج عن النصّ المتعلق بفتاوى الإسلاميين والجماعات

1- فان دايك، النصّ والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي)، تر: عبد القادر قنيني المغرب، 2000 إفريقيا الشرق، ص 323.

2- المرجع نفسه، ص 85

3- جمعان بن عبد الكريم، من تحليل الخطاب إلى تحليل الخطاب النقدي (مناهج ونظريات)، ص 87

الإرهابية، وقد مثل من جهة أخرى التوجيه والدعوة للابتعاد عن الفتاوى المسببة لأزمة السياسية وهو الغرض العام من الرواية، وعلى هذا الأساس يرى بعض الباحثين أنّ "الفعل الكلامي الشامل يمثل المقصد الرئيس في بعض النصوص"¹، وهذا ما تجسد في هذه الرواية؛ أي إنّ الفعل الكلامي الشامل الذي أنتجته مجمل الأفعال الكلامية التوجيهية المفردة الموجودة في الرواية مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمقصد الكلي في الرواية، ويمكن القول في هذا الإطار أنّ الفعل الكلامي المركزي في الرواية لخص الغرض النصي ككل بل هما متطابقان وهذا باعتبار الغاية المتضمنة في الفعل الانجازي المركب أو الأساس؛ أي الهدف التوجيهي وهذا بالنظر إلى المقصد الرئيس في النص والذي جاء بشكل صريح، فموقف ومقاصد الكاتب "محمودي حامد العربي" بدا بارزاً وواضحاً في روايته والمرتبط بالدعوة إلى تجنب الفتاوى وضرورة بناء مجتمع أفضل، ويمكننا توضيح ارتباط الفعل الكلامي الشامل بالمقصد الكلي في الرواية من خلال الشكل كالاتي:



علاقة الفعل الكلامي الشامل بالمقصد الكلي في رواية "حرب الفتوى"

2/4. رواية "حضرة الجنرال": لقد ارتبطت مقاصد رواية "حرب الفتوى" بمقاصد خفية ومضمرة بعيدة عما هو موجود في نص الرواية، فيمكننا القول بأنّ مقاصد النص ارتبطت بما هو وراء النص وهذا بالحديث عن مقاصد الرواية العميقة، وعلى هذا الأساس نستطيع الحكم بأنّ الفعل الكلامي الشامل جاء بعيداً عن المقصد الكلي للرواية، أو جاء غير مرتبط بشكل مباشر بالمقصد الكلي فالفعل الكلامي الشامل جاء مرتبطاً بالحكاية القصصية داخل النص والتي بدورها ارتبطت بالسيرة الذاتية لحضرة "الجنرال بعو" والمتعلقة بمغامراته وأساليبه حكمه، والمقاصد تتعلق بما هو خارج عن الرواية (العالم الواقعي في اتصال مع كاتب الرواية السياسية والقارئ) مع الارتباط بالنص أو الحكاية القصصية. لكن مع ذلك يمكننا القول بأنّ الفعل الكلامي الشامل أسهم بطريقة غير مباشرة

¹ - جمعان بن عبد الكريم، من تحليل الخطاب إلى تحليل الخطاب النقدي (مناهج ونظريات)، ص 85

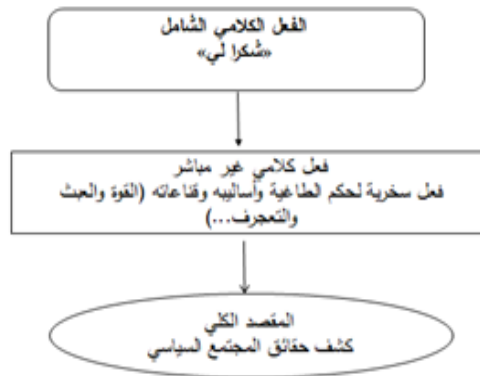
في تأويل النصّ وفي تحديد البنية الدلالية الكبرى في الرواية، فيمكن عدّه مؤشرا هاما يساعد في فتح باب التأويل، والقارئ في هذه الحالة ينطلق من الحكاية القصصية لينتقل إلى ما هو خارج النصّ لتأويل مقاصد الرواية، ولتوضيح علاقة الفعل الكلامي الشامل بالبنية الدلالية الكبرى في الرواية نقدم الشكل الآتي:



مخطط يوضح علاقة الفعل الكلامي الشامل بالمقصد الكلي في رواية "حضرة الجنرال"

3/4. رواية "زعيم الأقلية الساحقة": ارتبط الفعل الكلامي الشامل في رواية "زعيم الأقلية الساحقة" كذلك بشكل غير مباشر بمقاصد الرواية، فقد احتوت الرواية على مقاصد خفية غير مصرح بها والمتعلقة بقضايا سياسية مرتبطة بخبايا النظام السياسي الاستبدادي، وهي كذلك ليست بعيدة عما تضمنته رواية "حضرة الجنرال" من مقاصد، وعلى هذا نستطيع القول بأنّ الرواية تضمنت مقاصد وأهداف تواصلية تتعلّق هو وراء النصّ، وبالعودة لنصّ الرواية فإنّ مجمل الأفعال الكلامية الواردة في الرواية أدت أغراضا يتعلّق بعضها بالتّصريح، ويرتبط بعضها الآخر بالسّخرية والتعجرف والتسلّط... وقد احتوت على فعل كلامي شامل، والذي جاء على شكل خلاصة لمجمل الأفعال الكلامية الجزئية وقد جاء هذا الفعل كمدح لما جاء به من قناعات وأساليب سياسية في الحكم (القوة والعبث) في قوله: "شكرا لي...".¹ وكل هذا مرتبط بالشخصية المحورية القصصية "حاكم الجزائر"، والذي هو في الحقيقة لم يمثل إلا رمزا للطغيان والديكتاتورية، وإذا عدنا إلى الإجراء الخارج عن السرد، فإنّ القارئ يقوم بتأويل النصّ السردية في ارتباط مع الواقع والعالم الخارجي وعلى هذا الأساس يمكننا القول بأنّ الفعل الكلامي الشامل يعد مؤشرا هاما ويسهم في تحديد وتأويل المقصد الكلي في النصّ، وهذا ما يوضحه الشكل الآتي:

¹ - رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 187



مخطط يوضح علاقة الفعل الكلامي الشامل بالمقصد الكلي في رواية "زعيم الأقلية الساحقة"

عموما اختص هذا المبحث بالحديث عن أفعال الكلام في الخطاب الروائي باعتبارها جزءا من الاستخدام اللغوي منطلقا من وصف وتفسير أفعال الكلام في السرد في ظل اشكالياتي التخيل والتظاهر، وقد كشفت هذه الدراسة عن وجود وتحقق الأفعال الكلامية في الخطاب الروائي والتي تنطلق من الفعل الذي ينجزه الكاتب من خلال فعل الكتابة والبناء القصصي، كما كشفت الدراسة كذلك التمييز بين نوعين من أفعال الكلام في الرواية؛ أفعال الكلام القصصية والتي تتجسد على مستوى الشخصيات القصصية التي تتجزأ أفعالها الكلامية داخل القصة، والأفعال الكلامية الحقيقية التي ينجزها الكاتب والتي تربط الرواية بالعالم الواقعي، ومن نتائج الدراسة أيضا تنوع الأفعال الكلامية والقوى الإنجازية في الرواية السياسية بما تتضمنه من رغبة في التعبير والتغيير وبلوغ الأثر.

كما حاولنا في هذا المبحث دراسة الفعل المشترك الإنجازي لأفعال الكلام في الروايات السياسية وهذا في إطار توسيع مجال البحث في التداولية النصية (التداولية الكبرى) وقد أفضت الدراسة إلى اعتبار الأفعال الكلامية في النصوص ليست معزولة وإنما ترتبط ببعضها البعض ضمن سياق وتقضي إلى بناء فعل كلامي شامل وقد تحقق ذلك في نصوص الروايات السياسية؛ إذ اشتملت الروايات على فعل كلامي شامل ارتبط بمتواليات أفعال الكلام وبالبنية الدلالية الكبرى.

المبحث الثاني

الاستراتيجيات الخطابية وبناء الخطاب الروائي السياسي

تمهيد: شكلت الرواية السياسية بعدا إيديولوجيا تواصليا هاما في الثقافة الأدبية العربية المعاصرة يسعى من خلالها الكاتب للتعبير عن مختلف أفكاره وتصوراتهِ وانتقاداتهِ من خلال تأمله للواقع وأحداثهِ وما يحيط بحياة الناس من علاقات وسلوكيات، فالرواية السياسية ما هي إلا مواقف وأفكار تتجسّد من خلال تفاعل بين الواقع والتخييل في عمل تشكيلي منتظم.

وإنّ التعبير عن هذه الأفكار والتأملات والانتقادات... والتي تدخل ضمن مقاصد الكاتب لا يكون بشكل عفوي، بل يكون عمله الروائي دائما في تخطيط دائم، ومنظم، وبناء محكم تنتقي معه العفوية والعشوائية، وهذا بتسخير مختلف الآليات الخطابية والاستراتيجيات المناسبة لتشكيل وبناء عمله الأدبي الذي يسهم في تبني قضيته وأيديولوجيته وإبراز ذاته يصبو بها لبلوغ مقاصده وأهدافه التواصلية، بشكل يثير القارئ ويؤثر فيه.

نروم من خلال هذا المبحث الولوج والتقرب من الرواية السياسية بدراسة آلياتها واستراتيجياتها التي يعتمدها الكاتب في هذا النوع من الخطاب، والتي بها يحقق أغراضه التواصلية، ويبدو من الضروري التساؤل بداية عن أهم هذه الآليات والاستراتيجيات المعتمدة في مثل هذه النصوص؛ ثم عن تجلياتها؛ وعن الأسباب التي دعت كاتب الرواية السياسية إلى سلوك هذا الدرب الخطابي؛ وعن أهم آلياتها في الخطاب السياسي؛ وأبعادها التداولية؛ ومختلف الأغراض والمقاصد التي يرجو تحقيقها.

1. السخرية الاستراتيجية خطابية سياسية: كثيرا ما ترتبط الرواية السياسية بالانتقاد والإدانة، وإبراز مختلف التناقضات والمفارقات في التعبير عن مجموعة من الأفكار إزاء قضية معيّنة أو أزمة من الأزمات السياسية المرتبطة بواقع اجتماعي سياسي معيّن، وعلى هذا كثيرا ما يلجأ كاتب الرواية السياسية إلى آليات خطابية تتناسب مع مقاصده الخطابية والمتمثلة في عمومها بعدم المباشرة وعدم التصريح في الخطاب، ويجدر بنا التطرق في هذا المجال إلى نمط خطابي تواصلية انفعالي وتأثيري وهو "السخرية" التي تمثل شكلا من أشكال الكتابة التي يمكن عدّها استراتيجية مهمة من استراتيجيات الخطاب الروائي السياسي.

وقد اقترن أسلوب السخرية كثيرا بالخطابات الروائية خاصة بالحديث عن السياسة حيث شكلت السخرية جانبا مهما في صياغة وبناء النصوص السردية؛ إذ ارتبطت بها ولم تفارقها، بل أصبحت استراتيجية خطابية ضرورية في استراتيجيات الخطاب حيث نلمس لها التجلي الواضح في الأعمال الروائية السياسية فقد "أصبح الكاتب الآن يتعامل مع السخرية ليس باعتبارها ظاهرة أسلوبية وإنما باعتبارها استراتيجية تسمح بالدخول إلى عالم الآخر بطريقة يستدعي الذكاء والفتنة"¹ وعلى هذا نستطيع تصنيف السخرية على أنها شكل من أشكال الممارسة اللغوية الخطابية لها سياقها الاستعمالي الخاص والمرتبط بانتقاد الواقع والكشف عن مجمل تغيرات الحياة الذي انقلبت فيه الموازين، ولعل السخرية هي الوسيلة الأنسب للتعبير عن الواقع المتناقض، فالموقف الساخر هو الأليق بواقع الحياة وتناقضاته"²؛ وبخاصة إذا تعلقت الأمور بالمجال السياسي، ويستهدف كاتب الرواية السياسية باعتماده الخطاب الساخر نقد الحياة الاجتماعية والسياسية المرتبطة بواقعه ورفضها، ويتخذ من السخرية ملاذا للتعبير عن غضبه، وانفعاله، وضيقه واستنكاره للواقع الذي يتعذر التعبير عنه أحيانا بالشكل الصريح والمباشر، وهذا ما يجعل الكاتب يلجأ للكتابة المرتبطة بنوع من التحايل والذكاء والتلاعب، وهذا ما يجعل هذا النوع من الكتابة يستدعي التأويل.

يمكن تحديد مفهوم السخرية الأدبية بشكل عام على أنها "أداة إجرائية يعبر بها الكاتب عن نظرتة إلى العالم... وتحتمل أبعاد شتى كفضح الأمور التي تختفي وراء غياب المجهول... وانتقاد الأشخاص والعالم وإدانة الواقع المعيش... ورغم هذه الأبعاد التي ترمي إليها السخرية، فهي تعتبر شكلا متميِّزا للكتابة"³، فالسخرية نمط متميز في الكتابة بحيث تسمح للكاتب إبراز ذاتيته، وموقفه، وفكره، وموقفه إزاء الواقع السياسي والاجتماعي، كما تضفي السخرية جانبا واضحا من الاستمتاع والتأثير عند القارئ في جانب منه "فلا يمكن تجاهل أنّ السخرية وسيلة إضحاك وترفيه... وتجعل المتلقي يستمتع حيناً ويحاول تفكيك عقدة الخطاب عقدة حيناً آخر"⁴، وعلى هذا

¹ - ذهبية حمو الحاج، قضايا التداولية والخطاب، ص 365

² - ينظر: عبد الخالق عبد الله عودة عيسى، السخرية في الشعر العباسي في القرنين الثاني والثالث الهجريين [أطروحة قدمت استكمالاً لمتطلبات درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها]، الأردن؛ 2003، قسم الدراسات العليا، ص 02

³ - ذهبية حمو الحاج، قضايا التداولية والخطاب، ص 366

⁴ - المرجع نفسه، ص 366

فإنّ السخرية تمتلك عنصراً من عناصر التسلية في جانب من جوانبها للتعبير عن مقاصد الخطاب المرتبطة بمواقف الكاتب، فالتمثيل القصصي ما هو إلاّ تعبيراً عن إيديولوجية الكاتب وانعكاساً لذاتيته، كما تضيفي السخرية على الخطاب نوعاً من الدهشة والغرابة؛ "السخرية تعتمد على عنصر المفاجأة، وعدم التوقّع والغرابة التي تعني انعدام التوافق ما بين الواقع، وبين ما يطمح إليه الفنان الساخر، لأنها قائمة على فكرة المقابلة بين نقيضين"¹

ويعبّر الخطاب السياسي الساخر عن القدرة الإبداعية لكاتب الرواية السياسية الذي يميّز بمهارات إبداعية مميّز حيث: "نظر إلى السخرية على أنّها فنّ أدبي بحاجة إلى مهارة وذكاء وقدرة إضافية في الموهبة، لأنّها من أعسر الفنون الأدبية، وكذلك فإنّها تعبّر عن شجاعة استثنائية"²، فكاتب الرواية السياسية يتلاعب باللغة بأسلوب متميّز في التعبير عن مفارقات تعكس أزمات الواقع الاجتماعي والسياسي والتي يحاول فضحها بشكل ساخر، هذا من جهة، ومن جهة أخرى تكشف لنا عن أفكار الكاتب وتصورات وقيمه الأيديولوجية. وهذان الأمران هما الأساس الذي تقوم عليه الرواية السياسية التي ترتبط بالجمع بين شيئين اثنين؛ "تشكيل فني متميّز مرتبط بالقدرة الإبداعية للكاتب، ووجهة نظر سياسية تشكل قضية سياسية"³.

ونستطيع دراسة هذا النوع من الخطاب من خلال مدونة النصوص محصورة في الروايات السياسية لاستكشاف تجليات هذا النمط الخطابية، والبحث عن الأسباب الداعية لاتخاذ هذا النمط الخطابية والبحث في أبعاده التداولية كالاتي:

1/1. سلطة الخطاب الساخر: يثير انتباه قارئ نماذج الروايات السياسة الخاصة بالمدونة النظرة الساخرة المسيطرة على خطابها، وبرز ذلك خاصة في روايتي "زعيم الأقلية الساحقة" و"حضرة الجنرال"، فقد أخذت الروايات السياسية وسيلة من وسائل الانتقاد والتعبير عن اضطرابات المجتمع، وقد اعتمد كتاب الرواية السياسية على السخرية كاستراتيجية خطابية خاصة للتعبير عن قضايا وأزمات المجتمع التي دعت الكتاب إلى انتقادها، فقد حاول كتاب الروايات السياسية بلغة

¹ - عبد الخالق عبد الله عوده عيسى، السخرية في الشعر العباسي في القرنين الثاني والثالث الهجريين، ص10

² - المرجع نفسه، ص 07

³ - طه الوادي، الرواية السياسية، ص06

ساخرة تسليط الضوء على مختلف العيوب والمساوئ والاضطرابات التي يتميز بها المجتمع من رذيلة وفساد، فلقد لمسوا وكشفوا للقارئ وبعمق الاضطرابات التي يتميز بها المجتمع وقد تجلى كل ذلك بخطاب ساخر يجمع بين أمرين اثنين: إثارة الضحك والفكاهة، وفي الوقت ذاته يعبر عن الحسرة والألم والاستكار، وعلى هذا الأساس يمكن أن نقول أن هذا النوع من الخطاب أنه خطاب مضحك ومبكي في الوقت نفسه؛ إذ يجمع بين الهم والضحك، وهذا الخطاب ما هو إلا تصوّر لرؤيا وإيديولوجيات، وتعبير عن مكبوتات وانتقادات سياسية وتأكيد عن غضب و تضايق.

وقد جاءت رواية "زعيم الأقلية الساحقة" ساخرة من الواقع الاجتماعي والسياسي الذي يتأسس على مفارقات؛ إذ حاول الكاتب في روايته انتقاد الواقع السياسي، وفضح المجتمع الفاسد في خطاب ساخر وجريء. وقد أدى ذلك بطريقة غير مباشرة من خلال تمثيل سردي لشخصية قصصية لملك وطاغية عابث أقحمننا في عالمه، وقد كشف عن سياسته الفاسدة وأساليبه المستبدة في الحكم والتي تركز على المال والقوة والعبث، وقد بنى الكاتب روايته على متناقضات ومفارقات، فأغلب ملفوظات الرواية حملت معاني متضادة وصيغ مفارقة بين المعاني الحقيقية والمعاني الجانبية للخطاب وهو الأساس الذي تتبنى عليه السخرية فمن: "ملاحح السخرية التعارض أو التناقض بين ما نفكر فيه حقيقة وبين المعنى الجانبية للخطاب الذي نتلفظ به"¹، وقد تطرق لبعض القضايا الاجتماعية والسياسية المرتبطة بنقد سلوكيات وأخلاقيات المجتمع بتعمق في الطرح والرؤية كون "السخرية تستهدف في جوهرها نقد الحياة...ولا تكتفي بالنظر إلى الأشياء من السطح. ولا تقتصر في تشخيصها للخلل بالنظر في ظواهر الأمور، وإنما قد تشك في الإنسان ذاته، وفي النظام العام الذي يسيّر العالم، فتصبح مفهوما عميقا، ونظرة شاملة، وكأنا أريد لها أن تحل محل الفلسفة والأخلاق."²

ترتبط السخرية ارتباطا كبيرا بالسياق ونقصد هنا السياق خارج الرواية، إذ لا يمكن قراءة السخرية في النص وفهم بعدها التداولي بعيدا عن الظروف والملابسات التي تحيط بالرواية أو بالخطاب فلا يمكن الحديث عن السخرية في الجملة بمعزل عن سياق تلفظها، إذ أن "قراءة السخرية ينبغي

¹ - ذهبية حمو الحاج، قضايا التداولية والخطاب، ص 369

² - عبد الخالق عبد الله عوده عيسى، السخرية في الشعر العباسي في القرنين الثاني والثالث الهجريين، ص 02.

أن تستند إلى ما هو أبعد من النص، بمعنى الاستعانة بالسياق غير اللغوي حتى يفكك القول الساخر... وهو الشيء الذي يتفق حوله المنظرون للسخرية؛ أي وجوب قراءة النص الساخر خارج النص ذاته، نحو تفكيك القصد التقديري لسخرية المخاطب¹، فتفكيك الملفوظ الساخر والوصول إلى مقصد المخاطب لا يكون إلى بالاستعانة بالسياق الخارج عن النص، وهو الوسط السياسي والاجتماعي الذي تنشأ منه المفارقات والأحداث الساخرة، وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار السخرية ظاهرة اجتماعية، تعبر عن الواقع الاجتماعي، إذ "تعد السخرية من الأساليب البلاغية التي يتوسل بها الأدب في اشتغاله، وهي ظاهرة اجتماعية قبل أن تكون أداة بلاغية"².

والسخرية "تُعتمد بشكل بارز في الأعمال الروائية بشكل عام، إلى حد وصفها واعتبارها عند المنظرين أساس الشكل الروائي وعنصر من العناصر البنائية"³، وقد جاء الخطاب الساخر في رواية "حضرة الجنرال" أيضا كسخرية من الواقع السياسي حيث أراد الكاتب من خلال روايته نقد الواقع السياسي، ورفض كل أشكال الظلم، والحكم الاستبدادي الديكتاتوري من خلال شخصية "الجنرال بعو" كما أطلق عليه رعيته والذي سعى وراء مشروعه (الانفراد بالسلطة والحكم) من خلال قتل منافسيه، وقد أدى ذلك في خطاب ساخر من خلال بناء عمل قصصي خيالي.

أما رواية "حرب الفتوى"، فقد اعتمد الكاتب كذلك في روايته على السخرية كاستراتيجية خطابية تأثيرية مميزة، حيث جاءت السخرية في الرواية كوسيلة من وسائل الانتقاد والإصلاح، إذ سعى الكاتب إلى توجيه القارئ والذي يمثل المواطن الجزائري- الذي حدده في الرواية- ودعوته إلى ضرورة تجنب كل أشكال وأنواع الفتاوى المهلكة التي أدت إلى خراب المجتمع وانقسامه واضطرابه- في جهد منه إلى الكشف عن أسباب الأزمة السياسية التي عرفت الجزائر "الحرب الأهلية"- ومن هذا المنطلق ارتبطت "رواية حرب الفتوى" باستنكار ونقد الواقع التاريخي السياسي والاجتماعي من خلال إجراء سردي خيالي أعادنا إلى أوج تلك الأزمة من خلال قصة الهادي أو

¹- ذهبية حمو الحاج، قضايا التداولية والخطاب، ص380

²-بوشعيب الساوري النص والسياق-دراسة لرسالة التوابع والزوابع، ط1، سورية: 2013، محاكات للدراسات والنشر والتوزيع، ص81

³-بديعة الطاهري، أحمد بشير، الخطاب الساخر في رواية (اللجنة) لصنع الله إبراهيم، بيروت، 2011: منشورات الجامعة اللبنانية، قسم الدراسات الأدبية، ص125

بالأحرى قصة الإرهابي، إذ ارتبطت الرواية كذلك بالانتقاد والإدانة والتوبيخ وهذا ما جعل الكاتب يعتمد على آلية السخرية في الرواية، واعتمدها كاستراتيجية تواصلية للتأثير على القارئ، وجمع الكاتب في الرواية بين السخرية والغضب والاستنكار والطابع الانفعالي.

2/1. تجليات السخرية وآلياتها في الرواية السياسية: تعتبر السخرية من بين أهم الاستراتيجيات التأثيرية، فهي من الوسائل التي تحرك العقول وتثير العواطف، وتجذب القارئ، وهذا بما تضيفه من أسلوب ذكي وحيوي وممتع في التعبير عن مختلف القضايا الجدّية بطريقة فكاهية كون "السخرية تعتمد على أساليب بارعة، تدخل إلى الناس مداخل شتى فتستنهض عقولهم أحيانا، وقد تدغدغ مشاعرهم أحيانا أخرى، وقد تلهو بكينونتهم فتصبح سلاحا متعدد الأطراف، وهذا يزيد من تأثيرها وقوة سطوتها، ويوسع دائرة نشاطها¹، كما يكشف لنا الخطاب الساخر عن قريحة كاتب الرواية السياسية، المتأمل للواقع المضطرب الذي يريد تبيانه للقارئ بأسلوب ساخر من خلال تقديم انتقاد له في جو من والإمتاع والفكاهة والضحك، ويمكننا الوقوف عند تجليات السخرية ومختلف آلياتها في مدونة النصوص والتي حاولت انتقاد الواقع الذي بني على مفارقات كالآتي:

1/2/1. رواية زعيم الأقلية الساحقة: قدّم لنا الكاتب من خلال اعتماده لاستراتيجية السخرية صور هجائية عن اضطراب المجتمع الذي تملأه الرذيلة وينتشر فيه النفاق والرياء، من خلال شخصية "الملك العايب"، الشخصية الديكتاتورية الحاكمة بأسلوب القوة والعبث، ويمكننا توضيح تجليات السخرية في الرواية وأبعادها التداولية كالآتي:

1/1/2/1. السخرية و كشف حقيقة السياسيين ورجال الأعمال: يسعى السارد إلى الكشف عن حقيقة السياسيين ورجال الأعمال التي ارتبطت شخصياتهم بالفساد وغابت عنهم القيم الاجتماعية موظفا آليات الهزل والتلاعب بالألفاظ والمعاني التي تعتبر من آليات الخطاب الساخر بشكل عام²؛ إذ يقول السارد (ملك الجزائر) في الرواية: "...هناك نوعا من البشر يعلفون الأوراق المالية كما تلعف الخنازير البطاطا الحلوة، ويقيسون قاماتهم الأطلسية بأرقام صكوكهم..."³؛ "...من

¹ - عبد الخالق عبد الله عوده عيسى، السخرية في الشعر العباسي في القرنين الثاني والثالث الهجريين، ص 02.

² - المرجع نفسه، ص 11

³ - رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 18

الطبيعي أن تسلق طريق مملكة لا يحتاج إلى سلّم ولا إلى مواهب القردة في التشعلق على أغصان الأشجار، وإنّما الصعود على أكتاف الآخرين...¹؛ كما كشف الكاتب كذلك بعض حقائق رجال الدولة في خطاب ساخر معتمدا أسلوب المدح في موضع الذم إذ يقول: "...للأسف لا يمكنني قتل قضاة بهذا الفساد الرائع... فأنا ممن يؤمنون أنّ جهة الحقيقة من وجودي في حدّ ذاته يعود إلى فساد العدالة الجميل"²، وقد اعتمد الكاتب هنا في هذه الأقول على التلاعب بالألفاظ والمراوغة للتعبير عن مقاصد ضمنية لأنّ "السخرية حين تخفي المعنى، إنّما تراوغ وتغمض بدلا من أن تظهر، إنّها الكلام يدور على نفسه ويلتبس بعضه ببعض³؛ إذ كشف السارد من خلال هذا الخطاب الساخر غياب القيم والنزاهة في مقابل نقشي الفساد والظلم مستعينا بآلية المدح في موضع الذمّ.

2/1/2/1. السخرية على طبقية المجتمع: أراد الملك الكشف والاعتراف بطبقية المجتمع والغوص في بعض حقائقها بشكل ساخر معتمدا على آلية المبالغة، والتي تعد أسلوبا من أساليب السخرية والتي تعني الإفراط في الوصف وتجسيم الصورة؛ أو العيب المقصود بغرض السخرية⁴؛ إذ يقول السارد: "...الشعوب-كما اكتشفت مبكرا-تنقسم إلى شعبين شعب نهاري يعتاش على العشب والمشاكل، وشعب ليلي ينعم بفاكهة النهار وغفلته"⁵؛ "بعض الناس في هذه الجهة من أطالسة هيرودوت الذين تخيلهم يصطادون السمك بأيديهم من أعماق البحر ويشوونه مباشرة على الشمس، غير أنّ البعض الآخر وهم طبقة الأغلبية لا يزالون في طور-الأميبيا-البداية لهم خلية واحدة انقسمت على ذاتها لتلبية الحاجات الوضيعة في الجسم الأكل والنوم والتكاثر كالأرناب والذهاب إلى المراحيض... هكذا هي الطبقة في مجتمعنا واضحة ومحسوسة... وعلى

¹- رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص26

²- المصدر نفسه، ص78

³- ينظر: علي البوجديدي، السخرية وقضايا المعنى في أخلاق الوزرين للتوحيدي بين المعنى الحي الذي يلوح والمعنى المستور بالتغريب، أعمال ندوة: النص السردي وقضايا المعنى، ط1، المملكة العربية السعودية، 2016؛ نادي القصيم الأدبي، ص168.

⁴- عبد الخالق عبد الله عوده عيسى، السخرية في الشعر العباسي في القرنين الثاني والثالث الهجريين، ص12

⁵- رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص11

الرجل الذي يرغب في تغيير طبقته أن يهتم بتربية رصيده كما تربي الخنازير بالعلف والعراك..¹ وقد اثارت هذه الاقوال الساخرة الضحك والفكاهة والاستغراب، لكنها كذلك عبرت عن معان ومقاصد عميقة لا يمكن الوصول إليها إلا بتفاعل القارئ مع النص وما يربطه من ظروف سياقية لأنّ "المعنى الأصلي للنص الساخر هو ذلك المعنى العميق الذي لا يفهم إلا بتفاعل المتلقي الإيجابي مع النص وما يحف به من ظروف وملابسات، بيد أن القراءة الحقيقية لا يمكن لها أن تتخلى كلياً عن المستوى السطحي للنص، فالإبقاء على هذا المستوى في مقابل المستوى العميق يقدم للرسالة الساخرة فعالية وتعدداً في الدلالات المعرفية الإيحائية الغائبة"²؛ وهذا بمعنى أنّ القراءة الحقيقية للنص تنطلق من المستوى السطحي الذي لا يمكن أبداً الاستغناء عنه للوصول للمعاني العميقة.

3/1/2/1. السخرية من الرعايا وبعض الخصوم: عبر الملك العابث عن أفكاره وقناعاته إزاء رعاياه بشكل ساخر معتمداً آليات وأساليب التلاعب بالألفاظ والمعاني جسّد فيها الطابع الانفعالي والعدواني وهو ما نلمسه من خلال هذه الأقوال: "لذة عظيمة تلك التي يشعر بها الملك وهو يرى رعاياه يتمسكون وينتحبون كالأرامل أمامه خائفين خائعين، طائعين راكعين متبولين في سراويلهم، أولئك هم شعبي العظيم الذي بنى أرسدي العظيمة لمدة خمسين سنة دون ثورة ولا تهرب من دفع الضرائب"³؛ "...الشعوب تنظر باهتمام إلى وعود ملوكها، بل أن بعض الشعوب تعتاش على الوعود كما تعتاش البهائم على الحشيش...ومن غير المعقول أن يعرف أحد رعاياك مثلاً أنّك لم تطالبه بدفع الضرائب لمجرد أنّك نسيت...ذلك مؤلم وقاسي حتى بالنسبة لرعيّتك المسكين"⁴؛ "...لا أتدخل أبداً في حياة رعاياي...ولا أصرخ أبداً في وجوههم، أنا من المؤمنين المقتنعين بالديمقراطية، ومن حق الشعوب التي تدفع الضرائب بانتظام أن تعيش حرّة وتتدبر

¹ - رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 15

² - علي البوجديدي، السخرية وقضايا المعنى في أخلاق الوزرين للتوحيدي بين المعنى الحي الذي يلوح والمعنى المستور، أعمال ندوة: النص السردي وقضايا المعنى، ط 1، المملكة العربية السعودية، 2016: نادي القصيم الأدبي، ص 176.

³ - رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 42

⁴ - المصدر نفسه، ص 54

أمرها بنفسها...¹؛ كما عبّر كذلك بأسلوب ساخر إزاء خصومه في قوله: "...الماعز بطبيعته مسلّح بالأمل على عكس البهائم الأخرى كالأغنام والأبقار...كلّ شيء يمكن للملك أن يتسامح معه إلا زراعة الأمل، يمكن للناس أن يزرعوا البطاطا والكرافس أو حتى الكلى للمرضى والشعر للصلع ، ولكن زراعة الأمل خطر جارف على الممالك...²؛ وقد عكست مجمل هذه الأقوال الساخرة أفكار الكاتب التي عبّر عنها بشكل قوي، وهو ما يعكس القدرة اللغوية الإبداعية للكاتب في التعبير عن مختلف القضايا بعمق؛ إذ استطاع الكاتب أن يلامس قريحة المجتمع واضطراباته "قلع امتلاك الكاتب لخاصية اللغة للتعبير عن هذه القضايا (القضايا الانتقائية الواعية التي تقوم على فقه الواقع) بعمق والوضوح المطلوب، يجعل من الخطاب الساخر خطابا ممثلا لفكر المجتمع وتطلعاته وأحزانه وآلامه وآماله"³.

4/1/2/1. السخرية من المتمردين والهاربين من الضرائب: لقد تجلت مظاهر السخرية كذلك في ما أظهره الكاتب من تعدي وتوبيخ وهجوم على المتمردين والهاربين من الضرائب بشكل مثير، فقد إلتجأ الكاتب هنا على السخرية من المتمردين والخصوم، باعتبارها "صوت عذاب وعقاب يصبّ على رؤوس المارقين فيقوم ما فيهم من اعوجاج"⁴ وهذا كما اتضح في قوله: "النوايا السيئة هذه شبهتها بمخلوقات عجيبة تتواجد مثل الدودة الشريطية في بطون كل الشعوب تعيش في البداية كطفيلية في بطون كل الشعوب، تعيش في البداية كطفيلية صغيرة مهينة وتكبر مضغة بعد مضغة حتى تصبح بحجم الأمعاء...ثمّ تصبح هذه الأمعاء تبتلع كل ما تتغذى عليه الشعوب وتمتص فوائد كل الأطعمة، فتصاب الشعوب في البداية بمغص، ثمّ يتطوّر المغص إلى فقر دمّ، وأخيرا يتطوّر فقر الدمّ إلى فقر في الذكاء...وتصبح الشعوب حينها قابلة لظهور الملوك

¹ - رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 81

² - المصدر نفسه، ص 121

³ - ينظر: حافيظ اسماعيلي علوي، لغة الخطاب الساخر، مقارنة تداولية حجاجية، أبحاث في الفكاهاة والسخرية الزباط، 2008: دار أبي رقرق للطباعة والنشر، ص 57.

⁴ - علي البوجديدي، السخرية وقضايا المعنى في أخلاق الوزين للتوحيدي بين المعنى الحي الذي يلوح والمعنى المستور بالتغريب، أعمال ندوة: النص السردي وقضايا المعنى، ط1، المملكة العربية السعودية، 2016: نادي القصيم للأدبي، ص 177.

السفلة...¹، والحديث عن المعنى التداولي يحيلنا إلى القيمة الإنشائية للسخرية التي سوف تتجاوز ثنائية المخاطب إلى الشخص الثالث وهو المستهدف في أغلب الأحيان²؛ فقد استهدف هنا السارد أشخاصا محددين اختفوا وراء كلمة "النوايا السيئة".

5/1/2/1. السخرية من الشباب العاطل: عبّر الكاتب عن بعض حقائق مجتمعه التي ارتبطت بفئة مهمة فيه وهي فئة الشباب بشكل ساخر معتمدا أيضا التلاعب بالألفاظ والمعاني وهذا واضح في الرواية إذ يقول: "المجتمعات هكذا، كل شخص ودوره الذي ولد من أجله، وبما أنّ الانفجار الديمغرافي أعطى بشرا دون أدوار فمن الممكن للمرشح لأيّ مملكة أن يجنّدهم في أدوار لم يولدوا من أجلها لكنهم يؤدونها بتفاخر وحماس لا مثيل لهما، حتى ولو كسروا في طريقهم كلّ ما هو قائم..."³؛ كما اعتمد السارد في سخريته من الشباب على المدح والثناء الكاذب، كاشفا عن كيد واستغلاله، وهذا في قوله: "...مهما يكن علينا الاعتراف بالجهلة الرائعين الذين يمكن تجنيدهم دائما فيما لا تحمد عقباه"⁴، ونستطيع الحكم من خلال هذه الأقوال أنه بالإضافة إلى الوظيفة التواصلية التي تؤديها السخرية في التعبير عن مقاصد الكاتب غير المباشرة، فإنّه لا يمكننا نسيان الجانب الاستمتاعى التي نستشعره عند قراءتنا لهذه الأقوال كون "السخرية تؤدي وظيفة مهمة، وهي الوظيفة الإمتاعية، ونقصد بالإمتاع هنا، المتعة الوجدانية والنفسية التي يستشعرها القارئ، والتي تثير في نفسه الضحك والاستغراب، وهي كذلك وظيفة لا تفارق المجال التداولي الذي تتحرك فيه مقاصد النص"⁵ ليؤدي النصّ ككل أبعاده التأثيرية على القارئ.

2/2/1. رواية حضرة الجنرال: قبل الحديث عن تجليات إستراتيجية السخرية في رواية "حضرة الجنرال" وأبعادهما التداولية تجدر الإشارة إلى نقطة مهمّة وهي اعتبار أنّ بعض الألفاظ أو المسميات تحمل معنى السخرية بحدّ ذاتها، كونها تحمل معانينا ورموزا مغايرة على غير ماهي في

¹ - رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 101

² - ينظر: ذهبية حمو الحاج، قضايا التداولية والخطاب، ص 378

³ - رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 26

⁴ - المصدر نفسه، ص 31

⁵ - مجمد مشبال، الحجاج والتأويل في النصّ السردي عند الجاحظ، ط1، المملكة العربية السعودية، 2015: دار محمد علي للنشر، دار القصيم الأدبي، ص 55

الواقع، سواء في تسمية المصطلح بحد ذاته أو في معناه، إذ تثير هذه الألفاظ نوع من المفارقة والغرابة والدهشة، وفي الوقت ذاته تثير الضحك والاستمتاع والفكاهة، ولقد تعمّد الكاتب "عزيز غرمول" في روايته ذكر وانتقاء بعض الألفاظ الحاملة لمعاني السخرية مثل: "الجنرال بعو"، كما جاء في قوله: "...ارتبط اسم "بعو" بشخصي، وبامبراطوريّتي، فأصبحوا يطلقون عليّ اسم "الجنرال بعو" وعلى "إمبراطوريّتي" "امبراطورية بعو"¹؛ وكذلك نجد ألفاظاً أخرى مثل "الامبراطورية"؛ "قطيع الغاشي" "الديمقراطية"، "البواطنة"؛ "الحصان الآلي"، إنّ مجموع هذه الألفاظ تحمل في طياتها معنى السخرية، ويمكن أن تحمله الكلمة بحد ذاتها على مستوى التسمية في خرق بنية هذه التسمية بتعمّد كاستبدال أحد حروفها أو إضافة حرف لها، أو من ناحية أخرى تكتسب اللفظة معنى السخرية في ربطها بسياق الموقف، وترتبط مجمل هذه الألفاظ بمعاني الاحتقار والهزل والاستهزاء والاستنكار والذي يكشف عن بعض متناقضات الواقع.

1/2/2/1. السخرية من سياسة الحكم الإستبدادي: ظهر ذلك في أوجه كثيرة ولحظات ساخرة متعددة، ارتبطت بالواقع الاجتماعي بشكل عام. ومن ضمن هذه الأوجه ما نجده من صور ساخرة من سياسة الحكم الاستبدادي، كاشفاً من خلالها السارد حقيقة سياسة الحاكم في تعامله مع رعاياه؛ إذ يقول: "الإنسان ابن خطوته الأولى...مثل ثيران الحلبة، إذا لَوَّحوا لها بالراية الحمراء لن تعود إلى الحظيرة قبل أن تنطح بقرونها الحادة أو تطعن طعنات موجعة..."²؛ كذلك سعى إلى الكشف عن سياسته التسلطية من خلال إخضاع الجميع لمبادئ دستوره الجديد المتمثل في (كتابه الأبيض) في خطاب ساخر؛ إذ يقول: "...على بركة الله قررت تأليف" الكتاب الأبيض...هو الكتاب الأول والأخير والفريد من نوعه من خلاله يفهم الجميع أفكارى وتصوراتى وتوجيهاتى السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والتربوية، والفلاحية، وتربية العصافير، والنحل، والغنم والأرانب والخيول، والطبخ التقليدي والمعاصر، ويشمل التعاليم الدينية وطقوس الأعياد وطقوس الختان والزواج والعقيقة... ويقتبس منه الأئمة في دروسهم المسجدية الوعظية وخطب الجمعة

¹ - رواية (حضرة الجنرال)، ص 10

² - المصدر نفسه، ص 19

حتى العمال والفلاحون في منظماتهم... وكذلك اتحاد النساء والطلبة.....¹؛ ويضيف: "...كتاب فريد من نوعه... أسلوب سلس ممتنع... العاطفة صادقة جياشة... كتاب تقرأه النخبة، ويقرأه المتعلمون وأنصاف المتعلمين وأشباههم، ويقرأه أيضا العميان والجهلة والأميون...²، اعتمد الكاتب من خلال هذه الأقوال أسلوب التلاعب بالألفاظ والمعاني الذي يندرج ضمن استراتيجية السخرية كاشفا من خلاله طبيعة سياسته وحكمه إزاء رعاياه.

2/2/2/1. السخرية من الرعايا والكشف عن طموح الحاكم: تجلى الخطاب الساخر في الرواية أيضا بسخريته من الرعايا والاعتماد على المراوغة والمكر، وقد تبين ذلك في قوله: "انتهى زمن رعي القطيع الأصغر، وجاء زمن رعي القطيع الأكبر، من يقدر على رعي قطيع الغنم والإبل والماعز بكل تأكيد مؤهل لرعي قطيع البشر. وليس غريبا أن يبدأ معظم الأنبياء حياتهم برعي الغنم قبل أن ينزل عليهم الوحي الرباني ويسلمهم الرسالة ليرعوا شعوبهم"³؛ كذلك يقول: "...علمتني تجربة الرعي أنّ القطيع المثالي يكتفي بحقه في الماء والكلأ و"القيولة ويعبر عن ارتياحه وسعادته بالرقص والتزواج أو السّبات العميق..."⁴؛ ويضيف: "...بكل تأكيد ستكون تغريدة متميزة حقًا، ستنسى الشعب العظيم مغامرات سندباد وألف وليلة وليلة واوديسيوس الاللياذة، ومشاكسات دونكيشوت، ومراوغات "ميسي"، ونطحة "زيدان" وبوسة "الساسبي الفرطاس"⁵؛ وقد كشف من خلال مجموع هذه الأقوال عن طموحه في الاستيلاء على حكم الإمبراطورية.

3/2/2/1. السخرية وتوجّس الخوف من الكتاب والمثقفين والنخب: يواصل السارد التعبير بشكل ساخر كذلك في ما ظهر من سخريته من النخب المثقفة؛ إذ يقول: "كتاب وصحافيون، وكتاب سير ومؤرخون، ومتقاعدون وعسكريون، مشهورون ومغمورون، كلهم رغبوا في كتابة سيرتي العطرة للحصول على تلك الامتيازات التي أسالت كثيرا من اللّعب، لكنّ بعض الاستثناءات كانت

¹ - رواية (حضرة الجنرال)، ص 150

² - المصدر نفسه، ص 140

³ - المصدر نفسه، ص 154

⁴ - المصدر نفسه، ص 34

⁵ - المصدر نفسه، ص 41

غريبة وطريقة لبعض الكتاب الذين تجرّوا وغرّدوا داخل السرب، وكشفوا عن وقاحتهم وسفالتهم وسوء نواياهم...منهم الزنديق ابن المقفّع، اقترح كتابة سيرتي على لسان بغل...يا له من مستبغل....البغل يتحدث عن بغل.. والبروفيسور السعيد بوطاجين، اقترح كتابتها على لسان حشرة عمياء...لتكون-حسبه-متميّزة ومشوّقة...كم هو مقررز هذا البروفيسور، و" ما يحشمش"...والدكتور عاشور فتي، كتب سطرًا يقول لي فيه: من أنت حتى تبحث عن كاتب ليكتب سيرتك؟ ألا يدعو هذا إلى إعادة "تطهير" نخب "الإمبراطورية؟ بينما هجاني هذا الشاعر المدعو عادل صياد بقصيدة لاذعة: "أنا لست بخير"... طبعا...استهجنت اقتراحي ابن المقفّع وبوطاجين فاستبعدتهما رغم طرفتهما، مثلما استهجنت سلاطة لسان هذا الدكتور المتناول الذي يقول لي من أنت؟ أما من وشى بي للتاريخ بقصيدته الفضيعة: "أنا لست بخير فلي معه حساب عسير...هذه النخب إذا لم تستطع أن تروضها وتركبها تروضك وتركبك، لذا قررت تجريد هذا الشاعر من الجنسية بتهمة هتك عرض اللغة والتآمر على النحو والبلاغة..."¹، وقد اعتمد هنا السارد على التلاعب بالمعاني والتحايل والهزاء، وهو ما يعكس خوفه منهم وخوفه من فضح سياسته وأعماله، وهو ما يجسد صورة من صور الواقع السياسي.

4/2/2/1. عشق الديكتاتور الكاذب الواهم "ذياب الزغبى" في خطاب ساخر: وهو ما تجلّى في قوله: "آه...يا الجازية...يا خيبيتى الكبرى...أنت "حتاي" الآن فقط أتفهم معاناة سيبوية عاشق النحو وهو على فراش الموت وحمّى "حتى" تجتاح جسمه وتصل إلى حلقه..."²، وقد بين هنا السارد مكره، وحبّه المزيف والكاذب.

3/2/1. رواية حرب الفتوى: قدمت لنا رواية "حرب الفتوى" كذلك صورة لواقع مضطرب تأمله كاتب الرواية بعمق محاولاً تبيانه للقارئ بأسلوب ساخر معبراً عن استنكاره وانفعاله، وتظهر لنا تجليات الخطاب الساخر في الرواية كالاتي:

1/3/2/1. السخرية من الجماعات الإسلامية: استعان الكاتب بالسخرية كذلك في إدانة وانتقاد الجماعات الإسلامية معتمداً على آلية المدح الكاذب والهزل والمعنى المقلوب في تجسيد خطابه

¹ - رواية (حضرة الجنرال)، ص 38

² - المصدر نفسه، ص 218

الساحر إزاء الجماعات الإسلامية، وهذا كما جاء في قوله: "ولأنّ الإسلاميين يملكون الحقيقة الكاملة والحلقة الغائبة في الفكر الإنساني... استطاعوا أن يجلبوا المزيد من المريدين ورواد المساجد ومن طلبة الجامعة..."¹، فقد أتى الكاتب هنا بالذم في قالب مدحي، معتمدا على المعنى المقلوب؛ لأنّ "السخرية والحال هذه تقوم على بلاغة المعنى المقلوب، إذ نقول ضد ما تود تبليغه إنّها تعبّر عما نقوله "بقول مضاد له"، فتجيب بالذم في قالب مدحي أو بالجد في قالب مازح، أو تأتي بالحق في قالب الباطل، وهي في كل الأحوال خطاب ظاهره جدّ وباطنه هزل"²، كذلك سعى الكاتب إلى انتقاد واقعه إلى حد التوبيخ؛ وقد اعتمد الكاتب في مواضع أخرى على السخرية الحجاجية التي تهدف لبناء دليل³ قاصدا انتقاد فكر الجماعات الإسلامية؛ إذ يقول: "لا يعرفون الديمقراطية... ولا الحزب الواحد... ولا حتى من هو رئيس الجمهورية..."⁴؛ وهكذا يتمكّن السارد من تبيان جهلهم بكل شيء بأسلوب المبالغة.

2/3/2/1. السخرية على ما آل إليه المجتمع: انتقد الكاتب في روايته "حرب الفتوى" صورة الواقع الاجتماعي الذي آل إليه المجتمع في خطاب ساحر من خلال قوله "... غزا اللباس الأفغاني البلاد والجلباب الخليجي ... صورة جديدة للمجتمع الجزائري..."⁵؛ يحاول الكاتب من خلال هذا الملفوظ تبيان مدى كثرة الجماعات الإسلامية في المجتمع الجزائري وتوضيح مدى تأثر المجتمع بالحركات الإسلامية ومدى تأثرهم بخطاباتهم وانسيابهم لهم وخضوعهم لهم، وقد حاول الكاتب مقارنة هذه الصورة للقارئ بشكل مبالغ فيه وعلى هذا الأساس يمكن أن تشكل المبالغة صورة من صور المفارقة بين الملفوظ وحقيقة الأشياء والتي هي الأساس التي تنبني عليها السخرية لأنّ "المبدأ الذي تنبني عليه السخرية هو أنّها تتشكّل في صيغة مفارقة بين المعنى الحرفي والمعنى المجازي/

¹ - رواية (حرب الفتوى)، ص 173

² - علي البوجديدي، السخرية وقضايا المعنى في أخلاق الوزرين للتوحيدي بين المعنى الحي الذي يلوح والمعنى المستور بالتغريب، أعمال ندوة: النص السردي وقضايا المعنى، ط1، المملكة العربية السعودية، 2016: نادي القصيم الأدبي ص 168.

³ - ينظر: حفيظ اسماعيلي علوي، لغة الخطاب الساحر، مقارنة تداولية حجاجية، أبحاث في الفكاهة والسخرية، الرياض، 2008: دار أبي رقرق للطباعة والنشر، ص 63.

⁴ - رواية (حرب الفتوى)، ص 65

⁵ - المصدر نفسه، ص 168

الانزياحي، أو المفارقة بين حالات الوعي والواقع الذي يتأسس هو بذاته على مفارقات يحاول الكاتب أو القاص فضحها بشكل ساخر¹ خاصة بالحديث عن كاتب الرواية السياسية، والذي يحاول دائماً تتبع حركة الواقع السياسي والاجتماعي، وتسجيل قضاياها ورصد أزماته، ويمكن عد السخرية حجة في بعض الملفوظات، فهي تسعى دائماً إلى خلق جوّ إقناعي كما تقوي الجانب الانفعالي والحيوي للملفوظ وهذا بما يحمله من أبعاد عميقة، وعلى هذا الأساس يمكن تقسيم السخرية إلى بنيتين:

- البنية اللغوية أو اللسانية: وتظهر في المفارقة الدلالية وما ينتج عنها من غموض والتباس؛
- البنية العميقة (الانفعالية)؛ ويتجسد هنا المكوّن الإنجازي المرتبط بالتهجّم أو الانتقاد، أو الفضح، أو استهداف شخص أو مصلحة².

لقد حاول الكاتب استنكار الفتاوى المهلكة والمسببة للأزمة الوطنية، وقد أدى ذلك في خطاب ساخر، في ارتباطه أحياناً بالمعاني المجازية "السخرية بثرائها الدلالي وتعقدها فرضت أهميتها إلى جانب الصور البلاغية كالاستعارة"³ وهذا مثل قوله: "... مرة أقتلوا ومرة توبوا لا إلى الله وإنما إلى الظالم نفسه في الفتوى السابقة..."⁴، إنّ المتأمل لهذه الملفوظات تسمح له بقراءات تأويلية تقوم على بناء مفارقات، ويكون ذلك في ارتباطه بالسياق خارج لغوي، وقد سمح ذلك للكاتب بفضح الواقع بشكل ساخر، والمرتبب بكشف الفكر الفاسد والطموح السياسي للجماعات الإسلامية وهو السعي إلى الحكم والسلطة وهذا باسم الدين، أمّا بالنسبة لمقاصد الكاتب فإذا حاولنا البحث فيها من خلال هذا الملفوظ الساخر نجد أنه يريد أن يبين ويقرب مقاصده للقارئ بصورة بليغة وممتعة بيّنت تشتت الفكر وفساد الفتوى لدى الجماعات الإرهابية، وتدينهم على هواهم ومزاجهم.

3/1. السخرية السياسية وأبعادها التداولية: ارتبطت السخرية في مدونة النصوص للروايات السياسية بشكل عام بالانتقاد والإدانة والتوبيخ والاستهزاء، وكشف لواقع الأمور الاجتماعية والسياسية؛ فالسخرية: "تتبنى عموماً على الإدانة، وانتقاد الواقع، فضح الواقع الاجتماعي، والتشاؤم

¹- ذهبية حمو الحاج، قضايا التداولية والخطاب، ص 366

²- المرجع نفسه، ص 377

³- المرجع نفسه، ص 209

⁴- رواية (حرب الفتوى)، ص 253

وعرضه بشكل مميّز¹، وهذا النوع من الخطاب يبرز بشكل واضح القدرة الإبداعية لكاتب الرواية السياسية والتي تتجلى في إبراز الكثير من الأمور السياسية بأسلوب مميّز دون خوف من المواجهة فرغم "الأبعاد التي ترمي إليها السخرية، فهي تعتبر شكلاً متميّزاً للكتابة، تجعل المخاطب يبحر بأرائه دون خوف من الاصطدام بالواقع لأنّه بإمكانه الاحتماء بغير المقول"²، وهذا بمعنى أنّ كاتب الرواية السياسية يمكن له أن يختبئ وراء الضمني ويستعين به فكثيراً ما ترتبط السخرية بامتزاج بين الصريح والضمني، خاصة عند حديثنا عن الخيال السردى؛ أي إسقاط واقع الأمور على شخصيات خيالية قصصية رمزية، وعليه يمكننا الحديث على اللامباشرة في الخطاب، ومع ذلك كثيراً ما تكون المجازفة خاصة عند الحديث عن النظام السياسي القائم.

التجأ الكاتب في رواية "زعيم الأقلية الساحقة" إلى السخرية كاستراتيجية للتعبير عن مختلف مقاصده المرتبطة بنقد الواقع والمجتمع والذي انقلبت فيه الموازين، حيث كشف لنا من خلال خطابه الساخر مختلف حقائق الواقع وتناقضاتها، ولمس مجمل تغييرات الحياة والمجتمع السياسي والاجتماعي الفاسد الخارج عن سلوكياته وأخلاقياته التي تأملها الكاتب بعمق، فقد كانت هذه الاستراتيجية وسيلة من وسائل التعبير عن غضبه وضيقة إزاء واقعه بأسلوب يمتزج فيه الصريح والضمني ويكون قابلاً للتأويل، لأنّ "الأدب الساخر يقترب من الأدب الرمزي الذي يغلف الحقائق ويخفي الغضب والضيقة ويلبس معانيه ألبسة قابلة للتأويل، وهذا النوع يترك للمؤلف فرصة التراجع أحياناً، فتغدو الألفاظ واسعة الدلالة، وقابلة للأخذ والرد، ويلجأ الأدباء إلى هذا الفنّ لعوامل متعددة لعل أهمّها الخوف من السلطة الحاكمة"³.

أمّا بالنسبة لرواية "حضرة الجنرال"، فقد اعتمد الكاتب في روايته على استراتيجية السخرية لما لها من قوة استجابة وتأثير على القارئ، حيث عبّر الكاتب من خلال خطابه الساخر عن مختلف مضاميقاته ومكبوتاته المرتبطة برؤيته إزاء الواقع السياسي، واستعان الكاتب في روايته بشخصية "ذياب الزغبى" - شخصية عسكرية ديكتاتورية - كتحايل وسخرية من الواقع، واختار الكاتب

1- ذهبية حمو الحاج، قضايا التداولية والخطاب، ص 369

2- المرجع نفسه، ص 366

3- عبد الخالق عبد الله عوده عيسى، السخرية في الشعر العباسي في القرنين الثاني والثالث الهجريين، ص 12.

السخرية لنقد الواقع باعتباره من مثقفي هذه الأمة يسعى إلى تحقيق الوعي وبعث اليقظة وهذا بالنظر لأبعاد السخرية التداولية وأغراضها؛ فالسخرية: "يمكن اعتبارها أحيانا سلاحا اجتماعيا تحافظ به الجماعة على كيانها ومقوماتها"¹ والنهوض بالوعي، وهي أهداف يمكن إدراجها ضمن المقاصد التداولية التي يسعى الكاتب إلى تحقيقها من خلال خطابه الساخر فالسخرية ترتبط بغاية التصويب والتغيير وعلى هذا "تتحول السخرية إلى ممارسة ثقافية هدفها التأثير، شأنها في ذلك شأن كل فعل كلامي يروم تغيير الواقع والتأثير في المخاطب فالغرض التكليمي هنا بتعبير "أوستين" غايته تصحيح الخطأ، وتصويب الاعوجاج، وفضح الادعاء وإحداث أثر معين، أو رد فعل لدى المخاطب، ولاشك أنّ اللجوء إلى السخرية لتمير هذه الأغراض التكليمية يضمن للخطاب تأثيرا أكبر وفعالية أعمق"².

كما كشفت لنا استراتيجية السخرية التي اعتمدها الكاتب "محمود حامد العربي" في روايته "حرب الفتوى" مجموعة من القضايا المرتبطة بحقيقة الجماعات الإسلامية التي تسعى وراء السلطة والحكم، وهذا من خلال رؤية الكاتب وملاحظته وعمق تأمله في تفكيرهم وسلوكياتهم، وأخلاقياتهم التي أراد لها التغيير والإصلاح، فالسخرية: "تخفي رغبة قوية في التغيير وحُلما بنظام آخر في العالم"³؛ والرغبة في الحفاظ على توازن المجتمع بالحفاظ على مقوماته وأخلاقياته وقد استعان الكاتب بالسخرية في بعض المواقف للتعبير عن امتعاضه من قضية الفتاوى، فتاوى الجماعات الإسلامية المهلكة والتي تسببت في مختلف الأزمات الاجتماعية والسياسية؛ فالكاتب: "يلتجئ للسخرية عندما لا يكون قادرا على إبراز غضبه، فتصبح السخرية ملاذا نفسيا يحقق انفعال الأديب"⁴.

كما يسمح لنا الخطاب الساخر عند ارتباطه بسياق الرواية بالكشف عن جوانب أخرى ترتبط برؤية وتصور كاتب الرواية السياسية إزاء قضية من القضايا الاجتماعية السياسية وتوجهه "إنّ

¹ - عبد الخالق عبد الله عوده عيسى، السخرية في الشعر العباسي في القرنين الثاني والثالث الهجريين، ص 09.

² - ينظر: حفيظ اسماعيلي علوي، لغة الخطاب الساخر، مقارنة تداولية حجاجية، أبحاث في الفكاهاة والسخرية الزيات، 2008: دار أبي رقرق للطباعة والنشر، ص 56.

³ - عبد الخالق عبد الله عوده عيسى، السخرية في الشعر العباسي في القرنين الثاني والثالث الهجريين، ص 08

⁴ - المرجع نفسه، ص 12

النظر للسخرية من منظور السياق الخارجي للبعد التداولي نفترض دائما وجود إضافات تتمثل في معرفة أفكار المخاطب وقيمه الإيديولوجية¹، فالسياق جانب مهم في البحث عن البعد التداولي والقيمة الإنشائية للسخرية، وإذا أردنا البحث عن الأبعاد التداولية في الخطاب الساخر والمرتبطة كثيرا بالتوجه الإيديولوجي للكاتب "حامد العربي" من خلال خطابه الساخر، نجد أن وجهة الكاتب واضحة، حيث كان انتقاده واضحا في خطابه، وكانت الجماعات الإسلامية هي المستهدفة من خلال خطابه الساخر.

2. الحجاج والإقناع الإيديولوجي في الرواية السياسية:

يعرّف الحجاج بأنه: "بناء المتلفظ لتمثيل خطابي معيّن يسعى إلى تغيير تمثيل خطابي آخر لموضوع معيّن عند المتلقي، أو المتلفظ المشارك"²، وهو ما عبّر عنه بيرلمان (Perlman) بقوله: "الحجاج دراسة التقنيات الخطابية التي تسمح بإثارة أو زيادة انضمام وتأثر العقول لما يعرض عليها من أطروحات"³، والرواية السياسية كشكل من أشكال الممارسة اللغوية تتضمن في بنائها آليات حجاجية استدلالية ترتبط ارتباطا مباشرا بمضمون القضية المطروحة في الرواية، كما تعكس تصورات وأفكار الكاتب واتجاهه الإيديولوجي؛ فالمؤلف في نصّه يبني خطابا معيّنًا يحوي توجهاته وآرائه وأفكاره في موضوع معيّن، وفي الوقت ذاته يسعى لإيصالها وترسيخها عند القارئ؛ وعليه فالرواية السياسية تمثل حقا تأثيريا وإقناعيا مميّزا وخاصة عند الحديث عن الخطاب السياسي الذي يرتبط بالحجاج بالدرجة الأولى، حيث يتوسل بمجموعة من التقنيات والآليات اللسانية والمنطقية والعقلانية التي تؤدي المعاني المرادة⁴، وعليه يتشكل فضاء تداولي مميّز ولهذا على القارئ إلى الجانب الأساس فيها، وهي المضامين والأفكار ومقاصد الرسالة النصّية التي لا بد من فكّها، وهذا لا يتأتى إلا باستعانة بالكفاءة التّدولية.

¹ - ذهبية حمو الحاج، قضايا التداولية والخطاب، ص 383

² - محمود طلحة، تداولية الخطاب السردية، دراسة تحليلية في وحي القلم لرافعي، ص 102

³ - Perlman Chaim et Lcie Olbrechts Tytica « traité de l'argumentation- la nouvelle rhétorique », Préface de Michel Mayer, 5ème édition, Belgique : 1992, Editions de l'université de Bruxelles, p05

⁴ - عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغيّر، مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، المغرب: 2006، إفريقيا الشرق، ص 171.

1/2. تجليات الحجاج وآليات تنفيذه: تمثل الرواية السياسية صنعة مليئة بالأفكار وكذا التوجهات والتصورات وهو ما يستدعي الحاجة إلى الحجاج الخطابى، والذي يركز أساساً على استخدام الحجج والبراهين وآليات الاستدلال والبرهنة؛ إذ أنّ "الأدب والفنّ منظومة تواصلية تتجاوز النسق الجمالي والشكلي، لأنّ استعمال اللغة لا يجبرنا على البحث في ما وراء الجمال والرّوعة الفنّية، بل هو بحث في الأبعاد الحقيقية للخطاب"¹ المرتبطة بمقاصد كاتب الرواية السياسية.

1/1/2. رواية "زعيم الأقلية الساحقة": لقد اعتمد الكاتب في رواية "زعيم الأقلية الساحقة" على الإقناع والحجاج الخطابى، فقد صوّرت لنا الرواية مختلف أفكاره السياسية وهذا من خلال ما تبين لنا من صور الخطاب الإقناعى الذي تأسس على الحجّة والبرهنة في خطاب الشخصية المحورية في الرواية وهي شخصية "ملك الجزائر"، الملك الفاسد والعاث الذي انفرد بسرد مقتطفات من حياته وتفاصيل حكمه، ومجمل تصورات وقناعاته وأفكاره إزاء الحكم والسلطة، ورؤيته إزاء واقعه السياسى والاجتماعى، والتي عكست بطريقة غير مباشرة قناعات الكاتب، فلكي يعبر المؤلّف عن مختلف تصوّراته إزاء نظرتة لمجتمعه فإنّه يجعل شخصية خيالية تنفرد بسرد تصوّراتها وقناعاتها السياسية وسرد أحداث الرواية.

وقد جاءت مجمل أفكار وقناعات الملك "الحاكم العاثر" إزاء الحكم والرّعية في شكل حجج واستدلالات وهذا لتثبيت وتأكيد مختلف آرائه وتصوراته الأيديولوجية إزاء واقعه والتأثير على مخاطبيه وبخاصة في توجيهه لملوك المستقبل. وقد استغل مجموعة من القواعد والضوابط الحجاجية، والتي حاول من خلالها ممارسة التأثير والإقناع الخطابى في عمومها كما أسهمت في تحقيق السيطرة الخطابية-سلطة الذات-للشخصية المحورية في الرواية "الملك العاثر" ويمكننا توضيح ذلك كما يأتي:

1/1/1/2-الحجج التبريرية التعليلية: وهي الانطلاق بفكرة التعليل؛ أي تقديم الحكم والتماس ما يبرر؛ إذ أنّ فكرة التعليل هي أساس جامع للحجاج، لكن تضطلع بدور أكبر في الحجاج الخطابى

¹ - ذهبية حمو الحاج، قضايا التداولية والخطاب، ص 122

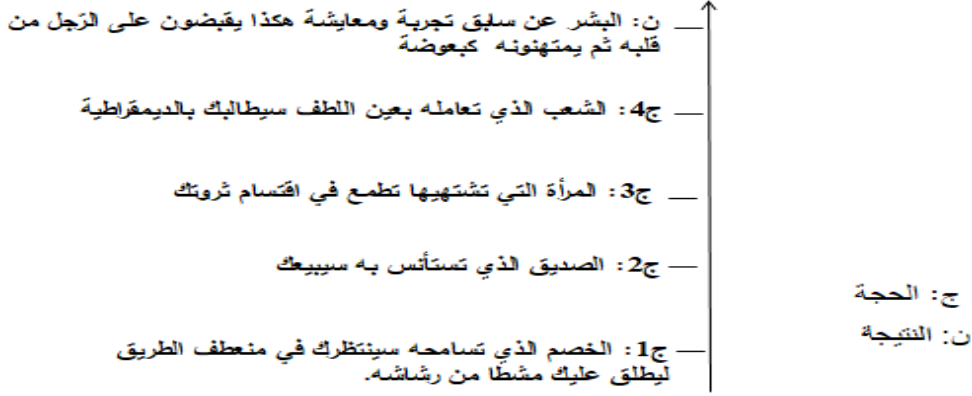
الذي يورد فيه الحكم ويلمس له ما يبرره¹، ومن تجليات هذه الحجج في الرواية ما ظهر في توجيه الملك توجيه لحكام المستقبل لأهم أساليب وركائز الحكم محاولاً إثبات مواقفه: "...إنني ممن يعتقدون أن أخطر سلاح اخترعه البشر هو الأمل... كل الشعوب كسولة ومسالمة بطبيعتها لكن حالما يُوَجَّح فيها شخص ما لهيب الأمل تتحوّل إلى جذوة تحرق كل ما في طريقها لذلك على الملك الحق أن يجعل الأمل خصماً لا يمكن الاستهانة بخطورته، ويسحق أيّ بارقة منه في شعبه بما في ذلك بارقة أمل التهرب من دفع الضرائب"²؛ "...القلب ضعيف ويتأثر بسرعة، لذلك من الأفضل للملك أن يقوم بتحييده أولاً خارج مملكة الحواس ثم ينفرد به..."³؛ اعتمد في هذه الأقوال على مجموعة من الحجج التعليلية مستمدة من تجاربه الخاصة والتي تجسّدت من خلال مجموعة من الروابط الحجاجية والتي أسهمت في تأدية الوظيفة الحجاجية التي تتلائم مع مقاصد السارد(الملك). كما حاول في مواقف خطابية اعتماد التدرج في العملية الحجاجية، معتمداً على قوة الحجة، وقوة تأثيرها على المخاطب ونلمس ذلك في قوله: "...من جهتي في المرات القليلة التي كنت فيها مهدداً من طرف تلك المشاعر، تصرفت بالشكل الآتي: إلغاء كل الطرق المؤدية إلى القلب... الخصم الذي تسامحه سينتظرك في منعطف الطريق ليطلق عليك مشطاً من رشاشه... الصديق الذي تستأنس به سيبيعك... المرأة التي تشتهيها تطمع في اقتسام ثروتك... الشعب الذي تعامله بعين اللطف سيطالبك بالديمقراطية... البشر عن سابق تجربة ومعايشة هكذا يقبضون على الرّجل من قلبه ثم يمتنونونه كبعوضة..." ويمكننا تمثيل ذلك في سلم حجاجي كالآتي:

¹ - إبراهيم براهيم، استراتيجيات الخطاب في رواية الثلاث لمحمد البشير الإبراهيمي، ط1، الجزائر: 2013، منشورات بونة

للبحوث والدراسات، ص303

² - رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص124

³ - المصدر نفسه، ص129



كما تجلت الحجج التعليلية في الرواية من خلال تبيان الملك لأهم ركائز الحكم في خطاب ساخر فيقول: "من الصعب أن تجد في تاريخ البشرية قوة خيرة أو قوة من أجل القوة فقط. دائما القوة الفاعلة في التاريخ هي القوة الملازمة للعبث، فالأمة لا تنهزم على جبهات الحروب، ولكن حين تقصف المدن ويموت غير المسلحين... والأمة لا تفلس اقتصاديا لنقص في دخلها القومي وإنما لمصاريف زائدة على... والمتع الصغيرة... والأمة لا يتعطل نكاؤها إلا حين يتذكى سذجها ويستولون على الحكم..."¹؛ " المال هو رئيس هذه المملكة ووليها الصالح...به يحلم الناس... ومن أجله يتخاصمون... وإليه يحتكمون... وبفضله يديرون شؤون حياتهم وعواطفهم، لا شيء يتحرك في الطريق المستقيم دون مال... ولا شيء يجعل من الرجل سويا سوى المال..."² "زراعة الخوف على عكس زراعة القمح تجعل الشعوب مطيعة وراضية، لقد اعتبرت دائما أنّ الخوف مثل الخبز لا يفعل فعله في الإنسان إلا عندما يصبح فيه... الفرق بين الخوف والخبز هو أنّ الكثير من الخبز يبطر الإنسان ويجعله يتفرعن، أما الكثير من الخوف فإنه يحشر الإنسان في حجمه الحقيقي كدافع ضرائب لا يتأخر، لذلك وضعت كل رعاياي أمام فوهة المسدس وتأهبت للتسديد"³، كشفت لنا مجمل هذه الأقوال سياسة الحاكم المستبدة التي سعى من خلالها الكاتب تصوير واقعه الاجتماعي والسياسي والكشف عن بعض حقائقه.

¹ - رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 59

² - المصدر نفسه، ص 64

³ - المصدر نفسه، ص 36

2/1/1/2- الحجج البرهانية: وهي الحجج التي تأخذ الطابع الاستدلالي الإثباتي¹ وقد أخذت مختلف الحجج المستخدمة في خطاب شخصية الملك "ملك الجزائر" الطابع الإثباتي المؤسسة على بنية الواقع، فقد كان يورد الفكرة المرتبطة بقناعاته وأفكاره ويبرهن عليها بالأدلة مستندا في ذلك إلى الواقع وقد كان ذلك بشكل ساخر، وقد تجلّى ذلك في سعيه إلى توجيه وإقناع ملوك المستقبل إذ يقول: "هناك قاعدة عامة يعرفها الملوك ويطبّقونها بإتقان: أغرق الشعوب في ما لا تحتاج وستكف عن المطالبة بما تحتاج، هذه القاعدة مبرهن عليها ليس في مملكتنا الذليلة فحسب وإنما على مستوى العالم والتاريخ معا... ألم تكن بيزنطة صانعة أكبر الأوهام في التاريخ حوّلت عبقريتها إلى التفلسف حول عبقريتها بينما شعوبها خارج القصور لا تعرف من هذه العبقرية سوى الجوع والتفاهة... وماذا حدث في الأندلس أغرق أمراء قليلو الموهبة قبائلهم في وهم أنهم شعوب عظيمة تستحق ممالك مستقلة، ودخلوا في حروب طائفية وهمية أودت بهم جميعا إلى مزبلة التاريخ"²؛ "صديق الملك الوحيد الذي أوصي به خيرا هي يده، يده التي تصنع هندامه ورصيده وترتّب علاقاته مع رعاياه وخصومه... درس الصداقة معروف ومحفوظ في ميراث الممالك القديمة، فالإسكندر العظيم لولا أصدقاءه الذين أغلقوا أمامه طريق الفتوحات ما كان له أن يموت غيظا في يوم عرسه الكبير، وهل كانت حياة الأمير عبد القادر المؤثثة بالانتصارات الرائعة ستنتهي به إلى المنفى لولا تخلي أصدقاءه ومعاضديه كما أسماهم عنه..."³ اعتمد السارد في مجمل هذه الأقوال على حجج تراكمية، ويقصد بها "ذلك الحجاج الذي تتعدد فيه الحجج وتتراكم دون مراعاة لمبدأ التدرج من الأقوى إلى الأضعف أو العكس ودون مراعاة التفاوت الحاصل في القوّة التدلالية لتلك الحجج فكل حجة تكون أقوى وأكثر فعالية في اللحظة التي تستعمل فيها، وهو أكثر عفوية وتلقائية⁴ كما بين الملك أساليب وركائز الحكم وقناعاته في خطاب حجاجي معتمدا على الحجج الإثباتية: "الفوضى كما هو معروف وصفة قديمة بها تبتدئ الممالك وبها

¹ - إبراهيم براهيم، استراتيجيات الخطاب في رواية الثلاث لمحمد البشير الإبراهيمي، ص 302

² - رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 125

³ - المصدر نفسه، ص 168

⁴ - عبد العالي قادا، الحجاج في الخطاب السياسي، الرسائل السياسية الأندلسية خلال القرن الهجري الخامس أنموذجا (دراسة تحليلية)، ط 1، 2015، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ص 375.

تنتهي، لقد أخبرتنا حكايات الأولين أنّ الممالك الشامخة لا تسقط بقصف الغزاة لجبهة الحرب ولا حتى قصف القصر الملكي وإنما بإطلاق يد النهب والفوضى فيها...كلّ الممالك دون استثناء يدافع عنها أهلها ما دام الملك واقفا معهم يدافع وينافح مثلهم، لكنهم يستسلمون وينهارون تماما تحت سناك الفوضى إذا اختفى الملك في جهة الحريم"¹؛ "؛ القوة والعبث هما مؤسسا الممالك العظيمة، لم يكن الاسكندر قادرا على مضاجعة الشرق لولا سحقه لبابل بين أصابعه الخشنة... ولم يكن هارون الرشيد لينال من خراج سحابة عابرة لولا أنّه رصف لها طريق السماء حتى حدود الصين... ولم يكن لهتلر في العصور الحديثة أن يهزم لولا أنّه أخذ بجديّة نكتة ألمنة العالم..."²؛ "لقد قدرت بحصافتي أنّ القلب هو منبت الشوق والخوف معا، ولا يمكن لحاسة بهذا النزق أن تتحكّم في أفعال الملك، بل إنّ أغلب الملوك في التاريخ أودت بهم عاطفتهم وليس صرامتهم، لذلك عكفت لسنوات طويلة على تدريب حاسة القلب على الاكتفاء بضخ الدم في عروقي"³، رام السارد في مجمل هذه الأقوال اثبات قناعاته كملك اتجاه الحكم والسلطة وقد اعتمد في هذا الإطار بتقديم حجج إثباتية تراكمية مستعينا بالروابط الحجاجية؛ روابط التعليل والنقض الحجاجي.

2/1/2. رواية "حضرة الجنرال": بنى كمال قرور روايته هو الآخر على الحجاج والتفاعل الخطابية، وتبلورت الحجج الخطابية في الرواية سواء في خطاب السارد "الجنرال ذياب الزغبى" أو على مستوى التحوارات بين شخصيات الرواية وفقا لما يستدعيه المقام ويتطلبه، ووفق ما رسمه الكاتب من مقاصد، وقد اتضح ذلك في مجموعة من الحجج التعليلية أراد من خلالها الجنرال اثبات الذات والانتصار لها⁴؛ "أنا فارس الهلالين وصانع انتصاراتهم الباهرة... ولولا سيفي البتار لما دانّت لهم هذه الأرض الشاسعة المترامية الأطراف على ضفاف المتوسط وفي قلب صحاري افريقيا..."⁴ "أنا حضرة الجنرال ذياب الزغبى... أنا السيّد المطلق... أنا الجنرال بعو مصدر كل السلطات... لا أحد من حقّه وصلاحياته أن يحاسبني لأنني بطبعي ومساري وخبرتي

¹ - رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 30

² - المصدر نفسه، ص 58

³ - المصدر نفسه، ص 127

⁴ - رواية (حضرة الجنرال)، ص 69

وشهرتي... أشعر أنني أديت واجبي الوطني والقومي كما ينبغي وأرضيت نفسي...¹، سعى السارد من خلال هذه الأقوال إلى تقديم مجموعة من الحجج من أجل إشعار الآخر أنّ بيده السلطة والحكم.

كما قدم الجنرال مجموعة من الحجج التعليلية الخاصة بالحكم من أجل اقناع الطرف الآخر بأحقّيته بالسلطة: "وحدّهم العسكريون يستحقون تسيير شؤون "الإمبراطورية" لفرض الأمن والانضباط... خبرتهم في تسيير الثكنات تمنحهم هذا الشرف العظيم..."²، كما تضمنت توجيهات الكتاب الأبيض أفكار الملك السياسية وقناعاته وقدم بعض الحجج في ذلك وقد كشف بذلك عن أساليبه في الحكم كما في قوله: الدين مهم للحاكم ولبقائه في السلطة أطول لذلك وجود الأئمة والفقهاء ضروري لحفظ الأمن والاستقرار"³، وتجلّى الخطاب الحجاجي أيضا على مستوى التحوارات السردية في شكل تفاوض حجاجي بين شخصيات الرواية وهو ما نتطرق له في العنصر الموالي.

3/1/2. رواية "حرب الفتوى": اعتمد الكاتب في روايته "حرب الفتوى" على الحجاج الخطابى قصد بناء ورسم مقاصد الرواية، وارتبط الحجاج والإقناع الأيديولوجي كثيرا بالمقاصد والأهداف التّواصلية للرواية التي ارتبطت بقضية الفتاوى الفاسدة والمنحرفة والمتسببة في هلاك الأمة.

تجسّد الخطاب الإقناعي والحجاجي في الرواية في ما لمسناه في خطاب السارد الذي بيّن موقفه بشكل واضح إزاء قضية الفتاوى، باعتباره اضطلع على وظيفة تفاعلية مهمّة في الرواية كما تجسّد الخطاب الحجاجي والتأثيري من خلال تفاوض الشخصيتين الأساسيتين في الرواية كأطراف مهمّة داخل الاجراء السردى، إذ يحاول كل طرف تقديم حجج لتبرير موقفه وقناعاته وليدحض بها موقف الطرف الآخر، وقد بين الكاتب وهو سارد الرواية انفعاله وموقفه الراض للفساد والفتاوى التي جاءت بها الجماعات الإسلامية، محاولا إثبات موقفه وتبريره في حجج خطابية أسهمت في بناء

¹ - رواية (حضرة الجنرال)، ص 34

² - المصدر نفسه، ص 165

³ - المصدر نفسه، ص 175

مقاصد الرواية المرتبطة بالتوعية والتوجيه ومحاولة الإصلاح، ومن تجليات الحجاج وألياته في الرواية نذكر:

1/3/1/2. الحجاج بالنقض: لقد حاول الكاتب نفي مختلف ادعاءات وتصورات وفكر الجماعات الإسلامية التي دعت إلى الفرقة والانقسام والتعصب بشكل عام، محاولاً إثبات موقفه بحجج مناقضة لها، كما توضحه الأقوال الآتية: لم يأت الدين بالمجافاة ولا بالانقسامات، إنما جاء موحداً لله، وموحداً الأمة في بوتقة واحدة...¹ يقول منكم القائل هذه أفكار ورؤى مختلفة للون واحد... فنقول إنَّ الرب واحد والدين واحد...²، "الانتماء لمشروع نعم... أما إخراج الناس من دائرة الإيمان إلى دائرة الكفر... فذاك الإفساد عينه"³

ويظهر هنا الحجاج بالنقض في ما لمسناه من هذه الملفوظات، فعلان كلاميان، فعل النقض وفعل التعويض والإثبات، "فالنفي ينجر عنه فعلان لغويان: فعل الجحد وفعل التعويض، فالأول ينكر به والثاني يبطل به الأطروحة ويعوضها... إنّه نفي اعتراضى لادعائه منازعة قول العارض ومن ثم فحجيته معاكسة في قوتها لحجية قول العارض؛ لأنَّ إنكار ادعاء المعترض هو عمل استدلالى يقوم على بيان تفاهته قبل أن يتم تقويضه بأطروحة مضادة هي بديل لما هو معتقد"⁴

كذلك حاول الكاتب نفي أفكار الهادي والجماعات الإسلامية معتمداً في ذلك على تقديم الحجج التراكمية بشكل عفوي وهذا كما اتضح في الرواية في انفعال الكاتب في قوله: هكذا صار بالناس من متشبت بعرف إلى لصيق بفتوى، من عارف لقيد الجماعة وما اتفق عليه الناس إلى مبدع في الاختلاف إلى بحث عن الفرقة والشتات... ما طريق الجنة غير طريق الصفاء... ما طريق الجنة غير احترام الآخر.... ما طريق الجنة غير التراحم والنواد... ما الطريقة المثلى للعيش غير التسامح... فأين أنت أيها الهادي من هذا كله؟⁵؛ وقد اعتمد الكاتب في ذلك على مجموعة من

¹- رواية (حرب الفتوى)، ص32

²- المصدر نفسه، ص374

³- المصدر نفسه، ص 157

⁴- مصطفى العطار، لغة التخاطب الحجاجي، دراسة في آليات التخاطب عند ابن حزم، ط1، 2017، دار كنوز المعرفة

للنشر والتوزيع، ص211

⁵- رواية (حرب الفتوى)، ص109

روابط النقض الحجاجي والعوامل الحجاجية (إنّما، وأمّا... والفاء...ما) والتي أسهمت في توجيه دلالات الحجاج إضافة لإسهامها في تحقيق انسجام واتساق الملفوظات.

2/3/1/2. الحجاج والاستفهام: رام الكاتب تبيان خطأ فكر الجماعات الإسلامية وانحرافه مستكرا الفكر الذي جاءوا به، وقد اعتمد الكاتب على الاستفهام الحجاجي، والذي حاول من خلاله تدعيم موقفه واثبات وجهة نظره، والاقترار بها مخاطبا العقل والعواطف، ونقصد بالاستفهام الحجاجي هنا الاستفهام غير الحقيقي الذي لا يفيد الاستعلام، والذي يخرج إلى معان ثوان تستفاد من سياق الكلام... وهذا النوع من الاستفهام هو بمثابة (سؤال حجاجي Question argumentative) لا يستخبر، ولا يطلب جوابا، بل هو وسيلة حجاجية¹ وهذا كما جاء في مجموع الأقوال الآتية: أي حرب هاته؟ وعلى أي أساس؟ من أفتي بها هذه الحرب الملعونة؟ وأي عدو هذا؟ ألسنا على دين واحد؟ وعلى قلب رجل واحد؟ من يفتي لمن؟ ومن يجراً على الفتوى في الدماء؟ هل الدين في الموت... في القتل فقط؟ أليس الدين خلق؟² هل الدين في الموت أم الحياة؟ ألم يكن الدين مع النفس الواحدة كأن يفنى العالم كله ولا تزهد روح واحدة... تلك هي روح الدين...³... قسم البلاد إلى دائرتين... دائرة كافرة ودائرة مؤمنة... أي ميزان هذا؟ وأي ميزان هذا الذي يزن عقائد الناس وإيمانهم؟⁴ فإذا كان الدين الواحد لا يوحدكم ولا يسبغ عليه لونه الواحد... فكيف نصدقكم ونطمئن لكم؟⁵ اعتمد الكاتب هنا آليتين من آليات الحجاج الاستفهامي، وهما الاستنكار والتقرير فتارة نجد الكاتب يحاول نفي ما جاءت به الجماعات الإسلامية من فكر وتصور منحرف، وهو ما يجسد الاستفهام الانكاري الذي يكون المعنى فيه على أنّ ما بعد الأداة نفي ويكون إنكار الأمر المستفهم عنه شرعا أو عرفا أو قانونا... وهو عدول عن الاستفهام إلى الخبر⁶، وهذا كما تجلى في قوله: هل الدين في الموت... القتل فقط؟ ففي هذا المثال عبّر الكاتب عن كل معاني الدهشة

¹- مصطفى العطار، لغة التخاطب الحجاجي، دراسة في آليات التخاطب عند ابن حزم، 207

²- رواية (حرب الفتوى)، ص 212

³- المصدر نفسه، ص 287

⁴- المصدر نفسه، ص 158

⁵- المصدر نفسه، ص 374

⁶- مصطفى العطار، لغة التخاطب الحجاجي، دراسة في آليات التخاطب عند ابن حزم، ص 209

والاستغراب والاستبعاد للاتجاه الذي اتخذته الجماعات الإرهابية، ويكمن دورها الحجاجي في استدراج الخصم للاعتراف بفعلهم الشنيع الذي لا يمت بأية صلة إلى التفكير الإسلامي السليم. كما نجد الكاتب كذلك في مواضع أخرى يحاول الإثبات، وهو ما يعرف بالاستفهام التقريري والتقرير هنا معناه حملك المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقرّ عنده... فهو يعتمد إلى إقرار الخبر على المخاطب حتى يعترف به اعتراف إثبات، فينقلب معه دليل العارض دليلاً للمعتز... كشكل من أشكال المعارضة بالقلب ويصبح الاستفهام اعتقاداً راسخاً ينتمي إلى عوالم المخاطب الايمانية¹؛ والاستفهام التقريري في صيغته، هو إنشاء في اللفظ وخبر في المعنى² ونلمس هذا في قول الكاتب: **ألسنا على دين واحد؟ أليس الدين خلق؟** - ألم يكن الأولون مبشرين لا منفريين... ألم يكونوا ميسرين لا معسرين...³، ويستند في فعل الإقرار على تمثلات اجتماعية وبداهات مضمرة يتقاسمها طرفا الخطاب للحمل على الإقناع⁴، فقد اعتمد الكاتب لتدعيم موقفه إزاء فتاوى الإسلاميين ونفي اعتقادهم بتقديم حجج مبنية على تفكير سليم وواع، فمن خلال هذا كشف السارد عن تناقض بين ما دعا إليه الهادي باسم الدين، وما هو من الدين فعلاً فبذلك فقدت أفكار وتصورات الجماعات الإسلامية كل مصداقية ومقبولية، وفي الوقت ذاته جعلت حجج الكاتب أقوى وأنجع.

2/2. التفاوض والتعارض الحجاجي: إنّ أهم ما تميزت به مدونة النصوص سواء على مستوى التحوارات السردية أو خطاب السارد هو تجلي أشكال الاختلاف والتعارض ووجوه التنازع والجدال حول القضايا المرتبطة بالروايات السياسية، والتي تعددت حولها آراء واختلفت فيها مواقف وتجدد كل ذلك في خطاب حجاجي، ويمكننا الوقوف عند نماذجها في المدونة كالاتي:

تجلى أشكال التفاوض والتعارض الحجاجي في رواية "حضرة الجنرال" في ما أظهرته سيرورة الحوار بين المتخاطبين على مستوى شخصياتها السردية، وسنقف في هذا الإطار عند حوار "الجنرال بعو" و"زعماء حلف بني هلال" بعد أن تمرّد الجنرال بعو عليهم وكشف عن طموحه

¹ - مصطفى العطار، لغة التخاطب الحجاجي، دراسة في آليات التخاطب عند ابن حزم، ص 214

² - المرجع نفسه، ص 215

³ - رواية (حرب الفتوى)، ص 131

⁴ - مصطفى العطار، لغة التخاطب الحجاجي، دراسة في آليات التخاطب عند ابن حزم، ص 215

السياسي وسعى لإثبات أحقيته في الحكم وقد كان الحوار في شكل مفاوضة خطابية في مجلس الشورى، يحاول كل طرف الدفاع عن قضيته واقناع خصمه بمواقفه إزاء قضية أحقية الحكم والسلطة، وهو ما استدعى الحاجة إلى استخدام الحجج والبراهين والاستدلال والتعليل لتدعيم موقف كل طرف والتقليل من قوة حجج الخصم مما أدى ذلك إلى التخاصم والاختلاف وهذا ما يدخل في صميم المحاجبة الخطابية، وهو ما أتضح في الحوار الآتي:

- "يا حسن... لقد مكنا لكم مشارق الأرض ومغاربها... أنتم تنعمون في الحرير والديباج ونحن نقاتل الأعداء في كل مكان... لقد تعبنا

- ... السياسة كياسة يا حضرة الجنرال، ورجالها يعرفون كيف يسوسون الرعية... والحكمة الي يتطلبها الحكم للأسف لا تملكها أيها الزعبي

- "يا ابن سرحان لو دامت لغيرك ما وصلت إليك" ولولا هذا السيف الذي مكّن لكم في الأرض والذي تستخف به الآن، لكنتم الآن أسرى أو عبيد أو حتى رعاة خنازير عند ملوك الفرنجة...

- يا زعبي إن أنانيتك تجعلك تتوهم أنك صاحب الفضل فيما نحن فيه من خير ونعيم... الحمد لله على النعم التي أنعمها علينا... لولا قيادتنا الحكيمة والرشيّدة للحلف وعدالتنا بين الناس لانفرط عقد الحلف من زمان وانفضت من حولها القبائل، وما حققنا عشر ما حققناه "كلّ ميسر لما خلق له...

- يا ابن سرحان إن تكبرك جعلك تتناول وتخطئ في حق الجنرال "ذياب الزعبي" فارس الفرسان قاهر الزناتي خليفة... لولا قتلي الزناتي لكنتم الآن في خبر كان، ورؤوسكم تعبت بها الغربان... إنك تنظر إلىّ دائما من فوق كأني دونك مكانة ورفعة، ولم تشفع لي عندك حتى هذه النياشين العسكرية التي نلتها باستحقاق.

- أنا ابن هذا الحلف المقدس، وقد وصلت إلى ما وصلت إليه بفضل مواهبي وكفاءتي، وأنا اليوم على رأس "الإمبراطورية" بفضل انتخاب أعضاء المجلس الشورى لي وهذا يشرفني... سأدافع عن هذا الحلف وهذه "الإمبراطورية" أو أهلك دونهما...¹

وكذلك تجلى الحجاج في هذا الحوار الذي جمع بين الجنرال ذياب والقاضي:

¹ - رواية (حضرة الجنرال)، ص 93-94.

- "يا حضرة الجنرال... أنت أعلم منا بأنّ تحقيق الغايات في الحروب يكون في الغالب بالسيف أما في السلم فغالبا ما يكون الاقناع... وها أنت الآن في السلم ولست في الحرب، فالأحسن أن تدعن لمنطق السلم وتنسى منطق الحرب وتحكم الإقناع بدل السيف..."¹

- "لا أخفيك سيدي القاضي... لكثرة الحروب التي خضتها في حياتي أجدني ما زلت أحارب الأعداء حتى على فراش نومي، وأحلامي كلّها حروب وكوابيس... للأسف لم أستطع أن أتذوق طعم السلم كما تتذوقونه أنتم -المدنيين- ولهذا فإنّ سيفي ما زال يحسم في السلم كما كان يحسم في الحرب".²

كما أظهر كذلك خطاب "الجنرال ذياب الزعبي" وخطاب "سعدى بنت الزناتي" تجلي مجموعة من الحجج الخطابية التي بررت موقف كل طرف إزاء الآخر، ويظهر هذا كالاتي:

- "لا تراوغ يا حضرة الجنرال" كل شيء انكشف وبانت أطماعك... كما للحرب مروءة للحب مروءة أيضا"

- إني لا أفهمك جميلتي... ما طلبت منك إلا أن تكوني حليتي وتشاركيني الملك... أنا فارس الهالبيين وصانع انتصاراتهم الباهرة. وأنت الأدرى أنّي من ملكتهم الشرق والغرب، ولولا سيفي البتار لما دانت لهم هذه الأرض...

- لا أظنك تعرف كيف تنعم بالسلم وقد شبت نفسك وشابت على الطعن والقتال، فلا أخالك تفقه في السياسة والرئاسة مثل الأمير حسن ابن سرحان.

- لماذا تقولين هذا أيتها المشاكسة العنيدة؟ لا أفقه في السياسة وسيفي في قبضتي؟ يا لك من جاهلة... السياسة هي صوت هذا السيف الذي قوض أركان الممالك وقطع رؤوس الجبابرة -للحرب رهبتها وللسلم حكمته يا حضرة الجنرال وإني أراك أفقه بالأولى وأجهل خلق الله بالثانية.

- أسكتي أيتها المتشدقة وإلا قطعت لسانك ومزقت جسدك ورميته للكلاب... حضرة الجنرال ذياب الزعبي لا فرق عنده بين الحرب والسلم ما دام سيفه في قبضته وهو الفيصل بين الحق

¹ - رواية (حضرة الجنرال)، ص 110

² - المصدر نفسه، ص 110

والباطل... ما دمت قادراً على حمل سيفي لن يستطيع أحد من الرعية أو السادة الزعماء أن يتجرأ ويرفع صوته أو هامته في حضرتي...

- تستطيع يا "حضرة الجنرال" أن تحكم مشارق الأرض ومغاربها وتتسلطن في الإمبراطورية وتتفرعن على رعيتك ما دام سيفك لا يعرف الرحمة والشفقة، ولكن لن تستطيع استمالة قلب سعدى ليحبك مهما فعلت...

- ما هذا الكلام السام الذي تنفثينه أيتها الأفعى... كل النساء يتمنين ابتساماً أو التفاتة من فارس الفوارس ذياب الزغبى، قوة الرجل فتنة للنساء... لست أدري لماذا ترفضين عرضي وأنا لا أبتغي سوى تكريمك...

_ أنت مخطئ يا حضرة "الجنرال" دون أن تدري... ها أنت تكشف أنك لا تعرف الحب ولن تعرفه أبداً، لأن قلبك قاس، جُبل على العنف والحقد والانتقام، أبداً لن يرق قلبك لامرأة ولن يلين... وأقسم أن قلبك لن يخفق ولن يطرب إلا لتطير الرؤوس وسيلان الدماء"¹

تميّزت سيرورة الحوار بين الجنرال ذياب وبنات الزناتي خروجها عن كل مظاهر الهدوء والتأدب إلى صفو أجواء الانفعال والتخاصم والاختلاف والبغض والحقد.

عبّرت الحوارات في رواية "حرب الفتوى" على مستوى شخصياتها السردية خاصة مع شخصياتها الأساسية عن اختلاف الرؤى وتناقض الأفكار والمواقف؛ حيث نلمس في حوار الهادي كطرف منتمي للجماعات الإسلامية، وشاطر كعون من أعوان الدولة موقفهما المتصادم إزاء واقعهما الاجتماعي والسياسي، كما نلمس حججهما والتي سعى بها كل طرف تدعيم موقفه ودعواه، وقد تجسد ذلك في شكل تفاوض حاجي تمثل في هذه المقاطع الحوارية من الرواية كالاتي:

"... طلبنا حكماً بما أنزل الله..."

-وحنا رانا نحكموكم بقانون بوذا؟ رانا قاع مسلمين...

-مانيش نشوف...

-رانا قاع مسلمين... لوكان تقرأ... ما عمرك تخرج واحد من رحمة ربي..."²

¹ - رواية (حضرة الجنرال)، ص 73

² - رواية (حرب الفتوى)، ص 88

- "أنا ثاني من الشعب... أنا خوك يا الهادي

- أنت أعدى أعداء الشعب فكيف تكون أخي؟

- أنا خوك يا راجل...

- خويا لي يصلي معايا

- أعلاش احنا يهود؟

- أنتم أعوان الظلمة

- أنا خوك وهذه الدولة أمك

- أنا دولتي وطن الاسلام الكبير... أما هذه الدولة فهي وطن الخونة أمثالك و... و...¹

- "...أي حقيقة في أن تعمل في تعذيب إخوانك واحتقارهم... أين العدل والمساواة والشرف؟

... أين كرامة الانسان؟

- أين أنت يا شاطر؟

- ولكن هذا نظام يا الهادي

- هذا نظام الخونة

- هؤلاء حكام البلد يا الهادي

- هؤلاء سارقوه...²

تبيّن من هذه المقاطع موقف طرفا الخطاب، فلقد كان موقف (شاطر) موقفا حجاجيا مستندا

لمجموعة من العوامل الحجاجية، والحجج المنطقية، التي تبيّن انتماءهما المشترك، وعقيدتهما

المشتركة، والتي ساهمت في نفي موقف الهادي، أمّا عن هذا الأخير فلقد كان موقفه سلبيا، إذ

خرج عن موضوع الحجاج إلى الاتهام والتجريح وإلى أشكال التعصب والانفعال، وهو ما يظهر

كذلك في هذا المقطع الحواري كالاتي:

- "أواه... أنت قبيح ماشي كيما كنت..."

- أعلاه لي يدعي لربي قع قبيح؟

¹ - رواية (حرب الفتوى)، ص104

² - المصدر نفسه، ص106

- لا واش راك تقول...

- هادي هي الحقيقة أنتم قوم الدنيا والدنية... أما نحن فقوم الآخرة الباقية...

- أنتم... أحننا... وين راك عايش... نحن في بلد واحد وتحكنا سياسة واحدة ونأكل من خبز واحد... يا الهادي اتق الله في نفسك وفي أهلك... ماراكنش تشوف في باباك راجل كبير كل يوم يقابل فيك يتبع فيك من مكان إلى مكان خاف ربي...¹

يظهر من هذا الحوار أن شاطر قدّم حجج تناقض أفكار الهادي ودعواه، محاولاً استمالاته عاطفياً، من خلال مخاطبة عواطفه بتقريب المسافة بينهما، وكذلك بذكر والده. أما عن الهادي فقد بدا متعصباً لرأيه ومنفعلاً.

كما تجلّى الاختلاف والتعارض في الرواية على مستوى خطاب السارد في سعيه دحض موقف الجماعات الإسلامية والدعوة إلى التوجيه كما جاء في قوله: "لم يأت الدين بالمجافاة ولا بالانقسامات، إنّما جاء موحداً...²، وقد استعان هنا بأدوات النقض الحجاجي - كما أشرنا إليه سالفاً- والتي ساهمت في توجيه دلالة الحجة.

وفي رواية "زعيم الأقلية الساحقة" تجلّى الحجاج كذلك في ما لمسناه في خطاب الملك في شكل تعارض حجاجي من خلال إعطاء رؤية مغايرة لمجموع المواقف والتصورات المعروفة والمتفق عليها، معبراً عن ايديولوجيته وأفكاره السياسية، ويتجسد هذا النوع من الخطاب بفضل روابط النقض الحجاجي ويمكننا توضيح ذلك بما جاء في الرواية من خطاب ساخر جمع فيه السارد بين الحجاج والسخرية كاشفاً بهما واقعه السياسي؛ إذ يقول: "البطن الشبعان لا يقول للرأس غني، بل يقول له هل من مزيد وأنّ اليد القصيرة لا يمكن أبداً أن تكون مسلحة بعين بصيرة... إنّنا إذا التفتنا للتاريخ سنجد أنّ حروب الجوعى لم توفّر لهم أبداً طعاماً أكثر، بل وفّرت ثروات أكثر للحكام ولالأثرياء، وأنّ معارك تكديس المال يخوضها الفقراء لحساب الأغنياء وليس العكس، وأنّ جامعي الثروات كلّما امتلأت إحدى خزائنها يطمعون في ملء أخرى جديدة"³ يقول أيضاً: "بعض

¹- رواية (حرب الفتوى)، ص 116

²- المصدر نفسه، ص 32

³- رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 24

مدعي الحكمة يقولون أنّ الملك هو عقل وعاطفة معا... لكن تجربتي الطويلة في هذا المكان برهنت لي أنّ العاطفيين أقلّ حكمة مما يعتقد الناس، ذلك أنّ الملك الحق هو أعصاب وصرامة فقط، أمّا العاطفة بالنسبة له فإنّها علف الحيوانات غير المسلّحة¹؛ ويضيف: "الانسان ليس ماضيا ولا مستقبلا وإنما هو حاضر، حاضر فقط دون أبعاد ولا أفكار مسبقة...الانسان هذا الواقف هنا...يتحرّك...يعمل...يدفع الضرائب...يضع يده خطأ في جيب إنسان آخر، يعاكس امرأة عابرة...هذا هو الحاضر أمّا الذين يعيشون على فاكهة الأسلاف أو الآمال فإنّهم يبيتون جوعى"²؛ ويقول كذلك: "ليس بالحلم تبنى الممالك كما هو معروف...الممالك تبنى باليد وليس بالحلم حيثما وصلت يدك فثمة حدود مملكتك"³.

إنّ ما يميّز مجمل هذه الملفوظات الحجاجية لخطاب الملك "ملك الجزائر" في الرواية هو وهيمنة الطابع السلطوي والطابع الانفعالي النفسي، الذي جعل خطابه الحجاجي يخرج في بعض الأحيان عن الجدّيّة والصواب إلى الخطاب الانفعالي الساخر، وهذا النهج تجلّى كثيرا في خطابه حتى أصبح مألوفا في الرواية، وقد سعى الملك انطلاقا من هذه الأقوال والملفوظات إلى التعبير عن رؤيته إزاء قضايا وأساليب الحكم محاولا تبرير مواقفه بحجج خطابية، وإذا نظرنا في مكونات الخطاب الإقناعي الحجاجي⁴ في كلام الملك فإنّه يرتكز على:

1. القضية: وهي الموضوع المعطى والذي يتعلّق في عمومته بأمر من أمور الحكم، سواء ما يتعلّق بركائز الحكم وأساليبه أو ما تعلق بقناعات وأفكار الملك.
2. الموقف: وهو رؤية الملك إزاء القضية أو حكم تقييمي لها، وقد كانت مواقف الملك وليدة تجاربه الخاصة، ويجسد الموقف فعل كلامي يتضمّن حكما تقييميا أو رأيا خاصا أو سلوك ما

3. التبرير: وهو التعليل الذي برهن به الملك مواقفه إزاء قضية من قضايا الحكم والسلطة مع محاولة إقناع (مخاطبيه)

¹ - رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 127

² - المصدر نفسه ص 95

³ - المصدر نفسه، ص 173

⁴ - إبراهيم براهيم، استراتيجيات الخطاب في رواية الثلاث لمحمد البشير الابراهيمي، ص 317

4. المناسبة: ملاءمة موقف الملك لموضوع الخطاب، وقد كان موقف الكاتب وليد القضية والموضوع الخطاب المعالج.

5. الدعامة: وهي جملة الوسائل والأدوات التي يتجسد بها الحجاج¹ وهي الأدوات اللغوية والروابط الحجاجية التي تُسهم في تماسك الخطاب. كما أسهمت في توجيه دلالات الحجاج داخل الخطاب، وقد استعان هنا بأدوات النقص الحجاجي.

3/2. الروابط والعوامل الحجاجية: بالحديث عن مكونات الخطاب الحجاجي يمكننا الوقوف عند مختلف الروابط الحجاجية في مدونة النصوص التي أسهمت في تماسك الخطاب وكشفت عن مختلف دلالات الملفوظات داخل الخطاب وربطها بعلاقات معينة كما يمكننا الوقوف عند أهم العوامل الحجاجية التي تُسهم في إضافة طاقة حجاجية للملفوظ أو الخطاب.

1/3/2- الروابط الحجاجية: يعتمد الحجاج على وسائل وأدوات يسميها (مانغينو Maingueneau) بالروابط الحجاجية **Connecteurs Argumentatifs**²، وهي تلك العناصر التي تلعب دورا هاما في الانسجام والاتساق الشامل للخطاب، وهذا من ناحية أنها تسمح بتدرج وتسلسل القضايا فهي إذن تكتسي بعدا نصيا، وتتمثل في بعض الأدوات والعناصر اللغوية³، التي من شأنها أن تسهم في بناء الحجاج؛ إذ "تجعل من الحجاج بنية فاعلة ذات وظيفة؛ وهذه الأدوات تختصر بالروابط الحجاجية التي تُسهم في عملية الربط بين قولين، أو بين حجتيين أو أكثر، وتبرز وظيفتها في إسناد لكل قول دورا محددًا داخل الاستراتيجية الحجاجية"⁴؛ كما تؤدي كذلك دورا مهما في فهم الخطاب وتأويله؛ إذ "لا تعمل الروابط باعتبارها علامات بسيطة... ولا باعتبارها معالم... أي

¹- إبراهيم براهيم، استراتيجيات الخطاب في رواية الثلاث لمحمد البشير الابراهيمي، ص317

² - Dominique maingueneau , la pragmatique pour le discours littéraire paris :2001,Nathan Université, p53

³-عمر بلخير، معالم لدراسة تداولية وحجاجية للخطاب الصحافي الجزائري المكتوب ما بين 1989 -2001، أطروحة أعدت لنيل شهادة الدكتوراه، 2005-2006: جامعة الجزائر، ص188

⁴- إبراهيم براهيم، استراتيجيات الخطاب في رواية الثلاث لمحمد البشير الابراهيمي، ص321

منارات يستهدى بها في الخطاب، بل تسهم بصورة أساسية في توجيه العمليات التأويلية، ولا يمكن التأويل من دونها"¹، وقد تعددت الروابط الحجاجية في مدونة النصوص ويمكننا تمييز نمطين هما:

1.1/1/3/2. روابط التعليل الحجاجي: وردت روابط التعليل الحجاجي بكثرة في بناء النصوص

حيث أسهمت في تماسك الخطاب وكذا تعليل وتفسير مختلف المواقف والآراء، كما أسهمت في تحقيق الوظيفة الحجاجية والإقناعية للخطاب، ونجد أكثرها حضوراً (لذلك؛ حتى، لام التعليل؛ لأنّ؛ هكذا؛ إنّ...) وإلى جانب ذلك نجد حروف الجرّ (الباء، في، من، على...) وحرّوف العطف... (الواو...الفاء... ثم...).

2.1/1/3/2. روابط النقض الحجاجي: تعلّقت روابط النقض الحجاجي بتحقيق وإبراز الرأي

المناقض وقد جاءت بعض التصورات مناقضة ومختلفة لبعض الآراء والتصورات الأخرى وقد أسهمت هذه الروابط في الكشف عن دلالات الخطاب وتوجيه الخطاب وكان من أبرز أدواتها اللغوية (إنّما؛ بل؛ لكنّ، أمّا، ليس...).

2.3/2. العوامل والأساليب الحجاجية: يعرف العامل الحجاجي بأنه "وحدة لغوية إذا تم إعمالها في

ملفوظ معين، فإنّ ذلك يؤدي إلى تحويل الطاقة الحجاجية لهذا الملفوظ، والتحول الذي يحدثه العامل الحجاجي في المحتوى الدلالي للملفوظ الذي يرد فيه لا يكون مستمداً من القيم الخبرية التي يضيفها هذا العامل، وإنّما يستمد من وظيفته التحويلية الحجاجية الخاصة؛ فهو لا يضيف مضموناً جديداً، وإنّما غاية ما يحدثه هو شحن وتحويل المضمون القائم؛ ليؤدي وظيفة تتلاءم مع الاستراتيجية الحجاجية للمتلفظ"²؛ فالعوامل الحجاجية تؤدي وظيفة حجاجية داخل الخطاب بفضل ما تملكه من طاقة حجاجية تضيفها في الملفوظ؛ "إذ تقوم العوامل الحجاجية بشحن الكلام ليؤدي وظيفة حجاجية تتلاءم مع مقاصد المحاجج وفضلاً عن ذلك تؤدي إلى مساعدة المتلقي في تحديد دلالة المراد من الكلام"³. وتتضمن العوامل الحجاجية إضافة إلى أدواتها من قبيل (ربما، تقريباً

¹-آن ريبول، جاك موشر، التداولية اليوم علم جديد في التواصل"، تر: سيف الدين دغفوس، ط1، لبنان:2003، دار الطليعة، ص173.

²-عايد حنون، عمران شدهان، العوامل الحجاجية في آيات الأحكام، مجلة أروك، م9، ع4، العراق، 2016، جامعة المثنى، كلية التربية للعلوم الإنسانية، ص12

³- المرجع نفسه، ص12

كاد، كثيرا...) الأساليب اللغوية والبلاغية من قبيل: الاستعارة الاستفهام، التعجب، الإغراء... وكلها مكونات تضيف على الحجاج قوة إقناعية وبرهانية مؤثرة وتزيد من فاعليته¹، وقد تعددت الأساليب الحجاجية في نماذج الروايات السياسية وأهمها الأساليب البلاغية كالاستعارة، والكناية والمثل كما جاء في رواية حضرة الجنرال: في قول زيد مخاطبا الجنرال ذياب: "يا ذياب يا ابن العم... العين ما تعلق على الحاجب..."²، كذلك نجد الإغراء³ وأسلوب حجاجي يسهم في التأثير على المخاطب، وقد حاول الملك إقناع مخاطبيه معتمدا على الإغراء الخطابي الذي جاء عن تجربة، وهذا كما جاء في قوله: "كم هو رائع أن يتعري الإنسان من ماضيه... مرة إلى الأبد"⁴، ومما ظهر من الإغراء أيضا ما تجلى في رواية "حضرة الجنرال" في قول الجنرال في خطاب ساخر: "جميل أن يسمع الحاكم نقد شعبه... في يوم واحد من السنة..."⁵ كما يعدّ الاستفهام من العوامل الحجاجية بالنظر إلى وظائفه التداولية التي ترتسم في الخطاب فعلا كلاميا إنجازيا يحقق للمتخاطبين أغراضهم الخطابية التواصلية فهي أداة للدعوى ونقضها⁶؛ لقد حاول الملك في الرواية الاستعانة بأسلوب الاستفهام في خطابه لإقناع مخاطبيه وظهر ذلك في قوله: "المال هو مبنى الرجل ومذهبه في الحياة... من أنا في نهاية الأمر دون رصيدي؟... مواطن، يا للأسى وكأني أقول مجرد خلية بدائية في جسم الكون"⁷.

3. استراتيجية التوجيه وبناء الخطاب:

نسعى في هذا المبحث إلى استكشاف نمط خطابي آخر مغاير من الآليات الخطابية التي ارتسمت بها الرواية السياسية في بنائها ونهجها الخطابي، وهي الاستراتيجية التوجيهية وسنحاول

¹ - إبراهيم براهيم، استراتيجيات الخطاب في رواية الثلاثة للبشير الابراهيمي، ط1، الجزائر: 2013، منشورات بونة للبحوث والدراسات، ص324

² - رواية (حضرة الجنرال)، ص136

³ - إبراهيم براهيم، استراتيجيات الخطاب في رواية الثلاثة للبشير الابراهيمي، ط1، الجزائر: 2013، منشورات بونة للبحوث والدراسات، ص324.

⁴ - رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص95

⁵ - رواية (حضرة الجنرال)، ص179.

⁶ - إبراهيم براهيم، استراتيجيات الخطاب في رواية الثلاثة للبشير الابراهيمي، ص324

⁷ - رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص14

معرفة أبعادها التداولية، وهذا من خلال البحث في البنية التّواصلية للخطاب الروائي بالتمعّن في خطاب أطرافها وشخصياتها السردية التفاعلية، التي أدّت وظائفها داخل الإجراء السردى وخارجه وكذا بالنظر إلى التّحاورات السردية في حضور عناصر مقامية تداولية مثل السلطة، الموقع والرّتبة الاجتماعية، الممثلة للمعايير الأساسية المُسهمة في تواتر هذا النمط الخطابى.

وتعبّر الاستراتيجية التّوجيهية عامة عن رغبة المرسل أو أمنيته بأن تؤخذ إرادته التي انطوى عليها خطابه، على أنّها هي السبب الرئيس أو الدافع الحقيقي في الفعل الذي سيأتي مستقبلاً¹ فالاستراتيجية التّوجيهية هي من عوامل التأثير التي تعمل على توجيه المتلقي لفعل معيّن خاضع لإرادة المتكلم ومرتبطة بمضمون وفحوى الخطاب.

1/3. تجليات الاستراتيجية التوجيهية ومقاصد الخطاب: كثيرا ما يعتمد الكاتب في بناء نصّه على التوجيه وذلك تحقيقا لمقاصد الخطاب وتتنّضح هذه الاستراتيجية خاصة على مستوى تفاعلات وتحوارات الشخصيات السردية للنّص، التي تكون خاضعة لاختيار المؤلف، والتي تسهم في بناء الغرض والمقصد الأساس الذي يسعى المؤلف إيصاله للقارئ من خلال بناء الأحداث السردية للنّص، ويعتبر التّوجيه من أهمّ الآليات التّأثيرية التي تجسّد التّواصل والتفاعل بين أطراف الخطاب فالنّص "يرتبط بجانب مهم من جوانب التّواصل التفاعلي لتوجيه آخر يتعلّق في أساسه بوجود طرفين تتحدد العلاقة بينهما تبعا لنوعية الخطاب المنتج، والذي غالبا ما يُبنى على ما يشير لفعل التّوجيه"²، فطبيعة الخطاب ونوعيته؛ أي بناء النّص من حيث الآليات المعتمدة في بناءه : توجيهها أم توسلا، أم التماسا... تسهم في الكشف عن طبيعة العلاقة بين المتكلم والمتلقي وتحديد الكشوف عن منزلة المتكلم إزاء المتلقي، كما تسهم نوعية الخطاب كذلك في الكشف عن مقاصده.

وتعتبر الاستراتيجية التّوجيهية أكثر الآليات التّأثيرية ارتباطا بالأفعال الكلامية سواء المباشرة (الصريحة) أو غير المباشرة؛ والتي تحمل الدلالة التّوجيهية، "فالأفعال التّوجيهية تصنّف ضمن الأفعال الإنجازية التّواصلية"³؛ فالاستراتيجية التّوجيهية تحدّد في ضوء ارتباطها بالأفعال الكلامية

¹ عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ص 337

² شينتر رحيمة، تداولية النّص الشعري، جمهرة أشعار العرب نموذجا، ص 50

³ عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ص 337

على أنّها: "استعمال المتحاورين لبعض الأفعال الكلامية المندرجة تحت مسمى التّوجيهات Lesdirectifs، وهي استعمالات تختلف باختلاف سياقات اندراجها ومقتضيات قوانين التخاطب بين المتحاورين"¹؛ فالتّوجيه يعني استعمال أفعال كلامية، ومن أدوات هذه الاستراتيجية الأمر بأدواته المختلفة، النهي، الإغراء، ذكر العواقب...²؛ وهذه الأدوات تحمل وتجسّد الصفة التوجيهية.

1/1/3. رواية "حضرة الجنرال": لقد اعتمد الكاتب في رواية "حضرة الجنرال" على آلية التّوجيه في بناء عمله الروائي، وقد أسهم هذا النمط من الخطاب في تحقيق فاعلية تواصلية بين شخصيات الرواية وأطرافها الأساسيين، وهذا سواء ما تعلّق بالشخصية المحورية الديكتاتورية "ذياب الزغبى" ومختلف توجيهاته والتي تعددت مساراتها وأبعدها، أو ما ارتسمت به المحادثات على مستوى التّحاورات السردية وشخصياتها المتعددة والتي جسّدت صور الأمر والمأمور في عمومها كما سعت إلى حمل المخاطبين لتأدية سلوكيات معيّنة.

وقد بنى الكاتب روايته على فكرة لقاء جمع بين شخصيتين محوريتين في الرواية، وهما شخصيّة الديكتاتور "ذياب الزغبى" أو كما عُرف "الجنرال بعو" وشخصية الكاتب المشهور "غارسيا ماركيز" وجرّت أحداثها في المستشفى حيث كانا يتقاسمان الشيخوخة والمرض والعجز، وقد جاء هذا اللقاء كموعّد مناسب ليسرد "جنرال بعو" سيرته الذاتية للكاتب المشهور ذياب الزغبى وسرد مغامراته وانتصاراته، وتسلمه في دولة "الإمبراطورية"، وقد تبيّن ما دار بينهما في اللقاء من خلال اعتماد الكاتب لاستراتيجية التّوجيه وما جسّده في توضيحها للعلاقة التي جمعت بين الشخصيتين والمتمثلة في علاقة ديكتاتور وكاتب لسيرته، تمخّض عنه ذلك الإطار التّواصلية العام للرواية ومن ذلك ما ورد في الرواية: "قاوم أيّها المبدع، وأكتب سيرتي الرّسمية للأجيال لتعرف حقيقة المأساة...³؛ "أكتب...أكتب يا ماركيز، السيرة الرّسمية، لحضرة "الجنرال بعو" ذياب الزغبى...فارسان...⁴؛ "قاوم المرض والشيخوخة والخرف يا ماركيز وأكتب بضميري

¹ - محمود طلحة، تداولية الخطاب السردية، دراسة تحليلية في وحي القلم لرافعي، ص 152

² - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ص 340

³ - رواية (حضرة الجنرال)، ص 10

⁴ - المصدر نفسه، ص 11

وبرؤيتي، أنا حضرة الجنرال ذياب الزغبى، وليس بضميرك ورؤيتك أنت...¹. لقد حققت هذه الملفوظات فعل التوجيه من خلال ما اتضح من آلياته التي تمثلت في مجموعة من الأوامر أفعالاً كلامية أدت فاعلية تواصلية بين الطرفين ويمكننا تمثيل ذلك في الشكل الآتي:



مخطط يوضّح المسار التوجيهي العام في رواية "حضرة الجنرال"

كما كشفت لنا مجمل المحادثات على مستوى التحوارات السردية في الرواية على اعتماد الكاتب الاستراتيجية التوجيهية، وقد أسهمت هذه الأخيرة في بناء تواصل وتفاعل بين شخصيات الرواية الأساسيين من جهة، وتحديد أدوارهم ووظائفهم في الرواية من جهة أخرى وقد كشفت لنا مختلف العلاقات التلفظية بين الذات المتلفظة، وكذا مختلف المقاصد والأهداف المرتبطة بتحقيق سلوكيات معينة، وتجلت أهم التوجيهات في الرواية في حوارات الصراع على الحكم والسلطة كما تجلت أيضا في تمرد "الجنرال بعو" وطغيانه وجبروته، ويمكننا توضيح ذلك كالآتي:

1/1/1/3. توجيهات زعماء الحلف "سادة بني هلال" للجنرال "ذياب الزغبى": قدّم سادة "بني هلال" مجموعة من التوجيهات لفارسهم "ذياب الزغبى" لتوجيهه قصد وقف تمرده وانقلابه عليهم ووقف بطشه وغروره واتضح ذلك من خلال مجموعة من أفعال التوجيه التي جاءت في ظلّ تمتع المخاطبين بالسلطة المخولة لهم وتجلت بعض هذه التوجيهات في الرواية كالآتي: "يا زغبى، إنّ أنايتك تجعلك تتوهم أنّك صاحب الفضل في ما نحن فيه من خير ونعيم... الحمد لله على النعم التي أنعمها علينا... لولا قيادتنا الحكيمة والرّشيدة للحلف وعدالتنا بين الناس... ما حققنا عشر ما حققناه" كل ميسر لما خلق له "...أيها الفارس، ألزم حدودك واعرف قدرك، فإن قصرنا في حقك، من حقك أن تحتج، لكن ليس من حقك أن تثور وتتمرد علينا²؛ "يا ذياب... العين ما تعلقو

¹ - رواية (حضرة الجنرال)، ص 13

² - المصدر نفسه، ص 93

فوق الحاجب قم ودع الزعيم حسن يجلس على عرش الزناتي، كلنا حاربنا وضحينا من أجل هذه اللحظة التاريخية...¹، لقد حققت مجمل الأفعال الكلامية من خلال هذه الملفوظات والتي وجهها زعماء الحلف للجنرال ذياب والتي جاءت في صور النداء والأمر والنهي أفعالاً إنجازية توجيهية وقد تتضمن أغراضاً إنجازية مرتبطة بحمل المخاطب على التغيير، وقد جاءت واضحة وصريحة في ظل مقام مناسب لها وهي تمتعهم بالسلطة المخولة لهم لكن هذه الأفعال لم تحقق القوة التأثيرية على المخاطب؛ أي الأهداف والمقاصد التي يرمي إليها زعماء الحلف، وهذا ليبيّن الكاتب تمرد "الجنرال بعو" عن قومه، وبطشه، ورغبته بحكم "الإمبراطورية"، وهذا ما أكدّه الجنرال بعو في توضيح نيّته وإسراجه على الانفراد بحكم "الإمبراطورية" في قوله: "...الأفضل لي الآن ألا أتورط في سفستهم ولعبتهم القذرة، سأخذ حقي بسيفي، هو الضامن الوحيد للظفر بكرسي الحكم والفوز بالإمبراطورية"..²، "...لا بد من تصفية الخصوم جميعهم لتستقيم سلطتك... وخدمهم العسكريون يستحقون تسيير شؤون "الإمبراطورية"³.

2/1/1/3. توجيه الجازية يتامى الحقد السياسي: أدت "الجازية" في حوارها مع فرسان "يتامى الحقد السياسي" مجموعة من التّعليمات والتّوصيات تدعوهم إلى ضرورة مواجهة وقتل الديكتاتور "الجنرال بعو" الذي استبدّ بهم وحرّمهم وحرّم آبائهم من الحياة، وتوجيههم لحقهم، ولقد مثّلت الجازية كقائدة لهذا الاتجاه المعارض والحلف الجديد الذي مثله فرسان يتامى الحقد السياسي. كما مثّلت الجازية حبّ وعشق "الجنرال بعو" والتي لطالما عارضته وتمردت عليه، وتجسّدت مجمل هذه التوجيهات في مجموعة من الأوامر والنواهي، كما جاء في الرواية: "زهقوا روح ذياب الزغبى الأوليغارشي الديكتاتور الغدار، لا تأخذكم به رأفة ولا شفقة، لا ترحموا من لم يرحمكم، كما لم يرحم آبائكم من قبلكم، وحرّمكم من حاضركم ومن حقّكم في الحياة الكريمة، وبرك في طريقكم مثل جمل أجرب ويريد أن يصادر مستقبلكم، ليستأثر بالسلطة والمال والجاه والغطرسة لنفسه⁴؛ أيها الفرسان الأطهار الأبرار...الجنرال ذياب جبار وغدار، اصطفوا كما علمتكم ودرّبتكم واطعنوه

¹ - رواية (حضرة الجنرال)، ص 136

² - المصدر نفسه، ص 97

³ - المصدر نفسه، ص 165

⁴ - المصدر نفسه، ص 25

طعنة فارس واحد، طعنة نجلاء، ازهقوا روحه وتخلصوا من شره وطغيانه، لتضمنوا مستقبلكم ومستقبل سلالتكم، وإلا قتلكم واحدا واحدا...¹، أدت مجمل هذه التوجيهات جملة من الأفعال الكلامية الإنجازية، حققت أغراضها التفاعلية التأثيرية بين الأطراف المتخاطبة -الجازية وفرسانها- وقد استجاب الفرسان لتوجيهات الجازية من خلال اتخاذهم للسلوك الذي توافق مع مقاصدها وأهدافها، وهذا ما اتضح في السياق السردي الذي بدا واضحا في الرواية: "...فاستجابوا لطلبها دون تردد ودون خوف من عقابي وبطشي وانتقامي..."²؛ ويظهر البعد التأثيري في توجيهات الجازية كذلك في قوله: "...كانت سيوف اليتامى "الثوارجية" الابطال مصوبة نحوي مثل سيف واحد، تخرق جسدي، وهم يصرخون بصوت واحد رددت صداه الآفاق: أيها الجنرال العنيد: ارحل... ارحل... ارحل..."³.

2/1/3.رواية "زعيم الأقلية الساحقة: لقد اعتمد الكاتب "عزيز غرمول" في روايته "زعيم الأقلية الساحقة" لإيصال مقاصده على الخطاب الساخر وهذا للكشف عن حقيقة هذا الواقع الذي يملأ الاضطراب بطريقة يتمازج فيها الصريح والضمني وهكذا شكلت استراتيجية السخرية مهيمنا خطابيا فاعلا في الرواية ونمطا تأثيريا هاما فيها وتضمن أبعادا تداولية مرتبطة بمقاصد الخطاب، وإذا كانت استراتيجية السخرية هي الاستراتيجية البارزة والمهيمنة في الرواية، فإن ذلك لم يمنع الكاتب من اعتماد أنماط خطابية أخرى لإيصال مقاصده ولعل من بين هذه الأنماط الخطابية التوجيه الذي أسهم هو الآخر في التعبير عن الواقع والكشف عن بعض حقائقه. وقد شكّلت الاستراتيجية التوجيهية في الرواية نمطا خطابيا توصليا فاعلا أسهم في بناء الرواية وفي تأدية أهدافها وبلوغ مقاصدها، فالمقصد عنصر بارز في تبني الآلية والاستراتيجية المناسبة والملائمة التي تسهم في تحقيق التفاعل بين الكاتب والقارئ وتحقيق هذه المقاصد والأهداف، وكانت استراتيجية التوجيه أهم الاستراتيجيات التي استعان بها الكاتب والتي اعتبرها آلية مناسبة لتأدية مقاصده الخطابية، فقد أدى التوجيه وظيفة هامة في التعبير عن أيديولوجية الكاتب وتصوراته حيث بُنيت الرواية في جانب

¹- رواية (حضرة الجنرال)، ص28

²- المصدر نفسه، ص214

³- المصدر نفسه، ص219

منها على التوجيه من خلال ما كشفه من أسرار الحكم الفاسد والمستبد وما كشفه أيضا من مفارقات من خلال شخصيته الروائية (الملك العابث) وقد تجلى هذا من مجمل توجيهات ونصائح هذا الملك للحكام المستقبليين أو كما سماهم الأندال الذين سيحكمون في المستقبل كما جاء في قوله: "...وعليّ الآن أن أزجي بعض النصائح من كمال حكمتي للأندال القادمين... ففي نهاية الأمر لا شيء يززع الممالك غير الخصوم..."¹ "سأقدم نصيحة مجانية للأندال الذين سيحكمون في المستقبل..."²، جاء التوجيه في شكل توصيات ونصائح وتعليمات للملوك حول سياسة الحكم وأسرار البقاء في السلطة ومختلف التعليمات لمحاربة الخصوم والهاربين من الضرائب... والانفراد بالحكم والسلطة... وأهم شيء هو سياسة جمع الأموال وإنشاء الأرصدة وتضخيمها.

1/2/1/3: توجيهات الملك لحكام المستقبل وأساليب الحكم: وجّه الملك في خطاب ساخر لحكام المستقبل مجموعة من التوجيهات تتضمن قواعد وخبرات وأسرار الحكم؛ إذ يقول: "هناك قاعدة عامة يعرفها الملوك ويطبّقونها بإتقان.... أغرق الشعوب بما لا تحتاج، وستكف عن المطالبة بما تحتاج..."³، "القلب ضعيف ويتأثر بسرعة، لذلك من الأفضل للملك أن يقوم بتحبيده أولا خارج مملكة الحواس ثم ينفرد به"⁴؛ "...جرّد موضوعك من كلّ تفاصيل القلب، وخذ خصمك عاريا... حدد هدفك بشكل جيّد..."⁵؛ "على الملوك أن يروا ما لا يراه الآخرون..."⁶، كما قدّم لهم بعض التعليمات إزاء الخصوم والرعايا في قوله: "...سدّد دماغك بشكل جيّد كما تسدّد ماسورة مسدس واختر ضحاياك..."⁷؛ "الشعوب المرتاحة في الغالب تقلق زعمائها وعلى الملك أن يخترع دائما ما يقلق راحتها ويجعلها أسيرة مشاكلها"⁸؛ "صديق الملك الوحيد الذي أوصي به خيرا هي

¹ - رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 165

² - المصدر نفسه، ص 54

³ - المصدر نفسه، ص 125

⁴ - المصدر نفسه، ص 129

⁵ - المصدر نفسه، ص 137

⁶ - المصدر نفسه، ص 148

⁷ - المصدر نفسه، ص 39

⁸ - المصدر نفسه، ص 141

يده التي تصنع هندامه ورصيده وترتب علاقاته مع رعاياه وخصومه.... أنشروا التفاهة والشرافة بين الشعوب، وهي تتكفل برفعكم على أكتافها...¹

2/2/1/3. نصائح الملك للرعايا والخصوم: يقول الملك في خطاب موجه لرعاياه وخصومه: "لعل الكثير منكم لا يزال يقيس قامته الرجل بالسنتيمترات هذا خطأ شنيع...الرجل الحقيقي تقاس قامته برصيده، فكأما كان رصيد الرجل عاليا كلما احتاج الناس لرفع رؤوسهم كي ينظروا إليه...؟" على الرجل الذي يرغب في تغيير طبقته أن يهتم بتربية رصيده...كما تُربي الخنازير بالعلف والعراك...²، وكشف الملك بنصائحه عن بعض عيوب الواقع الاجتماعي والسياسي الذي تتسع فيه المفارقات.

3/1/3. رواية "حرب الفتوى: يعتبر التوجيه والإقناع من أهم المقاصد التي يمكن أن تحتويها أغلبية النصوص، فالتوجيه والإقناع يرتبطان كثيرا بمضامين ومقاصد النصوص الخاضعة لسلطة المؤلف سعيا لإقناع وتوجيه القارئ لأفكاره وتصورات، وإذا كان الإقناع والحجاج من أهم آليات واستراتيجيات التأثير على القارئ، فإن التوجيه كذلك يعد ضمن هذه الاستراتيجيات التأثيرية التي تغير من سلوك المتلقي، وأفكاره، وطريقة نظرتة للواقع.

اعتمد الكاتب في رواية "حرب الفتوى" كثيرا على الاستراتيجية التوجيهية وذلك من خلال ما اتضح من مقاصدها، وإن أهم ما تتميز به هذه الاستراتيجية هو الوضوح في التعبير عن قصد المرسل³، مما يسمح بتحديد علاقتها المباشرة بالهدف من الخطاب كما تصنف الأفعال التوجيهية ضمن الأفعال الإنجازية التوافقية⁴، فالاستراتيجية التوجيهية أكثر ارتباطا بالأفعال الكلامية الإنجازية، وما تحققه من قوى تأثيرية.

وقد بنى السارد الرواية على مجموعة من الوقفات إضافة إلى سرده لأحداث الرواية، وهذا الذي جعل من الكاتب ساردا فاعلا في الرواية اضطلع على وظيفة تفاعلية واضحة، وقد ارتبطت هذه التوجيهات بالفترة المزرية التي عاشها الشعب الجزائري فيما عرف "بالعشرية السوداء"، فانطلاقا من

¹- رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص143

²- المصدر نفسه، ص15

³- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ص 324

⁴- المرجع نفسه، ص337

هذه التوجيهات، نجد أنّ المؤلّف يحدد القارئ، ويرسمه، فقد يوجّه كلامه للمواطن الجزائري والسياسيين، وأكثر أفعال التوجيه كانت موجّهة للجماعات الإسلامية.

1/3/1/3. التوجيه الموجّه للمواطن الجزائري: عبر الكاتب هنا عن توجيهاته بصيغة نحن باعتباره مواطنا جزائريا منتما لوطنه، وغيور على وطنه، فحديثه بصيغة "نحن" هنا معناه أنّه يدرج نفسه في الحديث، وفي نفس الوقت يوجّه كلامه للقارئ، "فالمتلقظ يشير إلى ذاته في أثناء الحديث باستعمال الضمائر المواكبة للسياق، وفي الآن ذاته ينصبّ قبالبته شخصا آخر، فهو بذلك يتحدّث عن ذاتين: الذات المرسلّة والذات المتلقية¹، فالمؤلّف هنا يحدّد القارئ وهو المواطن الجزائري بشكل عام، ويطمح لتغيير أفكاره ويتّضح ذلك في قوله: "بالمواجهة نخسر فيها الجزائر... لنكن أكثر جرأة ونميّز هذه الأخطاء..."²؛ "...إننا ندعوا لثوابت من دون خرافات..."³، "أيّها الانسان... أيّها السياسي...إننا لا يمكن أن نساير هذا العالم ونحن نسير بهذه العقليات..."⁴، استعان المؤلّف هنا بمجموعة من آليات وأدوات التوجيه، وهي في الحقيقة مجموعة من الأفعال الكلامية أدت غرض التوجيه، وذلك من خلال ما اتّضح من مقاصد الكاتب التواصلية. ونجد من مجمل هذه الآليات، الأمر والذي يدخل ضمن تصنيف أوستين للأفعال الكلامية والإنجازية المحكمة بكيفيات التصرّف⁵، ويأتي كثيرا بصيغة "افعل"، كما يأتي أحيانا مقترنا بلام الأمر، وهي لام الجازم، التي تدخل على الفعل المضارع وتأتي بصيغة "يفعل"، كما ورد في بعض النماذج من الرواية، ومن آليات التوجيه كذلك "النهي"، والذي يوجّه القارئ لترك أمر ما كما ورد في الرواية.

2/3/1/3. التوجيه الموجّه للجماعات الإسلامية: وجه الكاتب أفعاله الكلامية للشخصية الرئيسية التي تدور حولها أحداث الرواية، والتي تمثّلت في شخصية (الهادي) المنتمي للجماعات الإرهابية إذ أنّ المؤلّف كان يتحدّث باسم الهادي ولكنّه يقصد الجماعات الإرهابية ككل، وهذا باعتباره يمثل

¹- ذهبية حمو الحاج، قضايا التداولية والخطاب، ص 124

²- رواية (حرب الفتوى)، ص 340

³- المصدر نفسه، ص 350

⁴- المصدر نفسه، ص 48

⁵- قدور عمران، البعد التداولي في الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل، [أطروحة أعدت لنيل شهادة الدكتوراه] جامعة الجزائر، سنة 2008، 2009، ص 66

هذه الجماعات، وقد أظهر الكاتب انفعاله الشديد في قوله: "أيها الخارج عن قانون الطبيعة عد إلى رشدك، ولا تستبد بأمرك، وتستبدل الذي هو خير بالذي هو أدنى...¹"؛ "دع عنك الناس وشأنهم، وأصلح من شأنك...²"؛ "أيها الإنسان...؛ أيها الداعية...؛ أيها المنقذ...؛ أنقذ نفسك... من تنقذ وكيف وبما ولما...³"، لقد استعان المؤلف هنا كثيرا بالنداء، الذي ظهر جليا في معظم هذه الأمثلة، فالنداء يحمل معنى الطلب، ويمكن أن نعتبره توجيهها كونه يحفز المرسل إليه إلى رد فعل وهو الانتباه، والنداء ذو وظيفة توجيهية، وهي وظيفة تداولية، إذ يسمي "جاكسون" وظيفة التوجيه بالوظيفة الندائية⁴ فالنداء في هذه الأمثلة يحمل معنى الطلب والتوجيه لتحريك العقول والنفوس. والدعوة للتغيير، كما استعان الكاتب في هذه الأقوال على الأمر والنهي لأداء مقاصده التوجيهية، كما تجلى التوجيه على مستوى الشخصيات القصصية وأدى ذلك إلى خلق علاقات تخطابية ويمكننا الوقوف على بعضها في هذا المستوى كالاتي:

2/3. التوجيه والعلاقات التخاطبية: لقد كشفت لنا الاستراتيجية التوجيهية في نماذج الروايات السياسية عن بعض العلاقات التخاطبية بين الذات تجلت في إطار مفهوم السلطة "فالتوجيه يرتبط بسلطة المرسل التي قد تكون مكسبا في حقل من الحقول الاجتماعية أو الوظيفية وغيرها، وقد تكون موجودة قبل التلقظ بالخطاب وتتبلور بالانتماء إلى درجات متفاوتة في سلم العلاقات العمودية بين طرفي الخطاب"⁵ أي تمتع المتكلم بصلاحيه التوجيه، لأن هذا الأخير مرتبط بسلطة المتكلم، فالحديث عن التوجيه يستدعي الحديث عن السلطة، فهي "تسهم إلى حد بعيد في بناء الخطاب التوجيهي، والذي كثيرا ما يتجسد نصيا في نموذجي التوصية والاستشارة"⁶.

وبالعودة لنماذج الروايات، فإن الكاتب كثيرا ما يعتمد على الاستراتيجية التوجيهية لبناء نصه ويظهر ذلك خاصة على مستوى شخصياتها السردية؛ فالتوجيه يبرز داخل النص الروائي من

¹- رواية (حرب الفتوى)، ص 113

²-المصدر نفسه، ص 310

³- المصدر نفسه، ص 163

⁴- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ص 324

⁵- المرجع نفسه، ص 227

⁶- شيتز رحيمة، تداولية النص الشعري، جمهرة أشعار العرب نموذجا، ص 51

خلال تمتع المتكلم بسلطة معينة والتي تفرض نمطا معيناً من الخطاب كما تحدد العلاقات الخطابية بين الذوات المتلفظة، ويمكن تحديدها بشكل عام في: السلطة القانونية؛ السلطة الأبوية؛ السلطة العلمية؛ السلطة الاجتماعية، (المنصب الاجتماعي).

1/2/3. رواية "حرب الفتوى": تجسدت في الرواية مجموعة من العلاقات الخطابية في إطار السلطة التي تتمتع بها شخصيات الرواية نذكر:

1/1/2/3. السلطة الأبوية: كما ورد على مستوى التحوارات السردية في توجيه الهادي: "يا بني ارجع وعيش كيما الناس راهي عايشة لا باس عليها...."¹؛ "يا بني هادي راها مجرد فتنة... وهادي دولتكم... أرجع لعقلك يا بني... أركب عقلك يا بني، واتق مولاك.... وكفانا دماء... وكفانا فرقة..."²؛ "يا بني... اتق الله... يا بني عد إلى رشدك... عد إلى أهلك وناسك وبيتك، نلاحظ في هذه الأمثلة كثرة استعمال لفظ أو صيغة "يا بني" والتي تجسد طبيعة العلاقة بين المرسل والمرسل إليه، وهي العلاقة التي تحمل الشحنة العاطفية والودية بين المتخاطبين، واستعمال هذا النوع من الألفاظ يسهم في التأثير على المرسل إليه "فاعتماد هذه الصيغة يهفو إلى التأثير على المخاطب وكسبه عاطفياً قبل البدء في عملية التوجيه"³، فهذه الصيغ والألفاظ هي من الآليات الفعالة في تثبيت العلاقات التخاطبية وتقريبها بين أطراف العملية التواصلية، "فالتقريب بين مراتب المتخاطبين هو محاولة للتخفيف من حدة سلطة ما؛ كما هو الشأن مثلاً مع السلطة الأبوية التي تبدأ خطابها بتقريب المخاطب بغية الرفع من إمكانية تحقيق القصد من الخطاب"⁴، فاستعمال هذه الألفاظ هو تعاطف من المرسل والذي من شأنه أن يسهم في التأثير على المتلقي واستمالاته.

2/1/2/3. السلطة القانونية: "أشكون أنت...؛ اسمك بالكامل... واش أداك للحرق والتكسير هذي ماشي رزقك ولا رزقي، هذا رزق الشعب.."⁵؛ أنا أنقول اتق مولاك وعد لرشدك، البصيرة تعرفها

¹ - رواية (حرب الفتوى)، ص 274

² - المصدر نفسه، ص 275

³ - شيتير رحيمة، تداولية النص الشعري، جمهرة أشعار العرب نموذجاً، ص 57

⁴ - المرجع نفسه، ص 57

⁵ - رواية (حرب الفتوى)، ص 71

الشرطة¹، نلاحظ هنا أنّ هذا النوع من السلطة تتطلب توجيهها صريحا تجسده أفعال الأمر والنهي والاستفهام...، كما تتجلى هنا من خلال هذه الأمثلة، أمّا عن العلاقة التي تجسدها هذه السلطة بين المرسل والمرسل إليه، فهي عكس السلطة الأبوية، فإذا كانت هذه الأخيرة تقرب العلاقة بين المرسل والمرسل إليه لوجود علاقة ودية وعاطفية بينهما، فإنّ السلطة القانونية لا تجسد إلاّ العلاقة الرسمية بين أطراف العملية التواصلية.

3/1/2/3. السلطة الدينية: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وأولئك هم المفلحون﴾ [آل عمران، 105...]². وهو ما اتضح من خطاب السارد المستند إلى نصوص قرآنية للدعوة للإصلاح والتوجيه.

2/2/3. رواية زعيم الأقلية الساحقة: أمّا في رواية زعيم الأقلية الساحقة فقد تجلت العلاقات التخاطبية في الرواية في علاقة الملك مع أتباعه والتي تمثلت في علاقة الأمر بالمأمور، وقد كشفت لنا الرواية في بعض ما ظهر من حواراتها بين شخصياتها السردية عن سياسة الملك إزاء رعاياه وإزاء خصومه وهذا بشكل عام، ومن ذلك حوار مع وزيره كاشفا غطرسته وعبثته: "...كلف مرزوق الحداد" بحقيبة شراء وبيع كل ما يراه مفيدا لنا...و"الكولونيل محيرقة" كلفه بحقيبة جباية الضرائب الصغيرة والمتوسطة...وجئني برشوان وزيرا للإشاعات وجئني بالحاجة قмир وزيرا للعائلات غير المحترمة وهي تتكفل بتزويد المملكة بدافعات الضرائب غير المحترمات...وأنت إصبعيا لإبهام الذي أدوس به أي واحد فيهم لا يقوم بواجباته الحكومية كما يجب..."³؛ أسس الملك توجيهاته على جملة من الأفعال الكلامية والتي جاءت في صورة أوامر صريحة جعل وزيره يدركها بشكل واضح ومحدد في ظل شروط سياقية مناسبة أهمها السلطة.

3/2/3. رواية حضرة الجنرال: كشفت لنا مختلف التوجيهات على مستوى الحوارات في رواية "حضرة الجنرال" مجموعة من العلاقات الخطابية ولعل أهمها سلطة الحاكم على رعيته، سلطة الجنرال دياب على رعيته من خلال أوامره الموجهة للتنفيذ الفوري لرغبته واستعلائه، وذلك تحت

¹ - رواية (حرب الفتوى)، ص 75

² - المصدر نفسه، ص 124

³ - رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 150

شعاره الجديد الذي رفعه مباشرة بعد جلوسه على كرسي الحكم: "وأطيعوا أولي الأمر منكم"¹، كما تجلت في الرواية علاقات أخرى تجسدت من خلال السلطة التي يتمتع بها المتكلم في الخطاب كالسلطة القانونية التي تجلت على مستوى الحوارات السردية بين القاضي وبين الجنرال ذياب بعد أن تمرد على قومه وقبيلته.

4. تداولية التصريح والتلميح في الرواية السياسية:

لا يخلو أيّ خطاب من دلالة ومعنى، ومقصد معيّن، ويستطيع المتكلم أن يعبر عنه بشكل مباشر أو غير مباشر، فالأول يكون صريحاً، والآخر يكون تلميحاً، فالصريح يعني "تطابق وتوافق شكل اللغة الدلالي مباشرة بما يطابق مع معنى الخطاب"²، أما عن التلميح فهو "إخفاء قصد الخطاب بألفاظ قولية تجري على غير معناها الأصلي/ المعجمي، اعتماداً على الكفاية التواصلية بين المتخاطبين باستنتاجها من سياق الخطاب ومقامه"³، فالتلميح هو التعبير باللغة عن المعنى غير المباشر، والذي يحتاج إلى عمل ذهني، ويحتاج إلى التّأويل، يتجاوز فيه المتلقي المعنى اللغوي المباشر للوصول إلى المعنى الحقيقي للكلام، أو للوصول إلى قصد المتكلم فالتلميح "يسير في الجانب الموازي للخطاب المباشر مع وجود قصد مضمّر غابت معه الدلالة البيّنة/ الجاهزة لإنتاج المعنى، فيحتاج المرسل إليه حينئذ إلى التّأويل والاستدلال؛ لكشف المضمّر"⁴ وذلك بالاعتماد على عناصر السياق.

والخطاب الروائي كذلك يتضمن مقاصد مختلفة، من خلال ما يبيّنه الكاتب من أقوال وأفعال وحوارات في فضاء تخيلي بواسطة السرد، ويعتمد الكاتب في هذا الإطار إلى استعمال استراتيجيات وآليات محددة لتحقيق هذه المقاصد، فأحياناً يعتمد على التصريح في الخطاب وأحياناً أخرى يعتمد على عدم المباشرة والتلميح، وكل هذا يكون بالتركيز على التأثير والفاعلية الخطابية والدواعي السياقية السردية.

¹- رواية (حضرة الجنرال)، ص 174

²- يوسف تغزوي، الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي، ص 201

³- محمد بن عبد الله المشهوري، التداولية السردية في خطاب الأفضوصة النسائية، ص 452

⁴- المرجع نفسه، ص 451

1/4. التصريح وسلطة الذات في الرواية السياسية: تضمنت الرواية السياسية وقفات خطابية سردية صريحة ومباشرة، فالرؤي في الخطاب السياسي لا يعتمد فقط على التلميح أو ما يتستر خلفه، فكثيرا ما تأتيه شحنة ورغبة ملحة للتعبير بشكل صريح ومباشر على مجموعة من القضايا الاجتماعية السياسية مدفوعا بمقاصد محددة، ففي نماذج النصوص جاء التصريح متجليا بشكل واضح، عبّرت عنه من خلال مجموعة من الأفعال الكلامية المباشرة والتي تتطابق فيها دلالاتها الحرفية مع مقاصدها؛ "أي تطابق قوتها الإنجازية مراد المتكلم، فيكون معنى ما ينطقه مطابقا مطابقة تامة وحرفية لما يريد أن يقول"¹، وهذا ما اتضح في الخطاب الروائي لمدونة النصوص التي اعتمدت على الخطاب المباشر في مواقف أبرزها:

1/1/4. الاعتراف بحقيقة الذات: لقد اعتمد الكاتب في رواية (حضرة الجنرال) في مواقف خطابية على التصريح والخطاب المباشر، وقد تجلّى ذلك في الرواية مع بداية السرد، خاصة في ما اعترف فيه الجنرال ذياب عن مختلف أعماله الفاسدة وغير القانونية للكاتب ماركيز والتي عبّرت عن حقيقة ذاته؛ إذ يصرّح: "كنت رجل الأعمال الأول-وبلا فخر-في الإمبراطورية، تاجرا في كل شيء، وبكل شيء وأصبحت من أثري الأثرياء ولا أحد استطاع أن ينافسني، ولا أحد استطاع أن يقدر ثروتي... استعملت في تجارتي سجلات تجارية لأقاربي وحاشيتي، وعشيرتي، ولبطالين ومعوقين وموتى... اشتريت ذمم الفاتحين والمجاهدين بالخمارات والمراقص..."²؛ كما صرّح الجنرال لماركيز عما اقترفه من أفعال شنيعة من استبداد وغدر إزاء قبيلته وعشيرته ورفاقه، وهذا كما اتضح في خطابه الذي أظهر فيه حسرته بقوله: "آه يا حضرة الجنرال... يا كبدي... هذا ما زرعت يداك، أيها المعمّر، تحصده اليوم جراحا وحقدا وانتقاما على أيدي هؤلاء الفتية "الثوارجية" البواسل... ضحايا غطرسك واستبدادك وتمييزك وغدرك..."³، ولقد قدّم الجنرال (ذياب الزغبى) ملخص مختصر عن حياته، ومعتزفا بحقيقة نفسه بكل جرأة وصراحة كما اتضح في هذه الأقوال: عشت عمري كما أردت أن أعيش، وانتصرت على أعدائي بالسيف، وعلى منافسي بالخديجة،

¹ - محمد بن عبد الله المشهورى، التداولية السردية في خطاب الأقصوصة النسائية، ص 257

² - رواية (حضرة الجنرال)، ص 12

³ - المرجع نفسه، ص 25

وعلى الرعية بالسطو وتوجيهات "الكتاب الأبيض"¹؛ أنا السلطان الخليفة...ملك الملوك "الإمبراطور"، الديكتاتور، الجهوي، المتعصب، الجشع المنتقم، قاطع الرقاب، خائن الملح...² أما في رواية (زعيم الأقلية الساحقة) فذلك بين الملك العايب أساليب حكمه، مصرحا بشكل جريء عن مصالحه الخاصة، ومقرا عن أهدافه المرتبط بالبحث عن المال حيث يقول: "منذ البداية قسمت مملكتي إلى قسمين، مملكة الليل التي أنا سيدها وأمرها المطلق...وجمهورية النهار التي لا أتدخل فيها إلاّ بالقدر الذي يحمي مملكتي ويدعم رصيدي وعبثي..."³؛ أنا لست باحثا عن المجد...أنا باحثا عن المال...المال فقط...⁴، وفي مواقف أخرى من الرواية، سرد الملك مقتطفات عن حياته، وعن طفولته، فيقول: "جئت العالم مضرجا بخطيئة لست مرتكبها ولدت في مكان غير محدد، ومن أم لا أعرفها، وفي تاريخ تقريبي فقط، قضيت طفولتي كلها بدون أعياد ميلاد ولا مناسبات عائلية، وكبرت بهذا الشكل سأكبر وأنتقم من كل هذا..."⁵، وقد عبّر هنا بشكل مباشر عن قهره، وحقده، وانتقامه.

2/1/4. كشف المبتغى السياسي: لقد كشف لنا السارد في رواية حضرة الجنرال عن حقيقته وعن طموحه في الحكم بشكل مباشر كاشفا عن كيد و غدره، وخبثه، وفساده، فيقول: "رفاق السلاح في زمن الفتوحات والغزوات الكبرى، أزحتهم عن السلطة بالقوة والعنف، لأستأثر بحكم الإمبراطورية لنفسي وسلالتي وعشيرتي الزغبية وحاشيتي المخملية..."⁶؛ وكذلك: "الآن جاء دورنا لنحكمها بسيوفنا ونسترجع حقوقنا ولن تأخذنا رافة بمن يقف في طريق تنفيذ مشروعنا الكبير..."⁷ وكذلك يصرح بغدره فيقول: "كنت قبل ذلك أتحنن الفرص لافتاك السلطة من هذا الخرف بن سرحان"⁸.

¹ - رواية (حضرة الجنرال)، ص 34

² - المصدر نفسه، ص 35

³ - رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 11

⁴ - المصدر نفسه، ص 47

⁵ - المصدر نفسه، ص 179

⁶ - رواية (حضرة الجنرال)، ص 20

⁷ - المصدر نفسه، ص 168

⁸ - المصدر نفسه، ص 84

كذلك بدأ موقف الكاتب في رواية (حرب الفتوى) واضحا وصريحا إزاء الجماعات الإسلامية فلقد حاول الكاتب كشف حقيقتهم وأهوائهم وطموحهم في السلطة والحكم، وقد كان ذلك بشكل صريح مباشر في قول: "فإن جئتمونا فباسم حزب لا غير أما الدين فهو للجميع لكم ولغيركم...قولوها الصراحة تأتيكم الراحة أحزاب أهواء للرئاسة تهوى وتسعى..."¹، وكذلك حاول الكاتب كشف حقيقة الهادي- الشخصية المحورية في الرواية- والذي كان يمثل الجماعات الإرهابية؛ إذ يصرح عن حقيقة الهادي فيقول: "حب الريادة والسلطة هما من أوصلا الهادي إلى هذه المواصل، ما كان ليصلها لولا تهور الفكر لدينا...."²، وكذلك كان الأمر ذاته بالنسبة لرواية (زعيم الأقلية الساحقة)، فقد حاول ملك الجزائر التعبير بشكل جريء وصريح عن طموحه في الحكم، وهذا كما جاء في قوله: "منذ البداية خطت عن سابق إصرار وترصد للاستيلاء على الحكم..."³، وكذلك في قوله: "كان هاجسي الأول وأنا في طريقي إلى العرش، اختصار الطريق إلى العرش..."⁴

3/1/4. امتلاك السلطة وكشف أسرار المجتمع السياسي: إن أول شيء يمكن أن نلمسه في رواية زعيم الأقلية الساحقة، ومع بداية الخطاب السري، غرور ملك الجزائر وتكبره وعجرفته، وقد تجلى ذلك في محاولته لتبيان امتلاكه للسلطة، من خلال خطاب مباشر تجسّد من خلال الوصف؛ يقول الملك: "كنت ملك الجزائر وما ولاها من الضواحي أحكم مملكتي بالقوة والعبث...أمشي في أسواقها مختالا على رأسي تاجي، وفي يدي صولجاني، محاطا بحرسي، اثنان يسيرون أمامي لشق طريقي في حما الحياة... واثنان ورأي لحمايتي من ضغينة الحساد...يتدافع الناس في الشوارع للتبرّك بتقبيل يدي، وتفرش لي الطريق بالعطايا والدعوات..."⁵، كذلك حاول السارد مع تقدّم السرد الكشف عن حقائق مجتمعه السياسي (السياسيين ورجال الأعمال) والمرتبطة بالفساد والنفاق بشكل عام؛ إذ يصرّح: "هناك عماء عظيم... وكذب مجاني، هناك زيف شامل... ونفاق

¹ - رواية (حرب الفتوى)، ص 348

² - المصدر نفسه، ص 108

³ - رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 20

⁴ - المصدر نفسه، ص 100

⁵ - المصدر نفسه، ص 07

ومعاملات فاسدة... وبعض الثروات الطائشة....¹؛ "ذلك طبيعي في الحكومات الديمقراطية التي اخترعها عصرنا للتغريب بالمواطنين السذج، فأنا أعتبر مسبقاً أن قضاءهم مرتش وسياستهم مزورة، وكل ما يقال في صحافتهم مجرد كلام يفتر للدليل المادي..."²، وفي نفس الغرض يقول: "إنهم مجموعة من الفاسدين المنضبطين القادرين على القتل والاعتصاب والتزوير... وحلف اليمين..."³... كان أكبر مزور للأوراق النقدية والمشرف العام على السوق السوداء للعملة الصعبة... ومالك مصانع التبغ والبيرة، ومحتكر تهريب (المارلبورو) وكل المشروعات"⁴ وفي رواية "حضرة الجنرال كذلك نلمس اعتزاز وافتخار وانتصار (ذياب الزغبى) لذاته، وامتلاكه السلطة وهذا في خطاب مباشر وصريح له، الموجّه لرعيته؛ إذ يقول معبراً عن ذاتيته: "أنا الجنرال بعو..." مصدر كل السلطات... لا شريك لي في المشورة والحكم..."⁵؛ "...يخول لي دستوري أن أعين وأنهاي مهام الوزراء، أعين وأنهاي مهام الولاة، أعين وأنهاي مهام السفراء... أعين وأنهاي مهام مسؤولي أجهزة الأمن... أعين وأنهاي مهام القضاة... أعين وأنهاي مهام الأئمة... أعين وأنهاي مهام مدراء المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والسياحية... يحق لي وحدي أن أقرر السياسة الداخلية والخارجية... أن أوقع المراسيم... أن أبرم الصفقات والمعاهدات..."⁶، كما كشفت لنا (ذياب الزغبى) بشكل صريح عن حقيقته وأساليبه المستبدة للانفراد بالسلطة فيقول "حان الوقت لوضع خطة قبلية لتصفية الخصوم وشراء الذمم... والسيطرة على القضاء واختراق الأحزاب... وتوجيه الإعلام وتشيتت المعارضة، وتضليل الرأي العام... لن تحكم لحظة، وهذه المؤسسات قائمة... حطمٌ بدهاء وأقتل بدم بارد..."⁷

¹-رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 21

²- المصدر نفسه، ص 12

³- المصدر نفسه، ص 50

⁴- المصدر نفسه، ص 50

⁵-رواية (حضرة الجنرال)، ص 33

⁶-المصدر نفسه، ص 170

⁷- المصدر نفسه، ص 146

وتجلى التصريح في رواية (حرب الفتوى)، في كشف الكاتب وتبينه حول حقيقة الأحزاب الإسلامية؛ فيقول: "هذه السياسة البائسة جاءت بالفاسدين والسارقين..."¹؛ "... يرتاد اللصوص الكبار المهرة المتمكنون منابر السياسيين والحزبية..."² فقد عبّر الكاتب في هذه الأقوال بشكل صريح وجريء عن حقيقة الأحزاب الإسلامية وفساد مسعاهم.

2/4. التلميح والإضمارات الخطابية السردية: كثير من الخطابات دلالتها غير مباشرة وغير مصرّح بها، فدلالتها مرتبطة بالجانب الخفي وفي هذا الشأن يقول "مانقونو": "إن القول ليس دائما تصريحاً فالنشاط الخطابى يتشابه باستمرار بين المقول وغير المقول"³، ويعتبر الخطاب الروائي والأدبي عامة أكثر الخطابات ارتباطاً بالخطاب غير المباشر، وإن كان المتكلم يعتمد على هذا النوع من الخطاب - الخطاب التلمحي - في خطابه العادية اليومية، لكن ليس بالدرجة التي يكون عليها في الخطاب الأدبي، فالميزة الجوهرية في الخطاب الأدبي هي الاعتماد على الأسلوب غير المباشر والضمني في التعبير عن مقاصد الخطاب، لأنّ: "الاستراتيجية التلمحية أكثر الاستراتيجيات علاقة بالخطاب الأدبي"⁴، أمّا عن دوافع اختيار المرسل أو المتكلم للاستراتيجية التلمحية فهي لدوافع سياقية تجعله يعدل عن استعمال الخطاب غير المباشر"⁵، فظروف السياق ومقاصد الخطاب يلعبان دوراً مهماً في استعمال واعتماد المتكلم للأقوال الضمنية والتلمحية والأمر ذاته ينطبق على المؤلف في روايته، فاستعمال المؤلف للخطاب المباشر أو الخطاب غير المباشر هو استجابة لمقاصده التأثيرية وظروف سياقية ومقامية معيّنة، فالمؤلف كثيراً ما يعتمد المعاني الخفية في تعبيراته التي تفرض على القارئ تجاوز المعاني الحرفية، واستنتاج معاني أخرى باطنية. إذن "الاستراتيجية التلمحية هي" التعبير عن القصد بما يغيّر معنى الخطاب الحرفي، لينجز بها المرسل أكثر مما يقول، فيعبر بغير ما يقف عنه اللفظ مستثمراً في ذلك عناصر السياق"⁶، وهذا

¹ - رواية (حرب الفتوى)، ص 92

² - المصدر نفسه، ص 92

³ - Dominique maingueneau , la pragmatique pour le discours littéraire, paris :2001,Nathan (نقلا عن كتاب محمود طلحة، تداولية الخطاب السردى، دراسة تحليلية لوجي القلم للرافعي، ص 146) Université

⁴ - محمود طلحة، تداولية الخطاب السردى، دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي، ص 146

⁵ - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ص 370.

⁶ - يوسف تغزاوي، الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي، ص 202

الأخير عنصر فعال في تأويل الخطاب لأنه: "يحتلّ جزءاً مهماً في الدرس التداولي، وهو بمثابة العنصر الفاعل في توضيح الكلام، بل في صحته والوصول به إلى درجة القبول في معناه ومبناه"¹، أي أنّ السياق يعتمد عليه طرفاً الخطاب في إنجاز التواصل والتفاعل، حيث ينطلق منه المتكلم ليتمكن من بناء كلامه بما تتيحه له معالم خاصة ليتمكن من التأثير في متلقيه، كما ينطلق منه المتلقي كذلك من أجل تأويل الخطاب.

وبالعودة لنماذج النصوص يتجلى لنا التلميح بشكل بارز نظراً لطبيعة المجال السياسي الذي تندرج فيه هذه النصوص، ومعلوم أنّ التعبير عن مختلف القضايا السياسية أحياناً لا يتأتى إلاً باستراتيجية التلميح التي تدفع المؤلف على نهجها وجعلها سبيلاً للتواصل السري، ويمكننا الوقوف عند مظاهر تجلياتها وأهم آلياتها في الخطاب السري كآلاتي:

1/2/4. القول المضمّر: فالقول المضمّر (Sous-entendu) يحدد على أنّه "عبارة عن استنباطات مستخرجة من السياق من قبل المتلفظ المشارك، وذلك بفضل استدلال (raisonnement) عفوي إن قليلاً أو كثيراً²؛ ومعنى هذا أنّ القول المضمّر هو مجموعة من أقوال تحتوي على معلومات خفية ولا يتم الوصول إليها إلاً إذا توفّرت مجموعة من معطيات السياق، فالقول المضمّر يحمل المتلقي على نوع من الاستنتاج، فميزته الأساسية أنّه يخرج الكلام من معناه الأولي أو الظاهري إلى استنتاج تأويلي ذهني يجتهد المتلقي في التعرف عليه واستنباطه، إذن "القول المضمّر باعتباره استراتيجية خطابية يستلزم من المتلقي مجموعة من العمليات الذهنية لفهم قصد الكاتب³ وهذه الأخيرة مرتبطة كثيراً بمقاصد العمل والإبداع، ويتجلى الإضمار في الخطاب السري لمدونة النصوص كآلاتي:

1/1/2/4. الإضمار والسياق: تجلى في بعض المواقف السردية على شكل أقوال وملفوظات تحمل معان مباشرة في ظاهرها كونها أخباراً أو مواقفاً أو وصفاً... لكن في الحقيقة تتضمن

¹ - ذهبية حمو الحاج، قضايا التداولية والخطاب، ص131

² - دومينيك ما نغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر محمد يحياتن، ط1، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، 2008، ص119.

³ - محمود طلحة، تداولية الخطاب السري، دراسة تحليلية في وحي القلم لرافعي، ص147

مقاصد ضمنية غير مباشرة؛ وتعني الضمنية/Implicite "التخفي وراء الأشياء المصرح بها"¹؛ إذ تحمل معان تتجاوز حدود القول ذاته، وهذه المقاصد الضمنية التي تحملها هذه الملفوظات تشتغل في ارتباط مع الموقف التواصلية السردية، إذ لا يمكن للمتلفظ المشارك (القارئ) اكتشافها إلا من خلال السياق الذي ينيّر الجوانب الخفية للخطاب ويفتح باب التأويل، ويمكننا توضيح ذلك كالاتي:

1/1/1/2/4. التخطيط للتغير والسعي وراء السلطة: لقد تضمّنت رواية "حضرة الجنرال" أقوالاً لمفوضات جسّدت الإضمار الخطابية في ارتباطه بالسياق السردية والذي أسهم في بناء مقاصد الخطاب، حيث تجلّى هذا النوع الخطابية خاصة مع بداية تطوّر أحداث السرد، والذي اتّضح في ما عبّر عنه الجنرال (ذياب الزغبى) في الحدث الأساس في الرواية، والذي تمثل في ما أبداه من طموح للاستيلاء على عرش "الإمبراطورية" والرغبة في الراحة والتعم بالسلطة وقد عبّر عن ذلك بطريقة غير مباشرة، وهكذا أسهمت هذه الأخيرة في التأثير على العملية الخطابية واندماجها مع المكونات السردية الأخرى؛ إذ يقول: **"تعبت من الحروب وتعبت مني الحروب..."**²، ففي هذا القول لم يكن قصد الجنرال الإخبار عن تعبته، بل برغبته بتولي السلطة؛ إذ حمل القول دلالة ضمنية ارتبطت بالسياق، كذلك حاول ذياب التعبير عن أحقيته بالسلطة وهذا في خطابه مع زعماء الحلف (بني هلال) بطريقة غير مباشرة في قوله: **"لولا قتلي الزناتي لكنتم الآن في خبر كان، ورؤوسكم تعبت بها الغربان..."**³، فهذا القول لا يقتصر على الافتخار وإعلاء الذات والانتصار لها، بل يتعلّق الأمر بطموحه للسلطة، ورؤية الشخصية المتحدثة (ذياب الزغبى) ذاته الأجدر بها وبعرش الإمبراطورية، وفي رواية "زعيم الأقلية الساحقة" كذلك عبر الملك العايب عن أقوال مضمرة ارتبطت بمقاصده الخطابية التواصلية، التي أنجز من خلالها أكثر ما يقول، وهذه الأقوال والمقاصد لا يمكن للقارئ الوصول لها وفهم خباياها إلا بمعرفة سياق التواصل السردية، ومن ذلك قوله: **"هذه المدينة تبدو وكأنها مركولة، مقلوبة رأساً على عقب، واقفة على رأسها بدل أقدامها..."**⁴،

¹ - ذهبية حمو الحاج، لسانية التلفظ وتداولية الخطاب، ص15.

² - رواية (حضرة الجنرال)، ص52

³ - المصدر نفسه، ص94

⁴ - رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص183

فهذا الكلام لا يقدّم وصفا للمدينة وما آلت إليه بل كشف لنا السارد بشكل ضمني عن اهتمامه بهذه المدينة التي لفتت انتباهه وعن رغبته في تغييرها والوقوف على رأسها.

2/1/1/2/4. الفوضى السياسية والانحراف: استعان الكاتب في رواية (حرب الفتوى) على المضمّر والخطاب غير المباشر للتعبير عن انفعاله إزاء الأحزاب السياسية وفتاويها المنحرفة والكشف عن مساعيها بطريقة غير مباشرة، حيث جسّدت رواية "حرب الفتوى" الإضمار التخاطبي في بعض المواقف التواصلية، وتجلّى ذلك خاصة في ما بيّنه الكاتب من فوضى سياسية وتهافت وتسارع إلى السلطة؛ إذ يقول: "كثرت الأحزاب وتعددت...كثرت الأفكار وانتشرت...كثرت الأبواق وأسمعت...كثرت الرايات وقسمت...."¹؛ ففي هذا الملفوظ لا يتعلّق الأمر بوصف الواقع الاجتماعي الذي كثرت فيه الأحزاب كما هو واضح في هذا القول ظاهريا، بل يتعداه إلى كشف صراع الأحزاب والتزامم والتصادم من أجل السلطة، كما عبّر الكاتب عن انحراف الأحزاب السياسية الإسلامية بفتاويها الفاسدة وتصادمها إذ يقول السارد: "كتب تحرم كل شيء...وكتب تحل كل شيء...كتب تُبدع كل شيء...وكتب تستببح كل شيء..."² فهنا في هذا الملفوظ لم يتعلّق الأمر بالإخبار عن أمر الجماعات الإسلامية بقدر ما هو متعلّق بتبيان فساد فكرهم وانحرافهم.

2/1/2/4. الإضمار وآلياته السردية: تجلّت في الخطاب الرّوائي عبر نماذج النصوص عددا من الآليات التي جسّدت الاستراتيجية التلميحية والتي أسهمت في بناء الخطاب السياسي وتحقيق النفعية الخطابية والوصول لمقاصد الخطاب المضمرة، ويندرج ضمن الدلالة التلميحية كل ما يتعلّق بالمحسنات البيانية بوجه عام، وآليات الإضمار التي هي من خصوصيات الإبداع الفني (الرّواية)، والتي لا يمكن تجاوزها وغض الطرف عنها، كما ترتبط أيضا بالخطاب السياسي "قالبلاغة والخطاب السياسي وجهان لعملة واحدة، ينهل الخطيب السياسي من الصور والمحسنات والاستعارات والتشبيهات، محاولة منه لإيجاد الدلالة السياسية لقضيته أو إشكاليته"³ إذ هي أحد أبرز أشكال الضمني المعتمدة في الخطاب الرّوائي حيث ظهرت على شكل أساليب بلاغية:

¹ - رواية (حرب الفتوى)، ص 127

² - المصدر نفسه، ص 108

³ -حسن البعاطوي، الاستعارة في الخطاب السياسي (التحليل النقدي للخطاب: مفاهيم ومجالات وتطبيقات) برلين: 2019
المركز الثقافي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ص 143

كالرمز، والكناية، والاستعارة... وآليات سردية أخرى التي تعدّ من باب الإضمار، واللغة "بقدر ما تكون غامضة بقدر ما تكون غنيّة بالرموز والاستعارات¹ ويمكننا الحديث عنها كآلاتي:

1/2/1/2/4. الرمز: يرتبط الرمز بالبعد التلمحي، إذ يشكّل آلية تلميحية مهمّة لا تخلو منها عموم التعبيرات السياسية، والاجتماعية، والثقافية، ولا يختلف عنها الخطاب السردى²، وفي رواية (حرب الفتوى) جسّد "الكرسي" العلامة الرمزية بعدا تلميحيا أقرب للتصريح باعتباره يندرج ضمن أهم الرموز السياسية المتواترة التي تعبر عن السّلطة، وهذا كما جاء في الرواية: "لا يهم أي نفس تزهق روحها ولا يهم أي قطرة دم تسقط، إنّما المهم هو الكرسي..."³؛ "هذوا إذا حكموا البلاد مستحيل يخلو الكرسي..."⁴؛ "...لم يعد أسرعكم إلى الفتوى أقربكم إلى النار، إنّما صار أسرعكم إلى الفتوى أسرعكم للكرسي..."⁵ وقد ارتبط (الكرسي) في الرواية بمسعى وهدف الأحزاب الإسلامية، كذلك تضمنت رواية (حضرة الجنرال) ألفاظا رمزية جسّدت الاستراتيجية التلميحية، إذ عبّر "السيف" في الرواية عن القوّة، "وذلك للعلاقة السببية بين الفكرة thought والرمز symbol و الغرض الذي من أجله أنشئ الرمز والأثر المفترض"⁶؛ وقد اعتبر (الجنرال ذياب) القوّة هي الحاسمة في شؤون الحرب وفي كل الأمور، وذلك لكثرت الحروب التي خاضها، وبذلك اعتبرها الحاسمة في شؤون الإمبراطورية، وهذا بدل الحكمة، وقد كشف لنا تمرد الجنرال ذياب وغروره قوله: "علمتنا الحياة أن أقصر الطرق للتفاهم هي طريق السيف..."⁷؛ كذلك اكتسبت "اليد" في رواية (زعيم الأقلية الساحقة) رمزا تلميحيا يحيل إلى القوّة؛ إذ يقول: "لا يغرنكم أبدا مظهري، فأنا

¹ - أمبروتو إيكو، التأويل بين السيميائية والتفكيكية، تر: سعيد بنكراد، ط2، الدار البيضاء: 2004، المركز الثقافي العربي ص15.

² - محمد بن عبد الله المشهورى، التداولية السردية في خطاب الأقصوصة النسائية، ص465

³ - رواية (حرب الفتوى)، ص192

⁴ - المصدر نفسه، ص200

⁵ - المصدر نفسه، ص248

⁶ - ينظر: أوغدن ورتشاردز، معنى المعنى: دراسة لأثر الكلام في الفكر ولعلم الرمزية، تر: كيان أحمد حازم يحيى، لبنان (د.ت)، دار الكتاب الجديد، ص69

⁷ - رواية (حضرة الجنرال)، ص84

لست صنيع ملابسي وهندامي... أنا صنيع يدي ويدي بما كسبت...¹، فقد حاول هنا الملك العابث إظهار قوّته وتفائره وانتصاره لذاته.

2/2/1/2/4. الإستعارة: حضرت الاستعارة في الروايات السياسية بشكل واضح، وقد شكلت آلية مهمة في الخطاب السياسي -الذي مثلته الروايات السياسية- يسعى من خلالها المؤلف التعبير عن مختلف تصوراتهِ وتجاربه والكشف عن واقعه بطريقة غير مباشرة، ويرتبط القول الاستعاري بالغموض والالتباس ويستدعي كشف واستخراج دلالاته عملية الاستدلال والتأويل وعمليات المقارنة لعلاقات التشابه الضمنية التي تبنيها، ويستند هذا كله على جملة من المعايير السياقية التي ترتبط بمقصدية منتجهِ. ويعرفها أبو هلال العسكري (920م/1005م) بقوله: "الاستعارة نقل العبارة من موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض"²؛ وعلى هذا فهي خطاب تلمحي ترتبط بمقاصد خفية، وتؤدي الاستعارة دورا مهما في التأثير الخطابي على المتلقي؛ إذ "تؤسس الاستعارة على الطابع القصدي، فبنيتها مشفرة تجذب المتلقي ليحاول فهمها وتحليلها، والاستعارة ليست وجها بلاغيا مقصورا على الخيال والزخارف اللفظية بل لها مستوى أعمق ولها دور مهم في التأثير الممارس عبر النصوص والخطابات، ومن ثم الدفع إلى أفعال معينة ينشدها المبدعون"³؛ إذ تؤدي الاستعارة دورا مهما في الحجاج والإقناع الخطابي، لأنّ "الحجاج الناجم عن الاستعارة أو التشبيه، تظهر فعاليته الحجاجية في أنّها تمثل درجة أعلى في الإقناع من درجة المعنى الحقيقي"⁴ ومن نماذج الاستعارة التي ظهرت في نماذج النصوص ما يأتي:

كشف الكاتب في رواية (حرب الفتوى) حقيقة السياسيين، وحقيقة الأحزاب السياسية، موظفا تعبيرا استعاريا خاصا، وقد أسهم ذلك في تصوير وتقديم صورة أعمق للواقع السياسي؛ إذ يقول: "اجتمعوا كلهم ينخرون جسد هذه الدولة الفتية، دول البناء، دولة الاستقلال"⁵؛ كذلك عبّر ملك الجزائر

¹- رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 07

²- أبو هلال حسن بن عبد الله بن سهل العسكري، الصناعتين (الكتابة والشعر)، تحقيق: علي محمد الجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، القاهرة: 1952، دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاه)، ص 268.

³- محمد سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، ط1، لبنان، 2008: دار الكتاب الجديد المتحدة، ص 238.

⁴- عبد الله صولة، في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات، ط1، تونس، 2011: مسكيلياني للنشر والتوزيع، ص 93

⁵- رواية (حرب الفتوى)، ص 139

في رواية (زعيم الأقلية الساحقة) عن حقيقة حبه للمال وحبّ جمعه، ومن ذلك قوله: "...اصبر عليها حتى يضمن رصيدها..."¹؛ وكذلك: "تلك النوايا السيئة هي المثمرة بالنسبة لي..."²؛ وقد عبّر عن ذلك بطريقة غير مباشرة بالاعتماد على علاقات مشابهة وتجسّد كذلك الخطاب الإستعاري في هذه الرواية في ما عبّر عنه ملك الجزائر من أفكار سياسية تتعلق بأساليب حكمه؛ إذ يقول: "كلما تسلّق الجهل أكتاف الناس كلما افتقدوا الأرض الصلبة تحت أقدامهم ورأوا أنفسهم أكثر قليلا من حقيقتهم"³، وقد حاول السارد هنا من خلال توظيفه للاستعارة جذب المتلقي ودعوته للتسليم بأفكاره وقناعاته التي ارتبطت بتجاربه الخاصة وانفعالاته؛ إذ للاستعارة "علاقة بتجربتنا الداخلية الخاصة بالعالم ولها علاقة أيضا بسيرورة انفعالاتنا"⁴، كما حاول الملك من خلال هذا القول إقناع حكام المستقبل بنجاعة أساليبه في الحكم، إذ أضاف هذا التعبير الإستعاري جانبا مهما في التأثير والإقناع "فالاستعارة تمثل أداة مفاهيمية ولغوية مهمة لإنجاز الإقناع، وقد تمّ الاعتراف بالاستخدام الإقناعي للاستعارة في الخطاب السياسي"⁵، وفي رواية (حضرة الجنرال) اختار السارد التلميح بالاستعارة للتعبير عن حقيقة حكمه فيقول: "جيل اليتامى المنفي كبر وشبّ عن الطوق. وأن له أن يتولى القيادة ويزيح الجمل الأجرى الذي برك في طريق مستقبل هؤلاء الفتية"⁶، وقد ارتبط ذلك باستيلائه على (الإمبراطورية) وتعميره في الحكم.

3/2/1/2/4 الكناية: الكناية هي "ترك التصريح بالشيء إلى مساويه في اللزوم، لينتقل منه إلى الملزوم"⁷؛ أو هي "ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه لينتقل من المذكور إلى المتروك"⁸

¹- رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 131

²- المصدر نفسه، ص 101

³- المصدر نفسه، ص 31

⁴- أمبيرتو إيكو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، تر: سعيد بنكراد، ط2: 2004، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ص 158.

⁵- إيلينا سيمينو، الاستعارة في الخطاب، تر: عماد عبد اللطيف؛ خالد توفيق، ط1، القاهرة: 2013، المركز القومي للترجمة، ص 197

⁶- رواية (حضرة الجنرال)، ص 213

⁷- بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية، ط3، الرياض: 1981، دار الزفافي، ص 592

⁸- المصدر نفسه، ص 593.

وترتبط الكناية ارتباطا وثيقا بالخلفية الاجتماعية والثقافية للمجتمع؛ إذ تحتاج إلى الوقوف بعمق أكثر خلف المقام الثقافي والاجتماعي الموجّه للتكنية¹ والسياق العام لعملية التلقظ. استعان السارد في رواية (زعيم الأقلية الساحقة) على الكناية للتعبير عن مقاصد خفية تستدعي قليلا من التأمل للوصول لحقيقتها؛ وقد منحت للخطاب السردى أسلوبا مميزا وملفتا، ومؤثرا، عبّر فيه السارد عن خبثه وكيدته في الحكم كما عبّر كذلك عن بعض حقائق مجتمعه بقوله: "نزعَت الشعب الصغير... وانفردت بالأصح..."² وجاء ضمن سياسة الملك غض نظره عن عامة شعبه والسعي وراء مصالحه، وقد عبّر عن ذلك بخطاب تلمحي موظفا الكناية فيقول: "قلت دائما على الملك أن لا يأبه بالموظفين الصغار..."³، كما تجلت الكناية في رواية (حضرة الجنرال) في بعض المواقف السردية عبر فيها السارد عن مقاصده بأسلوب تلمحي أعمق تصويرا وأكثر تأثيرا، ومن تجلياتها ما ورد في قول الجنرال مخاطبا ذاته: "طار الحمام يا ماركيز..."⁴؛ فلقد عبّر هنا الملك عن حسرته وضياع فرصته في الحكم، ذلك بسبب تعيين صديقه (زيد) الحاكم الجديد (للامبراطورية).

4/2/1/2/4. المثل: يجسّد المثل الاستراتيجية التلميحية لما يحمله المثل من معانٍ ومقاصد ضمنية ويرتبط المثل كثيرا بالتأثير الخطابى باعتباره ينم عن تجارب الفرد، وفي رواية (حضرة الجنرال) تجلت بعض الأمثال وجهها زعماء حلف بني هلال للجنرال ذياب لنصحه وإرشاده، وهذا كما جاء في الرواية: "يا ذياب... العين ما تعلقو فوق الحاجب..."⁵؛ وكذلك في محاولة منهم لتوقيف تمرده وبطشه؛ "يا ذياب... لا تكن يابسا فتتكسر..."⁶، كما تجلت الأمثال في خطاب الجازية الموجّه للجنرال (ذياب)؛ إذ تقول: "يا حضرة الجنرال: "اللي فاتوا الطعام يقول شبع... واللي فاتوا لكلام يقول سمعت... والي فاتوا وقتو ما يطمع في وقت الناس"⁷، أمّا في

¹ - محمد بن عبد الله المشهورى، التداولية السردية في خطاب الأقصوة النسائية، ص 469

² - رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 21

³ - المصدر نفسه، ص 102

⁴ - رواية (حضرة الجنرال)، ص 160

⁵ - المصدر نفسه، ص 136

⁶ - المصدر نفسه، ص 102

⁷ - المصدر نفسه، ص 215

رواية (زعيم الأقلية الساحقة) فقد اعتمد السارد توظيف بعض الأمثال، كما في قوله: "اشتهر ونم"¹، وقد ارتبطت هذا بأساليب الحكم التي تعتمد على استبداد واستغلال الرعية.

5/2/1/2/4. الأسطورة: كذلك ترتبط الأسطورة بالاستراتيجية التلميحية من خلال ما تصوره من تعابير مضمرة بعيدة عن المعقول، والأسطورة بشكل عام هي "الأباطيل والأحاديث التي لا نظام لها"²، والتي تكون استجابة لدوافع ومقاصد خطابية، والأسطورة "هي وليدة التخيل لكن مع ذلك لا تخلو من منطق معين"³، وقد استعان السارد في رواية زعيم الأقلية الساحقة على مجموعة من أقوال وخطابات ذات طابع أسطوري منحت للخطاب أبعادا ومعان عميقة ومقاصد خفية، ارتبطت بالتلميح لعالم متخيل يعكس الواقع؛ إذ يقول: "أصبحت قامتي الآن كقامات الأطلسة الذين يصفهم هيرودوت بأنهم يصطادون السمك بأيديهم من أعماق البحر ويشوونه مباشرة على الشمس..."⁴، أراد ملك الجزائر في هذا القول التعبير بشكل أعمق عن سلطته وقوته، وقد كان ذلك بشكل مجازي مبالغ فيه، كما حضرت الأسطورة كذلك في رواية (حضرة الجنرال)، وقد عبرت عن مقاصد خفية لتحقيق مقاصد خطابية يرمى إليها السارد، وقد ارتبطت هذه المقاصد في بعض المواقف بخوف الزعيم من أهل العلم ورفض كل جديد، والذي من شأنه أن يعصف بحكمه ويقضي على سيفه وفروسيته، ويغير مكانته ومصيره ومصير (الإمبراطوريه)؛ إذ يقول: "كانت الرصاصة هدية من أحمد بن قاسم الحجري "أوفقاي" العالم الأندلسي الغريب الأطوار الذي جاءني حافي القدمين من القرن السادس عشر بمشروعه الغريب لتطوير صناعة البارود والمدافع والسفن الحربية والتجارية... فرفضه دون مناقشة أو خوض في حيثياته وتفصيله واستشرافه"⁵، وفي مواقف أخرى كذلك عبر الجنرال (ذيابي الزغبى) عن فروسيته وقوته بشكل مبالغ فيه معتمدا على الخرافة، فيقول: "حاربت مع قورش الكبير...وقدت أحد فيالق الإسكندر المقدومي...شاركت مع حنبل في الحرب البونيقية الثانية...غزوت مع يوليوس...خضت حروب الردة...خضت مع

1- رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص24

2- محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، ط2، لبنان(بيروت):1999، دار الكتب العلمية، ص91.

3- نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب السعبي، ط1، القاهرة: د. ت، دار النهضة للطباعة والنشر، ص09

4- رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص177

5- رواية (حضرة الجنرال)، ص08

جانكيز خان حرب القوقاز...فتحت مع محمد الفاتح القسطنطينية...حاربت مع نابوليون...شاركت مع جورج واشنطن...شاركت في قادية صدام ضد ايران...وحارب...¹ وهذا ليبرر تعبته من الحروب، وحاجته للراحة بالاستيلاء على عرش (الامبراطورية).

6/2/1/2/4.النبر: يستطيع التتبير (Accentuation) أن ينفذ الاستراتيجية التلميحية، فإعطاء الكلمة نبرة عند نطقها، تميّزها عن غيرها من سائر الكلمات في جملة ما، ويكثر هذا وقت رغبة المرسل في تكسية تلفظه غاية يرمي إليها، بواسطة خفض الصوت مثلا أو نقيضه...² وهذه الآلية لها تأثير فاعل في التلميح، إذ يستدعي هذا على المتلفظ المشارك البحث عن المعنى الخفي وتأويله" والخطاب السردى ليس مرثيا، فالراوي أو الشخصية يستعينان بالوصف"³، وقد برزت هذه الآلية في نماذج النصوص، إذ اكتسى التلفظ في بعض المواقف التواصلية من رواية "زعيم الأقلية الساحقة على مستوى تحاورات الملك مع خصومه ورجاله، بغايات تخاطبية خفية، وقد برز النبر في وصف الملك لخطابه الموجه إلى خصومه فيقول: "غرزت عيني في عينها وأضفت بهدوء قاتل: أما أنا فأريد الزواج بعبول البرلمان"⁴ فقد حاول الملك في هذه المواضع إبراز كيد، وألمح إلى ما ستكون مصلحته، كما تجسّد ذلك من خلال خفض الصوت. ويعتبر استعمال النبر في بعض المواقف استعمالا مخصوصا إلى الحد الذي يصعب فيه على القارئ تأويله كالهمس والصوت الخفيف ونقيضه...⁵ ففي مواف أخرى من رواية "زعيم الأقلية الساحقة" يرتفع صوت خادم ووزير الملك كما وصف ذلك السارد الذي هو نفسه الملك، تلميحاً إلى الطاعة والولاء وحسن تأدية الواجب، كما يمكن أن يرتبط الأمر كذلك بمحاولة السخرية وفضح أعمال الخصوم؛ إذ يقول الملك: "إني لا أجد أي سعادة حين يخبرني وزيرى بصوت عال في اجتماع رسمي...: ذنوبه فقط يا جلالة الملك...أقسم أنّ ملابسه كانت نظيفة..."⁶ وفي اتجاه معاكس يرتفع صوت خصم الملك

¹- رواية (حضرة الجنرال)، ص 51

²- محمد بن عبد الله المشهورى، التداولية السردية في خطاب الأقصوة النسائية، ص 478

³-المرجع نفسه، ص 487

⁴- رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 71

⁵-ينظر: محمد بن عبد الله المشهورى، التداولية السردية في خطاب الأقصوة النسائية، ص 478

⁶- رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 79

تلميحا للضعف والرجاء والخوف وهذا كما وصف الملك خطاب خصمه: "راح يصرخ ورأي حين عرف أنه يفقد مبلغا عاليا بفوائد عالية...: خمسة عشر يا جلالة الملك عشرون بالمئة... خمسة و..."¹، وفي رواية (حضرة الجنرال) اعتمد السارد على النبر ليعبر عن معانٍ ضمنية، وهذا كما ظهر في الرواية في وصف الجنرال لقول شخصية سردية: "قال ميكى ماوس متلهفاً: هل نحن في هذا اليوم المبارك؟"² وقد ارتبط هذا اليوم هنا باليوم الذي سمح فيه الجنرال للرعية بحرية الرأي وحرية التعبير وقد كان ذلك لمصالح الملك الدبلوماسية، وكلمة (متلهفاً) التي جاءت هنا في وصف قول هذه الشخصية تضمنت دلالات ومعانٍ ضمنية؛ فقد عبرت الكلمة عن درجة السرور الذي أحست به من خلال السماح لها في ممارسة حقوقها؛ وإشارة لعدم صبرها أكثر وهو ما يعكس الاضطهاد الذي مارسه الملك في حق رعيته؛ إذن يعكس النبر الحالة النفسية التي توصف بها الشخصية، كما تجلى النبر كذلك في موقف سردي آخر يعبر عن دلالات ضمنية وهذا كما ظهر في الرواية: "غيرت نبرة صوتي وواصلت حوارى... ولكن في ظل سياسة الانفتاح الجديدة التي ينتهجها حاكم الامبراطورية..."³ وجاء النبر هنا ليحمل دلالة الاحتيال.

7/2/1/2/4.التناص: يمكن للتناص-ولاسيما أنه من الظواهر الفنية-أن ينفذ الاستراتيجية التلميحية، لما يحمله من معانٍ قد تغيب عن المرسل إليه، أو لا يحسن الاستدلال بها على مقصود المرسل⁴، فكثيرا ما يحضر التناص في الخطاب ليدل على معانٍ ضمنية. وشكل التناص بعدا تواصليا مهما لما يحمله من مقاصد ضمنية؛ إذ "إنّ التداولية تمدّنا بتعليل جديد لمفهوم التناص الذي فكرته بقيت في مجرد تأثر النصوص ببعضها، وتناسلها من بعض. إنّه الآن يدخل ضمن القيمة في العملية التواصلية، القيمة التي يعوّل عليها بين المتخاطبين، فهما وكفاية وتأويلا"⁵.

وقد تجلت هذه الآلية في الخطاب السردى، خاصة في رواية (حرب الفتوى) لتقوم بالتلميح الدال على الهول والفوضى والدمار والخسران، وذلك عندما تسيطر الأحزاب الإسلامية على شؤون البلاد

¹- رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص105

²-رواية (حضرة الجنرال)، ص191

³- المصدر نفسه، ص193.

⁴- محمد بن عبد الله المشهورى، التداولية السردية في خطاب الأفضوصة النسائية، ص472

⁵- المرجع نفسه، ص473

والعباد وتتسبب في الفساد، وهذا كما ورد في قول الكاتب: "...تكثر الفتاوى... تلك هي الطامة الكبرى التي ستصيب البلاد والعباد..." وهذا تناس مع القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿فإذا جاءت الطامة الكبرى﴾ [النازعات، الآية 34] لتدل في الآية على يوم القيامة، وأعظم واقعة.

2/2/4. الأفعال الكلامية غير المباشرة: إضافة إلى ما جسده المضمرة وأدواته اللغوية المستعملة في الخطاب السردي الروائي للتعبير عن الاستراتيجية التلميحية، والتي عبرت عن مقاصد الخطاب المضمرة، فإنّ الأفعال الكلامية غير المباشرة كذلك تعد ضمن هذا الإطار؛ إذ يغدو استعمال الأفعال الكلامية غير المباشرة في الخطاب الروائي كذلك بابا من أبواب التلميح؛ فالمؤلف كثيرا ما يستعين على الأفعال الكلامية غير المباشرة لأداء مقاصده التواصلية، والخطاب السردى الروائي بما يحمله من ملفوظات وأفعال كلامية مباشرة أو غير مباشرة لا يبنى إلا بما يحقق أهداف ومقاصد المتكلم، "فأفعال الكلام بما تحمله من قوة إنجازية في الخطاب السردى، لا تتخذ خطوة المباشرة من عدمها إلا بما يتناسب والسياق المفضي إلى معنى يراد، أو استراتيجية تبنى؛ وصولا إلى القصد¹، ومن تجليات أفعال الكلام غير المباشرة نذكر:

1/2/2/4. الاستفهام: لقد استحوذ الاستفهام في نماذج النصوص الروائية على هذا النوع من الخطاب (الفعل الكلامي غير المباشر) والذي ينحرف عن مساره الأصلي من مباشر إلى غير مباشر يفهم من سياق النص وملابساته الخارجية، فالاستفهام لفظ واحد ويدخله معان أخر... ولا دليل على المعنى المراد إلاّ الأمور الخارجية، وعمادها مقتضيات الأحوال²

1/1/2/2/4. الاستفهام والحجاج: استعان الكاتب في رواية "حرب الفتوى" بالأفعال الكلامية غير المباشرة، وذلك من خلال ما عبر عنه من مقاصد وما عبرت عنه الشخصيات المحورية في الرواية على مستوى التحوارات السردية التي جسدت مواقفهم وانفعالاتهم إزاء القضية الأساس في الرواية المرتبطة بالجماعات الإسلامية ومن ضمن الأفعال الكلامية غير المباشرة نجد الاستفهام الذي أدى في بعض المواقف وظيفته الحجاج الخطابى، ومن ذلك ما ورد في الرواية: "أيها

¹ - محمد بن عبد الله المشهورى، التداولية السردية في خطاب الأفضوصة النسائية، ص 259

² - ينظر: عيد بلبع، السياق وتوجيه دلالة النص، مصر، 2007: المكتبة الأزهرية للتراث، ص 192

الانسان...كيف تحاسب الناس وأنت منهم؟¹؛ "هل الدين مع الموت، أم مع الحياة...؟"²؛ "فإن كان الدين الواحد لا يوحدكم ولا يسبغ عليكم لونه الواحد، فكيف نصدقكم وكيف نطمئن لكم"³ وقد ساهمت هذه الأقوال في تبيان الفكر الفاسد الذي جاءت به الجماعات الإسلامية.

2/1/2/2/4. الاستفهام والاستنكار: لقد أدى الاستفهام في مواقف أخرى في رواية (حرب الفتوى) ووظيفة الاستنكار، مثل قول السارد: "من يفتي لمن... من يجرأ على الفتوى في الدماء"⁴؛ "وهذا الناس ماشي مؤمنين؟"⁵؛ "وديننا يخليك تقتل الناس؟"⁶، اتضح هنا موقف الكاتب جليا من خلال ما جسده من استنكار وحسرة على ما اتبعته هذه الجماعات من انحراف وتضليل وفساد. كذلك تجلى الاستنكار في رواية (حضرة الجنرال) في ما عبرت عنه الشخصيات السردية من موافق إزاء الجنرال ذياب الزغبى كما في قوله: "أي قلب حقود شرير تحمل بين أضلاعك يا صديقي العزيز؟"⁷ أي جرم ارتكبت في حق حكيم الهالبيين؟"⁸، وهذا استنكار لخيانة الجنرال لأصدقائه وغدره بهم.

3/1/2/2/4. الاستفهام والتوجيه: لقد أدى الاستفهام في بعض المواقف التواصلية ووظيفة التوجيه حيث حاول السارد في رواية (حرب الفتوى) توجيه المواطن الجزائري، وهذا تجلى في قوله: "لماذا لا تقوم لنا قائمة عامرة مليئة بالأفكار والابداع والاختراع؟"⁹، وفي قوله: "ما بال هذه الأمة... ما باننا نقعد جالسين دون حدث ولا همّة...؟"¹⁰، وهنا جسّد دعوته للإصلاح والتغيير، فحين يعبر الكاتب عن واقعه الاجتماعي والسياسي وأزماته، يقدم في الوقت ذاته رؤية مستنيرة له¹¹ ونظرة تفاؤلية تجسّد طموحه للإصلاح والتغيير.

¹ - رواية (حرب الفتوى)، ص 146

² - المصدر نفسه، ص 278

³ - المصدر نفسه، ص 347

⁴ - المصدر نفسه، ص 212

⁵ - المصدر نفسه، ص 141

⁶ - المصدر نفسه، ص 273

⁷ - رواية (حضرة الجنرال)، ص 168

⁸ - المصدر نفسه، ص 167

⁹ - رواية (حرب الفتوى)، ص 340

¹⁰ - المصدر نفسه، ص 339

¹¹ - طه الوادي، الرواية السياسية، ص 14.

4/1/2/2/4. الاستفهام والسخرية: ومن أغراض الاستفهام التي تجلت في نماذج النصوص السخرية والتي لها أثرٌ مميزٌ في الخطاب الروائي نظرا لطبيعة أسلوبه الحيوي، وذلك من خلال ما عبّرت عنه الشخصيات السردية، ففي رواية (حضرة الجنرال) تجلّى الخطاب الساخر في ما عبّر عنه الجنرال ذياب الزغبى إزاء شعبه الجبان في قوله: يا للأسف أين المعارضة لأستمر في الحكم... أين الشاتمون... أين الشياتون؟ نريد أرانب للسباق؟ هل تريدون مني أن أستورد معارضتي أيضا مثلما أستورد الفول والعدس والسباغيتي والأرز والزبدة والجبن والشعير والكاكاو¹؟ وفي قوله: "كيف لهذا الشعب أن لا يكرهني ولا يملني، وأنا كرهته ومللته، وأتوق إلى حكم شعب آخر أكثر نشاطا وفعالية ومبادرة..."²، وفي نفس الإطار اعتمد ملك الجزائر في رواية (زعيم الأقلية الساحقة) على الاستفهام الساخر محاولا إبراز غروره وتعجرفه وموقفه إزاء شعبه، كما حاول تبيان مختلف أفكاره المرتبطة بحبه للمال، وهذا كما تجلّى في قوله: "ماذا يفعل الملوك بحب شعوبهم... هل تزيين كتب التاريخ³؟ لماذا نتعلّم ونتذاكى إذا كنا نعلم عن إيجاد طريق المال، أو حتى اختراعه من ترهات الكتب التي أدمت عيوننا قراءة وتمارين⁴؟"، أما في رواية "حرب الفتوى" فلقد تجلت كذلك السخرية في ما عبّرت عنه شخصيات الرواية كما ورد في قول الشرطي شاطر في خطاب موجه للهادي: "...وحنا رانا نحكموكم بقانون بوذا⁵، وهنا في محاولة لتغيير موقف الهادي الذي مثّل (الجماعات الإرهابية) من خلال تفاوض حجاجي ساخر.

4/1/2/2/4. الإستفهام والنفي: ومن أغراض الاستفهام التي تجلت في نماذج النصوص هو النفي؛ ففي رواية (حرب الفتوى) حاول الكاتب استنكار الفكر المنحرف الذي اتخذته الأحزاب الإسلامية ومحاولة رفضه وصدّه؛ ومن ذلك قوله "هل الدين في الموت... في القتل فقط؟"⁶، وقد اعتمد في هذا القول على الأداة "هل" والتي من خصائصها أنها تستعمل للنفي⁷، كما وظّف السارد

¹ -رواية (حضرة الجنرال)، ص 183

² - المصدر نفسه، ص 180

³ - رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 81

⁴ - المصدر نفسه، ص 64

⁵ - رواية (حرب الفتوى)، ص 88

⁶ - المصدر نفسه، ص 212

⁷ - طاهر قطبي، الاستفهام بين النحو والبلاغة، ط1، القاهرة: 2007، مركز الحضارة العربية، ص 65

في رواية (زعيم الأقلية الساحقة) كذلك أفعال كلامية غير مباشرة حملت دلالة النفي، مثل قوله: "من قال أن بطون الخزائن تشعر بالشبع؟"¹، فقد عبّر هنا السارد عن قناعاته ورؤيته إزاء واقعه محاولاً كشف أسراره وخباياه.

6/1/2/2/4. الإستفهام والإثبات: كثيراً ما يفيد الاستفهام دلالة التأكيد والإثبات، و"دلالة التأكيد التي يفيدها الاستفهام، لا تأتي من فراغ، بل من البنية الاستعمالية للقول، أو باصطلاح "طه عبد الرحمن" البنية التداولية للقول، ذلك أنّ دلالة العبارة هي استلزام القول للمعنى المقصود من سياقه"². وقد كان الإثبات من أهم المعاني الضمنية التي حملتها الأفعال الكلامية غير المباشرة (الاستفهام)، كما أدى دوراً مهماً في التأثير الخطابى.

حاول الكاتب في رواية (حرب الفتوى) تصحيح المفاهيم والأفكار الخاطئة، مخاطباً الجماعات الإسلامية مثل قوله: "ألم يكن الدين مع النفس الواحدة، كأن يفنى العالم كله، ولا تزهر روح واحدة...؟"³، وقد استعان هنا بالاستفهام والذي تضمن دلالة الإثبات والتأكيد. كذلك تجلّى الاستفهام في رواية (زعيم الأقلية الساحقة) خاصة في ما عبّر عنه الملك من قناعات اتجاه الحكم والسلطة؛ إذ يقول: أليست كتب التاريخ في نهاية الأمر هي التي علمتنا أن أغلبية الملوك تفترسهم ضحكاتهم وليس خصومهم؟⁴، عبّر هنا الملك في خطاب ساخر عن مختلف أفكاره ومواقفه المرتبطة بأساليب وركائز الحكم و هذا في توجيهه لحكام المستقبل.

2/2/2/4. النداء: ومن الأفعال الكلامية غير المباشرة التي تضمنت معانٍ ومقاصد وأبعاداً تداوليةً ضمنية، وجسّدت الاستراتيجية التلميحية، النداء، فبالإضافة إلى الاستفهام الذي تجلّى كثيراً في نماذج النصوص، نجد النداء الذي نلمس تجليته هو الآخر في مدونة النصوص، والذي عبّر عن معانٍ خفية حدّدها ملابسات سياقية في إطار مواقف تواصلية سردية مختلفة.

عبّر النداء في رواية (حضرة الجنرال) عن معانٍ غير مباشرة، ارتبطت بنفسية الجنرال المتعبة والمضطربة؛ إذ يقول الجنرال ذياب في خطاب له مع ذاته: "أيّها البطل المغوار، وملك الملوك..."

¹ - رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 24

² - نور الدين أجييط، تداوليات الخطاب السياسي، ط1، الأردن، 2012، عالم الكتب الحديث، ص 166.

³ - رواية (حرب الفتوى)، ص 278

⁴ - رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 166

يا كبدي انتهى زمنك...¹؛ وكذلك" يا حضرة الجنرال نياب...أه يا الزغبى...يا كبدي...هذا ما زرعت يدك... أيها الفارس المعمر، تحصد اليوم جراحا وحقدا وانتقاما على أيدي هؤلاء الفتية" الثوارجية" البواسل...²، لقد تضمّن النداء في هذه الأقوال معانٍ امتزجت بين المدح والحسرة، بين ما كان عليه وما آل إليه، وكذلك تجسّد النداء في ما عبّر عنه من حسرة اتجاه الجازية والتي مثّلت عشقه الوحيد، كما مثّلت كذلك الاتجاه المعارض له، فيقول: "آه يا الجازية...يا خيبي الكبرى...³؛ أما في رواية "حرب الفتوى" تضمن النداء في مواقف تواصلية سردية معانٍ غير مباشرة ارتبطت في الرواية بالحدث الروائي الأساس والمتعلّق بحرب أكتوبر، يقول السارد في الرواية: "...يا أيتها الثورة لما جئت...يا أيتها الثورة بما جئت...يا أيتها الثورة كيف جئت... يا أيتها الثورة لبتك ما جئت...⁴، وقد جاء النداء هنا ليحمل ويدل على معنى الحسرة على كل ما تسببت به الثورة من خراب واضطراب، أمّا بالنسبة لرواية (زعيم الأقلية الساحقة)، فقد وظف السارد كذلك النداء ليدل على السخرية التي ارتبطت بالغرض العام للرواية؛ إذ يقول الملك في خطاب له لرعيته: "أيها الناس...أنا ذاهب بعد قليل...ربّما بعد جيل أو جيلين سأذهب...⁵ وقد اتّضح من هذا القول الساخر شدّة تعلق الملك بالسلطة والحكم، كما عكس كذلك صورة شخصيته العابثة والمستبدة.

3/2/2/4.الأمر: لقد جسد الأمر كذلك الفعل الكلامي غير المباشر، إذ جاء الأمر في الخطاب السردى الروائي ليعبر عن معانٍ أخرى غير المعنى الذي يحمله في شكله المباشر، حيث ارتبط بمعانٍ أخرى تتناسب مع مقاصد الخطاب، يقول السارد في خطاب موجه لرعيته: "تعالوا إلي يا شعبي العزيز...سأمنحكم فرصة أخيرة لرؤيتي عن قرب...⁶؛ "سأترك كرسي الملك في الساحة العامة وعليه يدي...فإذا ما اختلفتم وتعاركتم حول تفاهاتكم اليومية كالعادة تقاضوا عندها

¹ - رواية (حضرة الجنرال)، ص16

² - المصدر نفسه، ص25

³ - المصدر نفسه، ص218

⁴ - رواية (حرب الفتوى)، ص94

⁵ - رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص187

⁶ - المصدر نفسه، ص187

وارضوا بحكمها إلى أن يجيئكم ذات يوم فاسد مثلي فيلبسها ويبدأ في ضربكم على مؤخراتكم السمينية...¹، ففي هذه الأقوال حمل الأمر دلالة أخرى وهي السخرية، وقد ارتبط ذلك بالسياق السردي للرواية الذي أسهم في بناء مقاصد الخطاب، وفي رواية (حضرة الجنرال) كذلك جسّد الأمر في وضعيات ومواقف سردية مقاصد غير مباشرة للسخرية؛ إذ يقول الجنرال في خطاب موجه لحارس البوابة: "...ها أنت مقبل على عهد جديد يا خضير... افسحوا الطريق للفارس الجديد..."²؛ فقد عبّر الأمر في هذا القول على مقاصد ضمنية ارتبطت بالسخرية.

3/2/4. الإستلزام التخاطبي في التحاورات السردية: إنّ ما يميّز به الخطاب الروائي السردى وجود عنصر الحوار والمحادثة، والذي يتجسّد في المحادثات الكلامية للشخصيات الروائية على مستوى الأحداث، فعنصر الحوار يلعب دورا مهما وبارزا في بناء أحداث الرواية، وخلق جوّ التواصل والتفاعل بين شخصياتها، وعلى هذا الأساس فإنّ الروائي يخلق محادثات محكمة ومناسبة لبناء نصّه، بحيث تسهم هذه المحادثات في بناء العمل السردى ككل، ووصوله لأغراضه وأهدافه وعليه يستعمل الكاتب آليات مناسبة لهذه المحادثات، فأحيانا يلتزم الكاتب بقواعد التخاطب؛ وأحيانا أخرى يعمد الكاتب إلى خرق هذه القواعد في المحادثات، وهذا لأجل غاية خطابية يرمي إليها وقصد يبتغيه، يجعله ينحرف عن استعمال الخطاب العادي في سياقه الطبيعي لينتقل إلى ما يعرف بالاستلزام الحوارى لبناء المقصد العام للمرسلات الكلامية.

ويندرج الاستلزام الحوارى كذلك ضمن الخطاب الضمنى، ويتجسّد هذا النوع من الخطاب من خلال خرق لقواعد التعاون "فبمجرد خرق قواعد التعاون الحوارى ننتقل إلى الاستلزام الحوارى الذي يجد المتلفظ نفسه في جانبها؛ لغاية يرمي إليها، وقصد يبتغيه. وهذا يجعل المتلفظ المشارك يلاحقه في سياقات الخطاب لاقتناص المعنى المراد من الحالة الخطابية التي اختارت الانحراف عن السياق الطبيعي"³، وفي نماذج النصوص الروائية السردية تجلت الإستلزمات التخاطبية بشكل بارز، وهذا من طبيعة الخطاب السردى الذي يعتمد على استعمال الاستلزام الحوارى أكثر من

¹ - رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 19

² - رواية (حضرة الجنرال)، ص 57

³ - محمد بن عبد الله المشهورى، التداولية السردية في خطاب الأصوصة النسائية، ص 264

الالتزام بمبدأ التعاون، "فأدبية الخطاب السردى تنجح في الغالب إلى الاستلزام الحوارى أكثر من الالتزام بمبدأ التعاون لما في لغته من استعارات و مجازات، إضافة إلى الاستراتيجية التلميحية"¹ وقد اتضح أثر خرق قواعد المحادثة التي تجسدت على أسنة الشخصيات المتحاورة في المواقف التواصلية السردية، إذ تضمنت رواية (حرب الفتوى) جملة من الإستلزمات الحوارية والتي ظهرت على مستوى التحوارات والتفاعلات السردية بين أطراف الخطاب الأساسيين، إذ لم تراع الشخصيات السردية في الرواية قواعد المحادثة والتخاطب، خاصة مع ما تجلى في حوار الهادي مع والده وصديقه شاطر:

- يا بني اتق الله...فهيا معي إلى البيت...

هؤلاء أصحابي...وهذه عقيدتي...أنا أعيش لديني وعقيدتي...²

وفي حوار آخر:

- يا بني عد إلى البيت

- يا أبى هذا واجبي الديني والدعوي...³

وفي حوار الهادي مع صديقة الشرطي (شاطر):

- أنتم أعوان الظلمة

- يا راجل ما تظلمش غيرك...

- هذه هي الحقيقة

- أنا خوك وهذه الدولة أمك...

أنا دولتي وطن الإسلام الكبير...⁴

إنّ المتأمل في أجوبة الهادي وفي ملفوظاته الخطابية يدرك أن الهادي رفض بشدة طلب وتوجيهات ونصائح وطلب والده، وكذلك صديقه شاطر، وقد عبر الهادي عن هذا الرفض بطريقة ضمنية غير مباشرة متجاوزا في ذلك قواعد التخاطب؛ إذ سقط الكم وغابت الملاءمة، فقد تجاوزت أجوبة الهادي وإفاداته القدر المطلوب كما لم تتناسب أجوبته الطلب المأمول والمتمثل في العودة مع

¹- محمد بن عبد الله المشهورى، التداولية السردية في خطاب الأفضوصة النسائية، ص265

²- رواية (حرب الفتوى)، ص135

³- المصدر نفسه، ص134

⁴- المصدر نفسه، ص 105

والده للبيت وعلى هذا الأساس فإن الاستلزام يوّد دلالات يتوجّب على المخاطب استنتاجها من السياق لكونها غير ظاهرة¹؛ أي لا بدّ للمتلقّي أن يبني استدلالاً محكماً لفهم الملفوظات داخل سياق كلامي معيّن والوصول للمعنى المستلزم؛ أمّا في رواية "حضرة الجنرال"، نجد أنّ الكاتب اعتمد أحياناً على الخطاب المباشر، وهذا في بعض المواقف الخطابية، وهذا على مستوى الحوارات السردية، وفي مواقف أخرى اعتمد الكاتب الأسلوب الضمني والاستلزام الحوارية وهذا بتجاوز شخصيات الرواية لمبدأ التعاون وقواعده الخطابية، ويمكننا توضيح تجليات الاستلزام التخاطبي في الرواية من الحوارات الآتية:

- "... هذا كتابها موقع بختمها، أرسلته إليّ وفيه ما يسيء إلى مقامك ويشوه طموحك السياسي... فأرجو أن تسرحها بمعروف..."

- المرأة التي تخون أباه لا خير فيها...²

- يا ابن سرحان... إن تكبرك جعلك تتناول وتخطئ في حق الجنرال نياض فارس الفرسان، قاهر الزناتي خليفة... لولا قتلي الزناتي لكنتم الآن في خبر كان ورؤوسكن تعبت بها الغربان.

- أنا ابن هذا الحلف وقد وصلت إلى ما وصلت إليه بفضل مواهبي وكفاءاتي...³

إن من خصائص هذه الحوارات بشكل عام خرق شخصيات الرواية قواعد المحادثة؛ إذ يظهر الخرق جلياً في أجوبتها من خلال عدم التزامها بقاعدة الكم وكذا قاعدة الملاءمة، وقد ظهر هذا في مرحلة تقدم السرد بعد تمرّد الجنرال نياض على زعماء بني هلال وإظهار طموحه السياسي. وفي رواية (زعيم الأقلية الساحقة) جنح الكاتب في الغالب إلى الاستلزام الحوارية أكثر من الالتزام بمبدأ التعاون، وهذا ما يجعل المتلقّف المشارك، أو القارئ يحاول التتبع باستمرار لاستنتاج المعنى اعتماداً على سياق الخطاب، أمّ اعتماد الكاتب على الاستلزام التخاطبي وأشكال الضمني بشكل عام يسهم في جعل الخطاب أكثر نجاعة وأكثر تأثيراً، كما تحقّق أدبية الخطاب. وقد اتّضح أثر خرق قواعد المحادثة على مستوى الشخصيات السردية في الرواية، وكان ذلك بين حوارات ملك الجزائر وخصومه وكذلك بين خادميه، ومن ذلك الحوار الآتي:

¹ - محمد بن عبد الله المشهور، التداولية السردية في خطاب الأفضوصة النسائية، ص 265.

² - رواية (حضرة الجنرال)، ص 79

³ - المصدر نفسه، ص 94

- "هل تتزوجني... أنا على استعداد لركله من أجلك؟"

- أما أنا فأريد الزواج بعبدول البرلمان...¹

يتضح في جواب الملك خرق لمبدأ التعاون، من خلال تجاوز الملك لقاعدة الملاءمة، فلم يتم الجواب عن سؤال الخصم بشكل مباشر، وعلى هذا الأساس يتضمن الاستلزام دلالات ومعان ضمنية غير ظاهرة وأبعاد تداولية يتوجب على المخاطب استنتاجها عن طريق الاستدلال الذي يرتبط بأوليات منطقية تمكننا من استنباط المعاني المسكوت عنها انطلاقاً من المحتوى الحرفي للملفوظ²، وترتبط هذه المعاني في هذا الحوار بطموح ومصالح أخرى رسمها الملك، والتي سيحققها من خلال زواجه بعشيقة الخصم (عبدول البرلمان) للوصول إليه.

وكذلك اتضح الاستلزام الحوارية من خلال خرق الخصم لقاعدة الكم، فلقد أطل الحديث بما لا فائدة منه، ولم يلتزم بمقدار الجواب المناسب للسؤال المطلوب، بشكل مباشر.

- "...أربعون... اتفقنا؟"

- أنت تعرف يا جلالة الملك أن الزمن صعب والمال الكثير قليل...و...و...³

وكذلك اتضح خرق لقاعدة الملاءمة، في حوار ملك الجزائر مع خادمه فلقد أفاد الخادم بمعلومات أخرى إضافية غير المعلومات التي تضمنها وطلبها السؤال، في قوله:

- "كم أصبح رصيدها حالياً؟"

- يمكن أن تصبح دافعة ضرائب جيدة...⁴

تضمن الخطاب السردي في نماذج النصوص على مستوى التحوارات السردية سياقات خطابية انخرقت عن السياقات الطبيعية للخطاب، جسّد ذلك ظاهرة الاستلزام التخاطبي، والذي يُبنى على نقض قواعد التخاطب، ولقد جسّدت هذه الظاهرة التلميح التخاطبي، باعتباره يتضمن دلالات غير ظاهرة تستنتج من السياق.

وكخلاصة عامة لهذا المبحث الذي اختص بدراسة "استراتيجيات الخطاب" نقول إنّ أهم عمليات وآليات إنتاج الخطاب الرئاسي السياسي التي مثلته الرواية السياسية الجزائرية من خلال نماذج

¹- رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص70

²- حسن بدوح، المحاورّة: مقارنة تداولية، الأردن: 2012، عالم الكتب الحديث، ص151

³- رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص105

⁴- المصدر نفسه، ص132

النصوص المدروسة مبنية على تنوع في الاستراتيجيات والآليات الخطابية التي أسهمت في بناء هذا النمط الروائي الذي أدى إلى تحقيق أغراضها ومقاصدها الخطابية، وقد شكلت السخرية والخطاب الضمني من خلال مجموع الأفعال الكلامية غير المباشرة وتنوع الآليات السردية البلاغية أهم الاستراتيجيات والآليات البارزة في تنفيذ الخطاب الروائي؛ حيث أظهرت مقدار ارتباطهما بالخطاب السياسي الذي سعى للكشف عن الواقع من أبرز جوانبه ونقصد الجانبين: السياسي، والاجتماعي بإبراز مختلف مفارقات وتناقضات المجتمع.

كما أدى الحجاج كذلك دورا هاما في بناء الرواية السياسية الجزائرية من خلال التعبير عن مختلف الآراء والأفكار ومحاولة إثباتها، وقد جاء الحجاج بشكل امتزجت فيه السخرية والجد في مواقف خطابية.

أما بالنسبة للتوجيه فقد أسهم هو الآخر في بناء الرواية السياسية الجزائرية وفي تحقيق غايات تواصلية سردية بارتباط مع الاستراتيجيات والآليات الخطابية الأخرى، كما كشف عن مختلف العلاقات الخطابية بين الشخصيات القصصية.

الفصل الثالث

التلفظ في الرواية السياسية وأناوية الخطاب

- تمهيد

-المبحث الأول: الموقف التلفظي ومرجعية الخطاب الروائي

1. نظام التلفظ السردى

2. الإشارات المقامية:

1/2. الإشارات الشخصية

2/2. الإشارات الزمانية

3/2. الإشارات المكانية

-المبحث الثاني: ذاتية المتلفظ في الرواية السياسية

1. مستويات التلفظ التداولية في السرد

2. "الأنا" المتكلمة في الخطاب

3. العلاقات التلفظية التخاطبية بين الذات السردية.

تمهيد:

اهتمت التداولية اهتماما كبيرا بعملية التلفظ ومعطياتها، فقد "أولت اللسانيات التداولية أهمية كبيرة للإحالة والوظيفة المرجعية، لأنها تربط المرسل والمرسل إليه بالسياق المرجعي والواقع الاجتماعي والزمني والمكاني"¹ وتحدده، فالتداولية تهتم بتحديد المكونات الخطابية في مقامات استعمالية محددة، إذ تظهر أهمية التداولية كونها "تختص بتقصي كيفية تفاعل البنى والمكونات اللغوية مع عوامل السياق لغرض تفسير اللفظ"² وهذا ما يدخل في صميم النظرية التلفظية التي لا يمكن للتداولية الاستغناء عنها، والتي يمكن عدّها أهمّ مبحث من مباحثها أو إحدى نظرياتها فالدرس التداولي "لا يمكنه تجاوز نظرية التلفظ؛ لأمر أهمها، اشتراك فكرة التلفظ مع عموم قضايا الطرح التداولي، فكلاهما ينظران في آلية استعمال اللغة؛ لإنتاج مقاصد خطابية في سياقات متعددة؛ لإقامة علاقة تواصلية فاعلة المسير، قويّة الأثر"³

وقد انطلق مفهوم التلفظ مع مجهودات "بنفست" في كتابه "مسائل اللسانيات العامة"، عندما أخذ يربط بين الكلام والجملة كنشاط إنساني أو كإنتاج خاص بمتكلم خاص، لذا فهو فعل تحوّل اللغة إلى ملفوظ بواسطة متلفظ⁴ وعلى هذا يأتي الفصل بين التلفظ والملفوظ، فالملفوظ يحدد بحسب "غريماس" و"كورتاس" "Greimas et Courtes" على أنه "تتابع الجمل المحققة؛ أي كلّ ما يتلفظ به الإنسان منطوقا أو مكتوبا، يتحدد ضمن إنية من التلفظ عن طريق ضمائر الشخص وضمائر الملكية والصفات والظروف والمبهمات الزمانية والمكانية. أمّا التلفظ فهو العملية ذاتها لإنتاج الملفوظ، فيجب الفصل بين الفعل ونتيجة الفعل (الثاني نتيجة للأول)"⁵.

وبالعودة للخطاب الرّوائي ومحاولة ربطه بالتلفظ، يمكننا القول إنه لا يختلف عن أنواع الخطاب ومكوناته التلفظية؛ لأنه ضمن معطيات التلفظ من متلفظ وملفوظ وظروف إنتاج التلفظ كما يرتبط

¹- عبد الحكيم سحالية، تداولية أفعال الكلام في الخطاب الرّوائي لأحلام مستغامي، دراسة في عابر سرير ونسيان كوم ص 268

²- جورج يول، التداولية، ترجمة: قصي العتّابي، ط1، بيروت لبنان: 2010، الدار العربية للعلوم ناشرون، ص 13.

³- محمد بن عبد الله المشهوري، التداولية السردية في خطاب الأقصوصة النسائية، ص 239.

⁴- ينظر: المرجع نفسه، ص 239

⁵- حمو الحاج ذهبية، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص 18.

التلفظ في الخطاب بفاعلية تواصلية، وخصوصيات سردية ومقاصد خطابية "فالتلفظية بتأثير سردي تجعلنا أماما راو ومروي له، وشخصية وأخرى. وهذه المكونات تنتج خطابا لغويا في المقام الأول، يحتاج معها الفاحص إلى النظر في منتهجه/ متلفظه. وملفوظه محفوظا بظروف إنتاجه؛ فهو المرجع الذي يحال عليه المتلقي كي يتمكن من إدراك مادة القول. وتلك الفاعلية التواصلية تمثل العمود الفقري لعملية التلفظ بما يحقّه من مؤثرات، ودوافع قولية ساعية إلى انجاز مقصد وتأثير منجز"¹.

نسعى في هذا الفصل إلى تفسير عملية التلفظ في الخطاب الروائي السياسي، والبحث في بعض خصائصها وملامحها، والتأمل في حدودها، وارتباطها بالسياق، والبحث في علاقتها بالمتلفظين داخل الخطاب السردية، وسنركز هنا على مختلف الإشارات والإحالات المقامية والتي ترتبط بمرجعية الخطاب، والبحث في خصائصها داخل الملفوظ السردية التي تتجاوز حدود الوصف المقامي لترتبط بأبعاد تداولية مختلفة تتعدد بتعدد ملابسات وسياق الخطاب. والحديث عن التلفظ هو حديث عن المتلفظ الذي يتخذ في الخطاب مكانة مهمة، وهذا بالنظر إلى المكانة والتموقع الخطابية الذي يتخذه، وكذا الدواعي السياقية التي ينطلق منها الخطاب السياسي لتحقيق مقاصد خطابية مخصوصة، وهو ما سنجتهد للتفصيل فيه عبر مباحث الدراسة خاصة دراستنا للإشارات المقامية، وذاتية المتلفظ في الخطاب السردية.

¹ -محمد بن عبد الله المشهوري، التداولية السردية في خطاب الأقصوصة النسائية، ص240

المبحث الأول:

الموقف التلفظي ومرجعية الخطاب الروائي

تمهيد:

ترتبط مرجعية الخطاب في الرواية بفضاء النص الداخلي التخيلي لها، وهو الفضاء الذي تتحرك فيه الشخصيات والأحداث التخيلية التي تعبر عن سياق الخطاب، وهذا الفضاء يتجسد من خلال مجموعة من الاشارات والإحالات الشخصية والزمانية والمكانية التي تكمن أهميتها في منح الحدث الكلامي التخيلي تموقعا افتراضيا تخيليا محددًا كما تلبي مقاصد وأغراض تواصلية لمستعملها.

1. أنظمة التلفظ السردية:

إنّ البحث عن أنظمة التلفظ السردية أو أنماطها هو بحث عن كيفية إدراج الفعل التواصلية أو الخطاب داخل إجراءات السردية، وقد فرّق "اميل بنفنيست" في هذا الإطار بين نظامين للتلفظ هما: "الخطاب le discours، والحكي l'histoire ويتحدد هذان النظامين باعتبار محددات مقام التلفظ في الملفوظات، فحين تظهر هذه المحددات أو المبهمات les déictique، سنكون أمام ما يسمى بالخطاب، بينما حين تغيب هذه المحددات والمبهمات، فنحن أمام الحكي، وتنقسم المبهمات إلى مبهمات مكانية، ومبهمات زمنية، إضافة إلى الضمائر"¹

وبالحديث عن نصوص المدونة، فإنّ أهمّ ما يميّزها كظاهرة تخاطبية سردية بشكل عام هو التداخل بين النظامين من التلفظ، فأهم ما تتميز به النصوص السردية عموماً حول نظامها التلفظي المزج بين نظامي التلفظ²، وسنحاول في هذا الإطار البحث عن الخصائص الخطابية التلفظية التي ميّزت مدونة النصوص ومدى تأثير هذه الأنظمة على إجراءات السردية وعلى مضمون الخطاب.

¹ - محمود طلحة، تداولية الخطاب السردية، دراسة تحليلية في وحي القلم لرافعي، ص 82

² - المرجع نفسه، ص 83

1/1. رواية "حرب الفتوى":

إن أهم ميزة في ميّزت رواية "حرب الفتوى" هي طغيان الخطاب فيها على الحكي، وقد كان هذا من اختيارات الكاتب الذي حاول قدر المستطاع نقل وتصوير قصة تنتمي لمقام خطابي تلفظي مباشر، نقلت أحداثها السردية، وأفعالها الكلامية شخصيات الرواية الأساسيين من خلال التحوارات السردية، كما سعى الكاتب إلى تجسيد أحداث الرواية بشكل مباشر عبر شخصياتها، وهذا ما جعل محددات مقام التلفظ تظهر بشكل جلي وواضح في الرواية، ويمكننا توضيح هذه المحددات التلفظية عبر الحوار الذي جمع بين الشخصيتين المحوريتين في الرواية الهادي كطرف منتمي للجماعات الإسلامية، وشاطر كعون من أعوان الدولة:

- "واش جابك أنت لهننا..."

- مانيش عارف...كنت وافق على رأس الشارع لقيت روجي هنا...

- كامل خاطيكم...

- وأناوين عن بالي...كنت انشوف واش اصري كيما الناس كامل"¹

كما نجد كذلك السارد في الرواية لم يكن ساردا موضوعيا مكتفيا بالوظيفة السردية الحكائية فقط بل أدى وظيفة تواصلية تفاعلية متجلية وواضحة، وهذا ما جعل نظام الخطاب ومحددات التلفظ تظهر بشكل بارز في الرواية، وهذا توضحه هذه الأقوال الآتية التي برزت فيها محددات الخطاب والتي كشفت في الوقت ذاته عن ذاتية السارد وانتمائه من خلال قوله: "نحن مُركب واحد في مركب واحد، الجزائر الأم الحلوب الودود..."²؛ تجلت وظيفة السارد التفاعلية في ما لمسناه من انفعاله؛ إذ يقول في خطابه الموجه للجماعات الإسلامية: "فإذا كان الدين الواحد لا يوحدكم ولا يسبغ عليكم لونه الواحد، فكيف نصدقكم ونطمئن لكم..."³ وكذلك يقول: "أيتها الانسان...أيها الداعية...أيها المنقذ...أنقذ نفسك...من تنقذ؟ وكيف؟ وبما؟ ولما؟"⁴، كما اعتمد الكاتب في هذه

¹- رواية (حرب الفتوى)، ص 67

²- المصدر نفسه، ص 345

³- المصدر نفسه، ص 347

⁴- المصدر نفسه، ص 163

الرواية على نظام الحكي خاصة مع بداية القصة في محاولة التعريف بمقام أحداث القصة التخيلية عموماً.

2/1. رواية "حضرة الجنرال": لقد اعتمد الكاتب في الرواية على المزج بين النظامين التلفظيين فعند قراءة الرواية نلاحظ التداخل الواضح بين نظام الخطاب ونظام الحكي، وقد تجسّد هذا التداخل على مستويين:

1/2/1. المستوى الأول: الإطار والمقام التواصلية العام في الرواية، وهو مستوى يُمثّل القصة الأساسية التي ينقل لنا الراوي فيها الأحداث، ويمكن أن نحددها شكلياً بأنها بداية التلفظ السردي في كلّ قصة، وهي تفرض راويًا ومروياً له¹، وقد تمثّل هذا المستوى في الرواية من خلال المقام التواصلية الذي جمع بين الجنرال والديكتاتور (ذياب الزغبى) والكاتب المشهور (غارسيا ماركيز)، وشكّل هذا المقام العام في الرواية، وقد تجسّد في هذا المستوى التداخل بين النظامين التلفظيين إذ اتّضحت محددات التلفظ في نظام الخطاب والذي مثّل إنّيّة الخطاب، كما اتضح في قوله: "إيه غارسيا ماركيز... كاتب شهير... ومتألق أنت... وأنا فارس وجنرال أوليغارشي" منسي... لقاؤنا هنا في هذا في هذا المستشفى ليس صدفة. هو موعد من مواعيد القدر التي كثيراً ما فاجأني بها"²؛ وكذلك في قوله: "أكتب... أكتب... يا ماركيز... السيرة الرسمية لحضرة الجنرال"بعو" ذياب الزغبى"³

أما عن نظام الحكي فقد تجسّد في هذا المستوى من خلال ما وصفه السارد ونقله من أحداث، وفي ما تجلّى في استحضار ذياب الزغبى لقصته التي عبّر فيها عن فروسيته وحروبه ومغامراته مع بني هلال وتمردّه إلى تحوّل لديكتاتور مستبد وقد أسهم ذلك في توضيح الحدث الروائي وإطاره العام، كما اتّضح في قوله: "كانت الامبراطورية العتيقة الباذخة الغلال والمرهبة للجميع حلمنا الكبير... استبسلنا جميعاً في سبيل تأسيسها شبرا شبر وحجراً وحجراً... بعد أن خسفنا الأرض بكل أعدائنا، وكسرنا عظامهم وفاضت بدمهم الوديان... حققنا حلمنا ومجدنا... لكن شيطان

¹ - محمود طلحة، تداولية الخطاب السردية، دراسة تحليلية في وحي القلم لرافعي، ص 89

² - رواية (حضرة الجنرال)، ص 07

³ - المصدر نفسه، ص 11

الأناوية سرعان ما نفخ في جمرة الحسد فأحرقت أحلامنا وأمانينا، وأعمى دخانها أبصارنا وبصيرتنا...¹

2/2/1. المستوى الثاني: ومثل هذا المستوى، القصة والحكاية التي تجسدت في سيرة حياة الجنرال ذياب الزعبي وتفاصيل مغامراته وحياته مع قبيلته بين زعماء الحلف الذين تمرد عليهم وما ميّز هذا المستوى من الرواية هو طغيان الخطاب على الحكيم، وهذا باعتبار أنّ الحكاية نقلت أحداثها شخصيات الحكاية التي تتفاعل على مستوى الأحداث والمواقف التواصلية على مستوى تحاوراتها السردية التي تجلت فيها محددات وإشارات الخطاب، وذلك مثلما اتضح في هذا المقطع الحواري الذي جمع الجنرال "ذياب الزعبي" وأسياد بني هلال:

- "يا حسن... لقد مكنا لكم مشارق الأرض ومغاربها... أنتم تنعمون في الحرير، ونحن نقاتل الأعداء في كل مكان... لقد تعبنا فانزلوا من على عرش "الامبراطورية ودعونا نستريح عليه قليلا.

- طموحك أكبر منك يا أيها الزعبي... أنت مجرد محارب جلف فظ لا يعرف غير الطعن وقطع الرؤوس، تليق بك الحروب الضروس"²، تجسد في هذا الحوار نظام الخطاب من خلال ما تجلّى من محددات التلفظ (الإشارات الشخصية)، أمّا الحكيم فقد لمسناه في هذا المستوى من الحكاية من خلال ما سرده الجنرال ذياب عن فروسيته وتفاصيل حياته لرفقائه الذين قابلهم في السجن وشاركهم خيبته مع قبيلته وآلامه وكذا وطموحه وأحلامه.

3/1. رواية "زعيم الأقلية الساحقة":

لقد تميّزت الرواية على صعيد إجراءاتها التلفظية السردية بالتداخل بين النظامين التلفظيين إذ اعتمد الكاتب في الرواية على المزج بين نظام الحكيم ونظام الخطاب، وقد عبّر هذا عن انفعال الشخصية الساردة في الرواية، والتي مثلت الشخصية المحورية فيها، والتي كانت شخصية الملك العايب حين انفرد بسرد قصته المرتبطة بحكمه وأساليبه في الحكم.

¹ - رواية (حضرة الجنرال)، ص 21

² - المصدر نفسه، ص 92

وقد استعان السارد بنظام الحكي خاصة مع بداية التلفظ السردى لينقل لنا إطار الحدث الروائي العام وموقفه التواصلى الافتراضى، والمرتبب بنقل ووصف سيرة ملك عابث طاغية، كما جاء في قوله: "كنت ملك الجزائر وما ولاها من الضواحي...عرفت في الحياة أعاليها وأسافلها..."¹، كما سرد لنا لقطات متفرقة عن حياته في قوله: "جئت العالم مضرجا بخطيئة لست مرتكبها...ولدت في مكان غير محدد، ومن أم لا أعرفها...قضيت طفولتي كلها بدون أعياد ولا مناسبات عائلية...طفولتي أيضا كانت عادية..."²، أما بالنسبة لنظام الخطاب، فقد استعان به السارد (الملك العابث المستبد) في خطابه مع رعيته وخصومه، وهذا كما اتضح في قوله: "لا يغرنكم أبدا مظهري، فأنا لست صنيع ملابسي وهندامي...أنا صنيع يدي ويدي بما كسبت..."³؛ وكذلك تجلى نظام الخطاب في ما ينقله السارد لحكام المستقبل من نصائح وخبرات حول ركائز الحكم وأساليبه المتبعة في حكمه، كاشفا عن غروره وعجرفته وتكبره؛ إذ يقول: أنا هنا...كلما ولد أحدكم في هذا المكان أول ما يفتح عليه عينيه هو أنا، وأول هواء يتنفسه يتنفسه من كرمي...وأول مصروف جيب يدفعه في حياته يدفعه لخزيتي...⁴، وكذلك تجلى نمط الخطاب من خلال خطابه الساخر الذي وجهه الملك لرعيته في قوله: "تعالوا إلي يا شعبي العزيز...سأمنحكم فرصة أخيرة لرؤيتي عن قرب"⁵

2. الإشارات المقامية وأبعادها التداولية:

تتجسد مرجعية الخطاب بالنظر إلى التلفظ والموقف الذي يرتبط بالظروف المحيطة بالعملية التواصلية التبليغية أثناء عملية التلفظ هذا ما يستدعي الحديث عن الإشارات الشخصية والزمانية والمكانية، التي لا تتحدد إحالاتها إلا بالرجوع إلى مقام التخاطب⁶؛ أي بالعودة للحظة التلفظ ولا

¹ - رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 07

² - المصدر نفسه، ص 179

³ - المصدر نفسه، ص 07

⁴ - المصدر نفسه، ص 187

⁵ - المصدر نفسه، ص 187

⁶ - تـرجس باديس، المشيرات المقامية في اللغة العربية، ط1، تونس (منوبة)، 2009، مركز النشر الجامعي، ص 37

يتوقف الأمر عند حدود تعيين المرجعية الخطابية والتوصيف فقط، بل ترتبط كذلك الإشارات المقامية بأبعاد تداولية منها مقاصد الخطاب

1/2. الإشارات الشخصية: الإشارية الشخصية هي بشكل عام، الإشارات الدالة على المتكلم، أو المخاطب، أو الغائب... وهذه الذات هي محور التلفظ في الخطاب تداوليا وتتمثل في الضمائر وأسماء الإشارة... ففلا يمكن إدراك ما يشار إليه من نوات من غير ضمير أو شيء مما ذكرنا يحيل على الذات المتلطفة في الخطاب، ثم تبدأ تفاعلها التواصلية الإدراكية، مدفوعة بعلم استعمال اللغة/ التداولية¹

1/1/2. ضمير المتكلم:

بقليل من التأمل نجد أن ضمير المتكلم يتجلى ويظهر بشكل بارز في الخطاب الروائي السياسي لمدونة النصوص، فقد ظهر ضمير المتكلم متجليا بشكل واضح، ومسيطر على مظاهر التلطفية المرتبطة بالإشارات الشخصية بشكل عام، كما اتضحت سلطة (الأنا) بشكل جلي في هذه النصوص، وفي مختلف مستويات التلفظ السردية، وقد كان ذلك أمرا مناسباً لما استدعته طبيعة أغلبية النصوص التي اتخذت شكل السيرة الذاتية، والتي نقل أحداثها ضمير المتكلم الذي يتحدث عن ذاته.

تعتبر هذه الإشارات أو الضمائر الشخصية بشكلها العام مجرد وحدات لسانية خارج الملفوظ لكنها تكتسب دلالة ومرجعية وأبعادا تداولية أثناء إدراجها داخل الخطاب، ويتعلق الأمر بطريقة استعمال المتلفظ لها داخل ملفوظه ومقصده التواصلية، "دلالة الأنا" أو ضمير المتكلم في الرواية تتحدد بوجوده داخل الخطاب السردية، ذلك أنّ "ضمير المتكلم يتحوّل من عنصر ضمن جدول الضمائر إلى تعيين متفرد... لكن هذا الضمير إذا اعتبرته خارج الخطاب الفعلي الحقيقي ليس سوى صيغة فارغة، لا يمكن أن تتعلق بشيء ولا بمتصور، وهو لا يكتسب حقيقته وطبيعته إلا من خلال الخطاب."² ويمكننا توضيح ذلك من خلال هذه الأقوال التي تحيل إلى إحالات مختلفة للقائل

¹ - محمد بن عبد الله المشهورى، التداولية السردية في خطاب الأفضوة النسائية، ص300

² - كاهنة دحمون، تداولية الخطاب السردية بين القديم والحديث، ص124

أو المتلفظ التخيلي، على مستوى الفاعلين في التحوارات السردية في رواية "حضرة الجنرال" كالاتي:

-أنا أقتله...سأقضي على الهلالي الأسمر. وأحصل على مدينة أحكمها وأتسلطن فيها، أمر وأنهى...¹

-أنا فارس الهلاليين وصانع انتصاراتهم الباهرة...²

-أنا ابن هذا الحلف المقدس، وقد وصلت إلى ما وصلت إليه بفضل مواهبي وكفاءتي...³

-أنا ابن هذا الميدان...⁴

إن المتلقي الذي يتلقى هذه الأقوال لا يمكنه أن يحدد مرجعية العنصر الاشاري(أنا)، إلا داخل الخطاب السردى في سياق الخطاب، بالرغم من ارتباط كل هذه الأقوال بأبعاد تلفظية مرتبطة بافتخاره بالذات والتعاضم، فمرجعية (أنا) في القول أو الخطاب تعتمد كثيرا على السياق الحكائي السردى الذي استخدمت فيه، فمرجعية(أنا) في الخطاب الأول تحيل إلى حارس البوابة والذي أخذه طموحه للاستيلاء على عرش الزناتي والزواج بابنته، أما في القول الثاني فإحالة (أنا) تحيل إلى **حضرة الجنرال (ذياب الزغبى)** الذي يفخر بفروسيته ويتعاضم بذاته أما بالنسبة للخطاب الأخير فمرجعية الضمير(أنا) تحيل إلى الأمير (حسن ابن سرحان أمير وزعيم بني هلال) الذي يمدح سياسته الحكيمة والرشيده والتي تعود لكفاءته ومواهبه، أما الأخير فهو يشير إلى الجازية، (زعيمة فرسان يتامى الحقد السياسى) وتحدّيه للجنرال المستبد. وعلى هذا يمكننا القول أنّ مرجعية "أنا" لا يمكننا تحديدها إلا بالعودة للحدث الخطابى، كما أن "وجود"أنا" في الخطاب لا يعني بالضرورة أنّ "أنا" تحيل على المتلفظ بها، فقد يقول المتكلم "أنا" وهو ينقل خطابا عن متكلم آخر تحيل فيه عليه، وهذا ما يستلزم اعتبار الإجراء الآنى للخطاب؛ إذ لا يمكن أن يتعيّن "أنا" إلا بالإجراء الآنى للخطاب الذي يتضمنها"⁵

¹ - رواية (حضرة الجنرال)، ص 54

² - المصدر نفسه، ص 69

³ - المصدر نفسه، ص 94

⁴ - المصدر نفسه، ص 215

⁵ - نرجس باديس، المشيرات المقامية في اللغة العربية، ص 77

كما تعيد الأنا بشكل عام التأكيد والاختصار في اللفظ لتغني عن ذكر المشار إليه واستحضاره في اللفظ¹، كما امتلكت الأنا في الخطاب الروائي السياسي أبعادا تداولية ارتبطت بامتلاكها لطاقتا تضمينية عكست ما تخفيه من ذاتية وانتماء وإيديولوجية، فالضمير أنا "يعطي الشرعية لإبداء آراء خاصة، فهو يحمل الذاتية ويوحي بقناعات المتلفظ²، كما جاء من خلال هذه الملفوظات الآتية في رواية (حرب الفتوى): أنا ثاني من الشعب... ؛ أنا أنا... ما تبدل فيا والو غير التوبة..."³؛ أنا دولتي وطن الإسلام الكبير..."⁴ هنا يحيل الضمير الأول في الرواية إلى الشرطي شاطر، والذي عبّر عن انتمائه للشعب كغيره من أبناء الوطن، وأما الضمير في القول الثاني والثالث فيحيل إلى الهادي، والذي عبّر هو الآخر عن انتمائه وذاتيته.

كما عكست (الأنا) في نصوص أخرى ما تضمنته من تفاخر وتكبر وسلطة وتعالٍ وغرور إزاء الذوات الأخرى، وذلك كما تجلى في الرواية: "لا يغزّكم أبدا مظهري، فأنا لست صنيع ملابسي وهندامي... أنا صنيع يدي ويدي بما كسبت..."⁵؛ لقد أصبحت رغم أنوفكم جزءا من طبيعتكم في هذا المكان، تتغذون على حضوري، وتملأون رئاتكم بانتصاراتي عليكم..."⁶ وكذلك في رواية "حضرة الجنرال في قوله: "أنا السيّد المطلق... أنا السلطان... زعيم الأمة... ملك الملوك"⁷، عكس الضمير (أنا) سلطة الجنرال (ذياب الزغبى) وتكبره.

2/1/2. ضمير المخاطب:

كان ضمير المخاطب (الأنّت) مقابلا للأنا، وقد ظهر بشكل جلي في مدونة النصوص للروايات السياسية، وقد كان جزءا أساسيا في الخطاب، وشكل "الأنّت" الذي مثّل الآخر (في مجمل النصوص) مخالفا للأنا ومغايرا له، ولقد ساهما هذان الضميران في تحقيق ما تطلبه التلفظ السردى

¹ - محمد بن عبد الله المشهورى، التداولية السردية في خطاب الأفضوصة النسائية، ص300

² - عبد الحكيم سحالية، تداولية أفعال الكلام في الخطاب الروائي لأحلام مستغانمي، دراسة في عابر سرير ونسيان كوم ص270

³ - رواية (حرب الفتوى)، ص141

⁴ - المصدر نفسه، ص104

⁵ - رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص07

⁶ - المصدر نفسه، ص81

⁷ - رواية (حضرة الجنرال)، ص33

من أبعاد تلفظية مرتبطة بمقاصد الخطاب الروائي السياسي، ويمكننا توضيح هذا في بعض ما جاء في رواية "حضرة الجنرال كالاتي": "أنا أخوكم وأبوكم ورفيقكم وسيديكم... علي اطعامكم وعليكم طاعتي وخدمتي... أنا الطوفان وأنتم جرفي...¹؛ فهنا حاول (ذياب الزغبي) تبيان منزلته المتعالية والمختلفة عن الآخر الذي مثله ضمير المخاطب (أنتم)، وكذلك في رواية زعيم الأقلية الساحقة، إذ يقول السارد (ملك الجزائر): "لقد أصبحت رغم أنوفكم جزءا من طبيعتكم في هذا المكان، تتغذون على حضوري، وتملأون رئاتكم بانتصاراتي عليكم، تسكرون ببطشي كما يسكر المخدر بمجرّد شم دخان الحشيش...²، و ظهر في رواية حرب الفتوى اختلاف الأنا مع الأنت من خلال تجسيد التباعد والتناظر بينهما، كما جاء في هذا القول، الذي حاول فيه المتلفظ التخيلي (الهادي) تبيانه: "أنتم قوم الدنيا أمّا نحن فقوم الآخرة الباقية...³، وعلى هذا يمكننا القول أن (الأنا) في الخطاب الروائي بشكل عام جاء مقابلا (للأنت) الذي مثل الآخر المختلف عنه.

3/1/2. ضمير الغائب:

بالرغم من أنّ ضمير المتكلم هو الضمير البارز في مدونة النصوص، إلا أن ضمير الغائب كان حاضرا فيها، ولا يمكن الاستغناء عنه، لكنّه كان خارج الدائرة التخاطبية؛ "ضمير الغائب يكون في العادة مشيرا سلبيا، لأنّه ببساطة نجد الشخص الذي يتعيّن لا يشغل متكلّما ولا مخاطبا"⁴، لكن مع ذلك يمكن تعيينه وتعيين مكانته التي يشغلها في الخطاب من خلال وضعيات تتولد من مواقف سياقية سردية. ولقد تجلّى ضمير الغائب بشكل واضح في النصوص، وخاصة في رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، حيث اتخذ السارد مخالفا للأنا، بل شكّل نده وخصمه في الرواية، وقد ارتبطت مرجعية هذا الضمير بإحالات مختلفة تتعلق بالخصوم ورجال الأعمال...؛ إذ يقول السارد: كائنات من نوع خاص لهم كل المؤهلات البشرية باستثناء موهبة صنع المال...⁵

¹ - رواية (حضرة الجنرال)، ص 33

² - رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 81

³ - رواية (حرب الفتوى)، ص 116

⁴ - ك، أوريكيوني، فعل القول من الذاتية في اللغة، تر: محمد نضيف، الدار البيضاء، 2007: إفريقيا الشرق، ص 60

⁵ - رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 27

إنهم جميعا يعبرون لي عن اخلاصهم دون قيد ولا شرط...¹؛ إنهم مجموعة من الفاسدين المنضبطين القادرين على القتل والتزوير... وحلف اليمين ببراءتهم كالأطفال...²؛ هم يعرفون أنني رحيم حين أرحم وأستعمل على الأقل مائة يد حين أريد خنق أحدهم...³

وكذلك جاء في رواية "حضرة الجنرال"، ضمير الغائب مخالفاً للأنا الذي مثل الجنرال بعو، كما ورد في هذه الأقوال الآتية التي كان الجنرال ذياب الزغبى يخاطب ذاته: "فتية يثيرون غيظي وغضبي وحقدي... نعم خرفت يا حضرة الجنرال... الآن ليس لهم عدو غيرك، ولم يبق لهم من خيار غير خيار مواجهةك لإزهاق روحك وافتراسك بسيوفهم المتوقعة للماعة الحادة...⁴؛ "الأفضل لي أن لا أتورط في سفستهم ولعبتهم القذرة... سأخذ حقي بسيفي، هو الضامن الوحيد للظفر بكرسي الحكم والفوز بالابمراطهورية...⁵؛ "فكرت في مباغتتهم والهجوم عليهم قبل أن يتمكنوا ويتحولوا إلى قوة هجوم كاسرة...⁶؛ "تلقوا أحسن التدريب على الطعن منذ سنوات وهم يتربصون بك وبجيشك المرتزق وها هي فرصتهم تحين...⁷، وقد ارتبط ضمير الغائب في الرواية بمرجعيات مختلفة، مثلت في عمومها يتامى الحقد السياسي، وسادة بني هلال.

أمّا في رواية حرب الفتوى، فقد تجسّد ضمير الغائب ليعبر به الكاتب كذات تحمل أفكاراً وإيديولوجيات مختلفة، وقد مثل ضمير الغائب في الرواية (الهادي)، والجماعات الإسلامية بشكل عام؛ إذ يقول مستكراً لهم: كانوا ضحية خطابهم وخطبهم وأساليبهم في الحديث في الدعوة...أنفسهم كثروا وتكاثروا...⁸؛ كيف لهم أن يفتوا في الدماء...⁹؛ "كيف يراد للقلب أن

¹ - رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 53

² - المصدر نفسه، ص 53

³ - المصدر نفسه، ص 50

⁴ - رواية (حضرة الجنرال)، ص 18

⁵ - المصدر نفسه، ص 97

⁶ - المصدر نفسه، ص 212

⁷ - المصدر نفسه، ص 217

⁸ - رواية (حرب الفتوى)، ص 180

⁹ - المصدر نفسه، ص 210

يطمئن لكثرة الشارحين لمنهج واحد وهم كل لأجزاء عدّة...¹؛ "ها هو يحث الخطى يجمع الناس حول فكر الجهاد، من حي لآخر... من جماعة لأخرى..."².

لقد كان الحديث عن الضمائر، في الخطاب الروائي السياسي لمدونة النصوص هو حديث مرجعية الخطاب التي لا تتضح إلا من خلال الخطاب وسياقه التواصلية، وهو حديث عن وضعية المتخاطبين في العملية التواصلية التخيلية، وهو تحديد لموقع كل طرف في هذه العملية كما أنه تحديد لمكانة المخاطب الذي يمنح لنفسه وضعا اجتماعيا معينا إزاء المخاطب، ويضفي أهميته في العملية التخاطبية وفي الوقت ذاته يضفي على الآخر وضعية معينة، وهو ما سيتم التفصيل عنه في المبحث الثاني.

2/2. الاشارات المكانية: "يرتبط كل من التلفظ والمكان ببعضهما البعض ارتباطا متلازما وفي هذا يقول أحد المفكرين أنّ: "التلفظ في الخطاب السردى يرافقه المكان متى ذكر ولا يمكن أن نجد فعلا تلفظيا حدث في الفراغ، فالمكان لازم الحضور"³، ويتجسد المكان في الخطاب السردى عبر مجموعة من الاشارات المكانية التي تؤثر في التلفظ، ولعل من أهم وظائفها تحديد مرجعية الخطاب، وتحديد المقام التلفظي ووصفه بالنظر لفعل التلفظ، وعليه يتم فهم الخطاب وتأويل مكوناته، والكشف عن مقاصده وأبعاده.

1/2/2. رواية "زعيم الأقلية الساحقة":

لقد تضمنت رواية "زعيم الأقلية الساحقة" جملة من الاشارات المكانية أسهمت في بناء الموقف التلفظي السردى، وعبر السارد في الرواية والذي مثل الملك الحاكم والعاث عن المكان بشكل خاص، وقد كان ذلك عبر مجموعة الاشارات المكانية، أثرت في التلفظ وفي مقاصد الخطاب؛ فالمتأمل في مختلف الاشارات التي تضمنتها الرواية نجد أنها تحمل رؤية خاصة، فلقد تجاوزت هذه الاشارات حدود الوصف المكاني، وحيز المقام التلفظي إلى أبعاد تداولية، مرتبطة بمقاصد الرواية، وعلى هذا الأساس سنحاول دراسة هذه الاشارات المكانية

¹- رواية (حرب الفتوى)، ص 346

²- المصدر نفسه، ص 207

³- محمد بن عبد الله المشهورى، التداولية السردية في خطاب الأقصوة النسائية، ص 303

وما تحمله من مسافات القرب والبعد المرتبطة بفعل التلفظ، والكشف عن قيمتها التلفظية التي تحمل رؤية أخرى تتجاوز التحديد الوصفي المرتبط بمقاصد الخطاب.

لقد عبّر السارد عن المكان بطريقة خاصة، وقد انفرد بامتلاك التلفظ والتحكم فيه، كما استمد من المكان ثقة وقوة لتأكيد مواقفه وأفكاره وذاتيته. ولقد حاول الملك التأكيد على وجوده الفعلي الجلي والواضح والقريب من مكان تواجد رعيته وخصومه، كما حاول التأكيد على وجوده بالقوة واثقا من ذاته، فالإشارية المكانية (هنا) تجاوزت التحديد المكاني لترتبط بأبعاد تداولية مرتبطة بالسياق التداولي، حيث جسدت الإشارية الزمانية "هنا" في الرواية معاني الغرور والتكبر، "فالإشارات تمتلك دورا بارزا في السياق التداولي، إذ لا تقف عند الظاهر منها، بل تتجاوز ذلك إلى أنماط أخرى منها ما هو مستقر في بنية الخطاب العميقة عند التلفظ مما يعطيها دورا تداوليًا في استراتيجية الخطاب"¹؛ حيث استعان السارد بشكل بارز في الرواية على الإشارية المكانية (هنا) والتي تعبر عن قرب المسافة والمكان الذي يجمع بين أطراف العملية التواصلية.

وقد سعى ملك الجزائر في الرواية إلى إثبات وجوده بشكل فعلي، وحاول إظهار وجوده القريب جداً بين رعيته وخصومه، وتواجده بينهم، وقد كان ذلك بشكل مبالغ فيه، واعتمد السارد الإشارية المكانية "هنا" للدلالة على القرب المكاني؛ إذ يقول: "أنا هنا بينكم على قيد الحياة..."²؛ "أنا هنا... وبفضلي تعرفون حجم جثثكم... كلما ولد انسان في هذا المكان أول ما يفتح عليه عينيه هو أنا، وأول هواء يتنفسه، يتنفسه من كرمي، وأول مصروف جيب يدفعه في حياته، يدفعه لخزينتي..."³؛ "إنني هنا حاضر بينهم... موجود في أدمغتهم... موجود في الأوراق النقدية التي يتزينون بها..."⁴، وقد حاول الملك الإشعار بامتلاكه السلطة، وقد استمد من المكان قوة لإثبات ذلك، باعتبار صلته الوثيقة بهذا المكان ومعرفته لمملكته؛ إذ يقول: "لقد أصبحت رغم أنوفكم جزءا من

¹ - حمادي مصطفى، تداولية الإشارات في الخطاب القرآني، مقارنة تداولية لكشف المقاصد والأبعاد، مجلة الأثر، ع26

ورقلة:2016، كلية الآداب واللغات جامعة قاصدي مرباح، ص64

² -رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص10

³ -المصدر نفسه، ص187

⁴ -المصدر نفسه، ص96

طبيعتكم في هذا المكان، تتغذون على حضوري، وتملأون رئاتكم بانتصاراتي عليكم، وتسكرون ببطشي كما يسكر المخدر بمجرد شم دخان الحشيش...¹، وعلى هذا يمكننا القول بوجود علاقة خاصة بين الملك والمكان إلى الحد الذي نلمس فيه بأن المكان شكّل الموقع الخاص الذي استمد منه قوته.

أمّا عن الاشارية المكانية "هناك"، فقد حضرت في الرواية بشكل واضح وبارز، حيث عبّرت هذه الاشارية عن المكان بصفة خاصة، إذ تضمّنت أبعادًا تداولية، ارتبطت بمقاصد الخطاب، كما حملت هذه الاشارية المكانية "هناك" الموظفة في الرواية، دلالة البعد المكاني، وارتبطت بإمكانة وشخصيات خاصة من خصوم الملك وأتباعه، وهي بعيدة عن عامة الناس، وهذا يتجلى في قول السارد: "أنا موجود بجانبها هناك دائما حيث تحتاجني... وحيث لا تحتاجني كما تقول..."² "هناك" خلف الستار دائما يحدث شيء ما لا يراه المتفرجون... ومالم يكن المتفرجون يرونه هو: أموال طائلة تخرج من العتمة...³؛ "هناك" تتحرك الحياة الحقيقية الدامية الجميلة...⁴؛ "... إنّ الوسواس التي تقض مضجعي هي تلك التي تدور حول ما أسميه الأكياس السوداء، أو المطامير الفلازية... هناك حيث تتكدس أموال هذه المملكة... بضعة أطنان من الأوراق المالية التي لا يراها ضوء النهار..."⁵؛ "بعض الجشعين الصالحين يضيفون بين ليلة وضحاها بضعة أصفار على يمين أرصدتهم بفعل رشوة أو سرقة أو غش... وعلي أن أكون هناك كي آخذ نسبتي وأمسح آثار أخطائهم..."⁶؛ لقد ارتبطت الاشارية المكانية "هناك" في مجموع هذه الملفوظات بإمكانة خاصة وبعيدة لا تعرفها عامة الناس، إذ ارتبطت بطبقة خاصة من مملكة الجزائر، وهي مملكة الليل، والتي غفلت عنها الطبقة الأخرى المقابلة، والممثلة بشعب النهار كما جاء ذلك في

¹ - رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 81

² - المصدر نفسه، ص 45

³ - المصدر نفسه، ص 52

⁴ - المصدر نفسه، ص 183

⁵ - المصدر نفسه، ص 60

⁶ - المصدر نفسه، ص 63

الرواية. كما نلمس من اعتماد السارد لهذه الاشارية إسهاما واضحا في محاولة الكشف عن بعض حقائق المجتمع السياسي، وإبراز غفلة عامة الناس عن هذه الحقائق.

كما ارتبطت الاشارية "هناك" بالمكان الخاص جدا، وهو المكان السري الخاص بالملك وحده واتخذ صفة البعد باعتباره بعيدا عن نظر الخصوم والزعية وحتى الأتباع؛ إذ يقول: "لقد اخترت الوقوف هناك في المكان الأقل إضاءة... هناك في العتمة يمكنك أن تحرك الضوء في المناطق التي ترغب في اكتشافها بحرية أكثر..."¹

كما تضمنت الرواية على أسماء الإشارة الدالة على المكان، وخلقت فضاء خاصا ارتبط بالعلاقة الوطيدة والقريبة بين الملك وبين هذا الفضاء الممثل بالمملكة أو المدينة وأسرارها وكيدها، إذ يرتبط بها الملك ارتباطا وثيقا، واختار الاشارية "هذه" ليجسد ويعبر عن قربه الشديد لها، وتوضح علاقة القرب بين الملك ومملكته في المفوضات الآتية: "هذه المدينة أعرفها مثل جيبتي..."²؛ "إنني لا أعرف كيف أصف لكم هذه المدينة التي وضعتها كدرهم في قبضتي..."³ وبحكم العلاقة الفريدة والخاصة التي تجمع بين الملك ومملكته، وقربه منها ومعرفتها أراد الكشف عن بعض أسرارها وخبائها، وهذا ما وضّحته بعض الأقوال في حديثه: "هنا لا تستقيم قامات الرجال، ولا تستوي رؤوسهم إلا إذا كان لديهم مصروف جيب محترم...وبعده يتفرعون...قد يقول البعض أنّ هذا مجرد مرض يصاب به بعض الأشخاص الشهرين، ذلك أنّ الحياة في نهاية الأمر لا تتطور بالمال، إنّما بالأعمال الصالحة كما يقول أسلافنا...ربّما ذلك صحيح في مكان آخر...أما هنا...السعادة هنا لها هذا الطعم المسكر..."⁴ وحاول التعبير عن خصوصيات المكان في خطاب ساخر، اجتمعت فيه مجموعة من المفارقات، يقول: "المال هو رئيس هذه المملكة ووليها الصالح...به يحلم الناس، ومن أجله يتخاصمون، وإليه يحتكمون...وبفضله يديرون شؤون حياتهم وعواطفهم..."⁵؛ "إنّ الناجحين الوحيدين في هذه المملكة، ليس الذين يكنزون الذكاء،

¹ - رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 21

² - المصدر نفسه، ص 59

³ - المصدر نفسه، ص 183

⁴ - المصدر نفسه، ص 65

⁵ - المصدر نفسه، ص 64

فأولئك يليقون بالوظائف الصغيرة، وإنما هم أولئك الذين يکنزون المال...¹؛ "بعض الناس في هذه الجهة من الأرض مثل أطالسة هيرودوت الذين يصطادون السمك بأيديهم من أعماق البحر ويشوونه مباشرة على الشمس... غير أن البعض الآخر وهم الطبقة الأغلبية لا يزالون في طور-الأمبيا- البدائية..."² ووصف كذلك السارد المكان في قوله: "تعلمت من خصومي كيف يمكن للرجل أن يبقى حيا حتى الخامسة والثمانين في مثل هذا المكان غير الآمن مطلقا"³ ارتبطت الإشارات المكانية في هذه الأقوال بدلالات عميقة وأبعاد تداولية ارتبطت بمقاصد مستعمل اللغة (المتلفظ)، فالمتأمل في هذه الملفوظات يلاحظ العلاقة الوثيقة التي تربط الملك بالمكان، والتي تمثلت في علاقة قرب ومعرفة شديدة واندماج، وقد حملت هذه الإشارات المكانية دلالات سلبية وإيجابية في الوقت نفسه فبالنسبة للدلالة السلبية شكّل المكان البيئة التي تحتمل كل صفات الرذيلة والفساد والخبث واللامن، أما بالنسبة للدلالة الإيجابية في نظر الملك فقد شكّل المكان ساحة للانطلاق والاستغلال والسيطرة.

2/2/2. رواية "حضرة الجنرال":

كذلك تشكلت رواية (حضرة الجنرال) من مقاطع سردية تضمّنت مجموعة من الإشارات أحالت على أمكنة وفضاءات مختلفة، وهي أمكنة لا يتم معرفتها إلا بالرجوع للموقف التواصلية السردية وسياقه وهذا كما توضحه الأقوال الآتية:

- "انبسّط قليلا لهذا الموقع الجميل البهيج، هي فرصة لنسيان ما كان من الحروب التي خضتها طيلة حياتي"⁴

- "...ولكن الفضل كل الفضل لأبي زيد الذي زودني بهذه التحف الفكرية والأدبية التي آستني في وحدتي وملأت فراغي، وأوقدت شموع خيالي في هذه الأماكن الباردة الرطبة والمظلمة..."⁵

¹- رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 65

²- المصدر نفسه، ص 15

³- المصدر نفسه، ص 10

⁴- رواية (حضرة الجنرال)، ص 53

⁵- المصدر نفسه، ص 141

- "أنا فارس الهلاليين وصانع انتصاراتهم الباهرة... ولو لا سيفي البتار لما دانت لهم هذه الأرض الشاسعة المترامية..."¹

- "لن أعفر لك جرمك... لن أغادر هذا المكان حتى تقتلني أو أقتلك..."²

تعددت الأماكن التي أحالت إليها مختلف الإشارات في الرواية وعبرت عن أمكنة قريبة من المتكلم الذي مثل السارد (ذياب الزغبى)، ومرتبطة بمكان التلفظ، كما اتخذت هذه الإشارات إحالات لأمكنة مختلفة، اختلفت مع تطور مسيرة أحداث الرواية حيث بدأت القصة في المستشفى وبعدها بدأت أحداث القصة الأساس تأخذ أمكنة مختلفة، كالمرعى، والسجن الامبراطورية، ساحة القصر الامبراطوري... إذ لا يمكن معرفتها إلا بالرجوع للحظة التلفظ السردى.

3/2/2. رواية "حرب الفتوى":

بدأت حكاية هذه الرواية المرتبطة بقصة الأصدقاء الثلاث بإطار مكاني محدد وهو المدينة أمام الكنيسة، أو تحت سياج الكنيسة، أين يتقاسم الأصدقاء الثلاث الملل والفراغ والفشل، ثم مع تقدم أحداث الرواية ومسيرتها بدأ المكان يتخذ أمكنة متعددة مرتبطة بالمواقف التواصلية للأحداث السردية المختلفة، وجاءت هذه الأمكنة مناسبة للموضوع السياسي الذي تبنته الرواية، والذي جمع بين نظام الدولة والاتجاه المعارض لها.

وبالحديث هنا عن الإشارات المكانية، فقد تجلت بشكل واضح في الرواية، في هذه الأقوال التي ارتبطت بمرجعيات مختلفة ارتبط بمكان التلفظ، وهذا كما جاء في الحوارات السردية كالاتي:

- "لما أنت هنا..."³

- وأنت واش جابك هنا..."⁴

- ما قتلتكش ماتجيش هنا..."⁵

1- رواية (حضرة الجنرال)، ص 69

2- المصدر نفسه، ص 99

3- رواية (حرب الفتوى)، ص 26

4- المصدر نفسه، ص 67

5- المصدر نفسه، ص 98

- راهو هنا من نهار جابوك ما يروح غير في الليل...¹

لقد ارتبط المكان في هذه الأقوال بمرجعيات وإحالات متعددة بتعدد المواقف التواصلية، وقد جسدت هذه الاشارية القرب المكاني بين المتخاطبين داخل الاجراء السردى، ففي القول الأول ارتبط هنا، (بقاعة في سلك الأمن والتي كان يجري فيها شاطر امتحانه الشفوي للالتحاق بصفوف الشرطة)؛ أما الاشارية المكانية الثانية، فارتبطت بالسجن أين اعتقل الهادي من طرف أعوان الشرطة، وارتبط المكان في القول الثالث بمغفر الشرطة في خطاب شاطر مع أخت الهادي، أما بالنسبة للقول الأخير فقد ارتبط بالمستشفى الذي كان يتعالج فيه شاطر بعد إصابته من طرف الجماعات الإرهابية. كما أخذت الاشارية المكانية في الرواية أبعادا تداولية مرتبطة بموقف الخطاب ومقاصد المخاطب، لما جسّدته هذه الاشاريات من دوائر القرب والبعد، في علاقة المكان بالمتلفظ ومقاصده.

لقد تجلت الاشارية الزمنية (هناك) بشكل لافت للنظر في هذه الرواية، حيث جسدت هذه الاشارية البعد المكاني بالنسبة للمتلفظ، لتعبّر في بعض المواقف والسياقات عن المكان المختلف الذي أصبح غريبا بالنسبة للمتلفظ، لأنه ارتبط بالآخر الذي مثل الجماعات الإرهابية وهذا كما جاء في الرواية: "هناك يلتقي الهادي بكوارد الاخوان، أين تكون قوة الدرس من قوة الخطيب...²؛ "هناك تعلم الهادي أشياء كثيرة... وتوطدت علاقاته بكثير من الاخوة...³؛ لقد خيم هناك...⁴، فمن خلال هذه الملفوظات يمكننا القول أن الاشارية المكانية (هناك) كما جاءت في هذه الرواية في هذا الإطار تضمنت دلالات عميقة وأبعادا تداولية؛ إذ اتضحت علاقة المكان بالسارد بشكل جلي، فبالنسبة له كما جاء في الرواية حملت الاشارية المكانية (هناك) دلالة سلبية؛ إذ تحولت لتدل على المكان الغريب والرهيّب، الذي يملأه الخوف والانحراف واللامن، وفي الاتجاه الآخر الذي مثلته الجماعات الإرهابية جسدت الاشارية المكانية (هناك) العلاقة الوطيدة بينه وبين المتلفظ؛ إذ اتخذت هذه الاشارية المكان السري والمناسب لعملهم البعيد عن الأعين، كما جاء في

¹- رواية (حرب الفتوى)، ص 262

²- المصدر نفسه، ص 48

³- المصدر نفسه، ص 53

⁴- المصدر نفسه، ص 237

هذه الأقوال: "تروح فرقة استطلاع في الحين وتتبعها السرايا إلى هناك...¹"؛ "هناك يسهل علينا جلب السلاح إلى الجماعة..."²، فالإشارية المكانية في هذه الأقوال تضمنت دلالة أخرى مغايرة تماما، وهي الدلالة الإيجابية؛ حيث شكلت (هناك) المكان السري الخاص بهم، والمكان الآمن الذي يصعب الوصول إليه، كما شكل ساحة للهروب والانعزال وبالتالي حملت معاني الأمان والأمل.

كما اعتمد كذلك الكاتب في الرواية على ظروف المكان (أسفل الجبل...تحت الوادي، أمام سياج الكنيسة، أعلى الجبل...وسط الوادي)، فقد استعمل الكاتب إشارات مكانية متعددة شكلت مجموعة من فضاءات مكانية ارتبطت بالرواية وساهمت في خدمة موضوعها.

لقد أحالت الإشارات المكانية في النصوص الروائية على مجموعة من الأمكنة والفضاءات التي أسهمت في بناء ووصف المقاطع السردية، وخلق العالم السردى الافتراضى ومنحه تموقعا افتراضيا محددًا، وإنّ هذه الإشارات المكانية لا يمكننا تحديد مرجعيتها إلاّ في سياق الخطاب السردى الذي وردت فيه، وهذا يرجع لطبيعتها المبهمة. كما ارتبطت هذه الإشارات بالكثير من المعاني والإيحاءات، والمقاصد التداولية، إذ لم ترتبط فقط بالتحديد والوصف المكاني فقط، بل تضمنت كذلك أغراضًا تواصلية وأبعادا تداولية، ارتبطت بمقاصد الرواية السياسية.

3/2. الإشارات الزمانية:

الإشارات الزمانية هي مفردات دالة على زمان يحدده السياق بالقياس إلى زمان المتكلم، فزمان المتكلم هو مركز الإشارة Deitque center الزمانية في الكلام³؛ أي هي ألفاظ تدل على زمان ما يحدد وفق زمن التلفظ الذي يشكل مرجعية في فهم الخطاب، وإلاّ التبس المرجع الذي يحال إليه بالنسبة للمتلقى، "فكلمات من مثل: الآن وأمس واليوم، وغدا... لا يمكن التنبؤ بلحظتها وقت التلقي إلاّ بمعرفة لحظة التلفظ، بل بمعرفة السياق التخاطبي بتمامه وقد يفرضي إلى أنّ المقصود بكلمة "الغد" مثلا يوم قد جاء وانتهى، بالقياس إلى زمن التلفظ والتلقي...وقد يكون هو اليوم التالي ليوم

¹ - رواية (حرب الفتوى)، ص 217

² - المصدر نفسه، ص 315

³ - Catherine. kerbrat orecchioni, l'énonciation de la subjectivité dans le langage, 4eme édition, Paris :1980, Armand colin, p34.

التلقي، وقد يكون المقصود المستقبل المفتوح...¹، فتحديد مرجعية الإشارية الزمانية مرتبطة بزمن التلفظ.

وتسهم الإشارات الزمانية في تحديد وإدراك مرجعية الخطاب وتأويله "فمن أجل تحديد مرجع الأدوات الإشارية الزمانية وتأويل الخطاب تأويلاً صحيحاً يلزم المرسل إليه أن يدرك لحظة التلفظ فيأخذها مرجعاً يحيل عليه، ويؤوّل مكونات التلفظ بناءً على معرفتها"²، والخطاب السردى أكثر ارتباطاً بهذه الإشارات الزمانية، وهذا باعتبار أن الزمن "مكوناً رئيساً من مكونات الخطاب السردى"³، وفي هذا الشأن يقول جيرار جينيت: "من الممكن أن نقص الحكاية من دون تعيين الحدث، ولو كان بعيداً عن المكان الذي نرويها فيه، بينما قد يستحيل علينا ألا نحدد زمنها بالنسبة إلى زمن فعل السرد؛ لأنه علينا روايتها إما بزمن الحاضر، وإما الماضي، وإما المستقبل"⁴، ويمكننا دراسة مختلف الإشارات الزمانية في مدونة النصوص كالاتي:

1/3/2. رواية "حضرة الجنرال": تضمنت رواية "حضرة الجنرال" جملة من الإشارات الزمانية والتي حددت المواقف الخطابية وأحداث الرواية وحيّزت إطارها الزمني الذي لا يمكن فهمه وتحديده إلا بالرجوع للفعل التلفظي وسياقه الزمني الآني والمرتبب بإنية الخطاب.

وقد تحددت إنية التلفظ الخاصة بالرواية ضمن إطار سياقي تواصلية محدد (المستشفى) جمع بين ذياب الزغبى والكاتب المشهور "غارسيا ماركيز"، وقد مثل هذا الإطار المقام والسياق الزمني الآني الذي كان يسرد فيه ذياب سيرته الذاتية، ويستحضر مغامراته وأحداث حياته بعد توليه حكم "الامبراطورية" لمدة قرن كامل كما جاء في قوله: "حكمت الإمبراطورية قرناً كاملاً بحنكة وقبضة حديدية، وسيف مسلول..."⁵، وعلى هذا يمكن عدّه في الرواية الإطار السياقي الافتراضي

¹- أحمد حسن إسماعيل الحسن، المنهج التداولي في قراءة النصوص الأدبية، شعر إبراهيم طوقان، أنموذجاً، مجلة

الإشعاع، ع2، السعودية: ديسمبر 2014: قسم اللغة العربية، جامعة الجوف، ص212

²- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ص83

³- محمد بن عبد الله المشهورى، التداولية السردية في خطاب الأقصوصة النسائية، ص193

⁴- المرجع نفسه، ص193

⁵- رواية (حضرة الجنرال)، ص11

التخييلي الذي يمكننا من خلاله تحليل مختلف الاشارات والمبهمات الزمانية، وتحديد مرجعية الخطاب وفهمه والكشف عن مقاصد الخطاب.

وبالرجوع إلى زمن التلفظ والسياق التخاطبي الذي جمع بين الجنرال ذياب الزغبي وماركيز يمكننا تصنيف الاشارات الزمانية إلى إشارات تزامنية، قبلية، وبعديّة كالآتي:

1/1/3/2. الإشارات التزامنية: وهي الاشارات التي "ترتبط بلحظة الحديث، واستعمالها ودلالاتها يقترن بالحاضر"¹، والمرتبط بلحظة التلفظ، كما يتّضح ذلك في الأقوال الآتية:

- "إنها لحظة رهيبة ومخيفة ومحبطة حقا أن يتقدّم بالمرء سنه، ويمشي ببطء نحو حتفه... وترحف على كاهله الشيخوخة والهزم و"الزهايمر" والخرف... ويشعر بما أشعر به الآن من ضعف ووهن وتفاهة وعبث وعجز وحزن..."²

- "هذا ما زرعت يداك، أيها الفارس المعمر، تحصده اليوم جراحا وحقدا على أيدي هؤلاء، الفتية الثوارجية"... في ربيعهم المبتسم وفي خريفك الحزين... ضحايا غطرك واستبدادك وغدرك..."³

ارتبطت الاشاريتان (الآن) و(اليوم) في هذه الأقوال عن زمن الحاضر، وذلك بالعودة إلى زمن التلفظ والمرتبط بالمقام التلفضي الذي جمع بين ذياب الزغبي والكاتب المشهور ماركيز.

كما عبرت الاشارية الزمانية (الآن) في الرواية عن زمن سردي أنني ارتبط بالزمن الحاضر كما أدت هذه الاشارية وظيفية التوكيد التلّفظي، إذ يقول الجنرال ذياب: "...ولكن هيهات... يا حضرة الجنرال... يا كبدي... الآن والآن فقط، أفهم جيدا معنى الآية التي كنت أقرأها سطحيا خالية من أي فهم عميق متبصر" وتلك الأيام نداولها بين الناس"⁴، فقد حاول هنا الجنرال ذياب التأكيد على هذا الإطار الزمني المتعلق بصحته وكذلك حسرته.

¹ - حمو الحاج ذهبية، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ط2، تيزي وزو، 2012: دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع

ص117

² - رواية (حضرة الجنرال)، ص23

³ - المصدر نفسه، ص25

⁴ - المصدر نفسه، ص31

2/1/3/2. الإشارات القبلية: وهي "الإشارات التي تنتمي إلى الزمن الذي انقضى وفات"¹ وارتبطت الإشارات الزمانية القبلية في رواية "حضرة الجنرال" بالحياة التي استحضرها الجنرال ذياب والتي كان يسردها للكاتب ماركيز، ويمكن اعتبار الموقف التواصلي الذي يجمع بين الجنرال ذياب وكاتبه ماركيز مركز الإشارة الزمانية للمتكلم (زمن التلّظ)، وقد اعتمد السارد في هذا الرواية كثيرا على الإشارات الزمانية (الآن)، (اليوم) التي عبّرت في هذا الإطار عن زمن قبلي وهذا بالنظر لزمن التلفظ (الاستحضار)، وقد تجسّدت في كل مراحل السرد المرتبطة بتفاصيل حياة الجنرال ذياب مع قبيلته فقد بدأ السارد بالحديث عن قبيلته ومكانته المهانة والذليلة بينهم فيقول: "في قبولة هذا اليوم المبارك، اجتمع سادة الحلف الهلالي في خيمة حسن بن سرحان... وكانت الجازية تمدح أبا زيد... وتوبخني على الهروب"²، ثم حاول "ذياب الزغبى" الكشف عن نيّته في التمرد على قبيلته بدافع تحقيق مشروعه الكبير (الاستلاء على "الإمبراطورية") موظفا الإشارة الزمانية (الآن) والتي تجلت في الرواية بشكل كبير وبارز إذ يقول: "...الآن... جاء دورنا لنحكمها بسيوفنا ونسترجع حقوقنا ولن تأخذنا رافة بمن يقف في طريق تنفيذ مشروعنا الكبير..."³، فقد جاءت الإشارة الزمانية "الآن" لتحيز الزمن في زمن آني محدد، كما نقلت لنا الإشارة الزمانية (الآن) معاني العزيمة والإصرار؛ إذ كان بإمكان السارد القول مثلا (غدا سيأتي دورنا)، لكن اعتمد الإشارة الزمانية (الآن) لينقل لنا إصراره الشديد على الحكم، ثم انتقل السارد ليصوّر سعادته وارتياحه وما حققه من انتصار بعد تمرده على قبيلته موظفا كذلك الإشارة الزمانية (الآن) فيقول: "...أنا الآن في قصري الذي ورثته عن خليفة الزناتي والذي يشبه قصور الجنة..."⁴؛ كما وظف الإشارة الزمانية (اليوم) معلنا عن منصبه الجديد بشكل رسمي: "أصبحت منذ اليوم أنا: حضرة الجنرال ذياب الزغبى فارس الفرسان، القائد الملهم والزعيم المفدى"⁵؛ وكذلك حاول السارد في مواقف سردية ذكر مغامراته مع رعيته وذكر بعض أحداث حكمه بعد توليه السلطة في خطاب ساخر؛

¹ - حمو الحاج ذهبية، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص118

² - رواية (حضرة الجنرال)، ص44

³ - المصدر نفسه، ص168

⁴ - المصدر نفسه، ص61

⁵ - المصدر نفسه، ص169

موظفا إشارات زمانية قبلية وهذا بالعودة دائما لزمن التلفظ والمرتبب بالسياق الذي كان يجمع الجنرال ذياب وماركيز؛ إذ يقول: "بعد قرن من توليتي السلطة "الأوليغارشية" ... قررت أن أحتفل بعيد ميلاد جلوسي على عرش الامبراطورية وتسجيلي اسمي في كتاب (غينيس) للأرقام القياسية كأكبر معمر على كرسي الامبراطورية"¹؛ "إنه عصر الشفافية... وحتى الشتم مسموح به في هذا اليوم الذي سيصبح عيداً وطنياً وعطلة مدفوعة الأجر من بيت المال..."²، ولقد حيزت هذه الإشارات الزمانية التلفظ في آنية محددة مرتبطة بالزمن الذي وقع فيه الفعل، "وتفسيرها يكون بما هو حاضر في المقام التخاطبي"³؛ إذ بالرغم من ارتباطها بالزمن الحاضر إلا أنها تدخل ضمن الإشارات الزمانية القبلية باعتبار المقام التخاطبي المرتبب بزمن التلفظ.

3/1/3/2. الإشارات البعدية: وهي "الإشارات التي ترتبب بالمستقبل وتنتمي للزمن الذي لم ينقض بعد"⁴ وتعلق الأمر في الرواية بمسعى الجنرال ذياب ومبتغاه الذي أراد تحقيقه، والمتمثل في كتابة سيرة ذاتية له كما أراد لها أن تكون، يقول: "... اكتب بضميري ورؤيتي... وليس بضميرك ورؤيتك... فقد قلت ما عندك عن الديكتاتوريات... وسخرت منها... والآن تجرد من أنك ورجسيتك وإيديولوجيتك وحاول أن تفهم أكثر نفسية الديكتاتور من الداخل..."⁵؛ أكتب يا ماركيز... حان الوقت ليقراً العالم سيرتي الحقيقية غير المنتحلة كما أمليتها عليك أيها الروائي العبقري النابغة..."⁶

2/3/2. رواية "زعيم الأقلية الساحقة": وظّف كذلك السارد في رواية زعيم الأقلية الساحقة الإشارات الزمانية، ولا يكاد يختلف الحديث هنا عن الإشارات الزمانية عمّا تأملناه في الإشارات المكانية من حيث امتلاكهما لرؤية أعمق، وارتباطهما بأبعاد تداولية أثرت في القيمة التلفظية

¹ - رواية (حضرة الجنرال)، ص 176

² - المصدر نفسه، ص 191.

³ - محمد بن عبد الله المشهوري، التداولية السردية في خطاب الأصوصة النسائية، ص 305

⁴ - حمو الحاج، ذهبية، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص 118.

⁵ - رواية (حضرة الجنرال)، ص 13

⁶ - المصدر نفسه، ص 32

للخطاب لأن "الإشارية الزمانية ملازمة للتلفظ، فهما لا ينفكان عن القيمة التداولية للخطاب والمقصد التواصلية والفعل التلفظي"¹

تعتبر الإشارية الزمانية عن زمان محدد داخل الزمن السردية، ولا يمكن تحديدها إلا بالعودة لسياق الاستعمال فالإشارية الزمانية "لا تتخصص للدلالة على زمان معين إلا إذا دخلت حيز الاستعمال"²، وقد أخذت في الرواية أزمنة مختلفة يمكن تحديدها انطلاقاً من زمن التلفظ، كالآتي:

يقول السارد (ملك الجزائر): "...تلك السنوات لم تكن بالنسبة لي بالضبط سنوات تعفن، على العكس كانت سنوات تدريب الحواس على الرؤية في الظلام وبين أظلاف الظلم...³؛ "...ويوما بعد يوم كان اللعب يأخذ في تفكيره طابع الجدية..."⁴، استحضر ملك الجزائر في هذه الأقوال مقتطفات حياته التي بقيت عالقة في نفسه، وقد استعان في ذلك بمجموعة من الإشارات حملت دلالة الماضي والزمن المنقضي، أما بالنسبة للإشارات التزامنية، فقد جاء استعمال الإشارية الزمانية "الآن" أثراً واضحاً في الرواية لأنها حيزت التلفظ في آنية محددة، وارتبطت بالزمن التزامني المرتبط بلحظة التلفظ، واستعمال السارد لهذه الإشارية لم يقف عند حدود وصف الزمن السردية فحسب بل ارتبطت هذه الإشارية باستعمال خاص؛ إذ يمكن أن تتضمن تأويلات تحمل معانٍ ودلالات أخرى وقد تعلّق الأمر بما حققه الملك وما وصل إليه، إذ نلمس من خلال استعمال الإشارية الزمانية "الآن" شحنة التفاخر والانتصار للذات، ويتضح ذلك في قوله: "هكذا اكتملت أركان دولتي، وعلي الآن أن أزجي بعض النصائح من كمال حكمتي للأندال القادمين الذين سيقومون بعدي بالسوط على راحة رعيتي مثلما قمت أنا بذلك..."⁵؛ وكذلك في قوله: "أصبحت قامتي الآن كقامات الأطالس الذين يصفهم هيرودوت بأنهم يصطادون السمك بأيديهم من أعماق البحر ويشوونه مباشرة على الشمس"⁶، وتضمنت الرواية أيضاً مجموعة من الإشارات

¹ - محمد بن عبد الله المشهورى، التداولية السردية في خطاب الأفضوة النسائية، ص 305

² - المرجع نفسه، ص 306

³ - رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 91

⁴ - المصدر نفسه، ص 180

⁵ - المصدر نفسه، ص 165

⁶ - المصدر نفسه، ص 178

التي تحمل دلالة المستقبل، ويظهر ذلك جليا في أقواله: "أنا ذاهب... أيها الناس، أنا ذاهب بعد قليل...ربما بعد جيل أو جيلين... سأذهب"¹؛ "أعرف أنكم ستزورون قبري قليلا...وتسنوني قليلا...لكن الدنيا أحوال...وفي كل الأحوال سيتحول قبري هذا...بعد جيل أو جيلين إلى مزار ولي صالح كعشرات المزارات في هذه المدينة التي لا نعرف ساكنيها... وسأواصل من قبري إدارة عواطفكم وشؤونكم يا رعاياي وخصومي الألداء..."²، ويتعلق الأمر في هذه الأقوال بما يخطط له الملك وما يطمح إليه، وهوسه الشديد في الحكم والسيطرة.

3/3/2. رواية حرب الفتوى:

لقد ارتبط زمن القصة في الرواية بشكل عام بإطار تاريخي مستمد من الواقع، حاول فيه الكاتب أن يعيدنا إلى الأزمة التي عرفتها الجزائر (أكتوبر 1988) ليشرح تفاصيل وأسباب هذه الأزمة ليُقدم من خلالها أفكاره وأيديولوجيته المرتبطة كثيرا بقضية الفتاوى، بما صوره من عالم تخيلي افتراضي في قصة الأصدقاء الثلاث: الهادي وشاطر وقدر، والذي كان فيه الهادي الطرف الأساسي الفاعل فيها.

وبالحديث عن الإشارات الزمانية في الرواية فقد تجاوزت كذلك الوصف الزمني لتمتلك أبعادا تداولية أثرت في التلفظ وفي مقاصد الخطاب. فالإضافة إلى ما امتلكته الإشارية الزمانية في هذه الرواية من تحديد زمني مرتبط بلحظة التلفظ وبتطور أحداث الرواية، كذلك امتلكت شحنة انفعالية مرتبطة بالمتلفظ.

اعتمد الكاتب كثيرا على الإشارية الزمانية (الآن)، إذ ظهر لها الحضور القوي والجلي في الرواية، فالإشارات الزمانية (الآن، وقبل وبعد) كلّها تقدّم مرجعا زمنيا يمكن أن يساعد في تحديد زمن وقوع الفعل، وتُستثمر هذه الإشارات تداوليا في معرفة مقاصد المتخاطبين"³، ففي هذه الرواية بينت الإشارية الزمانية (الآن) مدى تأثر الكاتب بما حدث للهادي، واستثمر الكاتب هذه الإشارية ليعبر عن مدى انفعاله ومدى تأثره واستغرابه واستنكاره، فقد أفادت هذه الإشارية بشكل عام تفسير

¹ - رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 187

² - المصدر نفسه، ص 188

³ - نور الدين أجييط، الوظائف التداولية للتخاطب السياسي وأبعادها الحجاجية، ط1، الأردن، 2016: عالم الكتب الحديث، ص 209

تحول المجتمع الجزائري والانتقال من حالٍ لأخرى وما آل إليه الهادي وبهذا تجسّدت المفارقة وهذا ما توضحه هذه الأقوال الآتية:

- "بالأمس كنا وحدة واحدة والآن أصبحنا فرقا ومللا... لا نعرف وجهها من ظهر..."¹

- بالأمس كنا جميعا معا وصرنا الآن جماعة أعداء نعم...²

- كيف من بدّل فكره بين عشية وضحاها أن يحافظ على هذا الجلباب... بالأمس كان لا يختلف عن الناس... واليوم في هذه الحلة الجديدة...³

برزت هذه المفارقة والاستغراب على مستوى تحاورات الشخصيات السردية منها: "البارح ندرأقيو مع بعض في ساحة الكنيسة واليوم عدت إمام..."⁴؛ وقد أفادت هذه الإشارية التحول والتغير الذي طرأ على الهادي حيث انتقل إلى حالٍ مغايرة لما كان عليه من قبل وحدث ذلك بشكل مفاجئ. كما اعتمد الكاتب على الزمن الأنبي في كل مراحل تطور أحداث الرواية ليبين انحراف الهادي شيئا فشيئا، وهذا كما جاء في الملفوظات الآتية:

- هو الآن في صفوة وأخيار الإخوان...⁵

- في هذه الأثناء... تعمّرت فراغات الفتى...⁶

- ها هو اليوم يجمع المال بالتهديد...⁷

- اليوم الهادي عفوا (أبو سلاح) أمير الجماعة...⁸

- تساوى كل شيء لديه الآن الحرام والحلال والممنوع والمرغوب فيه... في هذه الحياة...⁹ اعتمد الكاتب في هذه الإشارات الزمانية (الآن، اليوم، في هذه الأثناء....) لينقل لنا تأثره وانفعاله.

¹-رواية (حرب الفتوى)، ص160

²-المصدر نفسه، ص112

³-المصدر نفسه، ص119

⁴- المصدر نفسه، ص140

⁵- المصدر نفسه، ص54

⁶- المصدر نفسه، ص129

⁷- المصدر نفسه، ص201

⁸- المصدر نفسه، ص202

⁹- المصدر نفسه، ص270.

عموماً يمكننا القول إن الخطاب الروائي بشكل عام لا يختلف عن أنواع الخطاب ومكوناته التلفظية، إذ يجعلنا ضمن معطيات التلفظ وملفوظ وظروف إنتاج التلفظ، وقد أدت الإشارات المقامية دوراً مهماً في بناء الخطاب الروائي السياسي، وقد تجاوزت هذه الإشارات في الروايات السياسية تحديد الأشخاص والزمان والمكان لتحمل أبعاداً تداولية ارتبطت بمقاصد الخطاب.

المبحث الثاني

ذاتية المتلفظ في الرواية السياسية

تمهيد:

لا يمكن إدراك الذات إلا باللغة، فإدراكها مرتبط باللغة التي يجسد بها المتكلم ذاته كمتكلم وفاعل وموضوع للخطاب، فكل مقطع خطابي كما تقول أوركينيوني: "يحتوي، بطرائق ودرجات مختلفة بصمة من تلفظ به، وبهذا المعنى فإنّ الذاتية هي بصمات أو آثار الذات المتكلمة في ما تنتجه من خطاب؛ أي هي مواطن اندراج مختلف مكونات الخطاب التلفظي في نسيج الملفوظ"¹ وتتجسد الذات المتلفظة عن طريق "الأنا" التي تكشف عن المتكلم الفاعل ومرجعية وإحالة الخطاب، كما تكشف عن أبعاد تداولية ترتبط بالخطاب وبمقاصد المتكلم.

إنّ البحث في ذاتية المتلفظ في الرواية هو بحث وتتبع صاحب الخطاب أو المتلفظ بالخطاب والكشف عنه، والذي يجسد ذاته كموضوع للخطاب الذي يعتبر "كلاما يقوله قائل يتوجه به إلى مخاطب، وإذا أنزلناه في سياق قصصي قلنا إنه كلام يحمل مضمونا حكائيا يحكيه راو يسوقه إلى مروي له، وهو بذلك كلام لا ينفصل في تشكيله عن أعوان السرد الناهضين به، إذ لا يمكن تصوّر كلام أدبي لا يشتمل على قرائن تكشف عن آثار صاحبه وآثار صنعته فيه، كما لا يمكن لهذا الكلام ألا تكون له مقاصد يقصد إليها المتكلمون وهم يتوجهون به إلى المخاطبين من حكي وإخبار وشرح وتفسير وتعليق وتقديم للأفكار والأيديولوجيات فكل هذه الأشياء تهدف إلى التأثير في المتلقي"² فالمتلفظ في الخطاب يكشف عن حضوره من خلال مجموعة القرائن التي تكشف عن ذاتيته في الخطاب، وإنّ أهم ما يميّز النصوص الروائية أو السردية عامة، تعدد المتلفظين، وتعدد هوياتهم ووظائفهم في العمل السردى، أي ظهور أكثر من مستوى واحد للتلفظ، ولهذا ميّز الباحثون بين مستويات عديدة لمستويات التلفظ السردى³، ويمكننا الحديث هنا عن مستويين حسب ما تقتضيه البنية السردية لمدونة النصوص كالاتي:

¹ - محمد نجيب العمامي، الذاتية في الخطاب السردى (الإدراك، والسجال، والحجاج)، ط1، تونس، 2011؛ دار محمد علي للنشر، ص11.

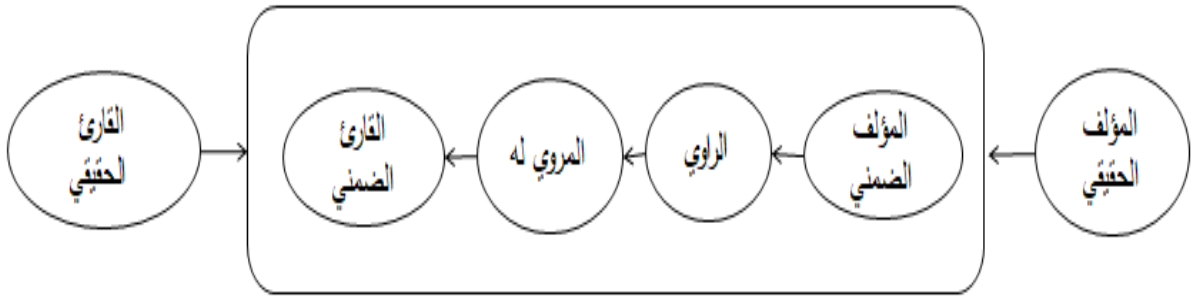
² - كاهنة دحمون، تداولية الخطاب السردى بين القديم والحديث، ص118

³ - محمود طلحة، تداولية الخطاب السردى، دراسة تحليلية في وحي القلم لرافعي، ص77

1. مستويات التلفظ التداولي في السرد:

يُظهر لنا الخطاب السردى بشكل عام مستويات عديدة للتلفظ، وهذا في ظل تعدد المتلفظين وتعدد هويتهم، وقبل الحديث عن مستويات التلفظ التداولي لا بأس أن نُذكر "بتقسيم الأستاذ (جام ميشال آدام) لمستويات التلفظ السردى بشكل عام الذي استعاد في صياغته من أعمال ("باختين" تعدد الأصوات) و(ديكرو) و(لينتفلت lintvelt)"¹ وفق المخطط كالاتي:

❖ مخطط يوضح مستويات التلفظ السردى بشكل عام.²



مخطط يوضح موقف التواصل السردى

وأما بالنسبة لمستويات التلفظ التداولي المرتبط بالبنية التداولية للسرد، فقد استبعد الباحثون المؤلف والقارئ الضمنيين لأنهما ليسا جزءا من الموقف التواصلى والسياق في أي معنى تداولي؛ فبالنسبة لرأي الباحثين فإن المؤلف الضمني "ليس صنفا تداوليا بل هو دلالي يشير المصطلح إلى (مواضع النص وقيمه) هذه المواضع أو القيم يمكن أن توجد بواسطة التصور والتأويل، وما إن توجد حتى يميل القارئ إلى أن ينسبها إلى شخص ما³؛ ومعنى هذا أن الكاتب الضمني أو المجرى الذي يرسمه القارئ كصورة ثانية لذات الكاتب وأناه ويحدد معالمه وتوجهاته وهو يعاين النص السردى لا يمكن عدّه كمتلفظ بالمعنى التداولي و"ألا يكون المؤلف الضمني صنفا تداوليا

¹ - محمود طلحة، تداولية الخطاب السردى، دراسة تحليلية في وحي القلم لرافعي، ص 81

² - جون-ك. آدمز، التداولية والسرد، ص 52

³ - المرجع نفسه، ص 52.

معناه ببساطة لا يستخدم اللغة فهو لا يكتب ولا يتكلم¹ وعليه لا يمكن في هذه الحال اعتباره متلفظاً.

وانطلاقاً من هذا يمكننا الوقوف عند مستويات التلفظ التداولي في الخطاب الروائي لمدونة النصوص المشكلة لموقف التواصل السردي وبنيته التداولية والمرتبطة بمستعملي اللغة داخل الخطاب سواء ككتاب أو كمتكلمين كآلاتي:

1/1. كاتب الرواية السياسية: وهو الذي يباشر عملية الكتابة في الواقع، وهو الذات الكائنة في عالم الواقع يحمل صفات وأفكاراً ورؤية محددة، ويعد أهم عنصر من عناصر التلفظ السردي التداولي، وهذا باعتباره المستعمل الأساس للغة -صاحب الخطاب- من خلال عملية الكتابة؛ إذ في يده التصرف في كل شيء وحضوره يظهر في العمل الإبداعي ككل والذي يعتبر إنجازاً لغوياً "قالاستخدام اللغوي الفعلي للغة سواء أكان الاستخدام شفويًا أم كتابياً هو إنجاز لغوي، والإنجاز بعبارة أخرى تداولي بطبيعته ومعتمد على السياق"²، وتظهر ذات كاتب الرواية السياسية وأناه من خلال خطابه الروائي وهذا باعتباره صاحب الخطاب والمتلفظ به والموجه لتحقيق مقاصد وأغراض تواصلية.

2/1. راوي الحكاية السياسية: ولا نقصد هنا راوي السرد الموضوعي الحكائي الذي يكتبني بنقل وسرد الأحداث السياسية، التي لا تظهر فيها إشارات الخطاب والضمائر، والتي تكون فيها الأحداث كأنها تروي نفسها بنفسها، بل نقصد هنا الراوي الذي "يضطلع بوظيفة تأويلية صريحة"³ حيث تظهر فيه إشارات الخطاب وضمائر المتكلم بحيث يُبرز ذاتيته ومواقفه حيث نشعر بأنه مشارك في الأحداث ومتفاعل معها، بل وأحياناً يكون الراوي جزءاً من القصة، وطرفاً فاعلاً في القصة أو قد يكون شخصية محورية فيها كما لو كان الحديث عن روايات السير الذاتية خاصة التي يسرد فيه الراوي مسيرة حياته ومغامراته. وإذا حاولنا مقارنة نصوص المدونة المرتبطة بمدونة الروايات السياسية سنجد أنّ الذاتية متحققة وبارزة في هذا المستوى من مستويات التلفظ السردية

¹ - جون-ك. آدمز، التداولية والسرد، ص52.

² - المرجع نفسه، ص29.

³ - محمود طلحة، تداولية الخطاب السردية، دراسة تحليلية في وحي القلم لرافعي، ص81.

فلم يكن السرد في هذه الروايات مرتبط بنقل ووصف الأحداث فقط، بل تجاوز السرد الموضوعية في نقل حكاية الأحداث إلى إبراز الذاتية اللغوية لتؤسس الفاعلية المواقف والتصورات والتعبير عن الأيديولوجيات، ففي رواية "حرب الفتوى" برزت ذاتية الراوي، فقد كان فاعلا في الرواية، فلم يكتف بالنقل والوصف فقط، بل جسّد مواقف وانتقادات إزاء الشخصيات السردية وإزاء قضية فتاوى الجماعات الإسلامية الإرهابية بشكل عام، كما حدد وضعيته إزاء الآخر (الجماعات الإرهابية)، وقد تبيّنت هذه المواقف والانتقادات من خلال مجموعة من الضمائر والإشارات التي أسهمت في تحديد مرجعية الخطاب وإبراز ذاتية المتلفظ الراوي ومقاصده؛ إذ "تتجلى الذاتية في الأسماء المبهمة، حيث تظهر الذاتية فيها عندما ينطق المتكلم بضمير "أنا"¹ ويمكننا توضيح ذلك من خلال قول السارد في الرواية: "خذوا شعارات أخريات... واحملوا رايات لغايات لكم لا غير أما الدين فباعدوا بينه وبين مرديه وباغيه دون لف ولا حزبيات... ألم يكن ذاك خير لنا ولكم"؟² فإن كان الدين الواحد لا يوحدكم ولا يصيغ عليكم لونه الواحد فكيف نصدقكم ونطمئن لكم"³، لقد بيّنت لنا هذه المفوضات ذاتية الراوي في الرواية وموقفه السلبي إزاء الجماعات الإسلامية باستعمال ضمائر المتكلم والمخاطب، حيث بين الراوي موقعه إزاء الآخر الذي يختلف عنه وهذا الآخر هو المفتي الإرهابي، وجسّد في الوقت ذاته المسافة التخاطبية والعلاقة الاجتماعية بينهما من خلال اعتماده لضمائر الشخصية، وهي ضمير المتكلم "نحن" ويقابله ضمير المخاطب "أنتم". كما بيّنت ذاتية الراوي في نطاق آخر من خلال ضمير المتكلم "نحن" انتمائه إلى الأمة واشتراكه مع الآخر كما أشرك نفسه مع الآخر مسؤولية ما حصل للأمة من أزمات وتشتت وتأخر، فدعا إلى تدارك الأمور وهذا ما جسّد في قوله: "كيف ندرس... وكيف نتعلم... ونحن لا نصنع في هذا العالم غير التفجير والتخسير والترهيب... فلماذا لا تقوم لنا قائمة عامرة مليئة بالأفكار والإبداع والاختراع..."⁴؛ "ما بال هذه الأمة، ما بال هذه الغمة... ما بالنّا نقعد جالسين دون حدث ولا

¹- نورة بوعياد، دراسة تداولية للخطاب التعليمي الجامعي، مذكرة لنيل درجة الماجستير في اللغة والأدب العربي، تيزي

وزو، 2001/2000؛ جامعة مولود معمري، ص 26

²- رواية (حرب الفتوى)، ص 348

³- المصدر نفسه، ص 374

⁴- المصدر نفسه، ص 340

همّة...¹، فمن خلال هذه الملفوظات يمكن القول أن ذاتية الراوي تجسّدت في هذه الرواية من خلال ما تبيّن من ضمائر الحضور التي حددت مواقفه واتجاهه.

جاء الراوي في رواية "حضرة الجنرال" مبرزاً لذاتيته أيضاً، حيث كان يسرد سيرته الذاتية على الكاتب المشهور "ماركيز" وعلى هذا الأساس كانت له السلطة في الخطاب وهذا باعتباره الذات المنتجة للخطاب وهذا من خلال استعمال ضمير المتكلم "أنا" كآتي: "حكمت الامبراطورية" قرنا كاملاً بحنكة وقبضة حديدية وسيف مسلول. وقفت ببسالة في وجه الفرنجة والصلبين والإمبريالية والصهيونية وحاربت بلا هوادة الخونة والمخربين...²؛ وكذلك في قوله: "أنا السلطان الخليفة زعيم الأمة، ملك الملوك، الفارس، الجنرال...³، بينت هذه الملفوظات ذاتية الراوي وهو نفسه "الجنرال بعو" والذي كان يمدح ويفتخر بنفسه.

أمّا في رواية "زعيم الأقلية الساحقة"، فقد كان الراوي كذلك نفسه الشخصية الخيالية المحورية في الرواية، وكان يسرد بعض تفاصيل حياته، وأساليب حكمه، وقد كانت ذاتيته بارزة في الخطاب باعتباره المالك للغة والمنتج للخطاب، وهذا كما يتّضح في قوله: "كنت ملك الجزائر وما ولاها من الضواحي. أحكم مملكتي بالقوة والعبث، أمشي في أسواقها مختالاً على رأسي تاجي وفي يدي صولجاني، محاطاً بحرس، اثنان يسيرون أمامي لشقّ طريقي في حمأ الحياة واثنان ورائي لحمايتي من ضغينة الحساد، يتدافع الناس في الشوارع للتبرك بتقبيل يدي، وتفرش لي الطريق بالعطايا والدعوات... وحين ألقى مرساتي في حانة أو مطعم تتسابق رعيتي لدفع حاجتي...⁴، يتّضح من خلال هذا القول أنّ الراوي هو الذات الفاعلة في العملية التلّيفية، وهو الشخصية المحورية في الرواية، وهو الذي يمتلك الخطاب حيث استعمل هذا الملك "حاكم الجزائر" ضمائر المتكلم ليكشف عن قوّته وسلطته، وأهمية شخصيته ومكانته في مجتمعه بين رعيتيه.

2/1 المتكلمون الفاعلون/ Les Acteurs: وهو مستوى آخر من مستويات التلفظ السردي

ويكون الحديث في هذا المستوى عموماً عن مجموع الذوات الخيالية في الرواية، والتي تحاول إبراز

¹ - رواية (حرب الفتوى)، ص 339

² - رواية (حضرة الجنرال)، ص 11

³ - المصدر نفسه، ص 35

⁴ - رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 07

ذاتها في الخطاب وتظهر خاصة على مستوى التحوارات السردية، وفي هذا المستوى يمكن التفريق بين وظائف الفاعلين ووظائف الراوي فإذا كان "الراوي كثيرا ما ترتبط وظيفته وتقرن بالوصف والنقل، فإنّ الفاعل يؤدي وظيفة الفعل (Action) ويؤدي كذلك عبر موقفه وكلامه وردود أفعاله ووظيفة التأويل"¹، أي أنه (القائل أو المتلفظ التخيلي) في مستوى الخطاب السردية يبرز ذاتيته اتجاه الفاعل الآخر والذوات الأخرى، وترتبط ذاتية المتكلم أو المتلفظ الفاعل في الرواية خاصة بالذات الخيالية المحورية في الرواية التي تسيطر عادة على الذوات الأخرى وتسعى لإبراز ذاتها وسلطتها في الخطاب، كما تبرز الذاتية كذلك على مستوى الشخصيات السردية الأخرى.

وبالعودة لنصوص الروايات السياسية، فإنّ ما يميّز هذه الروايات التداخل الواضح بين الراوي والشخصية الفاعلة المحورية في الرواية، حيث أخذ الراوي موقع الفاعل الرئيس فيها، إضافة إلى اعتباره راويا، وهذا ما جاء في روايتي "حضرة الجنرال" و"زعيم الأقلية الساحقة"، ففي رواية "حضرة الجنرال" كان "الجنرال ذياب الزغبى" راويا في الرواية يسرد سيرته الذاتية، وفي نفس الوقت كان الشخصية المحورية الفاعلة في الرواية، وكذلك بالنسبة لرواية "زعيم الأقلية الساحقة" فقد كان "حاكم الجزائر" راويا وشخصية رئيسة في القصة، أمّا بالنسبة لرواية "حرب الفتوى" فقد سبق وأنّ أشرنا أنّ الراوي في هذه الرواية لم يكن يكفي بنقل الأحداث السياسية ووصفها فقط، بل كان مبرزا لذاتيته من خلال مواقفه إزاء ذاته وإزاء الآخر (المفتي الإرهابي)، لكنّه لم يكن كشخصية قصصية في الرواية، كان خارج الإجراء السردية.

سنحاول في هذا الإطار تتبع ذاتية المتكلم في الخطاب في مدونة نصوص الروايات السياسية سواء على المستوى التلفظي للراوي أو على مستوى الفاعلين في الشخصيات السردية وهذا يكون بالحديث عن "الأنا" المتكلمة في الخطاب وكيفية تمحورها داخله الخطاب، ووضعيتها اتجاه المخاطب أو جماعة المخاطبين.

2. "الأنا" المتكلمة في الخطاب:

يعتبر المتكلم العنصر الأساس في العملية التخاطبية، فهو الطرف الفاعل في تحريك اللغة (مجال الخطاب)، وذلك بفعل فردي من خلال الاستعمال والممارسة الفعلية لها، ويتحقق ذلك من

¹ - محمود طلحة، تداولية الخطاب السردية، دراسة تحليلية في وحي القلم لرافعي، ص 81

خلال فعل التلفظ إذ يرتبط التلفظ كثيرا بذات المتكلم، "فالفعل التلفظي هو الأداء الكلامي أو الحدث الذي تتأكد فيه ذات الفرد"¹، كما أنّ المتكلم يحاول دائما إبراز ذاتيته في الخطاب والتي تتضح في "قدرة المتكلم على أن يتموضع في مقام المنشئ لكلامه الخاص، أو في مقام الذات"² ويتجسد ذلك من خلال استعماله لمجموعة من الإشارات، أهمها ضمير المتكلم.

1/2. ضمير المتكلم:

يعتبر الضمير أنا من أهم الإشارات والوحدات اللغوية التي تتجسد من خلالها الذاتية في اللغة ويبرز ضمير المتكلم (أنا) المتلفظ بشكل كبير وهو صاحب الخطاب الذي يثبت سلطته الخطابية ويحدد وضعيته (مخاطب وعلاقته بالمخاطب) وغالبا ما تكون في مرتبة مختلفة عن (أنت) أو (أنتم)، فالمتلفظ يحاول أن يفرض ذاته بتحكمه في الحديث ويؤسس الآخر على أنه مخاطب كذات مستقبلية لخطابه فالوعي بالذات "لا يكون إلا إذا تمّ التحقق منه بالنقيض، فأنا لا أستعمل ضمير "أنا" إلا عندما أتوجه إلى شخص ما يكون "أنت" في خطابي"³

وأما عن مدونة الروايات السياسية، فإنها احتوت على مجموعة من الذوات والشخصيات السردية سجلت حضورها وعبرت عن ذاتيتها من خلال مجموعة من أقوال وأفعال تلفظية، كما أسهمت في بناء علاقات تخاطبية من خلال التعبير عن ذاتيتها بما تجسد في ذلك من ضمائر المتكلم وكذا ضمائر المخاطب.

1/1/2. رواية "حضرة الجنرال":

لقد عبّر "ذياب الزغبى" كسارد تخيلي في الرواية عن ذاتيته من خلال ضمير المتكلم "أنا" حيث تحدّث عن نفسه وجعل منها موضوعا للحديث وموضوعا للخطاب، وفي الوقت ذاته حدد المخاطب ووضعيته من خلال ضمير "أنت" أو "أنتم"، وضميري (أنا) و(أنت) لا يحيلان إلى المتكلم والمخاطب فقط وإنما يدلان أيضا في الخطاب على أنهما موضوعا للحديث لأنّ: "ضمائر

¹ - ينظر: عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية-دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي-ط1، الأردن، 2014، عالم الكتب الحديث، ص116

² - ذهبية حمو الحاج، التداولية واستراتيجية التواصل، ط1، القاهرة، 2015: رؤية للنشر والتوزيع، ص90.

³ - صابر حباشة، لسانيات الخطاب، الأسلوبية والتلفظ والتداولية، ط1، سوريا، 2010: دار الحوار للنشر والتوزيع، ص138.

المتكلم والمخاطب لم توضع في اللغة لمجرد الدلالة على المتكلم أو المخاطب في تخاطبهما، إنما وضعت لتدل عليهما متى أصبح أحدهما أو كلاهما موضوع الخطاب¹ ويمكننا توضيح ذلك في الرواية من خلال شخصية "الجنرال بعو".

1/1/1/2. ذاتية "الجنرال نياب":

كانت شخصية "الجنرال نياب الزغبى" الشخصية البارزة في الرواية من خلال إبراز ذاتيته وجعل شخصيته موضوع الخطاب والمحور الأساس فيه؛ فقد حاول الجنرال التعبير عن نفسه والافتخار بذاته واستحقاقه بجدارة كل الألقاب المعبرة عن امتلاك القوة والسلطة، ومن ذلك قوله: "استحققت بكل فخر وشرف في حروب الشرق لقب الفارس، وفي حروب الغرب لقب الجنرال وفي حروب السلطة ألقاب: السلطان، القائد الملهم، الزعيم المفدى، ملك الملوك، الجنرال الرئيس..."²، كما عبّر (الجنرال نياب) في خطابه كذلك مع رعيته وعشيرته عن ذاتيته، مفتخرا بنفسه، وقد عبر عن تعاليه وتكبره إلى أبعد الحدود وبشكل مبالغ فيه، فقد تهادى في الحديث عن نفسه ومدح ذاته والافتخار بها؛ إذ يقول "...أنا السيد المطلق...أنا رب الامبراطورية" وربكم. أنا الممثل الشرعي الوحيد والأوحد لرب السماوات وظله ونائبه المعتمد في الأرض...أنا أخوكم وأبؤكم ورفيقكم وسيدكم... علي إطعامكم وعليكم طاعتي وخدمتي...أنا "الجنرال بعو"... مصدر كل السلطات والتشريعات...أنا "مطرقة" القانون...أنا سندان الحكم المطلق...لا أحد غيري يضوي "الامبراطورية" لا شريك لي في المشورة والحكم...أنا وحدي وبعدي الطوفان...أنا الطوفان... وأنتم جرفي... والآن لا أحد من حقه أن يحاسبني، لأنني بطبعي ومساري وخبرتي وغطرستي العسكرية أشعر أنني أديت واجبي الوطني والقومي كما ينبغي وأرضيت نفسي..."³، وإنّ تعبيره عن هذا الانتصار والتعالي والتفاخر بذاته وبزعامته وقوته يعكس أبعادا تداولية مرتبطة بجبروته وغطرسته وتمرّده على عشيرته وديكتاتوريته، فقد وضع ذاته من خلال (الأنا) في منزلة متعالية إزاء (الأنت) والذي يمثل عشيرته ورعيته.

¹ - كاهنة دحمون، تداولية الخطاب السردى بين القديم والحديث، ص 118

² - رواية (حضرة الجنرال)، ص 23

³ - المصدر نفسه، ص 33

كما حاول "الجنرال ذياب الزغبى" الافتخار بفروسيته، مخاطبا "سعدى بنت الزناتي" والتي تمردت عليه بعد كشفها عن حقيقته وطموحه للاستيلاء على العرش، وجسد ذاتية (الجنرال ذياب) من خلال التعبير عن فروسيته وانتصاراته وبرر موقفه في خطاب حجاجي إقناعي محاولا إقناع سعدى بفروسيته، مفتخرا بسيفه البتار الذي صنع انتصارات بني هلال في قوله: "أنا فارس الهالبيين وصانع انتصاراتهم الباهرة... وأنت الأدرى أتى من ملكهم الشرق والغرب، ولولا سيفي البتار لما دانت لهم هذه الأرض الشاسعة المترامية الأطراف على ضفاف المتوسط وفي قلب صحارى إفريقيا. لقد تعبت من الحروب..."¹ وقد أكد الجنرال بعو على قوته وفروسيته وافتخاره بذاته وباسمه، بقوله: "كل الخناجر تهتف باسمي... كل الهالبيين هنا بنسائهم وكهولهم وأطفالهم وفرسانهم، اصطفوا لتحتي والترحيب بعودتي..."²

كما عبّر عن ذاتيته وقوته وغطرسته، بذكر كامل صلاحياته باعتباره الزعيم والسلطان المطلق، وحدد بافتخار مختلف حقوقه التي نصّ عليها دستوره، وفي هذا كله يعكس حكمه الاستبدادي الديكتاتوري إزاء رعيته، وهذا ما يتجلى في خطابه: "...يخول لي دستوري أن: أعين وأنهاي مهام الوزراء، أعين وأنهاي مهام الولاة، أعين وأنهاي مهام السفراء... أعين وأنهاي مهام مسؤولي أجهزة الأمن... أعين وأنهاي مهام القضاة... أعين وأنهاي مهام الأئمة... أعين وأنهاي مهام مدراء المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والسياحية... يحق لي وحدي أن أقرر السياسة الداخلية والخارجية... أن أوقع المراسيم... أن أبرم الصفقات والمعاهدات..."³؛ ولقد بدت سلطة الجنرال وجبروته واضحة في الرواية من خلال خضوع رعيته له خوفا من استبداده وديكتاتوريته كما اتضح كالاتي: "يا حضرة الجنرال ذياب أنت سلطان الامراطورية وملكها وحامينا من العدو نبايعك على السمع والطاعة ولن نعصي لك أمرا..."⁴

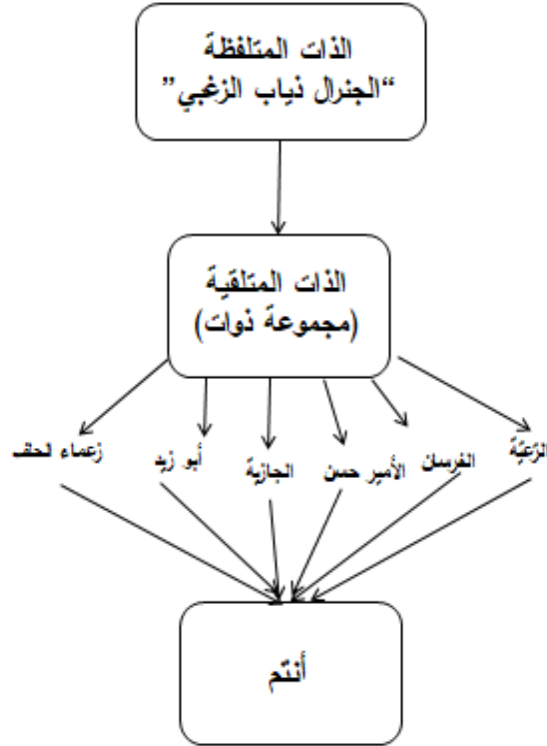
¹-رواية (حضرة الجنرال)، ص 69

²-المصدر نفسه، ص 118

³-المصدر نفسه، ص 170

⁴-المصدر نفسه، ص 173

لقد عبّر الجنرال بعو عن ذاتيته من خلال (الأنا) مفتخرا بذاته وبسلطته وقوّته، وقد أعطى لنفسه مكانة عالية، بالنسبة لمخاطبيه وهم مجموع الذوات المتلقية للخطاب التي حدد وضعيتهم ومكانتهم المختلفة عنه (منزلة أدنى) وقد مثلنا خطاب الجنرال بعو مع مخاطبيه في هذا المخطط كآلآتي:



مخطط يوضح تموضع أطراف الخطاب في رواية "حضرة الجنرال" على مستوى التحوارات السردية

2/1/1/2. ذاتية أمير زعيم الحلف ومدحه بسياستهم الحكيمة: حاول الأمير "حسن ابن سرحان" أمير بني هلال وزعيم "الامبراطورية" من خلال حوارهِ وتفاوضهِ مع "الجنرال ذياب الزغبى" التعبير عن ذاته من خلال تحديد انتمائه إلى حلف "بني هلال"، والافتخار بنفسه وبمواهبه وكفاءاته وبقيادته الحكيمة، وقد كان ذلك كحجج لبيّن للجنرال بعو أنّ تنصيبه على رأس الامبراطورية جاء عن جدارة واستحقاق، كما جاء كذلك عن عدل ونزاهة بفضل انتخاب أعضاء مجلس الشورى له، وهذا في قوله: "أنا ابن هذا الحلف المقدّس، وقد وصلت إلى ما وصلت إليه بفضل مواهبي وكفاءتي، وأنا اليوم على رأس "الامبراطورية" بفضل انتخاب أعضاء المجلس

الشورى لي وهذا يشرفني...سأدافع عن هذا الحلف وهذه "الامبراطورية" أو أهلك دونهما...¹ كما عبّر الأمير "سرحان" عن ذاتيته من خلال موقفه إزاء "حضرة الجنرال" والكشف عن أنانيته وطموحه في الاستيلاء على عرش "الامبراطورية"، كما افتخر بنفسه وبسياسته الحكيمة وقيادته الرشيدة للحلف، ومدح عدالته بين الناس واتّضح ذلك باستعماله ضمير المتكلم (نحن) الذي كثيرا ما يعبر بها المتكلم ليفتخر بذاته، ومن ذلك قوله: "يا زغبى إنّ أنانيتك تجعلك تتوهم أنّك صاحب الفضل فيمانحن فيه من خير ونعيم...الحمد لله على النعم التي أنعمها علينا...لولا قيادتنا الحكيمة والرشيدة للحلف وعدالتنا بين الناس لا انفرط عقد الحلف من زمان وانفضت من حولنا القبائل، وما حققنا عشر ما حققناه..."²

3/1/1/2. ذاتية "الجازية" وتحديها "للجنرال بعو": حاولت الجازية التعبير عن ذاتيتها، وذلك من خلال تحديد موقفها السلبي إزاء الجنرال ذياب الزغبى الذي استولى على عرش "الامبراطورية" وانفرد بالسلطة والحكم، كما حاولت أن تبين تحديها له والثأر منه وإزاحته عن الكرسيّ بقيادة فرسان يتامى الحقد السياسي لاسترجاع حقوقهم في قولها: "إني امرأة حرة وبنات الأحرار ولست أسيرة حتى تملي عليّ أيها الزغبى شروطك الغريبة...³... جننا لنثأر منك ونزيحك عن كرسيّ الحكم..."⁴؛ كما عبرت الجازية عن ثقنها بنفسها بتحديها للجنرال "ذياب الزغبى، وثقتها بفرسانها وبعدالة قضيتها التي ستدين الظالم وتتصف المظلوم ، وتسترجع لليتامى حقوقهم، وحقوق آبائهم، فقد ظهر تحديها للجنرال (ذياب) في قولها: "لن أذهب حتى أقتلك أو تقتلني كما قتلت غدرا زعماء "الامبراطورية" حسن وأبي زيد وغيرهم ويتمت أبناءهم، ولكن لست خائفة منك، فإن قتلتنني فذاك أجلي. ولكن ثق أنّ نهايتك ستكون على أيدي هؤلاء اليتامى الفرسان اليافعين المؤمنين بقضيتهم العادلة..."⁵

1- رواية (حضرة الجنرال)، ص94

2-المصدر نفسه، ص93

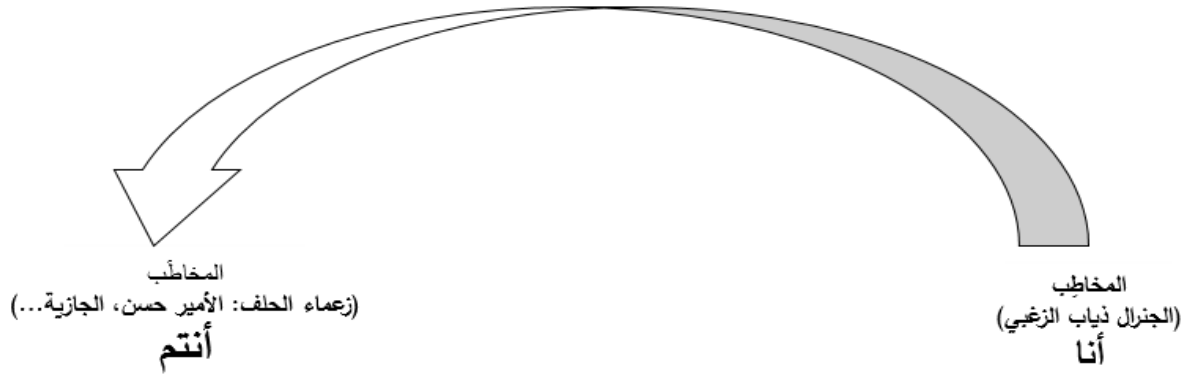
3-المصدر نفسه، ص96

4-المصدر نفسه، ص216

5-المصدر نفسه، ص217

حدد الجنرال وضعيته كمخاطب ووضعية مخاطبه أو المشاركين له في الخطاب، ومنح نفسه كمتكلم منزلة متعالية بالنسبة للمخاطب، وسجل بضمير المتكلم أهميته إزاء الآخر، لكن هذا الاتجاه لم يكن الاتجاه الوحيد في الرواية، فلقد انعكس اتجاه الخطاب من خلال تبادل الأدوار بين أطراف الخطاب، فالمخاطب أصبح المخاطب والمخاطب أصبح المخاطب وهذا الاستبدال يكون بمجرد إسناد المخاطب الكلام لذاته ويمكننا توضيح ذلك في هذه المخططات التي توضح عملية تبادل الأدوار بين أطراف الخطاب كآتي:

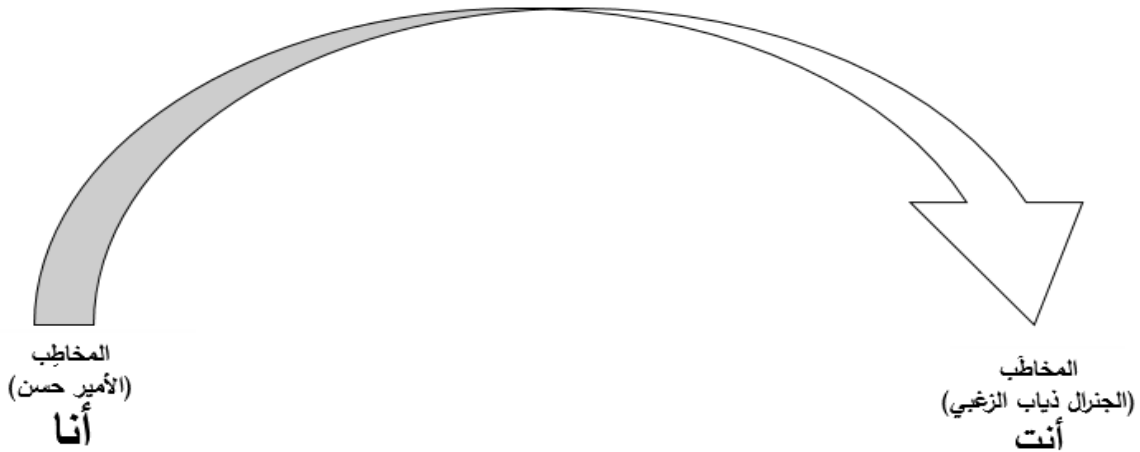
-الوضعية الأولى: خطاب "الجنرال بعو" الموجه "لزعماء الحلف" وتعاضمه وافتخاره.



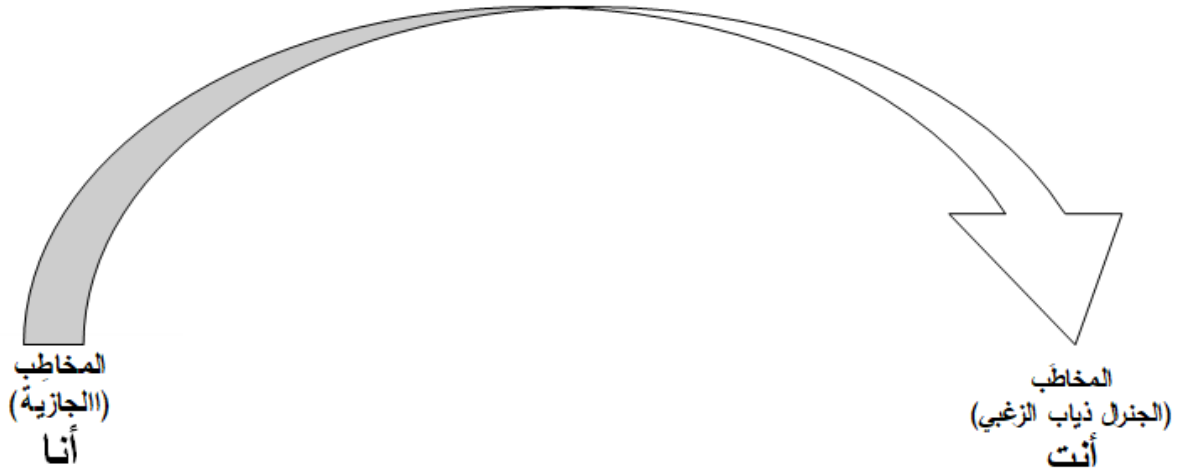
وانعكست هذه العملية بمجرد إسناد المخاطب الكلام لذاته كما في الوضعية الثانية.

-الوضعية الثانية: "زعماء الحلف (الأمير حسن والجازية) الموجه "للجنرال بعو" ومحاولتهم وضع حد له مع مدحهم بحكمة ونبيل سياستهم وكفاءاتهم.

-خطاب الأمير حسن وافتخاره بقيادته:



-خطاب الجازية الموجّه للجنرال بعو وتحديها له:



إنّ خطاب الأمير "ابن سرحان" الموجّه للجنرال بعو جعله يبرز ذاته وشخصيته كأمر بني هلال ويحدد وضعيته كشخصية قيادية متميّزة ومختلفة عن الآخر الذي مثل الجنرال بعو والذي حدد وضعيته كمحارب متمرّد. والأمر نفسه بالنسبة للجازية فقد أبرزت من خلال (الأنا) ذاتيتها وقوة شخصيتها بتحديها للجنرال بعو، ووضعت مخاطبتها وذاتها في وضعيات مختلفة.

عموما عبّر الجنرال (ذياب الزغبي) عن ذاتيته كذات متلفظية محورية في الرواية مبينا افتخاره بنفسه وبفروسيته إزاء رعيته وزعماء حلقه، ولكن ذلك لم يكن الاتجاه الوحيد، فقد عبر كذلك زعماء الحلف (الأمير حسن، والجازية...) في اتجاه معاكس عن ذواتهم في خطابهم الموجّه للجنرال للافتخار بحكمهم العادل وحكمتهم الرشيدة، وعلى هذا الأساس يمكننا القول بأن ذاتية المتكلم تتجسّد كلّما كان متلفظا فاعلا ممتلكا للخطاب.

2/1/2.رواية "حرب الفتوى": تجلّت مظاهر الذاتيّة اللغوية في رواية "حرب الفتوى" بشكل واضح سواء على المستوى التلفظي للراوي أو على المستوى التلفظي للشخصيات السردية حيث حاول كل طرف إبراز ذاتيته من خلال تبيان انتمائه وتحديد وضعيته إزاء المشاركين له في الخطاب ومن إظهار لموقفه وأيديولوجيته إزاء التعددية الحزبية وقضيّة الفتوى التي مثّلت الموضوع الأساس في الرواية، وقد تبيّنت هذه الانتماءات وهذه المواقف والأيديولوجيات بتعبير المتلفظ عن ذاته

مستعملا ضمير "الأنا" الذي يقابله الـ"أنت" وهو المخاطب (الأخر)، فضمير "الأنا" لا يمكن أن يتجسد إلا بوجود الآخر أي: "لا يمكن أن يعي بكونه "أنا" إلا بوجود الآخر وهو المخالف"¹.

1/2/1/2. ذاتية الراوي: لقد كانت ذاتية الراوي وأيديولوجيته واضحة في الرواية، فلم يكتفي الراوي بنقل ووصف أحداث الرواية فقط، بل كان طرفاً فاعلاً ومنفعلاً فيها وهذا من خلال التعبير عن مختلف تصورات وأفكاره الذاتية، فلم يكن الراوي في هذه الرواية راوياً موضوعياً ناقلاً للأحداث التاريخية بل كان مبرزاً لذاتيته في الرواية بإظهار انتمائه لوطنه الطامح لتغييره نحو الأفضل، ومن مواقفه الواضحة إزاء الجماعات الإسلامية الإرهابية، وكذا إزاء الهادي الذي مثل هذه الجماعة في الرواية الذي شكّل الشخصية المحورية فيها.

وقد اتخذ السارد موقفاً سلبياً اتجاه الجماعات الإسلامية الإرهابية، حيث استنكر مختلف أفعالهم وقناعاتهم وتصوراتهم الفاسدة التي لا تعرف غير الترهيب والقسوة والتعصب، كما أظهر تحسره وحزنه على حال وطنه ووضعها الذي لا يعرف غير القسوة والفجور والأيديولوجيات الفاسدة كما جاء في قوله: "إننا لا يمكن أن نساير هذا العالم ونحن نسير بهذه العقلية الموحشة...²؛ "...متى تقوم لنا قائمة ونحن في هذا العالم لا نضع غير التفجير والتحسير والترهيب"³؛ "نحن طحالب هذا الزمن ولا عمل لنا غير الفجور والفسوق والقسوة... قسوة مرسومة على محيانا؛" لا نعرف غير الفتاوى والتفكير والتهمير..."⁴ تحدث السارد في مجموع هذه الأقوال بصيغة (نحن) ولكن كان يوجه خطابه للجماعات الإسلامية الإرهابية التي مثلت (نحن) وهي في الحقيقة (أنتم) إذ فضّل السارد التعبير عن المخاطب بصيغة (نحن) باعتبار المسافة والعلاقة الاجتماعية التي تربط بينه وبين المخاطب الذي مثل الجماعات الإسلامية هي علاقة انتماء لنفس الوطن والأرض ونفس الدين، حيث تحدث عن المخاطب كطرف غير منفصل ومنعزل عنه وهذا لتقريب المسافة التخاطبية بينه وبين المخاطب.

¹-باتريك شارودو، دومينيك منغونو، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري؛ حامد صمود، مر: صلاح الدين

الشريف، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008، دار سيناترا، ص35

²- رواية (حرب الفتوى)، ص48

³-المصدر نفسه، ص340

⁴- المصدر نفسه، ص341

لقد وجّه الرّاوي كلامه كذلك إلى الهادي والجماعات الإرهابية مخاطبا لهم بشكل صريح يعاتبهم على الفكر الفاسد الذي جاءوا به ويرشدهم ويوجههم ويحاججهم على ضرورة العودة إلى الطريق الصحيح، وجادة الصواب وهذا كما اتضح في قوله: "لا يمكن أن تعيش بلا جماعة أو أن تسير في هذا العالم من دون استيعاب لثقافات الآخرين وشخصياتهم ومكنوناتهم..."¹، كما اعتمد الكاتب مجموعة من الأفعال الكلامية التوجيهية يوجّه بها الهادي في قوله: "أيها المنقذ... أنقذ نفسك... من تنقذ وكيف وبما ولما؟"²؛ "أيها الخطيب دع عنك الوعظ وانتمي للناس..."³، لقد وجّه الرّاوي هنا كلامه بشكل مباشر لأنت/ أنتم، وحدد مخاطبيه الذين مثلوا الهادي ولجماعته الطرف الموازي لأننا التي مثلت الرّاوي المختلف عنه فكرا وتصورا وفعلا. وحاول الرّاوي كشف وتبيان مقاصدهم المرتبطة بطموحهم السياسي ورغبتهم في الحكم والسلطة، حيث يرى الرّاوي أن الدين لم يكن غايتهم بل الرئاسة من شغلهم، وقد تبين ذلك من خلال مجموعة من الأفعال الكلامية غير المباشرة: "من أنتم؟ من منكم يعرفنا عليه؟ ماذا تريدون؟ فان جئتمونا فباسم حزب لا غير أما الدين فهو للجميع لكم ولغيركم... فإن كان الدين لا يوحدكم ولا يسبغ عليكم لونه الواحد، فكيف نصدقكم وكيف نطمئن لكم"⁴؛ "لا نريد كثيرا من الاستهتارات... وكل منا مسؤول عن فكر وتصرفات بينه وبين الخالق ذي الكرامات والخيرات... فإرفعوا ما تشاؤون من شعارات أسماء للحزبيات بعيدا عن دين الله بتوحيده لكل الفئات..."⁵.

وعبر الرّاوي عن ذاتيته عندما أبرز انتمائه إلى وطنه يتشارك مع المخاطب نفس الأرض والتراب وهو وطن الجزائر، ودلّ على ذلك ضمير المتكلم (نحن) الذي يحيلنا إلى ملامح القرابة والأسرة الواحدة، ومن ذلك قوله: "إننا في الجزائر على جملة واحدة مسلمون على المذهب المالكي آباء وأبناء..."⁶؛ "نحن مركّب واحد في مركب واحد، الجزائر الأم الحلوب الولود الودود..."⁷؛ "نحن

¹ - رواية (حرب الفتوى)، ص 48

² - المصدر نفسه، ص 163

³ - المصدر نفسه، ص 157

⁴ - المصدر نفسه، ص 347

⁵ - المصدر نفسه، ص 349

⁶ - المصدر نفسه، ص 181

⁷ - المصدر نفسه، ص 345

لحمة واحدة ما فرقتنا غير تلك الفتاوى البائسة...¹؛ كما بيّن الراوي اشتراكه مع الجماعات الإسلامية بالانتماء لنفس الدين والعقيدة ساعيا تقريبا المسافة بينه وبين مخاطبيه من خلال استعماله للضمير (نحن) والذي مثّل (أنا وأنت)، كما استنكر الفكر الذي جاءت به الجماعات الإسلامية مثل قوله: "أيّ عدوّ هذا؟... ألسنا على دين واحد وعلى قلب رجل واحد... بالأمس كنا جميعا معا والآن صرنا جماعة أعداء...²؛ نحن كلنا عيال الله ندور في فلكه ونوحده...³؛ لم تشكل هذه الأقوال مجرد تعبير عن ذاتية الراوي وانتمائه فقط، بل مثّلت كذلك حججا لبيّن فيه الكاتب موقفه الذي يوضّح فيه أنّ الدين ليس حكرا على الجماعات الإسلامية كما يعتقد أفرادها حيث أخرجوا الناس من دين الله واتهموهم بالفجور والفسوق.

كما تجلت ذاتية الكاتب من خلال طموحه في تغيير أوضاع وطنه والذي يمثل عنصرا مشتركا ينبغي العمل على تطوره وازدهاره إذ يقول: "لماذا لا تقوم لنا قائمة عامرة مليئة بالأفكار والإبداع والاختراع... هلا تقوم لنا من شهم عريف بالحياة خبير بالدنيا أفكارا وقدا ونقحا وفحصا... بعيدا عن فتاوى المعاداة والمصادمة والحرب...⁴. فقد وقف السارد هنا وقفة المتفائل الطامح للتغيير نحو الإبداع والتطور والابتعاد عن كل الفتاوى التي لم تجلب سوى الحرب والشتم والفرق.

2/2/1/2. ذاتية الفاعلون: يمثّل هذا المستوى مستوى آخر من مستويات التلفظ السردية والذي تتجسد فيه الذاتية اللغوية، والتي يعبر عنها مجموعة من الذوات الخيالية داخل الإجراء السردية للرواية، فكل شخصية من شخصيات الرواية تحاول إبراز ذاتها في الخطاب من خلال جعل ذاتها التي تمثّل (الأنا) موضوعا محوريا في الخطاب الذي يكون بإبراز مكانتها وانتمائها وقناعاتها وأفكارها وكذا بإبراز وضعيتها إزاء الشخصيات الأخرى في الرواية والتي تختلف عنها وضعيتها ومكانة وانتماء وأيديولوجية.

لقد برزت الذاتية اللغوية في رواية "حرب الفتوى" بشكل واضح في هذا المستوى من مستويات التلفظ السردية الذي يمثله المتكلمون الفاعلون في الرواية، وبالخصوص على مستوى شخصياتها

¹ - رواية (حرب الفتوى)، ص 336

² - المصدر نفسه، ص 212

³ - المصدر نفسه، ص 354

⁴ - المصدر نفسه، ص 340

الأساسيين الذين ساهموا في بناء الموضوع العام للرواية، والذي انبنى على اتجاهين متقابلين هما: الاتجاه الإنقاضي للجماعات الإسلامية والذي مثله (الهادي)، والاتجاه الآخر هو الاتجاه الممثل لنظام الدولة والذي يمثله (شاطر) كعون من أعوان الدولة. ولقد تناسبت هاتين الشخصيتين مع الموضوع الذي عبّرت عنه الرواية، حيث عبّرت كل شخصيّة عن ذاتها وأيديولوجيتها وحددت انتمائها من خلال تمثيلها لاتجاهها الذي يختلف عن الآخر.

1/2/2/1/2 ذاتية "الهادي" كطرف منتمي للجماعات الإسلامية: مثل الهادي الشخصية المحورية التي دارت حولها أحداث الرواية، حيث عبّر الهادي من خلال بالضمير (أنا) الذي دلّ وجوده عن سلطته وذاتيته في الخطاب، كما عبّر عن انتمائه وإيديولوجيته وقناعاته، ومعارضته للحزب الواحد، كما تحدّث عن مختلف تصورات الجماعات الإسلامية الإرهابية التي تدعو للتغيير باسم الدين متبنيًا إياها وهذا ما يوضحه حوار جرى بينه وبين شاطر بعد اعتقاله حيث قال فيه:

- "أنا ضدّ الحزب الواحد... أنا مع الحرّية"¹

- "أنا دولتي وطن الإسلام الكبير..."²

حاول الهادي هنا إبراز تصوراتهِ وتبرير دعواه وتبرير وكشف طموحه باسم الدين قصد استمالة المخاطب محاولاً إقناعه باتجاهه، ومن ذلك أيضاً قوله: "أنا العبد الضعيف لله..."³؛ "أنا على باب ربي أدعو من حولي على بصيرة... أدعو إلى التغيير على بصيرة وصبر..."⁴، عبّر الهادي كذلك عن ذاتيته في الخطاب وقد حدد انتمائه وفي الوقت ذاته حدد مخاطبه وهو شاطر، الذي كان صديق طفولته، واعتبره اليوم من أعدى أعدائه، وقد حدد وضعيته التي تختلف عنه وقد اتّضح ذلك بضمير المخاطب (أنت)، فالمتكلم في خطابه يعبّر عن ذاتيته من خلال الأنا، وفي الوقت ذاته يضع (الأنتم) مستقبل لخطابه وهو الآخر المختلف عنه.

لم يعتبر الهادي صديقه شاطر كمخاطب مختلفاً عنه فقط، بل اعتبره خصمه اللدود، فقد نسي صداقتهما وأخوتهما وأيام طفولتهما، وخاطبه بخطاب حاد وقاس ارتبط بأبعاد تداولية ليبيّن من

¹ - رواية (حرب الفتوى)، ص 73

² - المصدر نفسه، ص 105

³ - المصدر نفسه، ص 74

⁴ - المصدر نفسه، ص 75

خلاله الكاتب عن الفكر المتعصب والفاقد الذي تبناه الهادي وجماعته، وجاءت هذه الخطابات مناسبة لموضوع الرواية ولمقاصدها وأهدافها التواصلية وعكست إيديولوجية الكاتب واتجاهه الذي عبّر فيه عن خطورة الفتاوى الفاسدة. وقد اتّضح كلّ ذلك في الأقوال الآتية: "...خويا؟ منين خوك... وأنتم من الصباح هات ضرب في...¹؛ "أنتم أعداء الشعب... فكيف تكون أخي؟ أنت ابن هذا النظام... أنتم أعوان الظلمة..."² وتعود مرجعية (الأنتم) في هذه الأقوال إلى صديقه شاطر والذي أصبح من ألدّ أعدائه، أما مرجعية (أنتم) فتعود إلى شاطر وإلى كلّ منتم للنظام الدّولة وإلى كلّ مساند لها، كما أكّد الهادي انتماؤه من خلال حوار مع والده، وقد بدا إصراره على مهمته واضحا، حيث انعزل الهادي تماما عن أصدقائه وحياته وعن عائلته وحتى عن والده وأتى بفكر جديد، وكأنّه أصبح شخصا آخر مغايرا، وقد عبّر عن انتمائه لجماعته بكل قناعة وحدد اتجاهه؛ إذ يقول: "هؤلاء أصحابي... وهذه عقيدتي... أنا أعيش لديني وعقيدتي..."³

حدد الهادي من خلال خطابه مبتغاه وسلك طريقه مع الجماعات الإسلامية الإرهابية وكذلك بين من خطابه شدّة إصراره على مبتغاه، فلم يترك الهادي أيّ مجال لمخاطبه وللمشاركين له في الخطاب لمناقشته للعدول عن رأيه وترك الطريق الذي اتخذه لنفسه والعودة إلى جادة الصواب، فقد كان الهادي متخذا القرار مع نفسه وهذا ما يتّضح في خطابه مع والده حيث قال: "هذا حديثك أنت أما أنا فماضٍ في مهنتي الدعوية رغم كلّ شيء..."⁴، إذ حاول الهادي إقناع والده بانتمائه محاولا طمأنته، وليخفف من خطورة هذا الاتجاه الذي يراه والده خطرا عليه وهذا من خلال إبراز ذاته كذات لم يتغيّر فيها شيء إلا التّوبة كما جاء في قوله: "أنا أنا هو ما تبدّل فيّ والو غير التّوبة..."⁵.

¹ - رواية (حرب الفتوى)، ص 77

² - المصدر نفسه، ص 105

³ - المصدر نفسه، ص 135

⁴ - المصدر نفسه، ص 133

⁵ - المصدر نفسه، ص 135

أكد كذلك الهادي انتماءه للجماعات الإسلامية وعلل دعواه باسم الدين من خلال حوار مع صديقه (قدور) كما في قوله: "ما درت والو...أنا خرجت من أجل دين الله...¹؛ كما كان الهادي حاسما في قراره والاستمرار في محاربة نظام الدولة ولم يترك مجالا للتراجع وهذا ما بينته في قوله: "تتوب للدولة كيما المرتدين...ليخافوا من الدولة ومن الموت؟ أنا عندي الأمر سيان خلاص نموت ولا نحيا...هذا الأمر خلاص...²"

وقد حدد الهادي مخاطبه والذي اعتبره مختلفا عنه وذلك من خلال الضمير "أنت"، بل اعتبره عدوه، ولم يكن خطاب الهادي مع أصدقاء طفولته (قدور وشاطر) هادئا وسلسا، بل كان خطابا قاسيا ومفزعا وخطيرا حاول الكاتب من خلاله أن يعكس به مجمل الأفكار الفاسدة والأعمال الدنيئة التي تقوم بها الجماعات الإسلامية وهذا كما جاء في قوله: "وين نخرج فيك نقلعك جدك...قاتلك قاتلك...³؛ "...أنت لو كان ماكش مرسل راك ميت ميت...⁴"

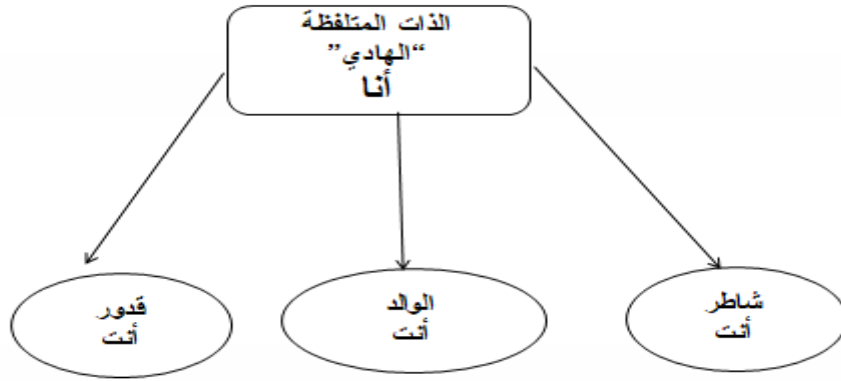
لقد جسدت (الأنا) ذاتية الهادي وقد جعلته موضوعا للخطاب، فقد عبرت عن انتمائه للجماعات الإسلامية وعبرت عن اتجاهه وأيديولوجيته، وقد وجّه الهادي خطابه إلى (الأنت) والذي مثل والده وصديقيه (قدور وشاطر) كما حدد وضعيتهم التي تختلف عنه باعتبارهم منتمين لنظام الدولة، كما حدد الهادي المسافة الاجتماعية بينه وبين مخاطبيه، ويمكننا توضيح خطاب الهادي وذاتيته والمشاركين له بالخطاب في المخطط كالاتي:

¹ - رواية (حرب الفتوى)، ص 273

² - المصدر نفسه، ص 273

³ - المصدر نفسه، ص 274

⁴ - المصدر نفسه، ص 275



مخطط يوضح تموضع أطراف الخطاب في رواية "حرب الفتوى" على مستوى التحوارات السردية

2/2/2/1/2 إبراز "شاطر لذاتيته:

عبر شاطر كذات متلفظة (متلفظ قصصي) عن ذاتيته وقد بين انتماءه للدولة كعون من أعوانها، ومساندا لنظامها وتجسد ذلك في ضمائر المتكلم (أنا) و(نحن) وهذا كما جاء في قوله: "... أحنا أعوان الدولة..."¹، وقد كان موجه الخطاب إلى صديقة الهادي الذي انتمى إلى الجماعات الإسلامية الإرهابية والذي تمرد على نظام الدولة كما جاء في قوله: "...خرجت معارضا للنظام... معرّضا السلم العام والأمن للخطر... خرجت على رأس عصابة من المراهقين تغرر بهم..."²

بدا خطاب (شاطر) مع صديق طفولته (الهادي) الذي أصبح إرهابيا، هادئا على خلاف خطاب الهادي له -الذي أشرنا إليه سابقا- فقد حاول شاطر من خلاله نصح صديقه للعودة إلى رشده من خلال مجموعة من الأفعال الكلامية التوجيهية كما في قوله: "أنا نقول اتق مولاك وعود لرشدك... البصيرة تعرفها الشرطة..."³؛ كما حاول شاطر إبراز ذاتيته من خلال التعبير عن انتمائه إلى البيئة الاجتماعية الواحدة والتي يتقاسم أفرادها كل شيء؛ أي انتماء إلى الشعب وإلى الدولة، وقد كان ذلك بمثابة حجج لدحض مجمل الأفكار والتصورات الفاسدة التي رسخت في عقل صديقه الهادي. كما سعى تقريب المسافة الاجتماعية بينه وبين الهادي، بالملفوظات الآتية: "رانا

¹ - رواية (حرب الفتوى)، ص 104

² - المصدر نفسه، ص 101

³ - المصدر نفسه، ص 75

قاع مسلمين... لو كان تقرأ راک عمرک ما تخرّج واحد من رحمة ربي...¹؛ "أنا ثاني من الشعب... أنا خوک... وهادي الدولة أمک..."².

جاء مجمل هذه الأقوال مناسبة لموضوع الرواية ولمقاصدها التداولية، والتي عبّرت بشكل واضح وعكست وجهة الكاتب وأيديولوجيته - كذات يرسمها القارئ من خلال العمل الإبداعي - إزاء الأزمة السياسية والمأساة التي عاشها الشعب الجزائري الراض للفساد والفتاوى المهلكة للجماعات الإسلامية، "فالكاتب يرسم لنفسه صورة عبر الكتابة... إذ إنّها صورة لا تظهر إلا عبر الأثر الأدبي، ويأخذ فيها المؤلف موقعا أيديولوجيا تمثله تلك الصورة التي يظهر عليها في النص³، وعلى هذا الأساس اختار الكاتب للشاطر كطرف منتمي للدولة خطابا هادئا رزينا وقد احتوى على مجموعة من الأفعال الكلامية التوجيهية جاءت عن حكمة ومنطق، وأما بالنسبة للهادي فقد اختار له الكاتب خطابا قاسيا ومفزعا جاء عن تهور وانفعال وتعصّب ويمكن اعتبار هذا كاستراتيجية من استراتيجيات الكاتب للتأثير على القارئ وتبرير وجهته وأيديولوجيته، ومن مجمل هذه الملفوظات التي اختارها الكاتب يمكننا الكشف عن مستوى آخر من مستويات التلفظ السردي التي تظهر فيها الذاتية اللغوية، وهي ذاتية الكاتب المجرد التي تظهر في عالم جديد يشكّل عمق العمل الإبداعي حيث تتجلى الصورة الثانية لذات الكاتب يمكن أن يرسمها القارئ ويحدد معالمها وتوجهاتها وهو يعاين ذلك العمل الإبداعي وعلى هذا فإنّ المؤلف أو الكاتب المجرد هو نتاج عملية القراءة للنص السردي.

3/1/2. رواية "زعيم الأقلية الساحقة":

تجلّت مظاهر الذاتية اللغوية في رواية "زعيم الأقلية الساحقة" بشكل بارز وواضح، وقد كان ذلك على مستوى الشخصية المحورية في الرواية وهي شخصية الملك المستبد والعايب (ملك الجزائر) وهو الملك الذي سعى إلى إبراز ذاتيته بشكل كبير من خلال حديثه عن نفسه وعن قناعاته وأساليبه في الحكم وسرده لبعض تفاصيل حياته وشخصيته، وقد تجسّد ذلك بفضل (الأنا)

¹ - رواية (حرب الفتوى)، ص 88

² - المصدر نفسه، ص 104

³ - محمود طلحة، تداولية الخطاب السردي، دراسة تحليلية في وحي القلم لرافعي، ص 78

التي جعلها موضوعا للخطاب، وذات محورية في الرواية؛ فالمرسل: "هو الذات المحورية المنتجة للخطاب لأنه ببساطة هو الذي يتلفظ به معبرا عن مقاصد معينة بغية تحقيق هدف التأثير في الآخر، والأهم أنه من خلال بنائه للخطاب يكون قد فرض ذاته باستعمال بصمات ملائمة تدل على تحكّمه في الحديث، والنجاح في نقل أفكاره وتصويراته للآخر"¹، فالمتلفظ التخيلي في السرد يعبر عن ذاتيته من خلال تحكّمه في الخطاب بمجرد تلفظه ب"أنا"، الذي يعبر عن أيديولوجيته ومختلف تصوراته وأفكاره.

أخذ الملك موقع الفاعل في الرواية كذات خيالية في القصة السردية، كما أخذ كذلك موقع الراوي في الرواية إضافة إلى اعتباره فاعلا فيها، وقد كانت الرواية كسيرة ذاتية خاصة بالملك، وكان يسرد تفاصيل حياته وحكمه كما عبر عن قناعاته السياسية، وأساليبه في الحكم محاولا إبراز ذاتيته. وقد تجلت مظاهر الذاتية اللغوية في الرواية من خلال المتلفظ التخيلي (حاكم الجزائر) في ما يأتي:

1/3/1/2. إعلاء الذات والانتصار لها: لقد عبر المتلفظ التخيلي الأساس في رواية "زعيم الأقلية الساحقة" وهي الممثلة في شخصية "ملك الجزائر" عن ذاتيته مبيّنا افتخاره بنفسه وبسلطته وحدد وضعيته كمخاطب في منزلة متعالية أمام مخاطبيه (رعيته وخصومه) وقد تجسّدت ذاتية الملك من خلال ضمير المتكلم أنا الذي يعبر عن الذاتية في الخطاب، وهذا كما توضح في قوله: لا يغرنكم أبدا مظهري، فأنا لست صنيع ملابسي وهندامي... أنا صنيع يدي ويدي بما كسبت..."²، كذلك حاول الملك الافتخار بذاته وبسلطته من خلال تبيان خضوع رعيته له وتكبره عليهم معبرا عن سخريته منهم كما قال في الرواية: "أبدا ليست الحاجة هي دافعي الأول لارتكاب حماقة تكديس الأوراق النقدية... أنا شخصا حياتي مدفوعة التكاليف... أكل في أفخم المطاعم... وألبس من أفضل دور الموضات و... لا يسألني أحدُ ثمنا ولا شكرا... على عكس ذلك، يفرح الكل بتقديم الخدمات لي ويعتبرون تفضيلي لمحلاتهم شرفا يعلقونه كابتسامة مني على أكتافهم المحدودة..."³، كذلك عبر الملك الجزائر عن ذاتيته من خلال ضمير (نحن) التي تجسد التعالي

¹- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ص45

²- رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص07

³- المصدر نفسه، ص16

مبينًا افتخاره بنفسه وموهبته للسلطة ومعبرًا عن ذلك بكل عبث وغرور. وذلك في قوله: "...وحين يظهر ملك موهوب للسلطة مثل حزرتنا...¹.

كما اعترف الملك بسطوته وصنيع يده التي جعلت رعيته يخضعون له ويخافون من غطرسته وهذا كما تبين في قوله: "أعترف أنني اكتسبتهم بفضل قوتي وعبثي، ولولا يدي الفلاذية ما كان أحد منهم يعبر لي الآن عن طاعته وخضوعه دون قيد ولا شرط، ولا أن يسبح أحد منهم الآن بحمدي..."²

2/3/1/2. ذاتية الملك وشخصيته المتسلطة: يقول ملك الجزائر: "ليست لي عواطف ولا أحاسيس شخصية... أنا مجرد ملك يؤدي واجباته السلطوية إزاء رعاياه أحيانًا ببعض الصلف والتسلط... لكنني في الغالب أقوم بذلك ببرودة دم وحسم..."³؛ "ست قاسيا ولا حتى أتلذذ بالقتل، غير أن الواجب يدعو الملك المحنك إلى التنازل أحيانًا عن دافع ضرائب لكيلا يخسر الكل..."⁴ كشف لنا الملك بشكل مباشر في هذا القول عن جوانب من شخصيته المتسلطة والعاثة والتي تتلذذ بالقسوة ولا تملك الأحاسيس ولا العواطف إزاء رعيته وإزاء دافعي الضرائب، جاعلا ذلك من شخصية وواجبات الملك، وقد تجسدت ذاتيته من خلال الضمير (أنا).

3/3/1/2. أفكار الملك وقناعاته السياسية: اتضحت ذاتيته من مجمل أفكاره وقناعاته السياسية والتي تجسدت بضمير المتكلم (أنا) والتي مثلت محور الحديث حيث تحدث بكل جرأة وبكل عجرفة عن أفكاره الفاسدة وقناعاته وفلسفته في الحياة المرتبطة بحب المال وحب تكديسه، وحب الضرائب وجمعها وهو ما يعكس استبدادية حكمه إزاء رعيته، وقد اتضح ذلك في قوله: "ما يهمني هو ديمقراطية الأوراق النقدية، والدخل الوحيد الذي أفترفه وأتدخل فيه هو رصيدي..."⁵؛ فلسفتي في الحياة بسيطة وواضحة: المال هو مبنى الرجل ومذهبه في الحياة، أما الباقي فمجرد جعجة بلا

¹- رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 102

²- المصدر نفسه، ص 41

³- المصدر نفسه، ص 73

⁴- المصدر نفسه، ص 84

⁵- المصدر نفسه، ص 13

طحين...¹؛ أنا لست باحثاً عن المجد...أنا باحث عن المال، المال فقط، أما ما يترتب عن ذلك فتحصيل حاصل: السلطة والقوة والحرية والعبث...²، كذلك بدت ثقة الملك بنفسه وبقناعاته وبأساليب حكمه الفاسدة واضحة من خلال خطابه، عكس فيه ذاتيته وافتخاره بنفسه وغروره واتضحت ثقته بذاته من إصراره على أفكاره وإعطاء الحق لنفسه مبرراً قناعاته إزاء الحكم إذ يقول الملك: لقد اعتبرت دائماً وأنا على حق، أن التسامح مع المتهربين من الضرائب لا لزوم له، لذلك طاردتهم بكل ما أوتيت من قوة وعبث...³؛ "لقد قدرت وأنا على حق أن من واجب الملك الحفاظ على نظافة مملكته من الحشرات والأفكار الفاسدة والأظافر الطويلة، فالممالك التي تجوب شوارعها الجردان تكون أوراقها النقدية عرضة للقرض والنهش...⁴؛ "لقد قدرت بحنكتي وتأملي في المصائر الاستثنائية لشعبونا أن الأمل هو بنزين الشعوب وغذاءها...⁵؛ وإذا نظرنا إلى المقاصد العميقة المرتبطة بالرواية فإن هذا كله يعكس صور من صور الواقع.

4/3/1/2. ذاتية الملك وحكمه الاستبدادي: وضّح حاكم الجزائر بشكل صريح ومباشر عن حكمه الاستبدادي إزاء رعيته وخصومه وأساليب حكمه العابثة، فعكس بذلك ذاتيته المتسلطة وهذا كما اتّضح في قوله: "أنا أجلس إلى نفسي كما يفعل أيّ ملك محترّم أمام حاسبة الحياة يجمع ويضرب وي طرح ويقسّم خصومه ومعارضيه...⁶؛ "منذ البداية قسمت مملكتي إلى قسمين مملكة الليل التي أنا سيدها وأمرها المطلق... وجمهورية النهار التي لا أتدخل فيها إلاّ بالقدر الذي يحمي مملكتي ويدعم رصيدي وعبثي⁷، كما تحدث ملك الجزائر عن قوته والافتخار بجبروته بشكل مبالغ فيه وهو ما عكس تكبره وحكمه الاستبدادي إزاء رعيته وفي هذا يقول: "أنا هنا...كلّما ولد أحدكم في هذا المكان أوّل ما يفتح عليه عينيه هو أنا، وأوّل هواء يتنفسه يتنفسه من

¹ - رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 14

² - المصدر نفسه، ص 17

³ - المصدر نفسه، ص 83

⁴ - المصدر نفسه، ص 84

⁵ - المصدر نفسه، ص 121

⁶ - المصدر نفسه، ص 09

⁷ - المصدر نفسه، ص 11

كرمي... وأول مصروف جيب يدفعه في حياته يدفعه لخزینتی...¹؛ وعبر كذلك ملك الجزائر عن قوته وسلطته وجبروته بحديثه عن خضوع رعيته له خوفا من بطشه وعبثه: "لمس الجميع بطشي وعبثي حين تقبض يدي على رقبة أحدهم فلا تعيده إلى الحياة إلا مبلل السروال..."²

5/3/1/2. ذاتية المتلفظ والسياق التلفظي:

عبر المتلفظ السردى التخيلي والممثل بالشخصية العابثة والمستبدّة "ملك الجزائر" في "رواية زعيم الأقلية الساحقة" عن ذاتيته من خلال ضمير المتكلم (نحن) والذي حمل مرجعيات مختلفة وأبعادا تداولية مرتبطة بالسياق التلفظي داخل الإجراء السردى؛ حيث دلت (نحن) في بعض السياقات على الملك بالدرجة الأولى وكذا أعوانه وتابعيه المستبدين والسياسيين الفاسدين الذين لا بد لهم من إقامة علاقات بين شعوب أخرى لتنمية مصالحهم المشتركة هذا كما تبين في قوله: "نحن لسنا وحدنا في هذا العالم للأسف، وعلينا أن نعمل دائبين على إقامة علاقات ثنائية مفيدة بين أصدقاء الشعوب وفاسديهم الكبار..."³؛ تحدّث بشكل صريح وساخر عن أعماله الفاسدة، وتعود مرجعية نحن هنا إلى الملك وبين افتخاره بأسلوبه الفاسد في تعامله مع خصومه: "نحن هكذا دائما، محترمون، ونعمل عملا نظيفا... صحيح أننا ن صنع صدفا طريفة لامتصاص دم الخصوم لكننا أيضا ن صنع صدفا جميلة للارتقاء بالسفلة... صدفا ربّما أكثر تعقيدا قليلا..."⁴، كما كشف الملك في مواقف سردية أخرى عن انتمائه لمجتمعه وانتمائه لمملكته وشعبه المقهور الذي كثر فيه الفساد، والاستبداد وهذا كما توضحه الأقوال الآتية:

- هكذا هي الطبقيّة في مجتمعنا واضحة ومحسوسة...⁵؛

- صناعة مملكة ليس بالأمر الهين، البعض يتوهم أنّها تبنى من أعشاش الطيور عشبة عشبة وآخرون يعتقدون أنّها تنبت من أعماق الأرض... حتى تصل إلى قمة الجبل، قد يكون هذا

¹ - رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 187

² - المصدر نفسه، ص 53

³ - المصدر نفسه، ص 117

⁴ - المصدر نفسه، ص 108

⁵ - المصدر نفسه، ص 15

صحيحاً بالنسبة للشعوب المنتصرة، أما شعوب مقهورة مثلنا، فمن الأفضل أن ينزل الملك على رأسها مثل القضاء والقدر، مثل شر لا بد منه"¹؛

-في بعض الممالك القديمة يولد ابن الملك ملكاً حتى ولو كان أبلها أو فناناً... لكن في مثل ممالكنا التي نخترعها من العدم ونبنينا بأيدينا الطويلة فمن الضروري أن يتجرد الملك من كل عواطفه وأخلاقه وشحمه، ولا ينمي فيه سوى الذكاء والعضلات التي يضرب بها خصومه..."² فمرجعية "نحن" في مجمل هذه الملفوظات تحيل إلى انتمائه لمجتمعه والذي رآه بنظرة ساخرة وحكم عليه بسلبية مقارنة بالمجتمعات والشعوب الأخرى.

6/3/1/2. ذاتية "ملك الجزائر" ومخاطبيه:

حدد "الملك" مخاطبيه في الرواية موجهاً إليهم الخطاب، وقد تجسّد ذلك من خلال ضمير المخاطب (أنتم) الذي يحيل إلى مرجعيات مختلفة مرتبط بالسياق السردى للرواية ويتّضح ذلك في قوله: "لا يغرنكم أبداً مظهري، فأنا لست صنيع ملابسي وهندامي... أنا صنيع يدي ويدي بما كسبت..."³؛ "قلت دائماً بأني لست معنياً بالتاريخ... أنا هنا بينكم على قيد الحياة..."⁴ "أعترف لكم بأني احترمت ببعض الخبث والشفقة أفكار شعب النهار..."⁵

خاطب "ملك الجزائر" من خلال هذه الملفوظات رعيته معترفاً بوجوده في حاضرهم، ومفتخراً بذاته ومعترفاً بأساليب حكمه المتسلطة إزائهم، كما خاطب الملك خصومه في خطاب ساخر وهذا ما بيّنه السياق التلفظي داخل الحكاية السردية وهذا في قوله: "ماذا أفعل من أجلكم أكثر أيها الأندال؟... من أجلكم أبدعت أكثر الطرق الجهنمية في فنون الرشوة والمحاباة والسرقة... وأجهزة النظافة الأكثر شطفاً وتجفيفاً... ومع ذلك لم أطلب منكم حباً أكثر أو احتراماً أكثر، كل ما طلبته

¹- رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 87

²- المصدر نفسه، ص 88

³- المصدر نفسه، ص 07

⁴- المصدر نفسه، ص 10

⁵- المصدر نفسه، ص 11

منكم أيها الأندال الرائعون أن تحبني أوراقكم المالية...ماذا يفعل الملوك بحب شعوبهم...هل تزيين كتب التاريخ...¹

كما حدد الملك بافتخار وضعيته ومنزلته المتعالية إزاء خصومه، مثبتاً وجوده وساخراً من تبعيتهم له وهذا كما جاء في قوله: "لقد أصبحت رغم أنوفكم جزءاً من طبيعتكم في هذا المكان تتغذون على حضوري، وتملأون رئاتكم بانتصاراتي عليكم، تسكرون ببطشي كما يسكر المخدر بمجرد شم دخان الحشيش...²؛ كما وجه الملك خطابه لحكام المستقبل وهذا حسب ما تبين من السياق التلغظي للرواية مفتخراً ومغروراً بشخصيته، فذلك في قوله: "إنكم تستطيعون أن تسألوا من تشاؤون عني من رعاياي...الكل يعرفني والكل لا يعرفني، إنني حاضر هنا بينهم...موجود في أدمغتهم...موجود حتى في الأوراق النقدية التي يتزينون بها، لكن في نفس الوقت بعيد...عال...غامض...يمد أي أحد منهم يده ليتبرك بلامستي فلا يلمسني يبحث عني القتلة والخصوم لتصفية حسابهم معي لكني أتبخّر بين أيديهم...³؛ وقدّم لهم مجموعة من النصائح يبيّن فيها أساليب وأسرار استمرار الحكم الفاسد والاستبدادي من ذلك قوله: "حدد هدفك بشكل جيد...ولا تتفاوض أبداً حول الشروط والظروف...الناس لا يخضعون أبداً للتسامح أو العفو وإنما للقوة...⁴؛ "التفاصيل هي الشبكة التي توقع القلب...انزع التفاصيل جانبا وأدّ مهمتك كملك لا يستثار...⁵"

ويمكننا توضيح خطاب الملك كذات متلفظة ممتلئة للخطاب مع مخاطبيها (مجموع الذوات المستقبلية) في هذا المخطط كالاتي:

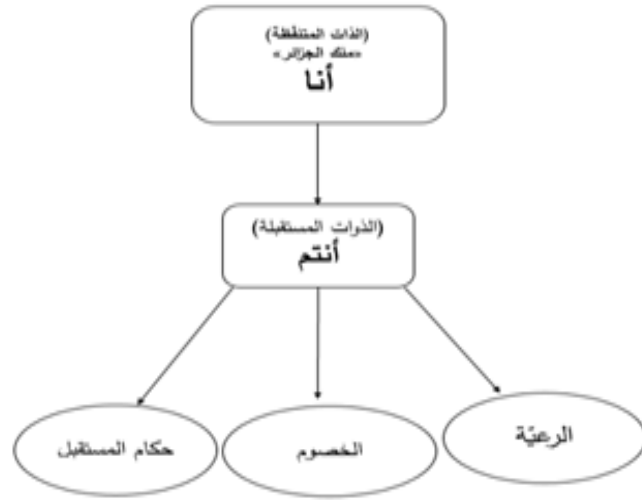
¹ - رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 81

² - المصدر نفسه، ص 81

³ - المصدر نفسه، ص 91

⁴ - المصدر نفسه، ص 137

⁵ - المصدر نفسه، ص 137



مخطط يوضح تموضع أطراف الخطاب في رواية "زعم الأقلية الساحقة" على مستوى التحوارات السردية

2/2. الأحكام التقديرية:

كثيرا ما يعبر المتكلم أو المتلفظ عن ذاتيته بمجموعة من وردود الأفعال والنعوت تتخلل مواقفه الكلامية، تعرف بالأحكام التقديرية، وعلى هذا يمكن اعتبار الأحكام التقديرية ضمن العلامات اللغوية التي يعبر بها المتلفظ عن ذاتيته في الخطاب، فإذا كان ضمير المتكلم (أنا) الذي يورده المتكلم في خطابه هو أكثر الاشارات له القدرة على التعبير عن الذاتية اللغوية فذلك لا يمنع من وجود علامات أخرى تعبر عن الذاتية اللغوية مثل التقدير.

يعرف التقدير على أنه: "مجموع العلامات التي يعبر المتلفظ بواسطتها عن حكم قيمي أو رد فعل انفعالي"¹، وتعتبر هذه الأحكام عن مواقف ذاتية من خلال مجموعة من الانطباعات والانفعالات خاصة إزاء الأشخاص والأحداث.

1/2/2. رواية "حرب الفتوى": إضافة إلى ما عبرت عنه الضمائر تجلت الذاتية اللغوية في رواية "حرب الفتوى" أيضا في الأحكام التقديرية التي عبر عنها المتلفظون في الرواية، وقد تمثلت في مجموعة من الانطباعات والأحكام القيمية تمثلت في مجموعة من النعوت وضحت ذاتية المتلفظ

¹ باتريك شارودو، دومينيك منغونو، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري؛ حامد صمود، مر: صلاح الدين الشريف، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008، دار سيناترا، ص53.

في الرواية وكشفت عن تقديره وحكمه إزاء الطرف الآخر، وقد برز ذلك بشكل واضح في الرواية سواء على مستوى المتلفظ للسارد أو على مستوى الشخصيات الفاعلة في القصة السردية.

1/1/2/2. السارد: عبّر السارد في رواية "حرب الفتوى" عن ذاتيته بمواقفه إزاء الهادي الذي يمثل الجماعات الإسلامية الإرهابية، وقد تجسّد ذلك في مجموعة من النعوت وجهها للهادي، وقد بيّن من خلالها حكمه وتقديره إزاء جماعته مستكراً أفكارهم وتصوراتهم وأعمالهم الفاسدة، ويتضح ذلك في قوله: "أيها الانسان الفاسد... أيها الانسان المخطئ... أيها الانسان العاصي... أيها الانسان الدنيء... أيها الانسان الجاهل... أيها الانسان العربيد... أيها الانسان الفاشل... أيها الانسان المستهتر... أيها الانسان المجحف... كيف تحاسب الناس وأنت منهم؟¹؛ وفي قوله: كيف لهؤلاء الشرنمة تكفير المسلمين والدعاء عليهم وشق صف الأسرة الواحدة؟²، كما عبّر عن أحكام قيمية سلبية إزاءهم ونفس بها عن غضبه إزاء الهادي وجماعته وقد اتضح ذلك من قوله: "هكذا صار هذا الخنفساء... يستخف بهذا ويرفع هذا وينزل هذا من سلّم الشرف والعقيدة"³، كما عبّر الكاتب عن ذاتيته بما أبداه إزاء قضية الفتاوى والإرهاب والتي مثلت الموضوع العام والأساس في الرواية من خلال الانتقادات وجهها التي السارد للهادي معبرا عن قناعاته وأيديولوجيته، كما كشف كذلك عن غضبه الشديد إزاء الجماعات الإسلامية، وقد وصل به الغضب والانفعال إلى حدّ التشاؤم والأسى من خلال تعميم انتقاده ليشمل الوطن ككل، وهذا ما تبيّن لنا في قوله: "نحن طحالب هذا الزمن ولا زمن لنا غير زمن الفجور والفسوق والقسوة... أغبياء بلا تاريخ... جهلة بلا مصير... خونة لتاريخنا..."⁴.

كما حاول في مواقف أخرى توجيه الهادي ونصحه ودعوته للإصلاح وبناء حياته بعيدا عن الخمول وبعيدا عن الجهل حيث بدا السارد في مواضع أخرى متفائلا وقد تجسّد ذلك في مجموعة الأفعال الكلامية التوجيهية؛ إذ يقول في خطاب موجه للهادي: "أيها المتدين بلا يقين... يا أيها الخامل... قم وبدد خطي الكسل وأعد رسم الخمول بلون للحياة ورديا لا سواد فيه..."⁵، وقد بدا

1- رواية (حرب الفتوى)، ص 146

2- المصدر نفسه، ص 345

3- المصدر نفسه، ص 108

4- المصدر نفسه، ص 337

5- المصدر نفسه، ص 339

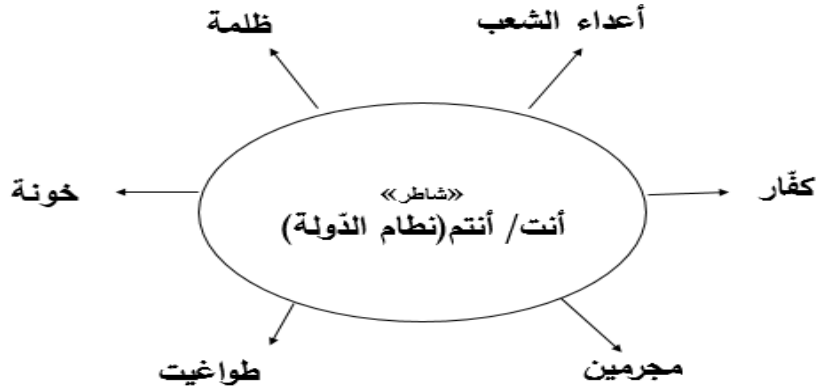
السارد من أحكامه وانتقاداته التي وجهها للهادي في شكلها العام جريئاً وقاسياً؛ إذ عبّر بشكل صريح عن موقفه إزاءه من خلال مجموعة من الصفات السلبية التي وجهها له لكننا نلمس في مواضع أخرى، تعاطف السارد معه، خاصة مع نهاية الرواية حيث عبّر السارد فيها عن ندم الهادي على الاتجاه الذي سلكه والذي اتخذه لنفسه، وحلمه في العودة للعيش في حياة طبيعية مع عائلته بعيداً عن الجبال والقتال وقد اتضح ذلك في قوله: "...ماذا يفعل المسكين... وبصيص أمل في العودة إلى الحياة الطبيعية يراوده..."¹

2/1/2/2. الفاعلون: عبّر الفاعلون في الرواية على مستوى الشخصيات السردية فيها عن ذواتهم ومواقفهم بمجموع أحكامهم التقديرية القيمة التي اتضحت من مواقفهم الكلامية التي كشفت عن رؤية كل واحد وحكمه إزاء الآخر ويمكننا تقديم مجموعة هذه الانتقادات والنوعت الخاصة بشاطر والهادي كشخصيتين محوريتين في الرواية والممثلين لاتجاهين مختلفين متصادمين (الجماعة الإسلامية الإرهابية ونظام الدولة) في هذا الجدول كالاتي:

الأحكام القيمة	
انتقادات الهايدي وجماعته الموجّهة لشاطر	انتقادات شاطر الموجّهة للهادي
أنت أعدى أعداء الشعب...	أنت قبّيح ماشي كيما كنت...
أنتم أعوان الظلمة... هذه الدولة هي وطن الخونة أمثالك...	
هؤلاء سارقين ...	
...يا واحد الخاين...	
الجهاد ضدّ الطواغيت...	
الله أكبر على الطغاة المعتدين...	
أحنا الجيا... نحن الجماعة الإسلامية المسلّحة... طبق الحد على هذا المجرم...	
...استشهد يا كافر	

¹ - رواية (حرب الفتوى)، ص 312

1/2/1/2/2.الهادي: جاء موقف الهادي إزاء شاطر الذي يمثل الدولة صريحا في الرواية، إذ كانت مجمل انتقاداته مفزعة وقاسية ومرعبة، والعكس بالنسبة لشاطر الذي بدا هادئا وواعيا فقد بينت هذه النعوت شدة انفعال الهادي كما عكست شدة حقه على شاطر الذي كان صديق طفولته، من مثل قوله: "أنت أعدى أعداء الشعب فكيف تكون أخي... أنتم أعوان الظلمة... هذه الدولة هي وطن الخونة أمثالك و...."1؛ "هذا نظام الخونة... هؤلاء سارقين..."²، كشفت وعكست مختلف هذه الصفات والأحكام التي وجهها الهادي لصديقه شاطر عن ذاتيته ورؤيته وتصوره، وقد حاول الكاتب من خلالها التعبير عن جهل وفساد الحركة الإسلامية وعنورها، حيث اتهم أبناء الشعب الواحد والوطن الواحد بالمجرمين والكفار، وهذا كما توضحه الأحكام الآتية: "أحنا الجيا...نحن الجماعة الإسلامية المسلحة...طبق الحد على هذا المجرم"³؛ "...استشهد يا كافر"⁴؛ "... الله أكبر على الطغاة المعتدين..."⁵، كذلك وصف الهادي ذاته محاولا إبراز انتمائه لدين الله واستمالة عواطف متلقيه مبررا وجهته وقناعاته التي تحددت من خلاله شخصيته وذاته بقوله: "أنا العبد الضعيف لله"⁶ ويمكننا توضيح ذاتية الهادي من خلال مجموعة من الأحكام التقديرية القيمة التي وجهها لشاطر الذي مثل الطرف الأخر المختلف عنه في هذا الشكل كالاتي:



1- رواية (حرب الفتوى)، ص 105

2- المصدر نفسه، ص 107

3- المصدر نفسه، ص 222

4- المصدر نفسه، ص 224

5- المصدر نفسه، ص 225

6- المصدر نفسه، ص 74

2/2/1/2/2. شاطر: اكتفى شاطر بوصف صديقة بالقبيح فقط وهذا مقارنة بانتقادات الهادي المفزعة وشخصيته العنيفة حيث كانت ردة فعل شاطر هادئة، إذ بدا شاطر غير منفعل كثيرا مقارنة بصديقه الهادي؛ إذ يقول مخاطبا الهادي: "أنت قبيح ماشي كيما كنت..."¹ إن اعتماد الكاتب لهذه الصفات يعكس أبعادا تداولية مرتبطة بمقاصده التي أراد إيصالها للقارئ حيث اختار صفات وأحكام تقديرية قيمة توجهها الشخصيات السردية إزاء بعضها البعض وفق ما يتفق ويناسب أيديولوجيته وقناعاته ورؤيته ويمكن اعتبار ذلك استراتيجية خطابية للتأثير على القارئ.

كما حاول شاطر في موضع آخر وصف ذاته وانتمائه، وقد جاء كحجج يدحض بها موقف الهادي وفي الوقت ذاته ينتصر لرأيه وقناعاته من خلال اعتبار ذاته فردا منتما للأمة الإسلامية مثله مثل الهادي والجماعة الإسلامية، وهذا في قوله: "أحنا قاع مسلمين..."²

2/2/2. رواية "حضرة الجنرال": اتضحت مظاهر الذاتية اللغوية في رواية "حضرة الجنرال" من خلال مجمل الانفعالات والأحكام التقديرية التي حملها المتلفظون في القصة السردية إزاء أنفسهم وإزاء بعضهم البعض.

1/2/2/2. تقدير "الجنرال بعو" لذاته: ارتسمت ذاتية الجنرال بعو من خلال تقديره لذاته وإعطاء أحكام تقييمية لنفسه وردود أفعال وانفعالات إزاء ذاته، حيث عبّر في بعض المواقف عن عظمته وسلطته، وفي مواقف أخرى اعترف بحقيقته المستبدة، من خلال النعوت والصفات التي قدر بها ذاته.

1/1/2/2/2. تفاخره بنفسه: وصف الجنرال (ذياب الزغبى) ذاته بمجموعة من أحكام تقديرية قيمية إيجابية، مفتخرا بذاته ومن ذلك قوله: "أيها الفاتح العظيم..."³؛ أنا السيد المطلق...⁴؛ أنا فارسكم وجنرالكم...⁵

¹ - رواية (حرب الفتوى)، ص 153

² - المصدر نفسه، ص 88

³ - رواية (حضرة الجنرال)، ص 29

⁴ - المصدر نفسه، ص 33

⁵ - المصدر نفسه، ص 103

2/1/2/2 اعترافه بحقيقة نفسه للكاتب "ماركيز": لقد قدّم الجنرال "ذياب الزغبى" مجموعة من النعوت والصفات معرّفا بذاته لكاتبه المشهور "غارسيا ماركيز"، فقص عليه نبذة مختصرة من حياته وتطوّراتها وتحولاتها اعتمادا على مجموعة من الأحكام التقديرية القيمة، وذلك للتعبير عن ذاتيته وتقريب صورته وشخصيته لكاتبه المكلف بكتابة سيرته الذاتية كما أرادها هو، بعد أن تعرّضت للتهميش والإقصاء والتشويه، وقد اتضحت هذه الأحكام التقديرية والنعوت في قوله: "...كنت جنديا باسلا، ثم ضابطا منضبطا محنكا، ثم فارسا مغورا، قبل أن أصبح جنرالاً مرهوباً و"امبراطهوراً" ديكتاتورا أوليغارشياً يحكم قطع" الغاشي" بأحكامه ومزاجه ونزواته، ولا يؤمن بديمقراطية النخبة التي سوّدت بها الصحائف والكتب. ولا يؤمن بالأحزاب ولا البرلمان ولا الدستور. ولا المجتمع المدني"¹، اعترف هنا الجنرال (ذياب) للكاتب ماركيز بحقيقة نفسه وحقيقته المستبدة وكان ذلك بشكل صريح وجريء من خلال تقديره لذاته بوصف نفسه بصفات سلبية بيّنت حقيقته المتسلّطة، فاختر الجنرال ذياب الزغبى كتابة سيرته الذاتية بكل صدق بعيدة عن كل انتحال وتشويه، ويمكن اعتبار ذلك من الاستراتيجية التصريحية للتعبير عن مقاصد الخطاب، وقد اتضحت مجمل هذه الصفات في تقدير الذات في قوله: "...أنا السلطان الخليفة، زعيم الأمة، ملك الملوك، الامبراطهور، الفارس، الجنرال بعو...الديكتاتور، الجهوي، المتعصب، الجشع، المنتقم، قاطع الرقاب، خائن الملح..."².

2/2/2/2 نظرة "الجنرال بعو" اتجاه رعيته: قدّم الجنرال "ذياب الزغبى" صورة تقييمية سلبية إزاء رعيته، حيث وصف رعيته بالبهائم، كما تحدّث الجنرال "ذياب الزغبى" بنبرة يملأها التعجب والاستغراب من شعبه الذي تعود على السمع والطاعة، بالرغم من سياسته التسلطية المستبدة إزاءهم. فلم يتحرك ولم يتشجّع أيّ واحد من شعبه ليعارض سياسته الفاسدة، وذلك بسبب ما زرعه من خوف ورعب وفزع في قلوب شعبه الذي يخاف من معارضته والخروج عن طاعته، ويظهر حكم الجنرال على رعيته من خلال قوله: "أنا لا أحكم شعبا بل أحكم بهائم...عجبا" الامبراطهورية" فيها ملايين البطون، ولا يوجد فيها

¹ - رواية (حضرة الجنرال)، ص32

² - المصدر نفسه، ص35

عقل واحد رشيد وصوت واحد معارض لسياسة حكمي التسليطية "الأوليغارشية"....¹؛ كما تعكس هذه الأقوال أبعادا تداولية مرتبطة بالواقع السياسي وبمقاصد الكاتب وأيديولوجيته.

3/2/2. نظرة الجازية وزعماء الحلف اتجاه "الجنرال بعو": أصرّ زعماء الحلف والجازية على مواجهة الجنرال بعو، وذلك بكشفهم عن حقيقته المستبدة والمتسلطة، وإبراز مواقفهم الصريحة اتجاهه، وهذا من خلال الصفات والأحكام التقديرية القيمة والتي وجهت له، والتي كانت أحكام سلبية في مجملها، ويمكننا توضيح ذلك كالاتي:

بيّن الأمير "حسن ابن سرحان" زعيم بني هلال عن موقفه إزاء "الجنرال ذياب الزغبى" الذي سعى للاستيلاء على عرشه ليستأثر بالسلطة والحكم والغطرسة لنفسه من خلال وصفه بالمحارب الذي لا يعرف إلاّ القتل والطعن وقطع الرؤوس، ومن هذا اتّضحت ذاتية الأمير حسن ابن سرحان بفضل تقديره وحكمه القيمي السلبي إزاء الآخر في قوله: "طموحك أكبر منك أيها الزغبى... أنت مجرد محارب جلف فظ لا يعرف غير الطعن وقطع الرؤوس..."²

وصف كذلك "مرعي" فارس من فرسان بني هلال بكل جرأه الجنرال ذياب الزغبى بالغدر والخيانة، وبيّن شجاعته أمام الجنرال ذياب وظهر ذلك في قوله: "أنت خائن وغدار وقاتل النساء... والفرسان النبلاء والشرفاء لا يغدرون ولا يخونون..."³؛ "أنت مجرم وغدار يا ذياب..."⁴ كما عبّرت الجازية بكلّ جرأة وصراحة أيضا عن حقيقة الجنرال "ذياب الزغبى" ونفسيته الخبيثة التي لا تعرف إلاّ الطعن وقطع الرقاب، ولا تتحدث إلاّ بلغة السيف، فلقد عبّرت الجازية عن موقفها، منفسه عن غضبها وحقدتها إزاءه، ومعيرة عن أنانيته، وتمثّل ذلك في مجموعة من النعوت والصفات التي وصفته بها إذ تقول مخاطبة له: "ها أنت تنسب الانتصارات لسيفك دون حياء، إنّه تصرف أحمق لا يصدر إلاّ من أناني معتوه... فكيف تتصوّر نفسك رئيسا" للامبراطورية" والحكمة تنقصك...؟"⁵

¹ - رواية (حضرة الجنرال)، ص 183

² - المصدر نفسه، ص 92

³ - المصدر نفسه، ص 99

⁴ - المصدر نفسه، ص 100

⁵ - المصدر نفسه، ص 96

كما تقول موجهة خطابها لفرسانها: أيها الفرسان اليتامى الاطهار الأبرار...الجنرال ذياب جبار وغدار... اصطفوا كما علمتكم ودرّبتكم صفا واحدا، واطعنوه طعنة فارس واحد¹؛ "بضربة رجل واحد، أزهقوا روح ذياب الأوليغارشي، الديكتاتور، الغدار..."²، وقد عبّرت هنا الجازية كزعيمة لفرسان يتامى الحقد السياسي عن تحديها "للجنرال بعو"، وذلك لهول ما اقترفه من جرائم واستبداد وطمعان وغطرسة في حقّ الرعية وفي حق زعماء بني هلال الذين غدر بهم وخانهم، واحتكر السلطة والمال والجاه لنفسه، واتّضح ذلك من خلال كشفه على حقيقته، موجهة خطابها ليتامى بني هلال الذين قتل آبائهم، وشرّدهم، وحرّمهم من حاضرهم ومستقبلهم .

3/2/2.رواية زعيم الأقلية الساحقة: تجلّت مظاهر الذاتية اللغوية في رواية زعيم الأقلية الساحقة في الأحكام التقديرية التي عبّر عنها المتلفظ التخيلي الأساس في الرواية وهو "حاكم الجزائر" الذي قدّم مجموعة من نعوت تقديرية وأحكام تقييمية وانطباعات وانفعالات إزاء ذاته وخصومه ورعيته وقد جاء ذلك في خطاب ساخر معبّرا عن أيديولوجيته وقناعاته وأفكاره.

1/3/2/2.تقديره "ملك الجزائر" لذاته: عبّر "ملك الجزائر" عن نفسه بكل افتخار وعجرفة من خلال مجموعة الأحكام التي قيّم بها نفسه والصفات التي وصف بها ذاته، معبرا عن ذلك كالاتي: "...ذلك لا يكفي ملكا محتكا مثلي..."³؛ قمت منذ البداية ككل ملك عظيم يعرف مسبقا أنه سيكون محطّ إعجاب ومتابعة من طرف الآلة الجهنمية لجمهورية النهار بمحو آثاره...⁴ وحين يظهر ملك موهوب للسلطة مثل حضرتنا...⁵؛ "وككل ملك جاد قررت أن لا أعب صغيرا..."⁶

كذلك نلمح من خلال تقدير الملك لذاته جانب من السخرية في ما نسب لنفسه من صفات لا يتميّر بها في الواقع (واقع الحكاية داخل الإجراء السردية)، فهي تتناقض كليا مع ما اتّصف به من

¹- رواية (حضرة الجنرال)، ص217

²- المصدر نفسه، ص25

³- رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص54

⁴- المصدر نفسه، ص94

⁵- المصدر نفسه، ص102

⁶- المصدر نفسه، ص21

هذه الصفات، حيث كان تقديره لذاته في شكل مفارقات؛ ونلمح هذا في قوله: "نحن هكذا دائما محترمون...¹؛ "لا يمكن لقاتل نبيل مثلي أن يكتفي بالآثار المباشرة لعمل المسدس...² من جهتي ككل ملك عادل...³

2/3/2/2. تقدير حاكم الجزائر لسياسته وأفكاره: مدح ملك الجزائر سياسته وأفكاره، وهذا كما بدا واضحا في تقديره لسياسته وعمله وأفكاره حين قال: "إني متأكد من أنه لم يحدث أبدا في عملي المضني والرائع أي تركت ورائي دليلا ماديا يطعن في مملكتي، تصرفت بحنكة وحساب دائم...⁴؛ "...بمثل هذه الأفكار النيرة وضعت الكل متعالين وسفلة على سطح اللعبة وبدأت في استبدال المواقع...⁵

3/3/2/2. تقدير الملك لواقعه السياسي: اتضحت ذاتية الملك في محاولته لانتقاد واقعه السياسي بانفعالاته إزاء الحكومات وتقديره لها، وكشفه عن حقيقتها وأسرارها؛ إذ يصفها قائلاً: "الحكومات مخادعة ومخالطة بطبعها وعلى الملك أن لا يتركها هكذا كقطيع بلا راع...⁶؛ "الحكومة... لا أعرف من وصفها بأنها شِرٌّ لا بد منه، وهي كذلك في الحقيقة...⁷؛ "...ذلك طبيعي في الحكومات الديمقراطية التي اخترعها عصرنا للتغريب بالمواطنين السذج... فأنا أعتبر مسبقا أن قضاءهم مرتش، وسياستهم مزورة...⁸

كما وصف الملك مملكته التي تفتقد للاهتمام وحسن التسيير في نظره، فيقول: "كانت المملكة تبدو أمامي يتيمة متروكة لذاتها يتلاعب شطار صغاراً بمكوناتها من الذهب والأوراق النقدية...⁹

¹ - رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 108

² - المصدر نفسه، ص 34

³ - المصدر نفسه، ص 36

⁴ - المصدر نفسه، ص 12

⁵ - المصدر نفسه، ص 29

⁶ - المصدر نفسه، ص 151

⁷ - المصدر نفسه، ص 144

⁸ - المصدر نفسه، ص 12

⁹ - المصدر نفسه، ص 20

- "رغم "كل ميزات السحر والحياة لكنّها تبدو مهملة كأرملة... كل شيء فيها لعوب وحلوب..."¹، وقد جسد الملك ذاتيته في هذه الأقوال بما أصدره من أحكام اتجاه مملكته.

4/3/2/2. تقدير الملك لرعيته وخصومه وحكام المستقبل في خطاب ساخر: اتّضحت ذاتية الملك كذلك من مجمل الانفعالات والانطباعات والأحكام النابعة منه إزاء رعيته وخصومه وملوك المستقبل. وقد تجسّدت هذه الأخيرة في خطاب ساخر بغرض الكشف عن واقع وحقيقة كل طرف.

يقول الملك في وصفه لرعيته: "أولائكم هم شعبي العظيم الذي بنى أرسدي العظيمة لمدة خمسين سنة دون ثورة ولا تهزّب من دفع الضرائب..."²؛ كما يقول كذلك مبينا أساليب وقواعد حكمه: "تزعّت الشعب الصغير والقطع النقدية الصغيرة وبعض الأتباع وانفردت بالأصح..."³

"...وبما أنّ طريق الممالك في الغالب طويل وشاق، فقد قررت عن طيب خاطر: الاكتفاء بإدارة النوايا السيئة للرعايا، أمّا الشعب الطيب فسأتركه لحكومات جمهورية النهار تتدبر أمرها مع مشاكله..."⁴، اتّخذ هنا ملك الجزائر من مجموع هذه الملفوظات أحكاما تقديرية ساخرة إزاء رعيته معبرا عن غبائهم وحقيقتهم الساذجة وميّننا كذلك احتقاره لهم وعدم الاكتراث بهم والسخرية منهم؛ وقد مثلت السخرية استراتيجية هامة للكشف عن حقيقة الوضع الاجتماعي والسياسي.

كما بدا انفعال الملك إزاء خصومه (بعض السياسيين ورجال الأعمال) واضحا في الرواية من خلال الصفات والنوعت التي وصفهم بها منتقدا لهم وكاشفا عن حقيقتهم الفاسدة؛ إذ يقول: "من المعروف أن بعض الخصوم التافهين لا يقدرّ الملك خطورتهم..."⁵؛ "بعض الجشعين الصالحين يضيفون بين ليلة وضحاها بضعة أصفار على يمين أرسديتهم بفعل رشوة أو سرقة أو غش، وعليّ أن أكون هناك كي آخذ نسبتي وأمسخ آثار أخطائهم..."⁶؛ تلك النوايا السيئة هي المثمرة بالنسبة لي..."⁷

¹- رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 183

²- المصدر نفسه، ص 42

³- المصدر نفسه، ص 21

⁴- المصدر نفسه، ص 100

⁵- المصدر نفسه، ص 165

⁶- المصدر نفسه، ص 63

⁷- المصدر نفسه، ص 101

وكذلك عبّر الملك عن حقيقة الملوك والحكام في خطاب ساخر، من خلال النعوت والصفات التي وصفها بهم؛ وهذا كما جاء في قوله: "سأقدم نصيحة مجانية للأندال الذين سيحكمونكم في المستقبل..."¹؛ "تصيحتي للفاسدين القادمين..."²؛ "على كل السفلة المحترمين أن يتدربوا طويلا على إخفاء هذه النزوة المشينة في الملوك..."³

ويمكننا توضيح مختلف النعوت والصفات والأحكام التقديرية القيمة الساخرة والتي مثلت انفعالات الملك الصريحة إزاء رعيته وخصومه وكذا حكام المستقبل، معبرا من خلالها عن ذاتيته وأيديولوجيته، كاشفا كذلك جوانب من حقائق الواقع السياسي خاصة ما يتعلق برجال الأعمال والسياسيين الفاسدين والحكام وكذلك ما يتعلق كذلك بالنظام الفاسد والنظام الاستبدادي وأساليبه في الجدول الآتي:

الأحكام التقديرية القيمة "ملك الجزائر" إزاء مخاطبيه		
إزاء رعاياه	إزاء خصومه	إزاء حكام المستقبل
- رعاياي الأعزاء ...	- السفلة ...	- الأندال الذين سيحكمون في المستقبل ...
- المواطنين السذج ...	- الانسان المتواضع الذكاء والعضلات ...	- الملوك السفلة ...
- الشعب الصغير والقطع النقدية الصغيرة ...	- اللصوص والطماعين والانتهازيين ... وبعض المجانين والأغبياء ...	- نصيحتي للفاسدين القادمين ...
- العاطلين عن التفكير ...	- الرؤوس الفارغة ...	- الأندال القادمين الذين سيقومون بعدي بالسّطو على راحة رعيتي ...
- الموظفين الصغار ...	- الفاسدين المنضبطين ...	

¹ - رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 54

² - المصدر نفسه، ص 103

³ - المصدر نفسه، ص 165

-الجهلة الرائعين...	-عصابات سريعة الانفعال...
-الرعايا الصالحين...	-البهلوان السياسي...
-النوايا الحسنة...	-النوايا السيئة...
-شعبي العظيم...	- حكومة الفاسدين...
-البهائم...	- الأوغاد الجبناء
-الشعب الطيب...	-الصعاليك...
	- المجرمين...
	- الكائنات الليلية
	-.....

3. المسافات التلفظية بين الذوات السردية:

إنّ تعبير المتلفظ أو المتكلم عن ذاته، وتحديد موقفه إزاء الآخر الذي يوجه إليه الخطاب يفضي إلى رسم علاقات تخاطبية بينه وبين مخاطبه أو مخاطبيه الذين قد يختلفون عنه، وعليه يتم بناء انتماءات ومسافات اجتماعية بينهم؛ إذ تتجاوز الإشارة والتعبير الاشارية تعيين الأشخاص وتحديد المكان إلى تحديد المكانة والدور والعلاقة بين المشاركين في الخطاب، من مجرد الإشارة إلى من "أنا" ومن "أنت" و"متى" إلى تأسيس علاقات... وهكذا تبقى الإشارة بمعناها الرّحب سلاحاً مؤثراً في جدل الهويات والانتماءات¹، فبمجرد تلفظ المتكلم بأنا يؤسس علاقة مع مخاطبه وكثيراً ما يحدد المتلفظ مكانته في منزلة متعالية تجاه مخاطبه أو مخاطبيه، ويضع المخاطب(المخاطبين) في مكانة أدنى، وهكذا يكون قد رسم علاقة تخاطبية بينهم، وحدد مسافة اجتماعية بينه وبين مخاطبه، و يمكن توضيح ذلك في الشكل الآتي:

¹ - بهاء الدين محمد مزيد، تبسيط التداولية-من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي-ط1، مصر:2010: شمس



1/3 رواية "حضرة الجنرال": عبّر "الكاتب" فيها عن علاقات تخاطبية بين شخصيات الرواية واتّضح ذلك خاصة من خلال شخصية "الجنرال ذياب الزغبى" الذي حدد مكانته كزعيم وحاكم وكفارس بافتخار وتعاضم وتسلّط، وحدد مكانة رعيته ومنزلتهم حين عبّر حضرة الجنرال عن مكانته المتعالية أمام رعيته وحدد مسافته الاجتماعية إزاءهم، وقد تجسّد ذلك في مجموعة من الملفوظات بيّن فيها "ذياب الزغبى" ذاتيته، ويمكننا توضيح ذلك مما جاء في قوله: "أنا الطوفان... وأنتم جرفي... والآن لا أحد من حقّه وصلاحياته أن يحاسبني، لأنني بطبعي ومساري وخبرتي وشهرتي وخطرتي العسكرية أشعر أنني أديت واجبي الوطني والقومي كما ينبغي وأرضيت نفسي..."¹؛ إن تعبير المتلفظ هنا عن ذاتيته والتعبير عن تكبره وتعاليه، جعله يحدد علاقته بالآخر، تجسّد هذا بتحديد وضعيته ووضعية مخاطبه.

وفي اتجاه مغاير رسمت رعيته من خلال خطابها علاقتها بالملك وهي علاقة خضوع واطاعة وتبعية كما اتّضح في الرواية: "...يا حضرة الجنرال ذياب أنت سلطان الامبراطورية وملكها، وحامينا... نبايعك على السمع والطاعة ولن نعصي لك أمراً"².

2/3 رواية "زعيم الأقلية الساحقة": بنى الكاتب "عزيز غرمول" روايته على علاقات تخاطبية بين الذوات السردية، وقد اتّضحت خاصة مع علاقة الملك العايب والمتسلّط مع خصومه ورعيته، التي كانت علاقة استعلاء وتكبر كما جاء في قوله: "أنا هنا... كلّما ولد أحدكم في هذا المكان أوّل ما يفتح عليه عينيه هو أنا، وأوّل هواء يتنفسه يتنفسه من كرمي... وأوّل مصروف جيب يدفعه في حياته يدفعه لخزينتي..."³؛ "لقد أصبحت رغم أنوفكم جزءاً من طبيعتكم في هذا المكان، تتغذون

¹ - رواية (حضرة الجنرال)، ص 30

² - المصدر نفسه، ص 173

³ - رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 187

على حضوري، وتملأون رئاتكم بانتصاراتي عليكم، تسكرون ببطشي كما يسكر المخدر بمجرد شم دخان الحشيش...¹

واتّضحت علاقة الملك مع خادميه وأعوانه كما جاء في الرواية: "لقد عمّ الفساد يا جلالة الملك...²؛ "يا جلالة الملك أقطع كلامك بالعسل..."³، إنّ قول عبارة (جلالة الملك) جعل المتلفظ أو الخادم يحدد طبيعة العلاقة التخاطبية بينه وبين مخاطبه وحدد منزلة كل منهما.

3/3. رواية حرب الفتوى: تجسّدت كذلك في رواية "حرب الفتوى" علاقات مختلفة بين شخصياتها المتلفظة، فتعبير الذوات السردية عن ذاتيتهم ومواقفهم إزاء بعضهم، جعل ذلك يفضي إلى بناء علاقات تخاطبية إزاء بعضهم البعض؛ أي تحديد المتلفظ لمكانته ووضعيته التي تختلف عن الآخر الموجه إليه بالخطاب مما يحدد مسافة تلفظية اجتماعية بينهما، وقد اتّضح ذلك وتحقق خاصة مع شخصيات الرواية الأساسيين كما يأتي:

1/3/3. الهادي: إنّ تعبير الهادي عن ذاتيته وانتمائه وتحديد مخاطبه جعله يبني علاقة خطابية تلفظية بينه وبين صديق طفولته شاطر ويرسم بخطابه المسافة الاجتماعية بينه وبين مخاطبه وقد عبّر عن ذلك بشكل صريح وقد اتّضح ذلك من خلال ضميري (الأنا/ الأنت)، وكان ذلك من خلال تحديد مسارهما المختلفين وسعيهما المختلف وأيديولوجيتهما المتباينة، وهذا ما اتّضح في الأقوال الآتية: "أنت خيرت معسكرك الآن... وأنا اخترت..."⁴؛ "أنتم قوم الدنيا أما نحن فقوم الآخرة الباقية..."⁵

2/3/3. شاطر: حاول شاطر من خلال إبرازه لذاتيته التعبير عن انتمائه إلى البيئة الاجتماعية الواحدة والتي يتقاسمها مع الهادي، وسعى إلى إبراز انتمائهما إلى الشعب الواحد، والأرض الواحد وإلى الدولة الواحدة، محددًا العلاقة التخاطبية المتمثلة في علاقة تقارب، مقربًا بذلك المسافة

¹ - رواية (زعيم الأقلية الساحقة)، ص 81

² - المصدر نفسه، ص 145

³ - المصدر نفسه، ص 146

⁴ - رواية (حرب الفتوى)، ص 106

⁵ - المصدر نفسه، ص 116

الاجتماعية بينه وبين الهادي، وقد كان ذلك بمثابة حجج لدحض مجمل الأفكار والتصورات الفاسدة التي رسخت في عقل صديقه الهادي؛ إذ يقول شاطر مخاطبا الهادي: **"أنا ثاني من الشعب... أنا خوك... وهادي الدولة أمك..."**¹، فمن خلال هذا القول يتضح أنّ شاطرا حدد وضعيته ووضعية الهادي وأدرجهما في مكانة واحدة، وهذا بحكم انتمائهما للبلد الواحد.

كذلك بدا شاطر متمسكا بعلاقته مع الهادي وبين أبناء الوطن ككل محاولا توطيدها ومبررا أسباب هذه العلاقة في قوله: **"رانا قاع مسلمين... لوكان تقرأ راك عمرك ما تخرج واحد من رحمة ربي..."**²؛ **"أنتم... أحنا... وبين راك عايش... نحن في بلد واحد وتحكما سياسة واحدة ونأكل من خبز واحد..."**³

يتضح من خلال هذه الملفوظات أن شاطر كمتلفظ منتمي للدولة حاول توطيد علاقته بالهادي حيث رسم علاقة أخوة وانتماء بينه وبين الهادي، بعكس الهادي الذي رسم علاقة تنافر وعداوة بينه وبين شاطر وأبناء الشعب الواحد، ويعكس هذا أبعاد تداولية مرتبطة بمقاصد الرواية، وإيديولوجية الكاتب واتجاهه.

عموما قام هذا المبحث بدراسة الأنا في الروايات السياسية وتتبعها في الخطاب لما لها من دور أساس في بناء فاعلية تواصلية في الموقف السردية، وقد كشف هذا المبحث عن تعدد مستويات التلقظ التداولي والتي ارتبطت ببنيتها التداولية (مستعملو اللغة)، وأهم ما تميزت به نصوص الروايات السياسية سلطة الأنا في الخطاب؛ حيث تجلت (الأنا) في الرواية السياسية بشكل بارز وهذا لحاجة الخطاب السياسي لها، وقد ارتبطت بإحالات ومرجعيات مختلفة حددتها المواقف السياقية السردية، وقد اكتسبت الأنا في الخطاب السياسي بعدا ذاتيا خاصا ينطلق من تعيين الذات إلى تحديد مكانتها ودورها وعلاقاتها بالذوات الأخرى.

¹ - رواية (حرب الفتوى)، ص 104

² - المصدر نفسه، ص 88

³ - المصدر نفسه، ص 116

خاتمة

لقد سعينا من خلال هذه الدراسة إلى محاولة تقريب الخطاب الأدبي الروائي من منظور لساني معاصر في الدراسات اللغوية العربية، وهو المنظور التداولي الذي يهدف إلى الكشف عن جملة من القضايا المرتبطة باللغة في بعدها الاستعمالي التخاطبي، وذلك بالبحث عن مقاصدها التواصلية من خلال النظر في العملية التخاطبية التي يحكمها سياق واضح ومحدّد، والرواية السياسية بوصفها شكلا من أشكال التفاعل الاجتماعي تشكّل واقعة لغوية تواصلية بين الكاتب والقارئ ليست بعيدة عن العملية التخاطبية بالرغم من خصوصياتها الخطابية المرتبطة بطريقتها المتميّزة في استعمال اللغة.

ولقد أمكننا هذا البحث تسجيل جملة من النتائج يمكن إيجازها بما يتوافق وأولية مجيئها في تسلسلها وترتيبها في البحث على النحو الآتي:

- اعتبار التواصل السردي الروائي شأنه شأن أنواع الخطاب في مكوناته التلفظية، فهو كذلك يقع ضمن معطيات التلقظ من متلفظ، ومستمع، وملفوظ وظروف إنتاج التلفظ، وهو ما يجسد بنيته التداولية، والتي تنطلق من الفعل السردي الذي ينجزه الكاتب؛

- وقوف الرواية السياسية على الارتباط الوثيق بين الواقع وما يحمله من متناقضات؛

- استناد الرواية السياسية إلى عنصر التأويل، وقد أسهم ذلك في بناء علاقات تفاعلية بين منتج النص والقارئ؛

- التمييز بين نوعين من أفعال الكلام في الرواية، أفعال كلامية قصصية وأفعال كلامية حقيقية والتي أدت وظائفها وأغراضها الإنجازية داخل الإجراء السردي وخارجه، وقد ارتبطت بقوى إنجازية مدفوعة برغبة في التعبير والتغيير وبلوغ الأثر؛

- تعدّد أصناف الفعل الكلامي في الرواية، وتعدّد أغراضها الإنجازية المرتبطة بمقام التواصل السردي ومقاصد المتكلم؛

- إمكانية التعبير عن كلية أفعال الكلام في وشموليتها، والذي يتجسّد من خلال التنظيم الشامل لمتوالية الكلامية الجزئية، والتي تقضي إلى بناء الفعل الكلامي الشامل؛

- تنوع الاستراتيجيات والآليات الخطابية التي أسهمت في بناء الخطاب السردي وتحقيق مقاصد الكاتب، ويمكننا الحديث عنها كآلاتي:

- سلطة الخطاب الساخر في نماذج الروايات والتي تجسدت وظيفتها في الكشف عن الواقع السياسي والاجتماعي، بإبراز مختلف مفارقات وتناقضات المجتمع ومحاولة تصحيحها وتغييرها؛
- استعمال مختلف أساليب الإقناع من خلال الحجاج في التعبير عن مختلف الآراء والأفكار ومحاولة إثباتها؛
- اعتماد الاستراتيجية التوجيهية والتي أسهمت في بناء الخطاب والكشف عن مختلف العلاقات الخطابية بين الشخصيات القصصية؛
- اعتماد الخطاب غير المباشر في التعبير عن مختلف المقاصد الخطابية وتنوع الآليات السردية البلاغية والتي عبّرت عن مختلف المعاني الضمنية في الخطاب.
- ومن نتائج هذا البحث كذلك:
- ارتباط الإشارات المقامية في الرواية السياسية بأبعاد تداولية تجاوزت حدود الوصف المقامي وقد أسهمت بشكل كبير في توجيه مقاصد الخطاب؛
- سلطة (الأنا) في النصوص السياسية، والتي جسّدت ذاتية الخطاب، والتي أسهمت في بناء مسافات خطابية بين أطراف التفاعل التواصلي السردية؛
- وأهم ما خلص إليه البحث من خلال دراستنا لمدونة النصوص المتمثلة في نماذج من روايات سياسية معاصرة:
- اعتبار المنظور التداولي منهاجاً فاعلاً في فهم الرواية السياسية وتأويلها والكشف عن أبعادها، وفهم بنيتها القصصية من خلال ربط مجمل العلاقات بين مستخدمي اللغة داخل الإجراء السردية وخارجه لاستخلاص التأويل المناسب لها، والوصول لأهداف ومقاصد الخطاب الروائي؛
- استثمار المنهج التداولي في دراسة نوع آخر من خطاب مغاير وهو الرواية السياسية سيسهم في توسيع مجال البحث التداولي.

ملخص الأطروحة:

نسعى من خلال هذه الدراسة للبحث عن كيفية تجلّي الخطاب الرّوائي السياسي من وجهة نظر المقاربة التّداولية، في محاولة لتجديد النظرة للخطاب الرّوائي والانفتاح عليه من جانبه التواصلي، وهو ما يقتضي البحث عن طبيعته التّواصلية التخاطبية، وأغراضه التّداولية في ظل خصوصياته السردية والسياسية.

وإنّ الحديث عن تطبيق المنهج التداولي على الخطاب الرّوائي، هو حديث عن استغلال أهمّ مباحثه وآلياته ونظرياته من (أفعال الكلام، الحجاج، متضمنات القول، مقاصد الخطاب...) واستثمارها بما يساعد في فهم بنية الرّواية، وبما يؤسس للخطاب الرّوائي ويتناسب مع خصوصياته من أجل قراءة وفهم النصوص الرّوائية، وفهم العلاقات بين مستعملها داخل وخارج الإجراء السردية، فالرّواية تمثل صورة من صور استخدام اللغة، ولهذا فهي بحاجة إلى البحث في العلاقة بين اللغة ومستخدميها من أجل تأويلها والوصول إلى مقاصدها.

وقد انبنت هذه الدراسة على النحو التالي:

- المدخل:

تضمّن مدخل البحث مجموعة من النقاط الأساسية والتي حاولنا فيها البحث في العلاقة بين التداولية والخطاب الرّوائي، وذلك من أجل وضع سبيل وإيجاد مبرر لدراسة تداولية سردية، وتجاوز مفارقة الواقع والتخييل والسرد بشكل عام، كما حاولنا كذلك توضيح أهداف استثمار هذا المنهج لدراسة الخطاب الرّوائي، والذي ترتبط بفهمه واستكشافه من رؤى تواصلية تفاعلية، وهو ما يرتبط بطبيعة المنهج التداولي، والذي يمكن اعتباره منهاجا شاملا ومتكاملا، كونه يدرس اللغة من وجهة تواصلية وظيفية عامة.

- الفصل الأوّل: التواصل السردية الرّوائي ومقاصد الخطاب

تعرضنا في هذا الفصل للتعريف بطبيعة التواصل الرّوائي وخصائصه السردية وإطاره السياقي وذلك بهدف استكشاف الموقف التواصلي السردية بشكل عام، وفهم علاقاته الخطابية وصولا لمقاصد الخطاب، وقد جاءت دراسة هذا الفصل في مبحثين، حيث تناول المبحث الأوّل تحديد

الإطار السياقي لنماذج الروايات وبنيتها التداولية، بما يتضمنه من عناصر سياقية، من أقطاب العملية التواصلية وزمانها ومكانها والعلاقات التخاطبية بين الذات المتلقّظة، كما حاولنا ربط الروايات السياسية وتقريبها بمقام التأليف وكذا مقام القراءة، وأخيرا حاولنا الوقوف عند قضية الزمن السردي، والمرتبطة بالأحداث الروائية ومسيرتها، وكل هذه العناصر تعتبر مؤشرات سياقية، والتي من شأنها أن تثير جوانب مهمة في القراءة التداولية- سواء ما تعلّق بالإجراء السردي الداخلي أو الخارجي- من أجل فهم الرواية وفهم مقاصدها الخطابية. أما في المبحث الثاني فخصصناه لدراسة المقاصد الخطابية للروايات السياسية، وذلك لمحاولة البدء بدراسة عناوين الروايات، باعتبار العنوان القوة التأثيرية الأولى التي تؤثر على القارئ، كما يعكس مضمون الرواية السياسية، من أجل الروايات السياسية بالواقع، وهذا من شأنه أن يفتح لنا أبواب التأويل، وأخير تمّ التطرق لأهم المقاصد الخطابية التي تضمنتها الروايات السياسية

-الفصل الثاني: تداولية الخطاب الروائي السياسي واستراتيجيات الخطاب

تطرقنا في هذا الفصل لدراسة أهمّ مبحث من مباحثها، وهو مبحث أفعال الكلام، الذي تجاوز النظرة القديمة للغة المرتبطة بالوصف إلى جعل الكلام قوّة فاعلة لأفعال محققة في الواقع من خلال الاستعمال.

وبالحديث عن أفعال الكلام في الرواية فإنّها تعد جزء من الاستخدام اللغوي، إذ لا يمكن للكاتب الاستغناء عن استخدامها، ولاشك أنّ لتداولية أفعال الكلام في السرد اعتبارات ومميّزات وسميات خاصة، والتي حاولنا البحث عنها والوقوف عندها، والبحث عن أنواع الأفعال الكلامية وتجلياتها في نماذج النصوص الروائية، وماحقته من قوى انجازية فاعلة في السرد الروائي. كما حاولنا في هذا الإطار النظر إلى الفعل الكلامي نصيا داخل الخطاب السردي.

كما تطرقنا في هذا الفصل لمبحث آخر لا يقل أهمية عن مبحث أفعال الكلام، كونه شديد الارتباط به، وهو دراسة الاستراتيجيات الخطابية المتّبعة في الخطاب الروائي وبخاصة المرتبط بالمجال السياسي من خلال نماذج نصوص الروايات السياسية، والكشف عن أهمّ الاستراتيجيات المعتمدة لبناء الخطاب السياسي، وأهم آلياتها المعتمدة من أجل تحقيق مقاصد الخطاب

-الفصل الثالث: التلّفظ في الرواية السياسية وأناوية الخطاب

وبالعودة للخطاب الرّوائي ومحاولة ربطه بالتلّفظ، يمكننا القول أنه لا يختلف عن أنواع الخطاب ومكوّناته التلفظية، إذ نكون كذلك ضمن معطيات التلّفظ من متلفّظ وملفوظ وظروف إنتاج التلّفظ، وتكمن أهميتها في منح الحدث الكلامي السردى تموقعا افتراضيا تخيليا محددًا، كما يرتبط التلّفظ في الخطاب كذلك بفاعلية تواصلية، وخصوصيات سردية ومقاصد خطابية، وعلى هذا حاولنا في هذا الفصل البحث في عملية التلّفظ في الخطاب الرّوائي السياسي، والبحث في بعض خصائصها وملامحها، والتأمل في حدودها، وارتباطها بالسياق، والبحث في علاقتها بالمتلفّظين داخل الخطاب السردى، وسيكون البحث هنا بالتركيز على مختلف الإشارات والإحالات المقامية والتي ترتبط بمرجعية الخطاب، والبحث في خصائصها داخل الملفوظ السردى التي تتجاوز حدود الوصف المقامى لترتبط بأبعاد تداولية مختلفة تتعدد بتعدد ملاسبات وسياق الخطاب.

إنّ الحديث عن التلّفظ هو كذلك حديث عن المتلفّظ والذي يتخذ في الخطاب مكانة جزئية مهمة، وهذا بالنظر إلى المكانة والتموقع الخطابي الذي يتّخذه، وهذا بالنظر إلى الدواعى السياقية التي ينطلق منها الخطاب السياسي لتحقيق مقاصد خطابية مخصوصة، وهو ما حاولنا التفصيل فيه في مباحث الدراسة في دراستنا للإشارات المقامية، وذاتية المتلفّظ في الخطاب السردى بشكل عام لما لها من دور أساسى في بناء فاعلية تواصلية في الموقف التواصلى السردى بين المتلفّظين، ولما لها من أبعاد تداولية داخل الخطاب، وكذلك البحث عن "الأنا" في الخطاب، والذي أكسب الخطاب السياسى بعدا ذاتيا خاصا لا يمكننا تجاوزه، وذلك من خلال تمثيل الذات في الخطاب، وإعطاء صورة لها، لتعكس ذلك صورة الآخر فى المقابل، ومن ثمة بناء وتحديد مسافات خطابية تلفظية بين الذات السردية، وبالتالي فهم العلاقات الخطابية.

-خاتمة:

لقد سعينا من خلال هذه الدراسة إلى محاولة تقريب الخطاب الأدبى الرّوائى من منظور لسانى معاصر فى الدراسات اللغوية العربية، وهو المنظور التداولى الذى يهدف إلى الكشف عن جملة من القضايا المرتبطة باللغة فى بعدها الاستعمالى التّخاطبى، وذلك بالبحث عن مقاصدها التّواصلية من خلال النظر فى العملية التّخاطبية التى يحكمها سياق واضح ومحدّد، والرّواية

السياسية بوصفها شكلا من أشكال التفاعل الاجتماعي تشكّل واقعة لغوية تواصلية بين الكاتب والقارئ ليست بعيدة عن العملية الخطابية بالرغم من خصوصياتها الخطابية المرتبطة بطريقتها المتميّزة في استعمال اللغة.

ولقد أمكننا هذا البحث تسجيل جملة من النتائج يمكن إيجازها بما يتوافق وأولية مجيئها في تسلسلها وترتيبها في البحث على النحو الآتي:

- اعتبار التواصل السردي الروائي شأنه شأن أنواع الخطاب في مكوناته التلفظية، فهو كذلك يقع ضمن معطيات التلقّظ من متلفظ، ومستمع، وملفوظ وظروف إنتاج التلفظ، وهو ما يجسد بنيته التداولية، والتي تنطلق من الفعل السردى الذي ينجزه الكاتب؛

- وقوف الرواية السياسية على الارتباط الوثيق بين الواقع وما يحمله من متناقضات؛

- استناد الرواية السياسية إلى عنصر التأويل، وقد أسهم ذلك في بناء علاقات تفاعلية بين منتج النص والقارئ؛

- التمييز بين نوعين من أفعال الكلام في الرواية، أفعال كلامية قصصية وأفعال كلامية حقيقية والتي أدت وظائفها وأغراضها الإنجازية داخل الإجراء السردى وخارجه، وقد ارتبطت بقوى إنجازية مدفوعة برغبة في التعبير والتغيير وبلوغ الأثر؛

- تعدّد أصناف الفعل الكلامى في الرواية، وتعدّد أغراضها الإنجازية المرتبطة بمقام التواصل السردى ومقاصد المتكلم؛

- إمكانية التعبير عن كلية أفعال الكلام فى وشموليتها، والذي يتجسّد من خلال التنظيم الشامل لمتواليّة الكلامية الجزئية، والتي تفضى إلى بناء الفعل الكلامى الشامل؛

- تنوع الاستراتيجيات والآليات الخطابية التي أسهمت فى بناء الخطاب السردى وتحقيق مقاصد الكاتب، ويمكننا الحديث عنها كالآتي:

- سلطة الخطاب الساخر فى نماذج الروايات والتي تجسدت وظيفتها فى الكشف عن الواقع السياسى والاجتماعى، بإبراز مختلف مفارقات وتناقضات المجتمع ومحاولة تصحيحها وتغييرها؛

- استعمال مختلف أساليب الإقناع من خلال الحجاج في التعبير عن مختلف الآراء والأفكار ومحاولة إثباتها؛
- اعتماد الاستراتيجية التوجيهية والتي أسهمت في بناء الخطاب والكشف عن مختلف العلاقات الخطابية بين الشخصيات القصصية؛
- اعتماد الخطاب غير المباشر في التعبير عن مختلف المقاصد الخطابية وتنوع الآليات السردية البلاغية والتي عبّرت عن مختلف المعاني الضمنية في الخطاب.
- ومن نتائج هذا البحث كذلك:
- ارتباط الإشارات المقامية في الرواية السياسية بأبعاد تداولية تجاوزت حدود الوصف المقامي وقد أسهمت بشكل كبير في توجيه مقاصد الخطاب؛
- سلطة (الأنا) في النصوص السياسية، والتي جسّدت ذاتية الخطاب، والتي أسهمت في بناء مسافات خطابية بين أطراف التفاعل التواصلي السردية؛
- وأهم ما خلص إليه البحث من خلال دراستنا لمدونة النصوص المتمثلة في نماذج من روايات سياسية معاصرة:
- اعتبار المنظور التداولي منهجا فاعلا في فهم الرواية السياسية وتأويلها والكشف عن أبعادها، وفهم بنيتها القصصية من خلال ربط مجمل العلاقات بين مستخدمي اللغة داخل الإجراء السردية وخارجه لاستخلاص التأويل المناسب لها، والوصول لأهداف ومقاصد الخطاب الروائي؛
- استثمار المنهج التداولي في دراسة نوع آخر من خطاب مغاير وهو الرواية السياسية سيسهم في توسيع مجال البحث التداولي.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

1. عزيز غرمول، زعيم الأقلية الساحقة، الجزائر: 2005، دار القصبه للنشر.
2. كمال قرور، حضرة الجنرال (التخريبية الرسمية للزعيم المفدى زياب الزغبي كما رواها غارسيا ماركيز، ط1، الجزائر: 2015، الوطن اليوم.
3. محمود حامد العربي، حرب الفتوى، الجزائر: 2014، موفم للنشر.

المعاجم والقواميس:

1. باتريك شارودو، دومينيك منغونو، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري؛ حامد صمود مر: صلاح الدين الشريف، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008، دار سيناترا.
2. بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية، ط3، الرياض: 1981، دار الزفاعي
3. جاك موشلار وأن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من الأساتذة تونس: 2010، دار سينيترا.
4. جبران مسعود، معجم الرائد (معجم لغوي معاصر)، ط7، بيروت-لبنان، 1992: دار العلم للملايين.
5. دومينيك ما نغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر محمد يحياتن، ط1، الجزائر العاصمة: 2005، منشورات الاختلاف.
6. فتحي إبراهيم، معجم المصطلحات الأدبية، ط1، الجمهورية التونسية: 1986، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، ص176
7. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط5، جمهورية مصر العربية، 2011: مكتبة الشروق الدولية.
8. محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، ط2، لبنان(بيروت): 1999، دار الكتب العلمية.
9. ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، لسان العرب، بيروت، ط3، ج1: 1414هـ، دار صادر.

الكتب:

10. إبراهيم براهيم، استراتيجيات الخطاب في رواية الثلاث لمحمد البشير الإبراهيمي، ط1، الجزائر: 2013، منشورات بونة للبحوث والدراسات.
11. إبراهيم صحراوي، تحليل الخطاب الأدبي، دراسة تطبيقية، ط1، الجزائر: 2013، دار التنوير.
12. أحمد المتوكل، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، ط1، المملكة المغربية، 1993 منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط.
13. أحمد محمد عطية، الرواية السياسية (دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية)، مصر 1982، مكتبة مدبولي.
14. إلفي بولان، المقاربة التداولية للأدب، تر: محمد تنفو، ط1، القاهرة: 2018، دار رؤية للنشر والتوزيع.
15. أمبروتو إيكو، التأويل بين السيميائية والتفكيكية، تر: سعيد بنكراد، ط2، الدار البيضاء: 2004، المركز الثقافي العربي.
16. أوغدن ورتشاردز، معنى المعنى: دراسة لأثر الكلام في الفكر ولعلم الرمزية، تر: كيان أحمد حازم يحيى، لبنان (د.ت)، دار الكتاب الجديد.
17. إيلينا سيمينو، الإستعارة في الخطاب، تر: عماد عبد اللطيف؛ خالد توفيق، ط1، القاهرة: 2013، المركز القومي للترجمة.
18. بديعة الطاهري، أحمد بشير، الخطاب الساخر في رواية (اللجنة) لصنع الله غبراهيم بيروت: 2011، منشورات الجامعة اللبنانية، قسم الدراسات الأدبية.
19. بهاء الدين محمد مزيد، تبسيط التداولية- من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي- ط1، مصر: 2010: شمس للنشر والتوزيع.
20. بوشعيب الساوري النص والسياق-دراسة لرسالة التوابع والزوابع، ط1، سورية: 2013 محاكات للدراسات والنشر والتوزيع.
21. جان كوهن وآخرون، نظرية الأدب في القرن العشرين، المغرب: 1996، إفريقيا الشرق، ص68.
22. جمعان بن عبد الكريم، من تحليل الخطاب إلى تحليل الخطاب النقدي (مناهج ونظريات) ط1، عمان: 2016، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.
23. جميل حمداوي، التداوليات وتحليل الخطاب، ط1، 2015: مكتبة المثقف.
24. جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، عمان: 2016، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.

25. جورج يول، التداولية، ترجمة: قصي العتابي، ط1، بيروت لبنان: 2010، الدار العربية للعلوم ناشرون.
26. جون-ك. آدمز، التداولية والسرد، تر: خالد سهر، ط1، العراق: 2009، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة.
27. حافظ اسماعيلي علوي، لغة الخطاب الساخر، مقارنة تداولية حجاجية، أبحاث في الفكاهاة والسخرية الرّباط: 2008، دار أبي رقرق للطباعة والنشر.
28. حامد لحمداني، القراءة وتوليد الدلالة (تغيّر عادتنا في قراءة النصّ الأدبي)، ط1، الدار البيضاء: 2003، المركز الثقافي العربي.
29. حسن البعطاوي، الاستعارة في الخطاب السياسي (التحليل النقدي للخطاب: مفاهيم ومجالات وتطبيقات) برلين: 2019، المركز الثقافي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية،
30. حسن بدوح، المحاورة: مقارنة تداولية، الأردن: 2012، عالم الكتب الحديث.
31. حمو الحاج ذهبية، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ط2، تيزي وزو، 2012: دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع.
32. حميد لحمداني، بنية النصّ السردية، ط3، الدار البيضاء: 2000، المركز الثقافي العربي.
33. حياة مختار أم السعد، تداولية الخطاب الرّوائي من انسجام الملفوظ إلى انسجام التلفظ، ط1، عمان: 2015، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.
34. خديجة غفيري، سلطة اللغة بين فعلي التأليف والتلقي، المغرب: 2012، أفريقيا الشرق (الدار البيضاء).
35. ذهبية حمو الحاج، التداولية واستراتيجية التواصل، ط1، القاهرة: 2015، رؤية للنشر والتوزيع.
36. ذهبية حمو الحاج، قضايا التداولية والخطاب، ط1، الأردن: 2016، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.
37. سحالية عبد الحكيم، تداولية أفعال الكلام في الخطاب الرّوائي لأحلام مستغانمي، دراسة في عابر سرير ونسيان كوم، ط1، عمان: 2017، دار الأيام للتوزيع والنشر.
38. شكري عزيز الماضي، أنماط الرواية العربية الجديدة، الكويت: 2008، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

39. صابر حباشة، لسانيات الخطاب، الأسلوبية والتلفظ والتداولية، ط1، سوريا، 2010: دار الحوار للنشر والتوزيع.
40. الصحبي هدوي، الإنشاء بالقول، مقارنة نحوية تداولية للأوامر والنواهي أعمالاً لغوية، ط1 الأردن: 2016، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.
41. صولة عبد الله، في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات، ط1، تونس: 2011، مسكيلياني للنشر والتوزيع.
42. طاهر قطبي، الاستفهام بين النحو والبلاغة، ط1، القاهرة، 2007: مركز الحضارة العربية ص65.
43. طه الوادي، الرواية السياسية، ط1، مصر: 2003، الشركة المصرية العالمية للنشر لونغمان القاهرة.
44. طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط1، الدار البيضاء: 1996، المركز الثقافي العربي.
45. عادل بن علي الغامدي، الحجاج في قصص الأمثال القديمة (مقاربة سردية تداولية)، ط1 الأردن: 2016، كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.
46. عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية-دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي-ط1 الأردن: 2014، عالم الكتب الحديث.
47. عزيز الغرباوي، بلاغة الخطاب السردية في الرواية السعودية (مقاربة تداولية لرواية "طوق الحمام" للروائية رجاء عالم) الرياض: 2017، دار جامعة الملك سعود للنشر.
48. عشير عبد السلام، عندما نتواصل نغيّر، مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، المغرب: 2006، إفريقيا الشرق.
49. على محمود حجي الصراف، في البراغماتية: الأفعال الانجازية في العربية المعاصرة، ط1 القاهرة: 2010، مكتبة الآداب.
50. عمر بلخير، "التداولية والشعر"، مقالات في التداولية والخطاب، تيزي وزو: 2013، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع.
51. عمر بلخير، "تصنيف أفعال الكلام في الخطاب الصحافي الجزائري المكتوب بالغة العربية" مقالات في التداولية والخطاب، تيزي وزو: 2013، دار الأمل.
52. عيد بلبع، السياق وتوجيه دلالة النص، مصر: 2007، المكتبة الأزهرية للتراث.

53. فاطمة الشيدي (المعنى خارج النص) أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب، دمشق: 2011 دار نينوي للطباعة والنشر.
54. فان دايك، النص والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي)، تر: عبد القادر قنيني المغرب: 2000، إفريقيا الشرق.
55. فان دايك، النص: بنى ووظائف (مدخل أولي إلى علم النص)، تر: منذر عياشي، ضمن كتاب العلاماتية وعلم النص، ط1، بيروت، 2004: المركز الثقافي العربي، ص171-174
56. قادا عبد العالي، الحجاج في الخطاب السياسي، الرسائل السياسية الأندلسية خلال القرن الهجري الخامس أنموذجا (دراسة تحليلية)، ط1، لبنان: 2015، دار كنوز المعرفة للنشر.
57. كاترين، أوريكيوني، فعل القول من الذاتية في اللغة، تر: محمد نضيف، الدار البيضاء، 2007 إفريقيا الشرق.
58. مجمد مشبال، الحجاج والتأويل في النص السردى عند الجاحظ، ط1، المملكة العربية السعودية: 2015، دار محمد علي للنشر، دار القصيم الأدبي.
59. محمد بن عبد الله المشهورى، التداولية السردية في خطاب الأفضوصة النسائية، ط1، عمان 2018، دار كنوز للنشر والتوزيع.
60. محمد بوعزة، تحليل النص السردى (تقنيات ومفاهيم)، ط1، الرباط (الدار البيضاء)، 2010 دار الأمان.
61. محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ط2، المغرب (الدار البيضاء) 2006، المركز الثقافي العربي.
62. محمد سالم محمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر ط1، لبنان: 2008، دار الكتاب الجديد المتحدة.
63. محمد نجيب العمامي، الذاتية في الخطاب السردى (الإدراك، والسجال، والحجاج)، ط1 تونس: 2011، دار محمد علي للنشر.
64. محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، الإسكندرية، 2002: دار المعرفة الجامعية.
65. محمود طلحة، تداولية الخطاب السردى، دراسة تحليلية في وحي القلم لرافعي، الأردن: 2012 عالم الكتب الحديث.

66. مصطفى العطار، لغة التخاطب الحجاجي، دراسة في آليات التناظر عند ابن حزم ط1 2017، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.
67. نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ط1، القاهرة: د. ت، دار النهضة للطباعة والنشر.
68. نرجس باديس، المشيرات المقامية في اللغة العربية، ط1، تونس (منوبة): 2009، مركز النشر الجامعي.
69. نواري سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي، ط1، الجزائر: 2009، دار الحكمة.
70. نور الدين أبعيط، الوظائف التداولية للتخاطب السياسي وأبعادها الحجاجية، ط1، الأردن 2016، عالم الكتب الحديث.
71. نور الدين أبعيط، تداوليات الخطاب السياسي، ط1، الأردن: 2012، عالم الكتب الحديث.
72. الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ط1، لبنان 2004، دار الكتاب الجديد.
73. أبو هلال حسن بن عبد الله بن سهل العسكري، الصناعتين (الكتابة والشعر)، تحقيق: على محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، القاهرة: 1952، دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاه).
74. يوسف تغزاوي، الوظائف التداولية واستراتيجيات التواصل اللغوي في نظرية النحو الوظيفي، ط1، الأردن: 2014، عالم الكتب الحديث.
- المجلات:**
75. ابتسام بن خراف، أفعال الكلام في قصّة كلیم الرحمان موسى عليه السلام، مجلة كلية الآداب واللغات، ع12، بسكرة: 2013، جامعة محمد خيضر.
76. أحمد حسن إسماعيل الحسن، المنهج التداولي في قراءة النصوص الأدبية، شعر إبراهيم طوقان، أنموذجا، مجلة الإشعاع، ع2، السعودية: ديسمبر 2014، قسم اللغة العربي (جامعة الجوف).
77. حمادي مصطفى، تداولية الإشارات في الخطاب القرآني، مقارنة تداولية لكشف المقاصد والأبعاد، مجلة الأثر، ع26، ورقلة: 2016، كلية الآداب واللغات جامعة قاصدي مرباح.

78. رشيد طلال، السخرية الروائية: محكي تنسيب الحقائق واتساع المفارقات، مجلة تبين، ع23، الدوحة: 2018، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
79. ريمة كعبش، الرواية والتاريخ في النقد الجزائري المعاصر (بحث في العلاقة التداولية) مجلة الناص، ع16 جيجل: 2014، القطب الجامعي (كلية الآداب واللغات).
80. عايد حنون، عمران شدهان، العوامل الحجاجية في آيات الأحكام، مجلة أروك، م9، ع4 العراق: 2016، جامعة المثنى (كلية التربية للعلوم الإنسانية).
81. علي البوجديدي، السخرية وقضايا المعنى في أخلاق الوزرين للتوحيدي بين المعنى الحي الذي يلوح والمعنى المتطور بالتغريب، أعمال ندوة: النص السردي وقضايا المعنى، ط1، المملكة العربية السعودية: 2016، نادي القصيم الأدبي.
82. محمد مدور، نظرية الأفعال الكلامية بين التراث العربي والمناهج الحديثة (دراسة تداولية) مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع16، غرداية: 2012، قسم اللغة العربية وآدابها (المركز الجامعي).
83. مولدي بشينية، علاقة العنوان بقضية المعنى في النص السردي، أعمال ندوة: النص السردي وقضايا المعنى، ط1، المملكة العربية السعودية: 2016، نادي القصيم الأدبي.
84. ميلود مصطفى عاشور، القصيدة في النص الأدبي (دراسة لسانية)، مجلة الرّواق، السنة 1 ع1، جامعة لندن للدراسات العليا بالمملكة المتحدة: 2015، مركز البحوث والدراسات.
- الأطروحات والرّسائل العلمية:**
85. شيتير رحيمة، تداولية النصّ الشعري، جمهرة أشعار العرب نموذجاً [أطروحة مقدّمة لنيل دكتوراه العلوم في الأدب]: 2009، باتنة (جامعة الحاج لخضر).
86. عبد الخالق عيسى عبد الله عوده، السخرية في الشعر العباسي في القرنين الثاني والثالث الهجريين [أطروحة قدمت استكمالاً لمتطلبات درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها]، الأردن 2003، قسم الدراسات العليا.
87. عمر بلخير، معالم لدراسة تداولية وحجاجية للخطاب الصحافي الجزائري المكتوب ما بين 1989-2001، أطروحة أعدت لنيل شهادة الدكتوراه، الجزائر: 2005-2006، جامعة الجزائر.
88. قدور عمران، البعد التداولي في الخطاب القرآني الموجه إلى بني إسرائيل، [أطروحة أعدت لنيل شهادة الدكتوراه]، الجزائر: 2008-2009، جامعة الجزائر.

89. كاهنة دحمون، تداولية الخطاب السردي بين القديم والحديث [أطروحة مقدّمة لنيل دكتوراه العلوم في الأدب]، تيزي وزو: 2014، جامعة مولود معمري.
90. مصطفى بلعور، التحول الديمقراطي في النظم السياسية العربية (دراسة حالة النظام السياسي الجزائري 1988/2008)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية، الجزائر 2010: جامعة يوسف بن خدة.
91. نورة بوعياد، دراسة تداولية للخطاب التعليمي الجامعي، مذكرة لنيل درجة الماجستير في اللغة والأدب العربي، تيزي وزو: 2001/2000؛ جامعة مولود معمري.
92. وليدة بن طالب، سيرة بني هلال: دراسة سردية: [مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي]، قسنطينة: 2010، جامعة منتوري (قسنطينة).
الكتب باللغة الفرنسية:

1. Austin, Quand dire c'est faire, traduit de l'anglais par Gilles Lane, Paris 1970, Edition du seuil.
2. Catherine. kerbrat orecchioni, l'énonciation de la subjectivité dans le langage, 4eme édition, Paris : 1980, Armand colin.
3. Dominique maingueneau, la pragmatique pour le discours littéraire paris : 2001, Nathan Université.
4. Françoise Armengand, la pragmatique, Paris : 1985, Presses Universitaires de France, saint germain.
5. John. R.Searl, Sens et Expression (études de théorie des actes de langage) traduction et préface par Joëlle Proust, Paris : 1982, Les Edition de Minuit.
6. O Swald Ducrot/todorov, dictionnaire encyclopédique des sciences du langage Pari, 1972, édition seuil.
7. Perlman Chaim et Lcie Olbrechts Tytica « traité de l'argumentation- la nouvelle rhétorique », Préface de Michel Mayer, 5ème édition, Belgique : 1992, Editions de l'université de Bruxelles.

فهرس الموضوعات

01.....مقدمة

08.....تمهيد

الفصل الأول

التواصل السردى الروائى ومقاصد الخطاب

35.....تمهيد

39.....المبحث الأول: سياق التواصل فى الخطاب الروائى

43.....1. موقف التواصل السردى وبنيتة التداولية

44.....1/1. أقطاب العملية التواصلية

44.....1/1/1. المخاطب

48.....2/1/1. المخاطب

542/1. الإطار الزمانى والمكانى للخطاب الروائى

541/2/1. الزمان

62.....2/2/1. المكان

68.....3/1. العلاقات التخاطبية والمعرفة المشتركة بين أطراف الخطاب

74.....2. مقام التأليف ومقام القراءة

751/2. مقام التأليف والواقع

76.....2/2. مقام القراءة بين ذاتية القارئ وموضوعية العصر

78.....3. الزمن السردى ومسيرة أحداث الرواية

83.....المبحث الثانى: القصدية التداولية والتأويل فى الخطاب الروائى السياسى

83.....تمهيد

87.....1. عنوان الرواية: الدلالة والرمز والتأويل

2. الحدث الرّوائي السياسي بين الواقع والمغامرة السردية.....96
3. التّأويل ومقاصد الرّواية السياسية.....105

الفصل الثاني

تداولية الخطاب الرّوائي السياسي واستراتيجيات الخطاب

- تمهيد.....123
- المبحث الأوّل: أفعال الكلام والسرد والتداولية النصية.....125
1. الفعل الكلامي السردى وإشكاليته التخيل والتظاهر.....126
- 1/1. الأفعال الكلامية والخطاب التخيلي.....126
- 2/1. الفعل الكلامي السردى والتظاهر.....129
2. الأفعال الكلامية والقوى الانجازية في الخطاب الرّوائي.....133
- 1/2. الأفعال الكلامية.....133
- 2/2. أنواع الأفعال الإنجازية.....140
3. الحدث الكلامي الرّوائي والفعل الكلامي الأساس.....142
- 1/3. الحدث الكلامي: المفهوم والرؤية.....144
- 2/3. الفعل الكلامي الأساس وبنائه.....147
4. الفعل الكلامي الأساس ومقصدية الخطاب الرّوائي.....161
- المبحث الثاني: الاستراتيجيات الخطابية وبناء الخطاب الرّوائي السياسي.....165
1. السخرية استراتيجية خطابية سياسية.....165
- 1/1. سلطة الخطاب الساخر.....167
- 2/1. تجليات السخرية وآلياتها في الرّواية السياسية.....170
- 3/1. السخرية السياسية وأبعادها التداولية.....179
1. الحجاج والإقناع الأيديولوجي في الرّواية السياسية.....182

183.....	1/2. تجليات الحجاج وآليات تنفيذه
191	2/2.التفاوض والتعارض الحجاجي.....
198.....	3/2. الرّوابط والعوامل الحجاجية.....
200	3.استراتيجية التوجيه وبناء الخطاب.....
201.....	1/3. تجليات الاستراتيجية التوجيهية ومقاصد الخطاب.....
209.....	2/3. التوجيه والعلاقات التخاطبية.....
212.....	4.تداولية التصريح والتلميح في الرواية السياسية.....
213	1/4. التصريح وسلطة الذات في الرواية السياسية.....
217.....	2/4. التلميح والإضمارات الخطابية السردية

الفصل الثالث

التلفظ في الرواية السياسية وأناوية الخطاب

239.....	تمهيد.....
	المبحث الأول: الموقف التلفظي ومرجعية الخطاب
	الروائي.....241.....
241.....	1. نظام التلفظ السردية.....
245.....	2. الإشارات المقامية وأبعادها التداولية.....
246.....	1/2. الإشارات الشخصية.....
251.....	2/2. الإشارات المكانية.....
258.....	3/2. الإشارات الزمانية.....
267.....	المبحث الثاني: ذاتية المتلفظ في الرواية السياسية.....
268.....	1. مستويات التلفظ التداولية في السرد
269.....	1/1. كاتب الرواية السياسية.....

269.....	2/1. راوي الحكاية السياسية (الزّاوي الفاعل)
271.....	2/1. المتكلمون الفاعلون.....
272.....	2.الذات المتكلمة في الخطاب.....
273.....	1/2. الضمير (أنا).....
294.....	2/2. الأحكام التقديرية.....
305.....	3.المسافات التّفظية بين الذوات السردية.....
310.....	خاتمة.....
312	ملخص الأطروحة.....
318.....	قائمة المصادر والمراجع.....
326	فهرس الموضوعات.....

موضوع الأطروحة: "قراءة تداولية في الرواية السياسية الجزائرية المعاصرة"

الملخص:

نسعى من خلال هذه الدراسة للتقرب من الرواية السياسية من وجهة نظر المقاربة التداولية وتناولها كظاهرة تواصلية تخاطبية في محاولة لتجديد النظرة للخطاب الروائي بشكل عام والانفتاح عليه من جانبه التواصلي من جهة، وسعياً للتبيان ما تحقق لهذا النوع من الخطاب من جزاء مقاربتة من وجهة تداولية من جهة أخرى. وقد وقع اختيارنا على الرواية السياسية بالتحديد كونها أكثر الفنون الأدبية انتشاراً وتفاعلاً وأعمقها تعبيراً وتأثيراً ورغبة في استكشافها والغوص في أعماقها من خلال فهم بنيتها التداولية وإدراك طبيعتها التواصلية عن طريق أفعالها الكلامية في ظل خصوصياتها السردية التخيلية، وما حققته من قوى إنجازية داخل السرد وكيف عبّرت عن الكل المشترك الإنجازي، دون إهمال دراسة آلياتها الخطابية المتبعة في الخطاب السياسي وكيفية استعمالها واستثمارها لتأدية مقاصد خطابية فالرواية شكل من أشكال استخدام اللغة تجاوزت حدود الوصف البنيوي إلى اعتبارها حدثاً تواصلياً تفاعلياً بين المؤلف والقارئ، ولهذا فهي بحاجة إلى البحث في العلاقة بين اللغة ومستخدامها من أجل تأويلها والوصول إلى مقاصدها، وعلى هذا الأساس آثرنا أن تكون هذه الدراسة على ضوء هذا التيار الجديد للغة الذي ينظر إلى اللغة من زاوية استعمالها في التواصل.

الكلمات المفتاحية: الرواية السياسية؛ التداولية؛ السياق؛ القصديّة؛ التلقّظ؛ أفعال الكلام والسرد.

Subject: A Pragmatic Approach to Read Modern Algerian Political Novels

Abstract:

In this paper, we attempt to see a new model of pragmatic applications. In other words, the study seeks to apply a pragmatic approach to the literary discourse, especially to fictional narrative texts –the novelistic discourse- The point is, on the one hand, to renew the perception of narrative discourse and familiarize readers with its communicative part. On the other hand, we try to discover the improvements that the pragmatic approach has brought upon this kind of discourse. To this end, we have, specifically, selected the political novel as it is the most widespread and interactive genre. We opted to achieve this by understanding its pragmatic structure and narrative nature, as well as by searching for its verbal actions in the context of its fictional narrative peculiarities. On this basis, we opted to conduct this study within this new linguistic perception that addresses language form its use for communication.

Keywords: Political novel, pragmatics, context, intentional, pronunciation, speech act and narration.